منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله

الهاشمي الخوئي قدس سره

من منشورات

المكتبة الإسلامية

طهران، شارع ١٥ خرداد شرقي

تلفون ٥٢٥٣٢٨-٥٢١٩٦٦

منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

شبكة الفكر
alfeker.net

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

عنى بتصحيحه وتهذيبه العالم الفاضل: السيد ابراهيم الميانجي

الجزء الثامن

الطبعة الرابعه

الناشر:
مكتبة الاسلامية بطهران

شارع البوذرجمهري تليفون (٥٢١٩٦٦)

حق چاپ و عكسبردارى از اين نسخه محفوظ است

طبع فى المطبعة الاسلامية بطهران

بسم الله الرحمن الرحيم

ثمّ أنّه عليه السلام لما فرغ من تعداد أفضل الوسائل إلى الله سبحانه و أشرف ما يتقرّب به إليه تعالى أردفه بالأمر بما هوموجب لكماله وتمامه فقال عليه السلام :

(أفيضوا) أى اندفعوا (في ذكر الله فانّه أحسن الذّكر) لما يترتب عليه من الثّمرات الدّنيويّة و الأخروية حسبما عرفته في التنبيه الثاني من تنبيهات الفصل السّادس من فصول الخطبة الثانية و الثمانين (وارغبوا فيما وعد المتّقين) بقوله : « لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها وَ أَزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوانٌ مِنَ اللهِ وَ اللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبادِ » .

والرّغبة فيه إنّما هو بتحصيل التقوى والاتّصاف بأوصاف المتّقين الّذين:

« يَقُولُونَ رَبَّنا إِنَّنا آمَنّا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَ قِنا عَذابَ النّارِ الصّابِرِينَ وَ الصّادِقِينَ وَ الْقانِتِينَ وَ الْمُنْفِقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحارِ » .

(فانّ وعده) سبحانه (أصدق الوعد) أى لا يخلف الميعاد لأنّ الخلف منشاؤه إمّا البخل أو العجز ، و كلاهما محالان على الله سبحانه (واقتدوا بهدى نبيّكم) أى بسيرته صلّى الله عليه و آله (فانّه أفضل الهدى) لأنّه إذا كان أفضل الأنبياء كانت سيرته أفضل السّير (واستنّوا بسنّته) أى بطريقته سلام الله عليه وآله (فانّها أهدى السّنن)

وأقرب الطرق الموصلة إلى الحقّ سبحانه (وتعلّموا القرآن فانّه أحسن الحديث) أى أحسن الكلام ، و سمّى الكلام به لتجدّده و حدوثه شيئاً فشيئاً ، و قد مضى في شرح الفصل السّابع عشر من فصول الخطبة الاُولى بعض امور المهمّة المتعلّقة بالقرآن ، ولعلوّ مقامه وسموّ مكانه وحسن نظمه وجلالة قدره و بُعد غوره وعذوبة معناه ودقّة مغزاه واشتماله على مالم يشتمل عليه غيره من كلام المخلوقين كان أحسن الكلام و أمر عليه السلام بتعلّمه بذلك الاعتبار مضافاً إلى ما يترتّب على تعلّمه من عظيم الفوائد ومزيد القسم والعوايد .

كما يشهد به ما رواه ثقة الاسلام الكلينيّ عطر الله مضجعه عن عليّ بن محمّد عن عليّ بن العبّاس عن الحسين بن عبدالرّحمن عن سفيان الحريري عن أبيه عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا سعد تعلّموا القرآن فانّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليه الخلق ، والنّاس صفوف عشرون ومأة ألف صفّ ثمانون ألف صفّ امّة محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم وأربعون ألف صفّ من ساير الاُمم فيأتي على صفّ المسلمين في صورة رجل فيسلّم فينظرون إليه ، ثمّ يقولون : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا الرّجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهاداً منّا في القرآن ، فمن هناك اعطى من البهاء والجمال والنور ما لم نعطه ، ثمّ يتجاوز حتّى يأتي على صفّ الشهداء فينظر إليه الشهداء ثمّ يقولون لا إله إلاّ الله الرّبّ الرّحيم انّ هذا الرّجل من الشّهداء نعرفه بسمته وصفته غير أنّه من شهداء البحر فمن هناك اعطى من البهاء و الفضل ما لم نعطه ، قال فيجاوز حتّى يأتي صفّ شهداء البحر في صورة شهيد فينظر إليه شهداء البحر فيكثر تعجّبهم ويقولون إنّ هذا من شهداء البحر نعرفه بسمته وصفته غير أنّ الجزيرة التي اصيب فيها كانت أعظم هولا من الجزيرة « الجزائر خ » التى اصبنا فيها فمن هناك اعطى من البهاء و الجمال و النّور ما لم نعطه ، ثمّ يجاوز حتّى يأتي صفّ النبيّين والمرسلين في صورة نبيّ مرسل ، فينظر النّبيون والمرسلون إليه فيشتدّ لذلك تعجّبهم و يقولون : لا إله إلاّ الله الحليم الكريم إنّ هذا النبيّ مرسل نعرفه

بصفته و سمته غير انه اعطى فضلا كثيراً ، قال : فيجتمعون فيأتون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيسألونه ويقولون : يامحمد من هذا ؟ فيقول لهم : أو ما تعرفونه ؟ فيقولون : مانعرفه هذا ممن لم يغضب الله عليه فيقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هذا حجة الله على خلقه فيسلم ، ثم يجاوز حتى يأتي على صف الملائكة في صورة ملك مقرب فينظر اليه الملائكة فيشتد تعجبهم ويكبر ذلك عليهم لما رأوا من فضله ويقولون : تعالى ربنا وتقدس إن هذا العبد من الملائكة نعرفه بسمته و وصفه غير أنه كان أقرب الملائكة إلى الله عز وجل مقاماً فمن هناك البس من النور و الجمال ما لم نلبس ، ثم يجاوز حتى ينتهي إلى رب العزة تبارك وتعالى فيخر تحت العرش فيناديه تبارك وتعالى: ياحجتي في الأرض و كلامي الصادق الناطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفع ، فيرفع رأسه فيقول الله تبارك : كيف رأيت عبادي ؟ فيقول : يا رب منهم من صانني و حافظ علي ولم يضيع شيئاً ، ومنهم من ضيعني واستخف بحقي و كذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك فيقول الله تبارك و تعالى : و عزتي وجلالي و ارتفاع مكاني لأثيبن عليك اليوم أحسن الثواب ، و لأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب ، قال فيرفع القرآن رأسه في صورة أخرى قال : فقلت له : ياباجعفر في أي صورة يرجع ؟ قال : في صورة رجل شاحب متغير ينكره أهل الجمع ، فيأتي الرجل من شيعتنا الذي كان يعرفه ويجادل به أهل الخلاف فيقوم بين يديه فيقول : ماتعرفني فينظر إليه الرجل فيقول : ماأعرفك ياعبدالله ، قال: فيرجع في صورته التي كانت في الخلق الأول ، فيقول : ماتعرفني ؟ فيقول : نعم ، فيقول القرآن : أنا الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك ، وسمعت في الأذى و رجمت بالقول ، ألا وان كل تاجر قد استوفى تجارته وانا وراءك اليوم ، قال: فينطلق به إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقول : يا رب عبدك وأنت أعلم به قد كان نصبا بي مواظبا علي يعادي بسببي و يحب في ويبغض ، فيقول الله عز وجل ادخلوا عبدي جنتي و اكسوه حلة من حلل الجنة وتوجوه بتاج ، فاذا فعل به ذلك عرض على القرآن فيقول له : هل رضيت بماصنع بوليك ؟ فيقول : يارب إني أستقل هذا له فزده مزيد الخير كله ، فيقول عز وجل : وعزتي وجلالي و علوي و ارتفاع مكاني لأنحلن له اليوم

خمسة أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته ألا أنّهم شباب لايهرمون ، وأصحّاء لايسقمون ، وأغنياء لايفتقرون ، وفرحون لايحزنون ، وأحياء لايموتون، ثمّ تلا هذه الآية «لا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الْأُولىٰ».

قال قلت : يا أباجعفر وهل يتكلّم القرآن ؟ فتبسّم عليه السلام ثمّ قال: رحم الله الضّعفاء من شيعتنا إنهم أهل تسليم ، ثمّ قال عليه السلام : نعم يا سعد والصّلاة تتكلّم ، و له صورة وخلق تأمر و تنهى ، قال سعد : فتغيّر لذلك لوني وقلت : هذا شيء لاأستطيع التكلّم به في النّاس ، فقال أبوجعفر عليه السلام : وهل الناس إلاّ شيعتنا ، فمن لم يعرف الصّلاة فقد أنكر حقّنا ، ثمّ قال : يا سعد اسمعك كلام القرآن ؟ قال سعد : فقلت : بلى صلّى الله عليك ، فقال : إنّ الصّلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ، فالنهى كلام والفحشاء والمنكر رجال ونحن ذكر الله ونحن أكبر

(وتفقّهوا فيه) أي تفهّموا فى القرآن (فانه ربيع القلوب) و استعار له لفظ الرّبيع باعتبار كونه جامعا لأنواع الأسرار العجيبة والنكات البديعة والمعاني اللّطيفة و العلوم الشريفة التي هي متنزّه القلوب كما أنّ الرّبيع جامع لأنواع الأزهار و الرياحين التي هي مطرح الأنظار ومستمتع الأبصار و محصّل المعنى أنّه يجب عليكم أخذ الفهم فى القرآن كيلا تحرموا من فوائده ولا تغفلوا عن منافعه فانه بمنزلة الرّبيع المتضمّن للفوائد الكثيرة والمنافع العظيمة هذا ·

ويحتمل أن يكون المراد بالتفقّه التبصّر على حذو ماذهب اليه بعض الشارحين في شرح قوله صلّى الله عليه وآله وسلّم : من حفظ على اُمّتي أربعين حديثا بعثه الله فقيها عالما ، حيث قال : ليس المراد به الفقه بمعنى الفهم فانه لايناسب المقام ، و لا العلم بالأحكام الشرعية عن أدلّتها التفصيليّة فانه مستحدث ، بل المراد البصيرة في أمر الدّين ، والفقه أكثر ما يأتي فى الحديث بهذا المعني ، وإليها أشار صلّى الله عليه وآله وسلّم بقوله : لايفقه العبد كلّ الفقه حتّى يمقت الناس في ذات الله وحتّى يرى للقرآن وجوها كثيرة ثمّ يقبل على نفسه فيكون لها أشدّ مقتاً .

ثمّ قال : هذا البصيرة إمّا موهبيّة و هي التي دعابها النّبيّ صلّى الله عليه وآله لأميرالمؤمنين عليه السلام حين أرسله إلى اليمن حيث قال: اللّهم فقّهه في الدّين، أو كسبيّة و هى التي أشار اليها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال لولده الحسن عليه السلام و تفقّه يا بنيّ فى الدّين انتهى.

وعلى هذا الاحتمال فتعليل الأمر بالتفقّه بكونه ربيعاً إشارة إلى أنّ الرّبيع كما أنّه مورد الاعتبار بما أودع الله فيه من عجايب العبر و الأسرار وأخرج فيه من بدايع النبات والأزهار و غيرها من شواهد الحكمة و آثار القدرة ، فكذلك القرآن محلّ الاستبصار بما تضمّنه من حكاية حال الأمم الماضية و القرون الخالية وتفصيل ما أعطاه الله سبحانه للمطيعين من عظيم الثواب وجزاه للمسيئين من أليم العقاب والعذاب ، وغير ذلك مما فيه تذكرة لأولي الأبصار و تبصرة لأولي الألباب

(واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور) من الاسقام الظاهرة والباطنة والأمراض الجسيّة والعقليّة .

كمايدلّ عليه مارواه فى الكافي باسناده عن طلحة بن زيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدّجى، فليجل جال بصره و يفتح للضياء نظره، فانّ التّفكر حياة قلب البصير كما يمشي المستنير فى الظلمات بالنّور.

وفيه عن أبي جميلة قال قال: أبو عبدالله عليه السلام : كان في وصيّة أمير المؤمنين عليه السلام لأصحابه: اعلموا أنّ القرآن هدى النهار و نور الليل المظلم على ما كان من جهل و فاقة .

وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النّوفلي عن السّكوني عن أبيعبدالله عن آبائه عليهم السلام قال: شكى رجل النّبيّ صلّى الله عليه وآله وجعاً في صدره فقال : استشف بالقرآن فانّ الله عزّ وجل يقول وشفاء لما في الصّدور ، إلى غير ذلك ممالانطيل بر وايتها ويأتى طائفة كثيرة منها في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة المأة و السابعة والتسعين إنشاءالله تعالى

(وأحسنوا تلاوته فانّه أنفع القصص) يعني أنه لما كان أحسن القصص وأنفعها

كما يرشد إليه قوله تعالى: نحن نقصُّ عليك أحسن القصص ، لاجرم ينبغي أن يحسن تلاوته وأن يتلى حقّ التلاوة بحسن التّدبّر والنظر لتدرك منافع قصصه وتنال بهافيها من الفوائد العظيمة .

روى في الكافي باسناده عن عبدالله بن سليمان قال : سألت أباعبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: و رتّل القرآن ترتيلاً ، قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام: بيّنه تبياناً ولا تهذّه (١) هذّ الشعر ولا تنثره نثر الرّمل ولكن افرغوا قلوبكم القاسية ولايكن همّ أحدكم آخر السّورة

ثمّ إنه عليه السلام لما أمر بتعلّم القرآن وعقّبه بأمور ملازمة للعمل به من التفقّه فيه والاستشفاء بنوره وحسن تلاوته ، علّل ذلك بقوله : (فانّ العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحاير) أى المتحيّر (الّذى لايستفيق من جهله) في اشتراكهما في التورّط في الضلال والعدول عن قصد السبيل (بل الحجّة عليه أعظم) لانقطاع معذرته بمعرفته وعدم تمكّنه من أن يعتذر ويقول : إنّا كنّا عن هذا غافلين

وقد مرّ في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة الثانية والثمانين تحقيق الكلام في ذلك بمالامزيد عليه ، وروينا هنالك عن حفص بن غياث عن أبي عبدالله عليه السلام أنه قال : يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد (والحسرة له ألزم) كما يوضحه رواية سليم بن قيس الهلالى المتقدّمة ثمّة

وقال الشارح البحراني «قد» : إنّ النفوس الجاهلة غير عالمة بمقدار مايفوتها من الكمال بالتفصيل فاذا فارقت أبدانها فهى و إن كانت محجوبة عن ثمار الجنّة و ما أعدّها الله فيها لأوليائه العلماء ، إلاّ أنها لمالم تجد لذّتها و لم تطعم حلاوة المعارف الالهية لم تكن لها كثير حسرة عليها و لا أسف على التقصير في تحصيلها ، بخلاف العارف بهاالعالم بنسبتها إلى اللّذات الدّنيويّة ، فانّه بعد المفارقة إذا علم

---

(١) الهذّ سرعة القرائة أى لا تسرع فيه كماتسرع فى قرائة الشعر ولا تفرّق كلماته بحيث لايكاد تجتمع كدرّات الرمل ،والمراد به الاقتصاد بين السرعة المفرطة و البطؤ المفرط « صافى »

و انكشف له أنّ الصارف له و المانع عن الوصول إلى حضرة جلال الله هو تقصيره في العمل بما علم مع علمه بمقدار مافاته من الكمالات والدّرجات ، كان أسفه و حسرته على ذلك أشدّ الحسرات ، و جرى ذلك مجرى من علم قيمة جوهرة ثمينة تساوى جملة من المال ثمّ اشتغل عن تحصيلها ببعض لعبه فانّه يعظم حسرته عليها وندمه على التفريط فيها بخلاف الجاهل بقيمتها

(وهو عندالله ألوم) وشدّة اللائمه مساوق لشدة العقوبة ، وهو باعتبار أنّ عدم قيامه بوظايف علمه و اتّباعه هواه كاشف عن منتهى جرأته على مولاه ، فبذلك يستحقّ من اللؤم و العتاب و الخزى والعذاب مالايستحقّه غيره ممّن ليس له هذه الجرأة ، فهو عندالله أشد لؤما وعتاباً ، و أعظم نكالا وعقاباً

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبه الشريفة حسبما أشرنا إليه ملتقطة من خطبة طويلة روى تمامها الشيخ المحدّث الثقة أبي محمّد الحسن بن عليّ بن شعبة قدّس الله سرّه في كتاب تحف العقول

قال : خطبته عليه السلام المعروفة بالدّيباج : الحمدلله فاطر الخلق و خالق الاصباح ومنشر الموتى وباعث من في القبور، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له ، و أنّ محمّداً عبده ورسوله صلّى الله عليه و آله و سلّم

عبادالله إنّ أفضل ما توسّل به المتوسّلون إلى الله جلّ ذكره الايمان بالله وبرسله و ماجائت به من عندالله ، و الجهاد في سبيله فانه ذروة الاسلام ، و كلمة الاخلاص فانها الفطرة ، و إقامة الصلاة فانّها الملّة ، و إيتاء الزكاة فانها فريضة وصوم شهر رمضان فانّه جنّة حصينة ، و حجّ البيت و العمرة فانهما ينفيان الفقر و يكفّران الذنب و يوجبان الجنّة ، و صلة الرّحم فانها ثروة في المال و منساة في الأجل و تكثير للعدد، و الصّدقة في السّر فانها تكفّر الخطاء و تطفى غضب الرّبّ تبارك وتعالى ، والصّدقة في العلانية فانها تدفع ميتة السوء ، وصنايع المعروف فانها تقي مصارع السوء، وأفيضوا في ذكر الله جلّ ذكره فانه أحسن الذكر ، و هو

أمان من النفاق و برائة من النار وتذكير لصاحبه عند كلّ خير يقسمه الله جلّ وعزّ له دويّ تحت العرش ، وارغبوا فيما وعد المتّقون فانّ وعدالله أصدق الوعد ، وكلّما وعد فهوآت كما وعد ، فاقتدوا بهدي رسول‌الله صلى الله عليه وآله فانّه أفضل الهدي ، واستنّوا بسنّته فانها أشرف السنن ، و تعلّموا كتاب‌الله تبارك و تعالى فانه أحسن الحديث وأبلغ الموعظة ، وتفقّهوا فيه فانه ربيع‌القلوب ، و استشفوا بنوره فانّه‌شفاء لمافي‌الصّدور ، وأحسنوا تلاوته فانّه‌أحسن‌القصص ،وإذا قرء عليكم‌القرآن فاستمعوا لهوأنصتوا لعلكم ترحمون ، و إذا هديتم‌لعلمه فاعملوا بما علمتم من علمه لعلّكم تفلحون ·

فاعلموا عباد‌الله أنّ العالم العامل بغيرعلمه كالجاهل الحائر الذى لايستفيق من جهله ، بل الحجّة عليه أعظم وهو عندالله ألوم والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه مثل ما على‌هذا الجاهل المتحيّر في‌جهله و كلاهماحاير بايرمضلّ مفتون مبتورماهم فيه و باطل ماكانوا يعملون

عبادالله‌لاترتابوا فتشكّوا،ولاتشكّوافتكفروا،ولاتكفروا فتندموا ، ولاترخصوا لأنفسكم فتدهنوا و تذهب بكم الرّخص مذاهب الظلمة فتهلكوا ، ولا تداهنوا فى‌الحقّ إذا ورد عليكم وعرفتموه فتخسروا خسراناً مبيناً

عبادالله إنّ من الحزم أن تتّقوا الله ، وإنّ من‌العصمة أن‌لاتغترّوا بالله

عبادالله إنّ أنصح الناس لنفسه أطوعهم لربّه ، و أغشّهم لنفسه أعصاهم له

عبادالله إنه من يطع‌الله يأمن ويستبشر، ومن يعصيه يخب ويندم ولايسلم

عبادالله سلوا الله اليقين فانّ اليقين‌رأس الدّين ،وارغبوا اليه فى العافية فانّ أعظم النعمة العافية فاغتنموها للدّنيا والآخرة و ارغبوا اليه فى التوفيق فانه اُسّ وثيق ، و اعلموا أنّ خير مالزم القلب اليقين ،وأحسن اليقين التّقى ، و أفضل امور الحقّ عزائمها ، وشرّها محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة و كلّ بدعة ضلالة ، و بالبدع هدم‌السّنن،المغبون‌من‌غبن دينه ، والمغبوط‌من سلم له دينه و حسن يقينه،والسّعيد

من وعظ بغيره ، و الشقى من انخدع لهواه .

عباد الله اعلموا أنّ يسير الرّياء شرك، وانّ اخلاص العمل اليقين، والهوى يقود إلى النار، ومجالسة أهل الهوى ينسى القرآن ويحضر الشّيطان، والنسيء زيادة فى الكفر واعمال العصاة تدعوالى سخط الرّحمن و سخط الرّحمن يدعو إلى النّار ، ومحادثة النساء تدعو إلى البلاء و تزيغ القلوب ، والرّمق لهنّ يخطف نور أبصار القلوب ، ولمح العيون مصائد الشيطان ، ومجالسة السّلطان يهيج النّيران .

عباد الله أصدقوا فانّ الله مع الصّادقين ، وجانبوا الكذب فانّه مجانب للايمان وإنّ الصّادق على شرف منجاة و كرامة ، والكاذب على شفا مهواة وهلكة ، وقولوا الحقّ تعرفوا به ، و اعملوا به تكونوا من أهله ، و أدّوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها ، وصلوا أرحام من قطعكم ، وعودوا بالفضل على من حرمكم ، وإذا عاقدتم فأوفوا ، و إذا حكمتم فاعدلوا ، و إذا ظُلمتم فاصبروا ، و إذا أُسيء إليكم فاعفوا واصفحوا كما تحبّون أن يعفى عنكم ، ولا تفاخروا بالآباء ، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، ولا تمازحوا ، ولا تغاضبوا ، ولا تباذخوا ، ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ، ولا تحاسدوا فانّ الحسد يأكل الايمان كما تأكل النّار الحطب ، و لا تباغضوا فانها الحالقة ، و افشوا السّلام في العالم ، وردّوا التحيّة على أهلها بأحسن منها ، وارحموا الأرملة واليتيم ، و اعينوا الضعيف والمظلوم والغارمين و في سبيل الله وابن السّبيل و السّائلين وفي الرّقاب والمكاتب والمسكين ، وانصروا المظلوم ، واعطوا الفروض ، وجاهدوا انفسكم في الله حقّ جهاده فانّه شديد العقاب ، و جاهدوا في سبيل الله ، وأقروا الضيف و أحسنوا الوضوء، وحافظوا على الصّلوات الخمس في أوقاتها، فانها من الله عزّ وجلّ بمكان .

« وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ فَإِنَّ اللهَ شاكِرٌ عَلِيمٌ » « تَعاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوى وَلا تَعاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوانِ » « وَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » .

و اعلموا عباد الله أنّ الأمل يذهب العقل ويكذب الوعد ويحثّ على الغفلة و يورث الحسرة ، فاكذبوا الأمل فانّه غرور و أنّ صاحبه مأ زور ، فاعملوا في الرغبة والرهبة فان نزلت بكم رغبة فاشكروا واجمعوا معها رغبة ، فانّ الله قد تأذّن للمسلمين بالحسنى و لمن شكر بالزيادة ، فانّي لم أرمثل الجنّة نام طالبها ، و لا كالنّار نام ها ربها ، و لا أكثر مكتسبا ممن كسبه ليوم تذخر فيه الذخاير وتبلى فيه السّرايز ، وأنّ من لاينفعه الحقّ يضرّه الباطل ، ومن لايستقيم به الهدى تضرّه الضّلالة ، و من لا ينفعه اليقين يضرّه الشّك و انكم قد امرتم بالظعن و دللتم على الزّاد ، ألا انّ أخوف ما أتخوّف عليكم اثنان : طول الأمل واتّباع الهوى ألاو إنّ الدّنيا أدبرت وآذنت بانقلاع ، ألاوانّ الآخرة قد أقبلت وآذنت باطلاع ، ألا وإنّ المضمار اليوم والسباق غداً ، ألا وإنّ السبقة الجنّة والغاية النار ، ألا و إنكم في أيّام مهل من ورائه أجل يحثّه عجل فمن أخلص لله عمله في أيّامه قبل حضور أجله نفعه عمله ولم يضرّه أجله ، ومن لم يعمل في أيّام مهله ضرّه أجله ولم ينفعه عمله

عباد الله أفزعوا إلى قوام دينكم باقام الصّلاة لوقتها ، وايتاء الزكاة في حينها والتضرّع والخشوع و صلة الرّحم ، وخوف المعاد وإعطاء السّائل وإكرام الضعيفة والضعيف وتعلّم القرآن و العمل به وصدق الحديث والوفاء بالعهد وأداء الأمانة إذا ائتمنتم ، و ارغبوا في ثواب الله و ارهبوا عذابه و جاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وتزوّدوا من الدّنيا ماتحرزون به أنفسكم واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير ، أقول قولي وأستغفر الله لي ولكم .

بيان

لا يخفى على الضّابط المحيط بماتقدّمت من الخطب أن الأشبه أن تكون الخطبة الثّامنة و العشرون ، و أو آخر الخطبة الخامسةوالثمانين، و هذه الخطبة التي نحن في شرحها جميعا ملتقطة من تلك الخطبة المعروفة بالدّيباج ، فانّك إذالاحظتها ترى توافق هذه الخطبة لأوايل تلك الخطبة ، وأواخر الخامسة والثمانين لأواسطها ، و الثامنة و العشرين لأواخرها ، و إن كان بينها اختلاف يسير في بعض

العبارات ، و تقديم و تأخير في بعض الفقرات ، ولا ضير فيه فانّه من تفاوت مراتب حفظ الرّواة في القوّة و الضعف ، وهو عمدة جهات الاختلاف في الأخبار كما هو غير خفيّ على اُولى الأبصار .

الترجمة

ازجملهٔ خطبهای شريفهٔ آن حجت زمان و قدوهٔ عالميانست دروصف شعائر اسلام وحثّ وترغيب بر آن ميفرمايد :

بتحقيق بهترين چيزي كه تقرّب ميكنند بآن تقرّب جويندگان بسوى پروردگار عالميان كه منزّه ومقدّس است از هر گونه عيب ونقصان، ايمان و تصديق است بذات او و به پيغمبر برگزيدهٔ او ، و جهاد است در راه او پس بتحقيق كه جهاد بلندي اسلام است ، ديگر از اسباب تقرّب كلمهٔ اخلاص يعنى كلمهٔ طيبه لا إله الاّ الله است پس بدرستى كه آن كلمه مبار كه توحيد است ومعرفت ، ديگر برپا داشتن نماز پنج گانه پس بتحقيق كه او است ملّت ، ودادن زكاة است كه اواست فرض وواجب وروزهٔ ماه مبارك رمضان است كه سپر است ازعقوبت ، وحجّ خانهٔ خدا وعمره بجا آوردن است درآن كه آن حجّ وعمره برميدارند فقر وپريشانى را وميشويند گناه را، وصلهٔ أرحام است كه مايه أفزونى مال است ودرازى عمر ، وصدقه دادن است پنهان كه كفّارهٔ گناهانست ، وصدقه دادنست آشكارا كه دفع كنندهٔ مردن زشت است چون سوختن وغرق شدن ومثل آن ، وكارهاى نيكو كردنست كه نگه ميدارد كردن آنها از كشته شدن درمواضع ذلّت .

كوچ نمائيد وسير كنيد درذكر خدا پس بدرستيكه ذكر خدا بهترين ذكرها است ، و رغبت نمائيد بچيزي كه وعده فرموده پرهيزكاران را پس بتحقيق كه وعده اوراست ترين وعدها است ، ومتابعت كنيد بسيرت پيغمبرخودتان كه بهترين سيرتها است ، و راه بروید بطريقهٔ او كه هدايت كننده ترين طريقها است ، وياد بگيريد وبياموزيد قرآن كريم را كه بهترين كلامها است ، و بفهميد نكات آنرا كه

آن بهار قلبها است ، و طلب شفا کنید بانور قرآن که آن شفای سینها است ، وخوب تلاوت نمائید آنرا پس بدرستیکه آن نافع‌ترین قصّه‌ها است ، بتحقیق که عالمی که بعلم خود عمل نکند مثل جاهل و نادان سر گردانی است که از مستی و جهالت خود بهوش نیاید ، بلکه حجّت خدا برآن عالم بزرگتراست ، و حسرت و أفسوس مر آن عالم را لازم تر است ، و او در نزد خدا بیشتر مستحقّ مذمّت و ندامت است .

و من خطبة له عليه السلام و هی المأة والعاشرة من المختار فی باب الخطب

و رواها المحدّث العلامة المجلسی (قد) فی البحار من کتاب مطالب السؤول باختلاف کثیر تطلع علیه انشاء الله بعد شرح ماروا‌ه الرضیّ (قد) و هو قوله

أَمّا بَعْدُ فَإِنّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنيا فَإِنَّها حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَواتِ، وَتَحَبَّبَتْ بِالْعاجِلَةِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمالِ ، وَتَزَيَّنَتْ بِالْغُرُورِ ، لَا تَدُومُ حَبْرَتُها ، وَلا تُؤْمَنُ فَجْعَتُها ، غَرّارَةٌ ، ضَرّارَةٌ ، حائِلَةٌ زائِلَةٌ ، نافِدَةٌ ، بائِدَةٌ ، أَكّالَةٌ ، غَوّالَةٌ ، لا تَعْدُو إِذا تَناهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيها وَالرِّضا بِها أَنْ تَكُونَ كَما قالَ اللهُ تَعالى سُبْحانَهُ: «كَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً» لَمْ يَكُنْ امْرُءٌ مِنْها في حَبْرَةٍ إِلّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَها عَبْرَةً ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرّائِها بَطْناً إِلّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرّائِها ظَهْراً ، وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيها دِيمَةُ رَخاءٍ إِلّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلاءٍ ، وَحَرِيٌّ إِذا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً

أَنْ تُمسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً ، وَإِنْ جانِبٌ مِنْها اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَي أَمَرَّ مِنْها جانِبٌ فَأَوْبَى ، لا يَنالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضارَتِها رَغَباً إِلّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوائِبِها تَعَباً ، وَلا يُمْسي مِنْها في جَناحِ أَمْنٍ إِلّا أَصْبَحَ عَلى قَوادِمِ خَوْفٍ ، غَرّارَةٌ غُرُورٌ ما فيها ، فانِيَةٌ فانٍ مَنْ عَلَيْها ، لا خَيْرَ في شَيْءٍ مِنْ أَزْوادِها إِلّا التَّقْوى ، مَنْ أَقَلَّ مِنْها اسْتَكْثَرَ مِمّا يُؤْمِنُهُ ، وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْها اسْتَكْثَرَ مِمّا يُوبِقُهُ ، وَزالَ عَمّا قَليلٍ عَنْهُ ، كَمْ مِنْ واثِقٍ بِها قَدْ فَجَعَتْهُ ، وَذي طُمَأْنينَةٍ قَدْ صَرَعَتْهُ ، وَذي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقيراً ، وَذي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَليلاً ، سُلْطانُها دُوَلٌ ، وَعَيْشُها رَنِقٌ ، وَعَذْبُها أُجاجٌ ، وَحُلْوُها صَبِرٌ ، وَغِذاؤُها سِمامٌ ، وَأَسْبابُها رِمامٌ ، حَيُّها بِعَرَضِ مَوْتٍ ، وَصَحيحُها بِعَرَضِ سَقَمٍ ، مُلْكُها مَسْلُوبٌ ، وَعَزيزُها مَغْلُوبٌ ، وَمَوْفُورُها مَنْكُوبٌ ، وَجارُها مَحْرُوبٌ ، أَلَسْتُمْ في مَساكِنِ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْماراً ، وَأَبْقى آثاراً ، وَأَبْعَدَ آمالاً ، وَأَعَدَّ عَديداً ، وَأَكْثَفَ جُنُوداً ، تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيا أَيَّ تَعَبُّدٍ ، وَآثَرُوها أَيَّ إِيثارٍ ، ثُمَّ ظَعَنُوا عَنْها بِغَيْرِ زادٍ مُبَلِّغٍ ، وَلا ظَهْرٍ قاطِعٍ ، فَهَلْ بَلَغَكُمْ أَنَّ الدُّنْيا سَخَتْ لَهُمْ نَفْساً بِفِدْيَةٍ ، أَوْ أَعانَتْهُمْ بِمَعُونَةٍ ، أَوْ أَحْسَنَتْ لَهُمْ صُحْبَةً ، بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْفَوادِحِ ، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوارِعِ ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوائِبِ ،

وَ عفرَتهم لِلمَآخِرِ ، وَ وَطِئتهم بِالْمَناسِمِ ، وَ أعانت عَلَيهِمْ رَيبَ الْمَنُونِ، فَقَدْ رَأَيتُمْ تنكُّرَها لِمَنْ دانَ لَها وَ آثَرها وَ أَخْلَدَ إِلَيها حتى ظَعَنُوا عَنْها لِفراقِ الْأَبَدِ، هَلْ زَوَّدَتْهُم إِلّا السَّغَبَ، أو أَحَلَّتْهُمْ إِلّا الضَّنْكَ، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلّا الظُّلْمَةَ، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلّا النَّدامَةَ، أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ؟ أَمْ إِلَيْها تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْها تَحْرِصُونَ؟ فَبِئْسَتِ الدّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْها وَ لَمْ يَكُنْ فِيها عَلى وَجَلٍ مِنْها، فَاعْلَمُوا وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنَّكُمْ تارِكُوها وَ ظاعِنُونَ عَنْها ، وَ اتَّعِظُوا فِيها بِالَّذِينَ قالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنّا قُوَّةً، حُمِلُوا إِلى قُبُورِهِمْ ، فَلا يُدْعَوْنَ رُكْباناً، وَ أُنْزِلُوا الْأَجْداثَ فَلا يُدْعَوْنَ ضِيفاناً ، وَ جُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنانٌ ، وَ مِنَ التُّرابِ أَكْفانٌ ، وَ مِنَ الرُّفاتِ جِيرانٌ، فَهُمْ جِيرَةٌ لا يُجِيبُونَ داعِياً ، وَ لا يَمْنَعُونَ ضَيْماً ، وَ لا يُبالُونَ مَنْدَبَةً ، إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا ، وَ إِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ، جَمِيعٌ وَ هُمْ آحادٌ ، وَ جِيرَةٌ وَ هُمْ أَبْعادٌ ، مُتَدانُونَ لا يَتَزاوَرُونَ ، وَ قَرِيبُونَ لا يَتَقارَبُونَ ، حُلَماءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغانُهُمْ، وَ جُهَلاءُ قَدْ ماتَتْ أَحْقادُهُمْ، لا يُخْشى فَجْعُهُمْ ، وَ لا يُرْجى دَفْعُهُمْ ، إِسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً ، وَ بِالسَّعةِ ضِيقاً، وَ بِالْأَهْلِ غُرْبَةً، وَ بِالنُّورِ ظُلْمَةً ، فَجاؤُها كَما فارَقُوها حُفاةً عُراةً ، قَدْ ظَعَنُوا بِأَعْمالِهِمْ إِلَى الْحَياةِ الدّائِمَةِ ، وَ الدّارِ الْباقِيَةِ ، كَما قال سبحانه: «كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ

نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ » .

اللغة

(الحبرة) بفتح الحاء المهملة وضمّها ايضاً و سكون الباء الموحدة النعمة والحسن والوشى و(حائلة) من حال الشيء الحول إذا تغيّر و (غاله) غو لامن باب قال قتله و (الهشيم) من النبات اليابس المتكسّر ولايقال له الهشيم وهورطب و(ذرت) الرّيح الشيء ذروا وأذرّت و ذرّته أطارته و نسفته و (الطّل) المطر الخفيف و يقال أضعف المطر و (الدّيمة) بالكسر المطر يدوم أيّاما في سكون بلارعد و برق

و(هتنت) السماء تهتن هتنا وهتونا و تهاتنت انصبّت و(المزنة) القطعة من السّحاب ذى الماء أوالأبيض منه و (رغبا) بفتح الغين مصدر رغب مثل تعب تعبا و(أرهقته) تعبا الحقت ذلك به و اغشته ايّاه و (القوادم) مقاديم الريش و (منتصرة) فى أكثر النسخ بالنون ثمّ التاء من الانتصار بمعنى الانتقام و فى بعضها بالعكس من تنصّر أى تكلّف النّصرة و(الابّهة) و زان سكّرة العظمة و البهجة و الكبر و النخوة و(الصبر) بكسر الباء نبات معروف ثمّ يطلق على كلّ مرّ و (السمام) بالكسر جمع السّم مثلّثة و(المناسم) جمع منسم بكسر السّين كمسجد و هو باطن الخفّ وقيل هو للبعير كالسنبك للفرس و (السغب) محرّكة الجوع فى تعب و (الصفيح) وجه كلّ شيء عريض

الاعراب

قوله : أن تكون كماقال الله تعالى بحذف حرف الجرّ متعلّقة بتعدو أى لاتتجاوز عن أن تكون ، و حذفها عن ان المصدرية و اختها ان مطّرد و منه قوله سبحانه :

« وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ » .

وفاعل حرىّ ضمير مستكن عايد الى الدّنيا ، والتذكير باعتبار أنّ المراد و ان شأنها جدير بأن يفعل كذا ، واللاّم فى قوله : له منتصرة، للتعليل، وفى قوله: له متنكّرة

للتقوية ، وعلى رواية متنصّرة من التنصّر، فاللاّم ثمّة أيضاً للتقوية كما لايخفى وجانب فى قوله : ان جانب اعذوذب اه ، مرفوع بفعل محذوف يفسّره مابعده على حدّ قوله تعالى

« وَ إِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجارَكَ ».

وزال ، عطف على استكثر اى من استكثر منها زال المستكثر منها عما قليل عنه ، و قوله : ألستم في مساكن، استفهام تقريرىّ، وقوله عليه السلام : تعبّد واللدّنيا الجملة استينافية بيانية و أىّ تعبّد ، بنصب أىّ صفة محذوف الموصوف أى تعبّدوا للدّنيا تعبّدا أىّ تعبّد ، والظاهر أنّ أىّ هذه فى الأصل هى أىّ الاستفهاميّة ، لأنّ معنى مررت برجل أىّ رجل برجل عظيم أو كامل يسأل عن حاله لأنه لايعرفه كلّ أحد حتّى يسأل عنه ثمّ نقلت عن الاستفهاميّة الى الصفة فاعتور عليها اعراب الموصوف

والاستفهام فى قوله فهل بلغكم ، على سبيل الانكار و الابطال ، وفى قوله : هل زوّدتهم إلاّ السّغب للتقرير وفى قوله : أفهذه تؤثرون ، على سبيل التوبيخ والتقريع ، و قوله : فاعلموا وأنتم تعلمون بأنّكم تاركوها ، تعدية اعلموا بالباء لتضمينه معنى اليقين ، أو أنّ الباء زايدة و جملة و أنتم تعلمون معترضة على حدّ قوله :

ألاهل أتاها و الحوادث جمّة بأنّ امرء القيس بن تملك يبقرا

فانّ جملة و الحوادث جمّة معترضة بين الفعل أعنى أتاها ، ومعموله الذى هو بأن اه والباء زايدة فيه أيضاً و يحتمل جعل الجملة حالا من مفعول اعلموا فتكون فى محلّ النصب، و على هذا فهى فى المعنى قيد لعامل الحال و وصف له بخلاف مالو كانت معترضة فانّ لها تعلّقا بماقبلها لكن ليست بهذه المرتبة أشار إلى ذلك صاحب الكشاف في تفسير قوله

« وَ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظالِمُونَ ».

حيث قال : انّه حال أى عبدتم العجل و انتم واضعون العبادة فى غير موضعها ، او اعتراض ، أى و أنتم عادتكم الظلم هذا

وفي بعض نسخ المتن: فاعملوا ، بدل فاعلموا ، وعليه فتكون قوله عليه السلام بأنّكم معمولا لتعلمون ، كماهو واضح

المعنى

اعلم أنّ الغرض من هذه الخطبة الشريفة هو التحذير عن الدّنيا و التنفير عنها بالاشارة إلى عيوباتها و مساويها و التنبيه على زوالها و فنائها وانقضائها على ما فصّله بقوله :

(أمّا بعد فاني أحذّركم الدّنيا فانّها حلوة خضرة) أى متّصفة بالحلاوة والخضرة ، و استعارتهما للدّنيا باعتبار التذاذ النفس بهما وتخصيصهما من بين ساير الأوصاف لكونهما من أقوى المستلذّات و أكملها (حفّت بالشّهوات) يعنى أنّها محاطة بالشهوات لاينال بها الاّ بالانهماك فيها ولا يمكن إدراكها الاّ بالاقتحام في مشتهياتها (وتحبّبت) إلى النّاس(بالعاجلة) أى صارت محبوبة عندهم أو أظهرت المحبة لهم بلذّاتها العاجلة الحاضرة الّتي مالت اليها القلوب بسببها ، وذلك لأنّ القلوب انما تميل إلى العاجل دون الآجل،والنفوس ترغب إلى النقد دون النسية قال الشاعر:

فأطعمنا من فومها و سنامها شواءً وخير الخير ما كان عاجله

(وراقت بالقليل) أى أعجبت أهلها بشيء قليل حقير عند متاع الآخرة كمّاً و كيفاً (وتحلّت بالآمال)أى تزيّنت لأهلها بمايؤمّلون فيها من الآمال الّتي أكثرها باطلة (وتزيّنت) عندالنّاس (بالغرور) أى بماهوفى نفس الامر غرور وباطل لاحقيقة له ولا أصل

«كَسَرابٍ بِقيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ ماءً حَتّى إِذا جاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً»

(لاتدوم حبرتها) و نعمتها (ولاتؤمن فجعتها) ورزيّتها (غرّارة ضرّارة) أى كثيرة الغرور والضرر (حائله زائلة) أى متغيّرة لابقاء لها (نافدة بائدة) أىفانية هالكة

لادوام لها (أكّالة غوّالة) أي كثيرة الأكل و الاغتيال للنّاس مثل السّبع العقور الذي يأكل النّاس ويغتا لهم أي يأخذهم ويهلكهم من حيث لا يدرون ولايشعرون (لاتعدو إذاتناهت إلى امنيّة أهل الرغبة فيها والرّضا بها أن تكون كما قال الله تعالى) يعني أنها إذا بلغت و انتهت إلى غاية ما يريده الراغبون فيها و الرّاضون بها لاتعدو ولا تتجاوز عن كون حالها مثل المثل الذي ضرب الله سبحانه لها حيث قال في سورة الكهف : واضرب لهم مثل الحياة الدّنيا

(كَمَآءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّياحُ وَكانَ اللهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِراً).

فانّ المراد بالآية تشبيه حالها في نضرتها وبهجتها وزهرتها و كونها على وفق منية أهلها و طبق بغية طالبيها مع مايتعقّبها من الهلاك والفناء بحال النّبات الحاصل من الماء يكون أخضر ناضراً شديد الخضرة و الطراوة يعجب الزّرّاع ثمّ ييبس فيكون هشيما تذروه الرياح ، و هو من باب التّشبيه المركب على ما حققناه في الدّيباجة.

(لم يكن امرء منهافي حبرة الاّ اعقبته بعدهاعبرة) يعنى أنّ سرورها و لذّتها معاقب للحزن والحسرة، ونعمتهامنابع للنقمة (ولم يلق من سرّائها بطنا إلاّمنحته من ضرّائها) أى لم يلق امرء من خيرها وفضلها بطنالها إلاّ بذلته من مشقّتها وشدّتها (ظهرا) لهاوهو كناية عن كون اقبالها ملازماً لادبارهاو كون خيرها معقّبا لشرّها .

والمقصود أنّه إن أقبلت إلى أحد بالخير والمنفعة واستقبلته بالوجه والبطن عقبت ذلك لا محالة ببذل الضرر والمشقّة وأردفته بالضرورة بالادبار ، و بماذكرنا علم وجه تخصيص البطن بالسّراء والظّهر بالضرّاء ، فانّ من يلقى صاحبه بالبشر والسّرور يلقاه بوجهه وبطنه ومن يلقاه بالمسائة والتنكير يلقاه بظهره مولّياعنه دبره .

وقوله : منحته ، من باب الاستعارة التهكّمية اذالمنح هو البذل والاعطاء اعنى ايصال النّفع فاستعير لايصال الضّرر على سبيل التهكّم نظير قوله تعالى : فبشّرهم

بعذاب أليم ، حيث استعير التبشير الذي هو الاخبار بما يظهر سرور المخبر له للانذار الّذي هو ضدّها بادخاله في جنسها على سبيل التهكّم ، أى انذرهم بعذاب أليم .

(ولم تطلّه فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء) اسناد هتنت إلى مزنة من باب التوسّع و المعني أنّه لم تمطر على أحد فى الدّنيا ديمة أى مطر خفيف موجب على رخاء حاله وسعة عيشه إلاّ انسبّت عليه أمطار كثيرة من مزنة البلاء وسحابة فتوجب شدّة حاله وضيق عيشه، والغرض أنها إذا اعطت أحدا قليلا من الخير أعقبت ذلك بكثير من الضّر

(وحرىّ إذا أصبحت له منتصرة أن تمسى له متنكّرة) يعني أنها جديرة حين أصبحت محبّة لامرء منتقمة لأجله من عدوّه أومتكلّفة لنصره بأن تمسى مبغضة ومتغيّرة له (وان جانب منها اعذوذب و احلولى) أى صار عذبا و حلواً (أمرّ منها جانب فأوبى) أى صار مرّاً فأوقع فى المرض وفى هذا المعنى قال الشاعر :

ألا انّما الدّنيا غضارة أيكة إذا اخضرّ منها جانب جفّ جانب
فلا تكتحل عيناك منها بغيره على ذاهب منها فانك ذاهب

(لاينال امرء من غضارتها رغباً إلا أرهقته من نوائبها تعباً) أراد أنّه لايبلغ أحد من طيب عيشها وسعتها و نعمتها رغبته و إرادته إلاّ حملته وأغشته من نوائبها ومصائبها التعب والمشقة كماهو يدرك بالعيان و مشاهد بالوجدان ، ولا يخفى ما فى اتيان ينال بصيغة المضارع و ارهقته بصيغة الماضي من النّكتة اللطيفة ، و هى الاشارة إلى أنّ نيل الرّغبة من غضارتها أمر متوقّع مشكوك وارهاق التعب من نوائبها أمر محقق ثابت

(ولايمسى منها فى جناح أمن إلاّ أصبح على قوادم خوف) أراد به عدم ثبات أمنها وسرعة انتقاله منه الى الخوف، ولا يخفى مافى تخصيص الأمن بالجناح والخوف بالقوادم لأنّ الجناح محلّ الأمن والسّاكن تحته مصون من الأذى ونيل المكروه متحصّن بحصن السّلامة ألاترى أنّ الطاير يحصّن فرخه بجناحه حفظاً له من المكاره والآلام ، و أما القوادم وهى مقاديم الرّيش فلاريب أنّ الرّاكب عليها في معرض خطر عظيم و سقوط قريب،هذا

وقال الشارح البحراني (ره) و إنما خصّ الامن بالجناح ، لأنّ الجناح محلّ التغيّر بسرعة فتنبه به على سرعة تغييراتها و إنّما خصّ الخوف بالقوادم من الجناح لأنّ القوادم هي رأس الجناح وهي الأصل في سرعة حركته وتغيّره ، و هو في مساق ذمّها والتخويف منها ، فحسن ذلك التخصيص و مراده أنّه وإن حصل فيها أمن وهو في محلّ التّغير السّريع و الخوف اليه أسرع لتخصيصه بالقوادم انتهى ، والأظهر ما ذكرناه

(غرّارة غرورما فيها فانية فان من عليها) لايخفى ما في هاتين القرينتين من حسن الاشتقاق وجزالة المعني ، فانّ القرينة الأولى تنبيه على خسّة الدّنيا وحقارتها وعلى أنّ مافيها تدليس وتلبيس وغرور و باطل بمنزلة امرأة شوهاء هتماء زخرفت من ظاهرها والبست انواع الحليّ والحلل تدليسا وتفتينا فاغترّ بها وافتتن من رأى حسن ظاهرها غافلا عن قبح باطنها ، والقرينة الثانية تذكرة لكونها مع هذه الخسّة والحقارة في معرض الفناء والزوال و الازوف و الانتقال ، وكذلك الرّاغبون فيها والخاطبون لها كما قال عزّ من قائل

« كُلُّ مَنْ عَلَيْها فانٍ وَ يَبْقى وَجْهُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالْإِكْرامِ»

(لاخير في شيء من أزوادها إلاّ التّقوى) لأنه هو الذى يتقوّى به لسلوك سفر الآخرة و طيّ منازلها ، والوصول الى حظيرة القدس الّتي هي غنية كلّ طالب ومنية كلّ راغب ، ولذلك امر بذلك ربّ العزّة بقوله :

« وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزّادِ التَّقْوى» .

وقد تقدّم توضيح ذلك بمالامزيد عليه في شرح الخطبة الخامسة والسّبعين ، و إنما جعله من أزواد الدّنيا لأنّ تحصيله إنما يكون فيها والآخرة دارجزاء لا تكليف كما سبق بيانه في شرح الخطبة الثانية والسّتين ، و تقدّم ثمّة أيضاً ما يوضح أنّ غير التقوى من أزواد الدّنيا لاخير فيها ، ويشهد بذلك قوله سبحانه :

« اَلمالُ وَ اَلبَنُونَ زِينَةُ اَلحَيوةِ الدُّنيا وَ اَلباقِياتُ الصّالِحاتُ خَيرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَواباً وَ خَيرٌ أَمَلاً » .

(من أقلّ منها استكثر ممّا يؤمنه و من استكثرمنها استكثرممّايوبقه) يعنى أنّ من ذهب فى الدّنيا و اكتفى بالقليل من متاعها طلب الكثير ممّا يوجب أمنه و نجاته فيالآخرة ، و من رغب فيها طلب الكثير من متاعها استكثر مما يوجبه هلاكه فيها ، لأنه ان كان من الحلال ففيه طول الحساب ، وان كان من الحرام ففيه أليم العذاب

(وزال عمّا قليل عنه) إشارة إلى مفسدة اُخرى فيما استكثره مضافة إلى ايجابه هلاكه و هى أنّه لم يبق له بل زال بعد حين قليل عنه

ثمّ أشارعليه السلام إلى مفاسد الرّكون اليها والاعتمادعليهابقوله : (كم من واثق بهاقد فجعته) بأنواع الأحزان (وذى طمأنينة اليها قدصرعته) في مصارع الهوان (وذىابّهة) وعظمة (قدجعلتهحقيراً) مهينا (وذى نخوة) وكبر (قدردّته ذليلا) مستكينا (سلطانها دول) يتداوله السّلاطين بينهم يكون تارة لهؤلاء ولهؤلاء اُخرى (وعيشها رنق) متكدّر (وعذبها اُجاج) مالح (وحلوها صبر) مرّ استعار لفظى العذب والحلوللذّاتها ولفظى الاجاج والمرّ لما يشوبها من الكدر و الأسقام والجامع الاشتراكفى الالتذاذوالايلام (وغذائهاسمام) قاتلة (وأسبابها) أى حبالها (رمام) بالية

(حيّها بعرض موت و صحيحها بعرض سقم) أرادبه إشراف الأحياء بالممات والأصحّاء بالأسقام وقربهم منها (ملكها مسلوب وعزيزها مغلوب وموفورها منكوب وجارها محروب) أى وافر المالوصاحب الثروة فيها مثاب وجارها حريب أى مأخوذ منهجميع ماله هذا .

و لما حذّر من الدّينا بذكر معايبها أكّد ذلك بالتنبيه على السّابقين فيها وقال (ألستم فيمساكن من كان قبلكم) لكونهم (أطول أعمارا) فقدلبث نوح عليه السلام في قومه ألف سنة الاّ خمسين عاما ، ومثله كثير (وأبقى آثارا) كما يشهدبه الهرمان

والايوان و سدّ يأجوج و منارة الاسكندريّة و نحوها (وأبعد آمالاً) لأنّ الأعمار إذا كانت أطول كانت الآمال أبعد لترتّب طول الأمل على طول العمر غالبا (وأعدّ عديدا) أي عدد كثيراً من الجيوش (وأكثف جنودا) كفرعون و بخت نصر و غيرهما

(تعبّدوا للدّنيا أيّ تعبّد) أي قصّروا هممهم في الدّنيا و أظهروا العبوديّة والتذلل لها وأخذوها معبوداً لهم وتعبّدوا الها كمال تعبّد (وآثروها أيّ إيثار) أي اختاروها على الآخرة تمام اختيار (ثمّ ظعنوا) وارتحلوا (عنها بغير زاد مبلّغ) له إلى منزله (ولا ظهر) أي مركوب (قاطع) لطريقه وهما استعارتان للّطاعات و القربات المؤدية له إلى حظيرة القدس الموصلة إلى مجلس الانس

(فهل بلغكم أنّ الدّنيا سخت لهم نفساً بفدية) استفهام على سبيل الانكار كما أشرنا إليه سابقاً، و المراد أنها جادت (١) لهم حين ارتحالهم منها بطيب نفسها فداء ليكون عوضا عنهم حتّى لايموتوا ولا يرتحلوا، أو أنها مابذلت لهم نفسا بأن تكون في هذا النفس فداء لهم (أو أعانتهم بمعونة أو أحسنت لهم صحبة) مع فرط محبّتهم لها و غاية رغبتهم اليها و شدّة انسهم بها

(بل أرهقتهم بالفوادح) أي أغشتهم بالمثقلات (وأوهنتهم بالقوارع) أي أضعفتهم بالمحن و الدّواهي القارعات (وضعضعتهم بالنوائب) و المصائب (وعفرتهم للمناخر) أي ألصقتهم على العفر والتراب لأنوفهم (ووطئتهم بالمناسم) والاخفاف و داستهم بالسّنابك والاظلاف (وأعانت عليهم ريب المنون) أي كانت معينا لحوادث الدّهر عليهم

(فقد رأيتم تنكّرها) وتغيّرها (لمن دان لها) وتقرّب بها (وآثرها) واختارها على غيرها (وأخلد إليها) واعتمد عليها (حتّى ظعنوا عنها لفراق الأبد) أي مفارقة دائمة لاعود بعدها (هل زوّدتهم إلاّ السّغب) والجوع (أو أحلّتهم إلاّ الضنك) والضّيق (أونوّرت لهم إلاّ الظّلمة) أي جعلت الظلمة نوراً لهم كما جعلت الجوع لهم زاداً

(١) الاول مبنى على جعل نفسا تميزاً من قبيل طاب زيد نفسا، و الثانى على من جمله مفعول سخت لتضمّنه معنى بذلت والأول أظهر منه

(أو أعقبتهم إلا الندامة) والحسرة (أفهذه) الغدّارة الغرّارة (تؤثرون أم اليها تطمئنّون أم عليها تحرصون) مع ما رأيتم من مكائدها وجرّبتم من خياناتها

(فبئست الدار لمن لم يتّهمها) في نفسه (ولم يكن فيها على وجل منها) على عرضه فكانت موجبة لهلاكه وعطبه وأمّا المتّهم لها بالخديعة والغرور والخائف منها والحذر فنعمت الدّار في حقّه لكونه منها على وجل دائم وخوف لازم ، فيأخذ حذره بعدّته و يقدم الزاد ليوم المعاد ويتزوّد لحال رحيله و وجه سبيله

(فاعلموا وأنتم تعلمون) واستيقنوا (بأنكم تاركوها وظاعنون) أي مرتحلون (عنها واتّعظوا فيها بالّذين)كانوا قبلكم و(قالوا من أشدّ منّا قوّة) وعدّة و انتقلوا عن دورهم و (حملوا إلى قبورهم فلا يدعون ركبانا وانزلوا الأجداث) بعد الادعات (١) (فلا يدعون ضيفانا) يعنى انهم انقطعت عنهم بعد ارتحالهم أسماء ، الأحياء فلا يسمّون بالركبان ولا بالضيفان

وكانت عادة العرب انهم إذا ركبوا يسمّون ركباناً ، و إذا نزلوا يسمّون ضيفاناً ، وهؤلاء الأموات مع كون الجنايز حمولة لهم و كونهم محمولين عليها كالراكبين لايطلق عليهم اسم الركب (٢) ، وكذلك هم مع نزولهم بالأجداث والقبور لايطلق عليهم اسم الضيف وان كان تسمية الضيف إنما هى بذلك الاسم باعتبار نزوله، وهذا الاعتبار موجود فيهم مأخوذ من ضافه ضيفا إذا نزل عنده فافهم

(وجعل لهم من الصّفيح أجنان)أى من وجه الأرض العريض قبور (ومن التراب أكفان) وفى بعض النسخ بدله أكنان ، وهى السّتاير جمع الكن و هى السترة أى مايستتر به ، و على ذلك فالكلام على حقيقته، وعلى الرواية الأولى فلابدّ من ارتكاب المجاز بأن يقال إنّ جعل التراب أكفاناً لهم باعتبار إحاطته عليهم كالأكفان أو باعتبار المجاورة بينه وبينها ، أومن أجل اندراس الكفن و انقلابه ترابا كما قيل، و الأظهر الأوّلان

(ومن الرفات) والعظام البالية (جيران فهم جيرة) أى جيران كما فى بعض

١ـ الدعث المرض و الجمع ادعاث م (٢) الركب جمع راكب كالركبان منه .

النسخ (لايجيبون داعيا ولايمنعون ضيما) أى ظلما عن أنفسهم أو عمّن استجاربهم لانقطاع الاقتدار عنهم (ولايبالون مندبة) أى لايكترثون بالندب والبكاء على ميّت

(إن جيدوالم يفرحواوإن قحطوا لم يقنطوا) يعنى أنهم إن جادت السماءعليهم بالمطر لايفرحون و ان احتبست عنهم المطر لاييأسون كما هو شأن الأحياء فانّهم يفرحون عندالخصب و يحزنون عند الجدب (جميع) أى مجتمعون (وهم آحاد) متفرّدون (وجيرة وهمأبعاد) متباعدون (متدانون لايتزاورون وقريبون لايتقاربون) إلى هذا المعنى نظر السّجاد عليه السلام في ندبته حيث قال :

و اضحوا رميما فى التراب و اقفرت | مجالس منهم عطلّت و مقاصر
و حلّوا بدار لاتزاور بينهم | و أنّى لسكّان القبور التزاور
فما أن ترى إلاّ جثي قد ثووابها | مسنمة تسفى عليه الأعاصر

و قال آخر :

لكلّ أناس معمر فى ديارهم | فهم ينقصون و القبور يزيد
فكاين ترى من دار حيّ قداخربت | و قبر بأكناف التّراب جديد
هم جيرة الأحياء أما مزارهم | فدان و أمّا الملتقى فبعيد

(حلماء قد ذهبتأضغانهم وجهلاء قدماتت أحقادهم) يعنى أنهمبموتهم وانقطاع مادّة الحياة عنهم صار واحلماء جهلاء لايشعرون شيئاً فارتفع عنهم الضغن و الحقد و الحسد وساير الصّفات النفسانيّة المتفرّعة عنالحياة ، وتوصيفهم بالحلم و الجهل في تلكالحال من باب التوسّع والمجاز باعتبارأنهم لا يستفزّهم الغضب ولايشعرون وإلاّ فالحلم هوالصّفح والاناة والعقل والجهل عدم العلم عمّن من شأنه أن يكون عالماً وهما من صفات الأحياء كما لا يخفى.

(لايخشى فجعهم ولايرجى دفعهم) يعنى أنهم بارتفاع الاقتدارعنهم لايخشون و لا يرجون فلا يخشى أحد من أن ينزل عليه بهم فجيعة ورزيّة ولا يرجو أحد أن يدفع بهم من نفسه نازلة وبلية (استبدلوا بظهر الأرض بطناً وبالسّعة ضيقاً وبالأهل غربة وبالنّورظلمة).

ضربوا بمدرجة الفناء قبائهم | من غير أطناب و لا أوتاد

ركب أنـاخوا لا يرجّى منهم قصد لاتهام و لا انجـاد
كرهوا النزول فانزلتهم وقعة للدّهر نازلة لكلّ مفاد (١)
فتهافتوا عن رحل كلّ مذلّل وتطاوحوا عن سرج كلّ جواد
بادون في صور الجميع و انّهم متفرّدون تفرّد الأحياء

(فجاؤوها كمافارقوها حفاتاً عراتاً) قيل (٢) : انّ المراد بمجيئهم اليها فيها و بمفارقتهم لها خروجهم عنها ، و وجه الشبه كونهم حفاتا عراتا و قيل (٣) انّ المراد بمجيئهم اليها دفنهم فيها و بمفارقتهم لها خلقتهم منها كما قال تعالى : « هوالّذي خلقكم من تراب » وهو أقرب من الأوّل بل أقوى ، لأنّ جملة فجاؤوها معطوفة على جملة استبدلوا ، والفاء العاطفة موضوعة للتعقيب والترتيب ولا ترتيب كما لا تعقيب بين مضمون الجملتين على الأوّل ، و أمّا على الثاني فهومن قبيل عطف تفصيل المجمل على المجمل على حدّ قوله :

« وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي » الآية

وهيهنا لما ذكر عليه السلام استبدالهم بظهر الأرض بطنها عقّب ذلك ببيان تفصيل حالهم بأنّهم جاؤوا اليها حالكونهم حافين عارين ليس لهم نعال ولا لبايس . ولكن ينبغي أن يعلم أنّ اللازم على هذا القول حمل المفارقـة على الولادة حتّى يستقيم كونهم حفاتاً عراتاً .

أقول : والأظهر عندى يرجع الضمير في قوله فجاؤوها كما فارقوها إلى ظهر الأرض ، والتأنيث باعتبار المضاف إليه ، فانه قديكتسب المضاف المؤنث من المضاف إليه المذكر التأنيث إذا صحّت اقامته مقامه كما في قوله : « كما شرقت صدر القناة من الدّم » و يراد بمجيئهم إليها بعثهم فيهـا و إعادتهم إليها بعد مفارقتهم لهـا

(١) مفدالرجل فى ناعم عيش عاش وتنعم
(٢) القائل الشارح البحرانى (ره)
(٣) القائل الوبرى منه

كما قال تعالى :

« مِنْها خَلَقْناكُمْ وفيها نُعيدُكُمْ »

وعلى هذا فالأنسب جعل حفاتا عراتا حالين من ضمير الجمع في جاؤوها لافارقوها إلاّ أنّه يبعده قوله : (قد ظعنوا عنها بأعمالهم إلى الحياة الدّائمة والدّار الباقية) إذ الظاهر كونه حالا من فاعل فارقوها مؤكّدة لعاملها كما أنّ حفاتاً عراتاً مؤسّسة وإن أمكن توجيهه بأنه على جعله حالا من ضمير جاؤوها يكون فيه نحو من التوكيد أيضاً ، و يؤيّد ذلك أنّ الحياة الدائمة إنما هو بعد البرزخ والبعث .

فان قلت : هذا التوجيه ينافيه الضمير في عنها ، لأنّ ظعنهم على ما ذكرت إنما هو عن بطن الأرض ، والضمير في جاؤوها كان راجعا ظهر الأرض .

قلت : غاية الأمر يكون أنه من باب الاستخدام ، ولا يقدح ذلك في كونه حالا منه فافهم جيداً ، ويقرّب ماذكرناه من الوجه استشهاده عليه السلام بالآية الشريفة أعني قوله (كما قال سبحانه) أي في سورة الأنبياء : يوم نطوى السّماء كطيّ السّجلّ للكتب (كما بدئنا أوّل خلق نعيده وعداً علينا إنّا كنّا فاعلين) فانّها مسوقة لبيان حال البعث والنشور ، ومعناها نبعث الخلق كما ابتدأناه ، أي قدرتنا على الاعادة كقدرتنا على الابتداء .

روى في الصّافي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال : تحشرون يوم القيامة عراتا حفاتا كما بدئنا أوّل خلق نعيده ، و قيل معناها كما بدأناهم في بطون امّهاتهم حفاتاً عراتا عز لا كذلك نعيدهم .

قال الطبرسيّ رحمه الله روى ذلك مرفوعاً و هو يؤيّد القول الثاني أعني قول من قال أنّ المراد بفارقوها خلقهم منها و ان كان لايخلو عن دلالة على ما استظهرناه أيضاً فليتأمل وقوله تعالى : وعداً ، منصوب على المصدر أي وعدنا كم ذلك و عداً علينا انجازه إنّا كنّا فاعلين ذلك لا محالة .

تكملة

اعلم أنّ هذه الخطبة رواها المحدّث العلاّمة المجلسي «قد» في البحار من كتاب مطالب السؤول لمحمّد بن طلحة باختلاف كثير أحببت ايرادها بتلك الطريق على عادتنا المستمرّة .

قال : قال عليه السلام : أُحذّركم الدّنيا فانّها خضرة حلوة حفّت بالشّهوات و تحببت بالعاجلة و عمّرت بالآمال و تزيّنت بالغرور ولا يؤمن فجعتها ولا يدوم خيرها ،ضرّارة غدّارة غرّارة زايلة بايدة أكّالة عوّالة، لاتعدو إذا تناهت إلى امنيّة أهل الرّضا بها والرّغبة فيها أن يكون كما قال الله عزّ وجلّ : كماء أنزلناه من السّماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرّياح .

على أنّ امرءاً لم يكن فيها في حيرة «حبرة ظ» إلاّ أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرّائها بطنا إلاّ منحته من ضرّائها ظهراً ، ولم تنله فيها ديمة رخاء إلاّ هتنت عليه مزنة بلاء ، وحرىّ إذا أصبحت له متنصّرة أن تمسى له متنكّرة ، فان جانب منها اعذوذب لامرء واحلولى، أمرّ عليه جانب وأوباه ، وان لقى امرء من غضارتها زوّدته من نوائبها تعباً ، ولايمسى امرء منها في جناح أمن إلاّ أصبح في خوافي خوف وغرور .

فانية فان من عليها من أقلّ منها استكثر مما تؤمنه و من استكثر منها لم تدم له و زال عما قليل عنه ، كم من واثق بها قد فجعته و ذى طمأنينة اليها قد صرعته ، وذي خدع قد خدعته ، وذي ابّهة قد صيّرته حقيراً و ذي نخوة قد صيّرته خائفا فقيراً ، و ذي تاج قد أكبّته لليدين و الفم ، سلطانها دول ، وعيشها رنق ، وعذبها اجاج ، وحلوها صبر ، وغذائها سمام ، و أسبابها رمام ، حيّها بعرض موت ، وصحيحها بعرض سقم ، ومنيعها بعرض اهتضام ،عزيزها مغلوب ، وملكها مسلوب ، وضيفها مثلوب ، وجارها محروب.

ثمّ من وراء ذلك هول المطلع و سكرات الموت و الوقوف بين يدي الحكم العدل ليجزى الّذين أساؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، ألستم في منازل من كان أطول منكم أعماراً و آثاراً ، وأعدّ منكم عديداً ، وأكثف جنوداً وأشدّ

منكم عنوداً تعبّدوا الدّنيا أيّ تعبّد، وآثروها أىّ ايثار، ثمّ ظعنوا عنها بالصغار فهل يمنعكم أنّ الدّنيا سخت لهم بفدية أوأغنت عنهم فيمافقد أهلكهم من خطب، بل قد أوهنتهم بالقوارع، وضعضعتهم بالنوائب، وعفّرتهم للمناخر، وأعانت عليهم ريب المنون.

فقد رأيتم تنكّرها لمن دان بها وأجدّ اليها حتّى ظعنوا عنها بفراق ابدالى آخر المستند، هل أحلّتهم الاّ الضنك، أو زوّدتهم إلاّ التّعب، أو نورّت لهم إلاّ الظلمة، أو أعقبتهم إلاّ النّار، أفهذه تؤثرون، أمعلى هذه تحرصون،أم إلى هذه تطمئنّون ،يقول‌الله‌جلّ من قائل:

«مَنْ كانَ يُرِيدُ الْحَيٰوةَ الدُّنيا وَ زِينَتَها نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمالَهُمْ فِيها وَ هُمْ فِيها لا يُبْخَسُونَ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النّارُ وَ حَبِطَ ما صَنَعُوا فِيها وَ باطِلٌ ما كانُوا يَعْمَلُونَ»

فبئست الدارلمن لايتّهمها وان لم يكن فيها على وجل منها، اعلموا وأنتم تعلمون أنكم تاركوها لابدّ فانما هى كما نعتّها الله لهو و لعب، و اتّعظوا بالذين كانوا يبنون بكلّ ريع آية تعبثون و يتّخذون مصانع لعلّهم يخلدون، واتّعظوا بالّذين فانوا من أشدّ منّا قوّة، واتّعظوا باخوانكم‌الّذين نقلوا إلى قبورهم لايدعون‌ركبانا قد جعل لهم من الضّريح أكنانا و من التراب أكفانا و من الرّفات جيرانا، فهم جيرة لا يجيبون داعيا، و لا يمنعون ضيما، قد بادت أضغانهم، فهم كمن لم يكن وكما قال الله عزّوجلّ:

«فَتِلْكَ مَساكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلّا قَلِيلاً وَ كُنّا نَحْنُ الْوارِثِينَ»

استبدلوا بظهر الأرض بطنا، وبالسّعة ضيقا، وبالأهل غربة، جاؤوها كمافارقوها بأعمالهم إلى خلود الأبدكماقال عزّمن قائل:

«كَما بَدَأْنا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنا إِنّا كُنّا فاعِلِينَ»

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن بزرگوار امام انام است در مذمّت دنيا و تحذير خلايق از آن غدّار و بى وفا كه فرموده :

أما بعداز حمد و ثناء خداوند ربّ الأرباب و صلوات برسيّد ختمى مآب ، پس بدرستيكه من ميترسانم شما را از دنيا پس بتحقيق كه آن شيرين است و سبز يعنى نفس لذّت ميبرد از آن بجهت حلاوت و خضرويت وطراوت آن در حالتيكه أحاطه كرده شده است بخواهشات نفسانية ، و اظهار محبّت نموده است بطالبان خود بلذّتهاى عاجلهٔ خود ، و بشكفت آورده مردمانرا بزيورهاى قليل و اندك ، و آراسته گشته باميدهاى بى‌بنياد ، و آرايش يافته بباطل و فساد ، دوام نمى‌يابد سرور آن ، وايمن نمى‌توان شد ازدرد ومصيبت آن ، فريبنده‌ايست مضرّت رساننده تغيير يابنده‌ايست زايل شونده ، موصوف است بفنا وهلاك ، ومتّصف است بكثرت خوردن مردمان وأخذ نمودن وهلاك كردن ايشان ، تجاوز نميكند وقتيكه متناهى شد بنهايت آرزوى كسانى كه راغب هستند درآن ، وخوشنودند بآن از اينكه باشد حال آن بقراريكه خداوند متعال بيان فرموده و وصف نموده در سوره كهف كه فرموده :

مثل زندگانى دنيا همچه آبى است كه نازل كردم آنرا از آسمان پس آميخته شد بآن آب گياه زمين پس بر گشت آن گياه خشك ودرهم شكسته پس پراكنده ميگرداند آنرا بادها وازبيخ برميكند وهست خدا بهرچيزصاحب اقتدار

محصّل مرام اينست كه خدا تشبيه نموده صفت زندگانى دنيا را در بهجت و لذّت و سرور و شكفتگى آن كه آخرش منتهى ميشود بمرگ و هلاك بصفت گياهيكه ميرويد از زمين بسبب آبى كه ازآسمان نازل ميشود كه پنج روز سبز و خرّم و تر و تازه ميباشد ، و بعداز آن در زمان قليلى خشك وشكسته ميگردد ، وبادها آن را از بيخ كنده و مى‌پرانند .

بهارعمربسى دلفريب ورنگين است ولى‌چه سود كه داردخزان‌مرگ‌ازپى

پس فرمود : نیست هیچ مردی از دنیا در سرور و شادی مگر اینکه در پی در آورد اورا بعدا آن شادی بگریه و زاری ، وملاقات نکرد هیچ أحدی از خیر ومنفعت دنیا بشکمی مگر اینکه بخشش نمودبآن ازدشواری ومشقت‌خود آتشی را ، و نبارید بأحدی در دنیا باران نرم آسانی ورفاهیت مگراینکه ریخته شد براو باران بزرگ قطره ازأبربلا ومصیبت ، وسزاوار است زمانیکه بامداد کند مراورا داد ستاننده آنکه شبانگاه کند اورا تغییر نماینده وناخوش شمرنده ، واگربسیار خوش وشیرین باشد جانبی از آن دنیا تلخ میگردد جانبی دیگرازآن ، و ناخوشی می‌آورد ، نرسد هیچ مردی ازطیب عیش ونعمت دنیا برغبت وارادتی مگر اینکه پوشانید وبار کرد اورا از حوادث ومصائب خود تعب ومشقتی ، وشبانگاه نکرد احدی از دنیا در بال امنیت و آسایش مگر اینکه صباح نمود برپرهای در از خوف وترسی .

دنیا بسیارفریبنده است فریب است آنچه دراو است ، فنایابنده است فانیست آنکسیکه براو است ، هیچ خیر و منفعتی نیست در چیزی از توشهای دنیا مگر پرهیزکاری وتقوی ، هر کس که اندك نمود ازلذايذ دنیا وشهوات آن بسیارخواست ازچیزیکه ایمن گرداند اورا ازعذاب قیامت وهر کس که بسیارخواست ازشهوات دنیا بسیار خواست از چیزیکه هلاك نماید اورا در آخرت و زایل شد بعداز اندك زمانی از آن .

بسا اعتماد کنندهٔ بدنیا که دردمند ساخت او را ، و بسا صاحب اطمینانی بسوی آن که در خاك هلاك انداخت اورا ، وبسا صاحب عظمتی که گردانید اورا حقیر وبیمقدار ، و بسا صاحب نخوتی که گردانید او را ذلیل و خوار ، سلطنت و پادشاهی آن دوران کننده است از دستی بدستی ، و عیش آن کدر آمیز است وآب شیرین آن شوراست و بیمزه ، وحلاوتهای آن تلخ ، وطعامهای آن زهرهای قاتل است ، و ریسمانهای آن پوسیده است ، زندهٔ آن‌درمعرض مرگست و صحیح آن درمعرض ناخوشی است ، ملك ومال آن ربوده شده است ، و عزیز آن مغلوب

است ، وصاحب ثروت آن صاحب نکبت شده است ، و همسایهٔ آن ربوده شده از آن تمام مال او .

آیا نیستید شما در مسکنهای کسانی که بودند پیش از شما در حالتیکه درازتر بودند ازحیثیّت عمرها، وباقی‌تر بودند ازحیثیّت اثرها ، ودورتر بودندازحیثیّت آرزوها ، و آماده‌تر بودندازحیثیّت شمار ، وانبوه‌تر بودندازحیثیّت لشگر پرستیدند از برای دنیاپرستیدنی‌وبرگزیدند آنرا چه برگزیدنی ، پس از آن کوچ کردند از آن بدون توشه که‌بمنزل، برساند، وبدون مرکبی که‌قطع مراحل نماید .

پس آیا رسید بشما که دنیا سخاوت ورزید ازبرای آنها از روی طیب نفس بفدیه دادن ، ورها نمودن ایشان ، یا آنکه یاری کرد ایشانرا بمعاونتی ، یا اینکه خوب نمود ازبرای ایشان صحبتی ومعلوم است که هیچکدام از اینها ننمود بلکه پوشانید بایشان وبارنمود ایشان راکارهای‌سنگین ، وضعیف نمود بمحنتهای کوبنده و مضطرب کرد ایشان را بحوادث ، و بخاك مالید ایشان را بسوراخهای دماغها ، و لگدکوب کرد ایشان را بدستها و پایها ، و اعانت نمود بضرر ایشان حادثات دوران را .

پس بتحقیق دیدید شما تغیر دنیا را مر آنکسی را که تقرّب جست بآن وبرگزید اورا و چسبید بآن تا اینکه کوچ کردند از آن بفراق دائمی آیا توشه داد ایشانرا بغیر ازگرسنگی ، یافرودآوردایشان را غیراز تنگی ، یا روشن کرد از برای ایشان غیر از تاریکی ، یا آنکه ازپی درآورد ایشانرا غیر از پریشانی ، آیا پس این دنیای بی اعتبار اختیارمی کنید ؟ یابسوی آن مطمئن میباشید ؟ یا براو حریص میشوید ؟ پس بد سرائی است آن از برای کسیکه متّهم ندارد اورا ونباشد دراو برترس وهراس ازآن .

پس بدانید و اعتقاد نمائید و شما عالم هستید بآن که شما ترك کننده آن هستید ، و کوچ کننده‌اید ازآن ، وپند گیرید درآن بآنکسانیکه گفتند که کیست

سخت تر از ما از حیثیّت قوت ، برداشته شدند بسوی قبرهای خود ، پس خوانده نشدند سواران ، وفرود آورده شدند درقبور پس خوانده نشدند مهمانان ، و گردانیده شد از برای ایشان از روی زمین قبرها وازخاك کفنها یا پوشاکها وازاستخوانهای پوسیده همسایها ، هستند که اجابت نمیکنند خواننده را، وممانعت نمیکنند ظلم را ، و باك نمیدارند از نوحه و زاری ، اگر داده شدند باران شاد نگشتند ، و اگر رسیدند بقحط وتنگی نومید نشدند

اجتماع دارند وحال آنکه ایشان تنهایند ، وهمسایگانند وحال آنکه ایشان دورند ، نزدیکند بیکدیگر وحال آنکه ایشان زیارت یکدیگر نمی‌توانند کنند ، وخویشند بهمدیگر وحال آنکه اظهار خویشی نمینمایند ، حلیم هستند درحالتیکه رفته است کینهای ایشان ، نادانند درحالتیکه مرده است جسدهای ایشان ، ترسیده نمیشود از اندوه ومصیبت ایشان ، وامید گرفته نمیشود دفع نمودن ایشان ، عوض کردند بظاهر زمین باطن را ، و بفراخی تنگیرا ، و باُنسیت غریبی را ، و بنور وروشنی تاریکی را .

پس آمدند بروی زمین چنانچه مفارقت کردند ازآن درحالتیکه پابرهنگان وتن برهنگانند درحالتیکه کوچ نمودند ازآن باعملهای خودشان بسوی زندگانی دائمی وسرای باقی چنانکه فرموده است حق سبحانه وتعالی : همچنانکه درابتداء آفریدیم خلق را اعاده میکنیم ایشانرا وعده کردیم آن را وعده کردنی درحالتیکه برما است وفا کردن بآن بدرستی که ما کنندگانیم آنرا لا محاله وعده بعث واعاده را داده و قادر هستیم برانجاز آن وعده .

و من خطبة له عليه السلام و هی المأة والحادیة عشر من المختار فی باب الخطب

یذکر فیها ملك الموت وتوفّیه الأنفس

هَلْ يُحَسُّ إذا دَخَلَ مَنْزِلاً ، أَمْ هَلْ تَراهُ إذا تَوَفّى أَحَداً ، بَلْ كَيْفَ

يَتَوَفَّى الْجَنِينَ في بَطْنِ أُمِّهِ ، أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوارِحِها ، أَمْ أَجابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّها ، أَمْ هُوَ ساكِنٌ مَعَهُ في أَحْشائِها ، كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ ؟

اللغة

(توفّيه الأنفس) في بعض النسخ على وزن التفعّل مصدر توفّاه الله أى قبض روحه وأماته ، و في بعض الأخرى توفية الأنفس وزان التّفعلة مصدر باب التفعيل و (يحسّ) بالبناء على المفعول و في بعض النسخ بدله تحسّ به بصيغة الخطاب و (الجنين) الولد في البطن و الجمع أجنّة (الأحشاء) جمع الحشاء و هو ما في البطن من المعاء وغيره .

الاعراب

توفية الأنفس من اضافة المصدر إلى فاعله ، و على ما في بعض النسخ من توفيه الأنفس من اضافته إلى مفعوله ، وقوله هل يحسّ استفهام على سبيل الانكار .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل على ما في شرح البحراني من خطبة طويلة ذكره عليه السلام في معرض التّوحيد و التنزيه لله تعالى عن اطلاع العقول البشريّة على كنه وصفه وما ظفرت بعدعلى هيهنا«عليها ظ »وقد ذكرفيهاملك الموت وتوفيةالانفس أى قبضه للأرواح على سبيل الاستطراد ، و هو نوع من فنون البيان و هو أن تخرج بعد أن تمهّد ما تريد أن تمهده إلى الأمر الذى تروم ذكره فتذكره و كأنّك غير قاصد لذكره بالذّات بل قد حصل ووقع ذكره عن غيرقصد فتمرّبه مروراً كالبرق الخاطف ثمّ تتركه وتنساه وتعود إلى ما مهّدته أوّلا كالمقبل عليه وكالملغى عمّا استطردت بذكره إذا عرفت ذلك فأقول :

قوله : (هل يحسّ إذا دخل منزلا أم هل تراه إذا توفّى أحداً) تنبيه على عدم امكان الاحساس به في دخول منازل المتوفّين و على عدم امكان رؤيته عند اماتة الناس ، وذلك لكونه جسماً لطيفاً هوائيا غير قابل للادراك بالحواس ، و قال الشّارح البحراني : و نبّه باستنكار الاحساس بـه على أنّه ليس بجسم ، اذ كان كلّ جسم من شأنه أن يحسّ باحدى الحواس الخمس « انتهى » ، وهو مبنيّ على كون الملائكة جواهر مجرّدة غير متحيّزة كما هو مذهب الفلاسفة ، وتحقيق ذلك موكول الى محلّه

ثمّ قال (بل كيف يتوفّى الجنين في بطن اُمّه) و هو استعظام لأمره في قبض روح الجنين ، والأقسام المتصوّرة في كيفيّة ذلك القبض ثلاثة أشار إليها بقوله : (أيلج عليه من بعض جوارحها أم الرّوح أجابته باذن ربّها أم هو ساكن معه في احشائها) وهذا التّقسيم حاصر لايمكن الزيادة عليه . لأنّه اذا فرضناه جسما يقبض الأرواح الّتي في الأجسام إمّا أن يكون مع الجنين في جوف اُمه فيقبض روحه عند حضور أجله ، أو خارجاً عنها ، والثاني ينقسم قسمين : أحدهما أن يلج جوف اُمه لقبض روحه ، وثانيهما أن يقبضها من غير حاجة إلى الولوج إلى جوفها ، و ذلك بأن يطيعه الرّوح وتكون مسخّرة له ومنقادة لأمره إذا أراد قبضها امتدّت إليه .

والاظهر الاقوى أن يكون توفية الجنين من قبيل القسم الأخير ، ويدلّ عليه الرّواية الآتية للصّدوق في الفقيه عن الصّادق عليه السلام و غيرها أيضاً ، وعلى مذاق المعتزلة فهو من قبيل الوسط ، لأنّهم قالوا : إنّ كيفيّة القبض و لوج الملك من الفم إلى القلب ، لأنّه جسم لطيف هوائى لايتعذّر عليه النفوذ في المخارق الضيقة فيخالط الرّوح التي هى كالشبيهة بها ، لأنّها بخارى ، ثمّ يخرج من حيث دخل وهى معه ، ويلزم عليهم أن يغوص الملك في الماء لقبض روح الغريق تحت الماء والتزموا ذلك ، و أجابوا بأنّه لا يستحيل أن يتخلّل الملك مسام الماء فانّ في الماء مسام ومنافذ كما في غيره من الأجسام ، ولو فرضنا أنه لامسام فيه لم يبعد أن يلجه الملك فيوسع لنفسه مكانا كالحجر والسمك ونحوهما ، وكالرّيح الشّديدة التي تقرع ظاهر

البحر فتقعره وتحفره ، وقوّة الملك أشدّ من قوّة الرّيح .

و كيف كان فلما بيّـن أنّ ملك الموت لايمكن للانسان وصف حاله و عرفان صفته أردفـه بالتنبيه على عظمة الله سبحانه بالنسبة إليه فقال (كيف يصف الهه من يعجز عن صفة مخلوق مثله) يعني أنه إذا عجز الانسان عن وصف مخلوق هومثله فبالأولى أن يعجز عن وصف خالقه و إدراك ذات مبدعه الذى هو أبعد الأشياء عنه مناسبة .

تنبيه

في بيان معنى الموت وايراد بعض الأخبار الواردة في وصف حال ملك الموت

فأقول : قال الشّارح البحراني أخذاً من أبي حامد الغزالي في كتاب احياء العلوم : إنّ الموت ليس إلاّ عبارة عن تغيّر حال ، وهو مفارقة الرّوح لهذا البدن الجارى مجرى الآلة لذي الصّنعة ، وإنّ الرّوح باقية بعده كما شهدت به البراهين العقلية بين مظانها ، والآثار النبويّة المتواترة ، ومعنى مفارقتها له هو انقطاع تصرّفها فيه لخروجه عن حدّ الانتفاع به . فما كان من الامور المدركة لها تحتاج في إدراكه إلى الله فهى منقطعة عنه بعد مفارقة البدن إلى أن تعاد إليه في القبر أو يوم القيامة وماكان مدركا لها لنفسها من غير الله فهو باق معها يتنعّم به ويفرح أويحزن من غير حاجة الى هذه الآلة في بقاء تلك العلوم والادراكات الكلية لها هناك .

قال الغزالي تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل أعضاء الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبشدّة تقع في الاعصاب تمنع نفوذ الرّوح فيها ، فتكون الرّوح العالمة العاقلة المدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ، والموت عبارة عن استعصاء الاعضاء كلّها و كلّ الأعضاء آلات ، و الرّوح هى المستعملة لها ، فالموت زمانة مطلقة في الأعضاء كلّها ، وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية ، نعم تغيّر حاله من جهتين

إحداهما أنه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع أعضائه ، وسلب منه أهله وولده و أقاربه و ساير معارفه ، وسلب منه خيله و دوابه و غلمانه و دوره و عقاره و ساير أملاكه ، و لافرق بين أن يسلب هذه الأشياء من الانسان أو يسلب

الانسان من هذه الأشياء ، فانّ المؤلم هو الفراق ، والفراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرّجل وتارة بأن يسلب الرّجل عن الملك والمال ، والألم واحد فى الحالتين وإنما معنى الموت سلب الانسان عن أمواله بانزعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم ، فان كان له فى الدّنيا شيء يأنس به و يستريح إليه و يعتدّ بوجوده فيعظم تحسّره عليه بعد الموت ، و يصعب شقاؤه في مفارقته و يلتفت إلى واحد واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلا ، ويفرح به ، وإن لم يكن يفرح إلاّ بذكرالله ولم يأنس إلاّ به عظم نعيمه وتمّت سعادته ، إذ خلى بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل المانعة له عن ذكر الله .

والجهة الثانية أنه ينكشف له بالموت مالم يكن له مكشوفا فى الحياة كما ينكشف للمتيقّظ مالم يكن مكشوفا في النوم ، والنّاس نيام فاذا ماتوا انتبهوا، هذا

وقد مضى الكلام في شرح حالة الاحتضار و كيفيّة زهوق الروح وشرح حال الميت حينئذ في التذييل الثالث من تذييلات الفصل السّابع من فصول الخطبة الثانية والثمانين ، وفي شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والثمانية ومضى ثمة أيضاً وصف حال ملك الموت ونورد هنا ما لم يسبق ذكره هناك فأقول:

روى في الكافي باسناده عن اسباط بن سالم مولى أبان قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام : جعلت فداك يعلم ملك الموت بقبض من يقبض؟ قال عليه السلام : لا إنما هي صكاك (١) تنزل من السّماء اقبض نفس فلان بن فلان .

وعن زيد الشّحام قال : سئل أبوعبدالله عليه السلام عن ملك الموت فقال : يقال : الأرض بين يديه كالقصعة يمدّ يده منها حيث يشاء فقال عليه السلام نعم .

وعن هشام بن سالم قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : مامن أهل بيت شعر و لا وبر إلاّ و ملك الموت يتصفّحهم في كلّ يوم خمس مرّات .

و عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن لحظة ملك الموت قال عليه السلام

---

(١) الصكّ الكتاب الذى يكتب فى المعاملات والاقارير ، لغة

أما رأيت الناس يكونون جلوسا فتعتريهم السّكينة فما يتكلّم أحد منهم فتلك لحظة ملك الموت حيث يلحظهم .

وفي الفقيه قال الصّادق عليه السلام : قيل لملك الموت عليه السلام : كيف تقبض الأرواح وبعضها في المغرب وبعضها في المشرق في ساعة واحدة ؟ فقال : ادعوها فتجيبني ، قال : و قال ملك الموت عليه السلام : إنّ الدّنيا بين يدىّ كالقصعة بين يدى أحدكم فيتناول منها ماشاء ، والدّنيا عندى كالدّرهم في كفّ احدكم يقلّبه كيف يشاء .

بقى الكلام في أنّ قابض الأرواح هل هوالله سبحانه ، أم ملك الموت فقط، أم هو مع ساير الملائكة .

فأقول : الآيات في ذلك كالرّوايات مختلفة ، و وجه الجمع بينها امور اشير إليها في أخبار أهل البيت عليهم السلام .

ففى الفقيه وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزوجلّ :

«أَللّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا» وعن قوله تعالىٰ : « قُلْ يَتَوَفَّيكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذي وُكِّلَ بِكُمْ » وعن قوله تعالى « الَّذينَ تَتَوَفّيهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبينَ » « وَ الَّذينَ تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظالِمي أَنْفُسِهِمْ » وعن قوله عزّ وجلّ « تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» وعن قوله عزّ وجلّ: « وَلَوْ تَرىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ » .

وقد يموت في الساعة الواحدة في جميع الآفاق مالايحصيه إلاّ الله عزّ وجلّ فكيف هذا ؟ فقال عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعالى جعل لملك الموت أعوانا من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشّرطة له أعوان من الانس ، فيبعثهم في حوائجه فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم(١) ملك الموت من الملائكة مع مايقبض هو ويتوفّاهم

(١) اى يقبض أرواحهم منهم .

الله من ملك الموت .

وفي الاحتجاج عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سئل عن قول الله تعالى :

« أَللهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِها » و قوله: « قُلْ يَتَوَفّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ» و قوله عزّ وجلّ: « تَوَفَّتْهُ رُسُلُنا» و قوله تعالى« تَتَوَفّاهُمُ الْمَلائِكَةُ»

فمرّة يجعل الفعل لنفسه ، و مرّة لملك الموت ، و مرّة للرّسل ، ومرّة الملائكة فقال عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعالى أجلّ و أعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه ، و فعل رسله و ملائكته فعله ، لأنّهم بأمره يعملون ، فاصطفى من الملائكة رسلا و سفرة بينه وبين خلقه ، وهم الذين قال الله فيهم :

« أَللهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَ مِنَ النّاسِ »

فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرّحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة ، و لملك الموت أعوان من الملائكة الرّحمة والنقمة يصدرون عن أمره و فعلهم فعله ، و كلّ ما يأتونه منسوب إليه ، و إذا كان فعلهم فعل ملك الموت ففعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء ، و يعطي و يمنع و يثيب و يعاقب على يد من يشاء ، و انّ فعل اُمنائه فعله كما قال :

« وَما تَشاؤُنَ إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللهُ »

وفي التوحيد بسند ذكره عن أبي معمر السّعداني ، أنّ رجلا أتى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال : ياأمير المؤمنين إنّي قد شككت في كتاب الله المنزل قال له عليّ عليه السلام : ثكلتك امّك و كيف شككت في كتاب الله المنزل ؟ قال : لأني وجدت الكتاب يكذب بعضه بعضاً فكيف لاأشكّ فيه، فقال عليّ بن أبيطالب عليه السلام إنّ كتاب الله ليصدق بعضه بعضاً ولا يكذب بعضه بعضا ، وأظنّك لم ترزق عقلا تنتفع بـه

فهات ما شككت فيه من كتاب الله ـ فذكر الرجل آيات مختلفة الظواهر و من جملتها الآيات التي قدّمناها ـ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الله تبارك و تعالى يدبّر الأُمور كيف يشاء ، و يوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء ، أمّا ملك الموت فانّ الله يوكّله بخاصّة من يشاء ، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّة بمن يشاء من خلقه والملائكة الذين سماهم الله عزّ ذكره ، وكلهم بخاصة من يشاء من خلقه تعالى يدبّر الأُمور كيف يشاء وليس كلّ العلم يستطيع صاحب العلم أن يفسّره لكلّ النّاس ، لأنّ منهم القوىّ والضعيف ، ولأنّ منه مايطاق حمله ومنه مالايطيق حمله إلاّ من يسهل الله حمله وأعانه عليه من خاصّة أوليائه ، وإنّما يكفيك أن تعلم أنّ الله المحيى و المميت ، وأنّه يتوفّى الأنفس على يدى من يشاء من خلقه من ملائكته وغيرهم ، قال : فرّجت عنّي يا أمير المؤمنين امتع الله المسلمين بك .

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن بزرگوار وسيد أبرار است كه ذكر فرمود درآن ملك الموت وقبض نمودن او روحهارا .

آيا ادراك كرده ميشود بحواس زماني كه داخل بشود منزلى ، يا آياميبيني اورا زماني كه بميراند أحديرا بلكه چه نحوقبض ميكند روح بچه را درشكم مادر خودش ، آيا داخل ميشود براو از بعض أعضاء مادر او ، يا آنكه روح بچه اجابت ميكند او را باذن پروردگار خود ، يا آنكه ملك الموت ساكن است با آن بچه در آلات اندرون‌مادر ، چگونه وصف ميكند معبود خودرا كسيكه عاجزاست از وصف مخلوقي كه مثل اواست درامكان افتقار .

و من خطبة له عليه السلام وهى المأة والثانية عشر من المختار فى باب الخطب .

وَ أُحذِّرُكُمُ الدُّنيا فَإنَّها مَنزِلُ قُلْعَةٍ وَ لَيسَتْ بدار نُجْعَةٍ، قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِها، وَ غَرَّتْ بِزِينَتِها، دارٌ هانَتْ عَلى رَبِّها، فَخَلَطَ حَلالَها بِحَرامِها،

وَ خَيرَها بشرِّها، وَحيوتَها بموتِها، وَحلوها بمرِّها، لَمْ يصفها الله تعالى لأوْليائِه، وَ لَمْ يضِنَّ بها على (عن خ) أعدائه، خيرُها زهيدٌ، وَشرُّها عَتيدٌ، وَجمعُها ينفدُ، وَمُلْكها يُسلَبُ، وعامرُها يُخرَبُ، فما خيرُ دارٍ تُنقَضُ نقضَ البِناء، وَعمرٍ يفنى فناءَ الزادِ، وَمُدَّةٍ تنقطعُ انقطاعَ السيرِ، إجعلوا (فاجعلوا خ) ما افترضَ اللهُ عليكمْ مِن طَلبَتِكمْ، وَاسئلوهُ مِنْ أداءِ حقِّه ما سألكمْ، وأسمعوا دعوةَ الموتِ آذانَكمْ قبلَ أنْ يُدعى بكمْ، إنَّ الزاهدين في الدُّنيـا تبـكي قلوبُهُمْ وَإنْ ضحكوا، وَيشتدُّ حزنُهُمْ وإنْ فرِحوا، وَيكثرُ مقتُهم أنفسَهُمْ وَإنِ اغتُبِطوا بـما رُزِقوا، قدْ غابَ عَنْ قلوبِكُمْ ذِكرُ الآجالِ، وَحضرَتكُمْ كواذبُ الآمالِ، فصارتِ الدُّنيا أملَكَ بكُمْ مِنَ الآخِرَةِ، وَالعاجلَةُ أذهبَ بكُمْ مِنَ الآجِلَةِ، وَإنَّما أنـتمْ إخوانٌ على دينِ اللهِ ما فرّقَ بينَكمْ إلاّ خُبثُ السَّرائِرِ، وَسوءُ الضَّمائِرِ، فلا توازرُونَ، وَلا تناصحُونَ، وَلا تباذلُونَ، وَلا توادُّونَ، ما بالُكمْ تفرَحُونَ بِاليسيرِ مِنَ الدُّنيا تُدرِكونَه، وَلا يَحزُنُكمُ الكثيرُ مِنَ الآخرةِ تُحرَمُونَه، وَيُقلِقُكمُ اليسيرُ مِنَ الدُّنيا (حين خ) يفوتُـكمْ حتّى يتبيَّنَ ذلكَ في وُجوهِكمْ وَقلّةِ صبرِكمْ عمّا زُوِيَ منها عنكمْ، كأنَّها دارُ مُقامِكمْ وَكأنَّ متاعَها باقٍ عليكمْ، وَما يمنعُ أحدَكمْ أنْ يستقبلَ أخاهُ بما يخافُ

مِنْ عَيْبِهِ إِلاَّ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ ، قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ، وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسانِهِ ، صُنْعَ «صَنِيعِ» مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ « عَنْ خ» عَمَلِهِ ، وَأَحْرَزَ رِضَى سَيِّدِهِ .

اللغة

(القلعة) بالضمّ العزل والمال العارية أومالا يروم ومنزلنا منزل قُلعة و قُلعه وقلعة وزان همزة أى ليس بمستوطن أولاتدرى متى تتحول عنه اولاتملكه و (النجعة) بالضمّ طلب الكلاء في موضعه و (يخرب) بالبناء على الفاعل مضارع باب فعل كفرح وفي بعض النسخ بالبناء على المجهول مضارع اخرب وفي بعضها يتخرّب مضارع باب التفعل مبنيا على الفاعل أيضا و (الطلبة)بفتح الطاء و كسر اللام ماطلبته و(مقته) مقتا أبغضه فهو مقيت وممقوت .

وقوله (فلاتوازرون) بفتح التاء من باب التفاعل بحذف احدى التائين ، وفي بعض النسخ بضمّها و كسر الزّاء مضارع باب المفاعلة ، و مثله الافعال الثلاثة بعده و قوله (ما بالكم) في بعض النسخ بدلـه مالكم و (اللّعقة) بالضمّ اسم لما يلعق أى تؤكل بالاصبع أو بالملعقة وهي آلة معروفة .

الاعراب

جملة قد تزيّنت في محل النّصب على الحال من الدّنيا ، وفي بعض النسخ وقد تزيّنت بالواو ، والفاء في قوله فخلط حلالها بحرامها فصيحة أى إذا كانت مهانة على الله فخلط وفي بعض النسخ عن أعدائه بدل على أعدائه فلابدّ من تضمين معنى القبض أى لم يضربها قابضا لها عن أعدائـه ، و قوله فما خير دار تنقض اه ما استفها ميّة و اضافة خير إلى دار بمعنى في ، أى منفعة في دار وصفها كذا ، و من في قوله : من طلبتكم للتبعيض ، ويحتمل الزيادة على مذهب الأخفش و الكوفيّين من تجويز زيادتها في الايجاب استدلالاً بقوله تعالى: ويغفر لكم من ذنوبكم، وذهب سيبويه

إلى أنها فيه للتبعيض أيضاً .

و قوله : و اسألوه من أداء حقه مـا سألـكم ، اى اسألوا منه على الحذف والايصال ، وماموصولة منصوبة المحلّ مفعول اسألوه وسألـكمصلتها والعايد محذوف أى الّـذي سأله منكم ، ومن أداء حقّـه ، بيان لما ، كما في قولك : عندى مِن المال ما يكفى ، و انّـما جاز تقديم من المبينة على المبهم في هذا و أمثاله ، لأنّ المبهم الذي فسّـر بمن مقدّم تقديراً كأنّـك قلت عندى شيء من المال ما يكفى ، فالمبيّـن بفتح الباء في الحقيقة محذوف ، و الّـذي بعد من عطف بيان له ، و المقصود بذلك تحصيل البيان بعد الابهام ، لأنّ معنى أعجبني زيد ، أى شيء من أشيائه بلا ريب ، فاذا قلت : كرمه أو وجهه ، فقد تبيّـنت ذلك الشّـيء المبهم .

والفاء فيقوله : فصارت الدّنيا فصيحة ، وفيقوله : فلا توازرون ، عاطفة مفيدة للسّـببية نحو يقوم زيد فيغضب عمرو أى صار قيامـه سبباً لغضب عمرو ، وجملة تفرحونوتدركونه وتحرمونه ويفوتـكم فيمحال النصب علىالحال ، وفيبعضالنسخ حين يفوتـكم ، باضافة حين ، وقلّة صبركم ، بالجرّ عطف على وجوهكم .

المعنى

اعلمأنّ هذه الخطبة مسوقةللتنفير عن الدّنيا و الترغيب فى الآخرة ، ونبّـه على جهات النفرة بقوله (وأُحذّركم) من (الدّنيا) و الرّكون إليها و الاعتماد عليها والاغترار بهاوبزخارفها (فانها منزل قلعة) أى لا تصح للسّـكنى والاستيطان أولا تدرى متى يكون لك منها التحوّل والارتحالوالمضيّ والانتقال (وليست بدار نجعة) يطلب فيها الكلاء ويروى من الظماء ، وهوكناية عنأنّـها لا ينال فيهاالمراد ولايوفّق فيها للسّداد (قدتزيّنت) للنّاس (بغرورها) وأباطيلها (وغرّت) المفتونين بها أى خدعتهم (بزينتها) وزخارفها .

وهى (دارهانت على ربّـها) واتصفت بالذّل والهوان لعدم تعلّق العنايةالالهية عليها بالذات وإنما خلقت لـكونها وسيلة إلىغيرها .

قال أبوعبدالله عليه السلام : مرّرسول الله صلى الله عليه وآله بجدى أسك ملقى على مزبلة ،

فقال لأصحابه : كم يساوى هذا ؟ فقالوا : لعله لوكان حياً يساو درهما ، فقال النّبي صلى الله عليه وآله : والذي نفسي بيده الدّنيا أهون على الله من هذا الجدى على أهله .

وقوله (فخلط حلا لها بحرامها وخيرها بشرّها وحياتها بموتها وحلوها بمرّها) يعني أنها من أجل حقارتها لم تكن خيراً محضا ، بل كان كلّ ما يعدّ فيها خيراً مشوبا بشرّ يقابله ، بخلاف الدّار الآخرة ، فانها خير كلّها و صفو كلّها و لذلك (لم يصفّها الله لأوليائه) بل جعلهم فيها مبتلى بأنواع الغصص والمحن ، وأصناف المصائب والحزن فمشربهم فيها رنق ومترعهم فيهاروغ (ولم يضنّ بها على أعدائه) بل أعطاهم فيها غاية المأمول ، و منتهى المسئول ، فحازوا نفايس الأموال و فازوا نهايةالآمال ، وليس عدم التّصفية للأولياء وعدمالضنّة بهافي حقّ الأعداء إلاّ اكراماً للأوّلين وإضلالاً للآخرين .

قال أبوعبدالله عليه السلام : إنّ المؤمن ليكرم على الله حتى لوسأله الجنّة بمافيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا ، وإنّ الكافر ليهون على الله حتى لو سأله الدّنيابما فيها أعطاه ذلك من غير أن ينتقص من ملكه شيئا ، وإنّ الله ليتعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يتعاهد الغايب أهله بالطرف ، وإنّه ليحميه الدّنيا كما يحمى الطّبيب المريض

وفي رواية اخرى عنه عليه السلام قال : ماكان من ولد آدم مؤمن إلاّ فقيراً ولاكافر إلاّ غنيّا ، حتّى جاء إبراهيم فقال :

« رَبَّنا لاٰ تَجْعَلْنا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا » .

فصيّر الله في هؤلاء أموالاً وحاجة ، وفي هؤلاء أموالا وحاجة .

وبالجملة فعدم تصفيتها للأولياء وجعلهم فيهامبتلى بأوصاف البلاء ليس إلاّ ليصبروا أيّاما قليلة ويصيروا إلي راحة طويلة ، وعدم قبضها من الأعداء لهوانها عليه سبحانه

كهوانهم عنده ولوتساوى (١) عنده تعالى جناح بعوضة لما اعطى أعدائه منها حبّة ولا سقاهم منها شربة .

(خيرها زهيد) قليل (وشرّها عتيد) حاضر(وجمعها ينفد) ويفنى (وملكها يسلب) ويؤخذ (و عامرها يخرب) ويهدم (فما خيردار) اى أىّ خيرومنفعة في دار (تنقض نقض البناء وعمر يفنى فناء الزاد و مدّة تنقطع انقطاع السير) لايخفى حسن التشبيه فى القراين الثلاث و تمام المناسبة و الايتلاف بين طرفى التشبيه في كلّ منها هذا .

ولمّا نبّه عليه السلام على معائب الدّنيا ومساويهاعقّبه بالأمر بأخذ ماهو لازم فيها فقال (اجعلوا ما افترض اللهعليكم) من العقايدالحقّة والمعارف الالهيّة والعبادات الفرعيّة (من طلبتكم) أى من جملة ما تطلبونه أو نفس ماتطلبونه على زيادة من وعلى الثاني ففيه من المبالغة مالايخفى ، يعني أنّ اللاّزم عليكم أن يكون مطلوبكم في الدّنيا الفرايض و أدائها وتكون همّتكم مقصورةفيها (و اسألوه من أداء حقّه ما سألكم) أى اسألوا منه سبحانه التّوفيق و التّسديد والاعانة لما أمركم به و فرضه عليكم من أداء حقوقه الواجبه وتكاليفه اللاّزمة ، فانّ الاتيان بالواجبات والانتهاء عن السّيئات لا يحصل إلاّ بحول الله وقوّته و توفيقه و تأييده و عصمته ، فيلزم على العبدأن يقرع باب الرّب ذي الجلال بيد الذلّ والمسكنةوالسؤال لأن يسهّل له مشاقّ الأعمال ، ويصرفه عما يورطه في ورطة الضّلال ، ويوقعه في شدايد الأهوال ، كما قال سيّدالعابدين وزين السّاجدين سلام الله عليه وعلى آبائه وأولاده الطّاهرين في دعاء يوم عرفة :

وخذ بقلبي إلى مااستعملت بهالقانتين ، واستعبدت به المتعبّدين ، واستنقذت به المتهاونين ، وأعذني مما يباعدني عنك و يحول بيني وبين حظّي منك و يصدّني

١ـهذه العبارة مقتبس من الحديث النبوى قال(ص)لو كانت الدنيا عندالله تزن جناح بعوضة لما سقى كافرا منها شربة ماء منه

عمّا احاول لديك، وسهّل لى مسلك الخيرات اليك، والمسابقة إليها من حيث أمرت والمشاحة فيها على ما أوردت.

وفي دعاءِ الاشتياق إلى طلب المغفرة :

اللّهم وإنّك من الضعف خلقتنا ، وعلى الوهن بنيتنا ،و من ماء مهين ابتدئتنا ولاحول لنا إلاّ بقوّتك ، ولاقوّة لنا إلاّ بعونك ، فأيّدنابتوفيقك ، وسدّدنا بتسديدك و أعم أبصارقلوبناعمّاخالف محبّتك ، ولاتجعل لشيءمن جوارحنانفوذاً إلى معصيتك.

وفي دعائه عليه السلام في ذكر التّوبة :

اللّهم انّه لا وفاء لي بالتوبة إلاّ بعصمتك ، و لا استمساك بي عن الخطايا إلاّ عن قوّتك ، فقوّني بقوّة كافية ، وتولّني بعصمةمانعة، هذا .

واطلاق السّؤال على الفرايض والأوامر في قوله ما سألكم من باب المجاز بجامع الطّلب ، أوأنّ الاتيان بلفظ السؤال لمجرّد المشاكلة بينه وبين قوله واسألوه وهى من محسّنات البديع كمامرّ في ديباجة الشرح وقوله (و اسمعوا دعوة الموت آذانكم قبل أن يدعى بكم) أراد به التهيّؤ للموت قبل حلول الفوت و الاستعداد له قبل نزوله ، بأن يجعله نصب عينيه و يذكر شدّة مايكون في تلك الحال عليه من سكرة ملهثة وغمرة كارثة و أنّه موجعة وجذبة مكربة وسوقة متعبة .

ثمّ نبّه عليه السلام على أوصاف خيرة العباد من العبّادوالزّهادلترمق أعمالهم ويقتدى لهم فى أفعالهم فقال: (إنّ الزاهدين في الدّنيا) الرّاغبين في الآخرة (تبكى قلوبهم) من خشية الحقّ (و إن ضحكوا) مداراةمع الخلق (و يشتدّ حزنهم) من خوف النار وغضب الجبّار (وإن فرحوا) حينامامن الأعصار (ويكثر مقتهم) وبغضهم (أنفسهم) لكونها أمّارةبالسّوء و الفساد صارفة عن سمت السّداد والرشاد فلا يطيعونها و لا يلتفتون إليها و لايخلعون لجامها لتقتحم لهم في العذاب الاليم و توردهم في الخزى العظيم (وان اغتبطوا) اى اغتبطهم الناس (بمارزقوا) من فوائد النّعم و عوائد المزيد والقسم .

ثمّ وبّخهم على ماهم عليه من حالة الغرّة والغفلة فقال (قد غاب عن قلوبكم

ذكر الآجال) فلم تمهدوا في سلامة الأبدان (وحضرتكم كواذب الآمال) فلم تعتبروا في أنف الأوان (فصارت الدّنيا أملك بكم من الآخرة) لاستيلائها عليكم و نفوذ تصرّفها فيكم و اتّباعكم عليها اتّباع العبد على سيّده و المملوك على مولاه (والعاجلة أذهب بكم من الآجلة) لفرط محبّتكم لها ودخول حبّها شغاف قلوبكم فذهبت بقلوبكم كما يذهب المحبوب بقلب محبّه (و انّما انتم اخوان مجتمعون على دين الله) و فطرته التي فطر النّاس عليها بقوله تعالى إنّما المؤمنون اخوة (ما فرّق بينكم إلاّ خبث السّرائر و سوء الضمائر) اى لم يفرّق بينكم إلاّ خبث البواطن و سوء العقايد و النّيات ومن ذلك ارتفعت عليكم آثار التواخي والمودّة ولوازم المحبّة و الاخوّة(فلا توازرون و لا تناصحون ولا تباذلون ولا توادّون) أى لا يعين أحدكم صاحبه ولا يقويه ولايناصحه ولايبذل ماله له ولا يقوم بلوازم المودّة

روى في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن حماد بن عيسى عن إبراهيم ابن عمر اليماني ، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : حقّ المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه و لا يروى و يعطش أخوه ولا يكتسى و يعرى أخوه ، فما أعظم حقّ المسلم على أخيه المسلم .

وقال أحبّ لأخيك المسلم ما تحبّ لنفسك و إذا احتجت فاسأله وإن سألك فاعطه ، لاتملّه خيراً و لا يملّه لك ، كن له ظهراً فانه لك ظهر ، إذا غاب فاحفظه في غيبته ، و إذا شهد فزره وأجلّه و أكرمه فانه منك وأنت منه ، فان كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتّى تسئل سميحته (١) و إن أصابه خير فاحمدالله ، و إن ابتلى فاعضده ، و إن يمحل له فأعنه ، و إذا قال الرّجل لأخيه : أفّ انقطع ما بينهما من الولاية ، و إذا قال : أنت عدوّى كفر أحدهما ، فاذا اتّهمه انماث الايمان في قلبه كما يماث الملح في الماء .

وباسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : من حقّ المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته ويوارى عورته ، ويفرّج عنه كربته ، ويقضي دينه ، فاذا مات خلفه

---

(١) تسلّ سخيمته « كذا فى الوسايل »

في أهله وولده .

أقول : قد استفيد من هذين الخبرين و غيرهما لم نورده شرايط الاخوّة بين المسلمين، و علم بذلك أنّ من لم يقم بوظايفها فليس هو في الحقيقة بأخ لصاحبه ، ولذلك قال الباقر و الصّادق عليهما السلام فيما رواه عنهما في الكافي: لم تتواخوا على هذا الأمر وإنما تعارفتم عليه .

ثمّ استفهم على المخاطبين على سبيل التقريع فقال (مابالكم تفرحون باليسير من الدّنيا تدركونه ولا يحزنكم الكثير من الآخرة تحرمونه) مع أنّ هذا اليسير فان زائل و ذلك الكثير باق دائم (ويقلقلكم) أى يزعجكم (اليسير من الدّنيا يفوتكم حتّى يتبيّن ذلك) القلق و الاضطراب ويظهر أثره (في وجوهكم و) في (قلّة صبركم عمّا زوى) أى قبض (منها) أى من الدّنيا وخيرها وفضلها (عنكم) فتحزنون وتتأسّفون بذلك (كأنها دار مقامكم وكانّ متاعها باق عليكم)

ثمّ ذمّهم على عدم كون محافظتهم على اخوانهم بظهر الغيب عن وجه الخلوص والصّفاء وعلى عدم كون كتمانهم لعيوب اخوتهم لمجرّد ملاحظة الصّدقة والاخاء فقال (وما يمنع أحدكم أن يستقبل أخاه بما يخاف) الأخ منه (من عيبه إلاّ مخافة ان يستقبله) أخوه (بمثله) يعني أنه لامانع لأحد منكم من مواجهة أخيه باظهار عيوبه التي يخاف الأخ من إظهارها إلاّ مخافة أن يواجهه أخوه بمثل ما واجهه به ، فيذكر مثالبه ويظهر معايبه ، وهو اشارة إلى عدم مبالاتهم في الدين وعدم خوفهم من الله سبحانه في إذاعة سرّ المؤمنين مع أنّ حقّ المؤمن من المؤمن إذا رأى منه عيبا أو عرف منه ذنبا هو الأخفاء والكتمان ، لا الاذاعة والاعلان ، قضاء لحق الأُخوّة ورعاية لوظيفة التقوى والمروّة قال الله سبحانه:

« وَ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ »

وقال أبوعبدالله عليه السلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشّيطان فلا يقبله الشّيطان

رواه في الكافي .

و فيه أيضا عن زيد عن أبي‌عبدالله عليه السلام قال : فيما جاء في الحديث عورة المؤمن على المؤمن حرام ، قال : ما هوأن ينكشف فترى منه شيئا إنّما هوأن تروى عليه أو تعيبه .

ثمّ قال (قد تصافيتم على رفض الآجل وحبّ العاجل) أى تواخيتم على ترك الاخرى ومحبّة الدّنيا (وصار دين أحدكم لعقة على لسانه) قال الشارح البحراني استعار لفظ اللعقة لما ينطق به من شعار الاسلام والدّين كالشّهادتين ونحوهما من دون ثبات ذلك في القلب ورسوخه والعمل على وفقه .

و قال الشارح المعتزلي : و أصل اللعقة شيء قليل يؤخذ بالملعقة من الاناء يصف دينهم بالنزارة ، ولم يقنع بأن جعله لعقة حتى جعله على ألسنتهم فقط أى ليس في قلوبهم (صنع من) أى صنعهم مثل صنيع من (قد فرغ من عمله و أحرز رضى سيّده)باتيان أوامره وأحكامه ، ووجه التشبيه الاشتراك في الاعراض من العمل

الترجمة

ازجملهٔ خطبهای آن حضرت است درمذمّت دنیا و تنفیر مردمان ازآن غدار بی وفا چنانچه فرموده :

و میترسانم شما را از دنیا ، پس بدرستیکه آن منزلی است کـه قابل أخذ وطن نیست ونیست سرائی که طلب آب و گیاه کرده شود درآن ، بتحقیق که آراسته شده بباطل خود ، و فریب داده به‌آرایش خود ، خانـه ایست که ذلیل و خوار شده برپروردگار خود ، پس آمیخته حلال آنرا بحرام آن ، و خیر آنرا بشرّ آن ، وزندگانی آن را بمرگ آن ، وشیرینی آن را بتلخ آن ، صافی‌نفرموده است آنرا از برای دوستان خود ،و بخیلی ننموده آن‌را بر دشمنان خود، خیر آن کم است ، وشرّ آن حاضر است ، وجمع شدهٔ آن تمام می‌شود ، و پادشاهی آن ربوده میشود ، و آبادآن خراب میشود.

پس چه منفعت است در خانه‌ای که شکسته میشود چون شکسته شدن بنای

بی اعتبار ، ودرعمری که فانی میشود چون فانی شدن توشه ، ودرمدتی که منقطع میشود چون انقطاع رفتار ، بگردانید آنچه که واجب نمود خداوند تعالی برشما از جمله مطالب خود ، و سؤال کنید ازحقتعالی توفیق واعانة آنچه‌را که خواهش فرموده از شما از أداء حق او ، و بشنوانید دعوت مرگرا بگوشهای خودتان پیش از اینکه دعوت نمایند وبخوانند شمارا بدار القرار .

بدرستی صاحبان زهد دردنیا گریه‌میکندقلبهای ایشان و اگرچه‌خنده کنند بحسب ظاهر ، و شدت میبابد پریشانی ایشان و اگرچه شاد باشند بر روی ناظر ، و بسیار میشود دشمنی ایشـان با نفسهای خودشـان و اگرچه غبطه کرده شوند ومردمان آرزوی نیکوئی‌حال‌ایشان را نمایندبآنچه که‌روزی داده شدنددراین‌جهان .

بتحقیق که غائب شده از قلبهای شما یاد کردن أجلها ، وحاضر شده شمارا دروغهای آرزوها ، پس گردید دنیا مالکتر و متصرفتر شد بشما ازآخرت ، و دنیا برنده‌تر شد شما را بسوی خود از عقبا ، وجز این نیست که شما برادرانید بردین خدای تعالی تفرقه نینداخته درمیان شما مگر ناپاکی شرها ، وبدی اندیشها ، پس اعانت یکدیگر نمیکنید ، وبار گردن یکدیگررا بر نمیدارید ، ونصیحت نمیکنید یکدیگر را ، وبخشش نمیکنید بیکدیگر ،ودوستی نمیورزید بایکدیگر .

چیست شأن شمادرحالتیکه شاد میباشید باندکی ازدنیا درحالتیکه درمیابید آنرا ، ومحزون نمیکند شمارا بسیاری ازآخرت درحالتیکه محروم میشویدازآن ، ومضطرب مینماید شمارا اندکی ازمتاع دنیاهنگامی که فوت میشود ازشما تاآنکه ظاهر میشود أثرآن اضطراب دربشره رویهای شما درکمی صبر وشکیبائی شما از آنچه پیچیده شده است از متاع دنیا از شما ، گوئیا دنیا سرای اقامت شما است ، وگوئیامتاع آن باقی است برشما ، ومانع نمیشود یکی از شمارا از اینکه مواجهه کند برادردینی‌خودرا بچیزی که میترسد برادرازعیب‌آن مگرترس آنکه مواجهه نماید برادر او با او با مثل گفتار او ، بتحقیق که دوستی ورزیده‌اید بایکدیگر برترك آخرت وبرمحبت دنیا ، و گردیده است دین یکی از شما آنچه که بیکبار

ليسيده ميشود برزبان ، وعمل نمودید ترك درامورات اخروى مثل كار كسيكه فارغ شود ازعمل خود ، وفراهم آورده باشد خوشنودى و رضاى مولاى خودرا .

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأة والثالثة عشر من المختار في باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْواصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ ، وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ ، نَحْمَدُهُ عَلىٰ آلائِهِ كَما نَحْمَدُهُ عَلىٰ بَلائِهِ ، وَ نَسْتَعِينُهُ عَلىٰ هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطاءِ عَمّا أُمِرَتْ بِهِ ، السِّراعِ إِلىٰ ما نُهِيَتْ عَنْهُ ، وَ نَسْتَغْفِرُهُ مِمّا أَحاطَ بِهِ عِلْمُهُ ، وَ أَحْصاهُ كِتابُهُ عِلْمٌ غَيْرُ قاصِرٍ ، وَ كِتابٌ غَيْرُ مُغادِرٍ ، وَ نُؤْمِنُ بِهِ إِيمانَ مَنْ عايَنَ الْغُيُوبَ ، وَ وَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيماناً نَفىٰ إِخْلاصُهُ الشِّرْكَ ، وَ يَقِينُهُ الشَّكَّ ، وَ نَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَسَلَّمَ ، شَهادَتَيْنِ تُصْعِدانِ الْقَوْلَ ، وَ تَرْفَعانِ الْعَمَلَ ، لا يَخِفُّ مِيزانٌ تُوضَعانِ فِيهِ ، وَلا يَثْقُلُ مِيزانٌ تُرْفَعانِ عَنْهُ ، أُوصِيكُمْ عِبادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ الَّتِي هِيَ الزّادُ ، وَ بِهَا الْمَعادُ ، زادٌ مُبَلِّغٌ ، وَمَعادٌ مُنْجِحٌ ، دَعا إِلَيْها أَسْمَعُ داعٍ ، وَ وَعاها خَيْرُ واعٍ فَأَسْمَعَ داعِيها ، وَفازَ واعِيها ، عِبادَ اللّٰهِ ، إِنَّ تَقْوَى اللّٰهِ حَمَتْ أَوْلِياءَ اللّٰهِ مَحارِمَهُ ، وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخافَتَهُ ، حَتّىٰ أَسْهَرَتْ لَيالِيَهُمْ ، وَ أَظْمَأَتْ هَواجِرَهُمْ ، فَأَخَذُوا الرّاحَةَ بِالنَّصَبِ ، وَ الرِّيَّ بِالظَّمَاءِ ، وَ اسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ

فَبادِرُوا الْعَمَلَ ، وَ كَذِّبُوا الْأَمَلَ ، فَلاحِظُوا الْأَجَلَ .

ثُمَّ إِنَّ الدُّنيا دارُ فَناءٍ وَعَناءٍ ، وَ غِيَرٍ وَ عِبَرٍ ، فَمِنَ الْفَناءِ إِنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَه، وَلا تُخطي سِهامُهُ ، وَلا تُوسى جِراحُهُ، يَرْمى الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحيحَ بِالسَّقَمِ ، وَالنّاجِيَ بِالْعَطَبِ ، آكِلٌ لا يَشْبَعُ، وَ شارِبٌ لا يَنْقَعُ ، وَ مِنَ الْعَناءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ ما لا يَأْكُلُ ؛ وَ يَبْني ما لا يَسْكُنُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ لا مالاً حَمَلَ ، وَلا بِناءً نَقَلَ ، وَ مِنْ غِيَرِها أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطاً، وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً، لَيْسَ ذٰلِكَ إِلاّ نَعيماً زَلَّ، وَبُؤْساً نَزَلَ ، وَ مِنْ عِبَرِها أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلى أَمَلِهِ ، فَيَقْتَطِعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ، فَلا أَمَلٌ يُدْرَكُ ، وَلا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ ، فَسُبْحانَ اللهِ ما أَغَرَّ سُرُورَها ، وَأَظْمَأَ رِيَّها ، وَأَضْحى فَيْئَها ، لا جاءٍ يُرَدُّ ، وَلا ماضٍ يَرْتَدُّ ، فَسُبْحانَ اللهِ ما أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحاقِهِ بِهِ ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطاعِهِ عَنْهُ ، إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلاّ عِقابُهُ ، وَ لَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلاّ ثَوابُهُ ، وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنيا سَماعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيانِهِ ، وَ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَماعِهِ ، فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيانِ السَّماعُ ، وَ مِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ .

وَاعْلَمُوا أَنَّ ما نَقَصَ مِنَ الدُّنيا وَ زادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَ زادَ فِي الدُّنيا ، فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رابِحٍ ، وَمَزيدٍ خاسِرٍ ، إِنَّ

ٱلَّذي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ ٱلَّذي نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَما أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ، فَذَرُوا ما قَلَّ لِما كَثُرَ، وَما ضاقَ لِما اتَّسَعَ، قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ، وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلى بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخَلَ الْيَقِينُ حَتّى كَأَنَّ الَّذي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذي فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ، فَبادِرُوا الْعَمَلَ، وَخافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لا يُرْجا مِنْ رَجْعَةِ الْعُمْرِ ما يُرْجى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ، مافاتَ الْيَوْمَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَداً زِيادَتُهُ، وَمافاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمْرِ لَمْ يُرْجَ رَجْعَتُهُ، الرَّجاءُ مَعَ الْجائي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْماضي، «فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ».

اللغة

(البطاء) على وزن الفعال من بطوء بطئاً كقرب ضدّ السّراع و(غادره) مغادرة وغداراً تركه وبقاه و (المعاد) بالدال المهملة مصدر بمعنى العود أى الرّجوع إلى الله سبحانه ، و في بعض النسخ بالذال المعجمة بمعنى الملاذ و (النجح) بالضم الظفر بالمطلوب وانجح زيد صار ذا نجح فهو منجح و (أسمع واع) بناء أفعل ههنا من الرباعي أى أشدّ اسماعا ، مثل قولهم ما أعطاه للمال وما أولاه للمعروف و هذا المكان أقفر من غيره ، أى أشدّ افقاراً ، وفي بعض الرّوايات : و احسن واع ، بدله و (الظماء) محرّكة العطش أو شدّته و (الهواجر) جمع الهاجرة و هو كالهجر و الهجيرة نصف النهار أو من عند زوال الشمس إلى العصر ، لأنّ الناس يستكنون في بيوتهم كأنهم قد تهاجروا ، وشدّة الحرّ .

و (الرّى) بالكسر اسم من روى من الماء و اللبن ريّاً و (الغير) اسم من

غيره جعله غير ما كان وحوّله وبدله وغير الدهر وزان عنب احداثه المغيرة و (موتر) من باب الافعال أو التفعيل و كلاهما مرويّان يقال : أوتر القوس أى جعل لها وتراً ووترها توتيراً شدّ وترها ، والوتر محرّكة شرعة القوس ومعلقها والجمع أوتار و (أسى) الجرح اسوأ واسى داواه ، اسوت بين القوم أصلحت و (أضحى) فيئها من ضحى الرجل إذا برز للشمس و (العيان) بالكسر المعاينة يقال لقيه عياناً أى معاينة لم يشكّ في رؤيته إيّاه و (دخل اليقين) أى تزلزل كما في قوله : كنت أرى اسلامه مدخولا ، أى متزلزلاً و (الرجعة) الرّجوع و (التقاة) الخوف و أصله تقية و زان تهمة .

الاعراب

ايمانا بالنصب بدل من ايمان الأوّل ، وجملة تمعدان صفة للشهادتين ، وجملة لايخف آه تحتمل الوصفية أيضاً والحالية لوقوعها بعد نكرة مخصّصة بالوصف ، وداعيها فاعل اسمع ، و واعيها فاعل فاز ، و الباء في قوله بالنصب و بالظماء للمقابلة ، وأكل بالرفع خبر لمبتدء محذوف ، و قوله لا مالا حمل ، لا للنّفى ومالا منصوب بفعل محذوف يفسّره ما بعده ، و جملة المنفي حال من فاعل يخرج ، وطلبه بالرفع بدل اشتمال من المضمون وليس فاعلا له على حدّ قولهم : جاءني المضروب أخوه ، وذلك لأنّ الرزق حصوله مضمون لاطلبه كما هو ظاهر ، ويحتمل أن يكون رفعه بالابتداء و أولى بكم خبره ، وجملة المبتداء والخبر في محلّ النصب خبراً ليكون ، والأول أحسن و أنسب .

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذه الخطبة الشريفة الأمر بملازمة التقوى و التنفير عن الدّنيا والترغيب في العقبا افتتحها بالحمد والثناء فقال :

(الحمدلله الواصل الحمد بالنّعم و النّعم بالشكر) المراد بوصل أحدهما بالآخر شدّة الارتباط بينهما ، فيكون التكرير للتأكيد أو أنه أراد بوصل الحمد بالنّعم ايجابه الحمد عليها و أمره به عند حصولها ، و بوصل النّعم بالشّكر جعل

الشكر سببا لمزيدها كما قال: لئن شكرتم لأزيدنّكم، و هذا هو الأظهر، و لذا اختار الشّكر على الحمد لمحاً للآية الشريفة.

(نحمده على آلائه كما نحمده على بلائه) وهذا من باب التشبيه المقلوب والغرض منه عايد إلى المشبّه به وهو ايهام أنّه أتمّ من المشبّه وان كان الحمد على الآلاء أكثر و أشهر، ومثله قوله:

وبدا الصّباح كأنّ غرّته وجه الخليفة حين يمتدح

فانه قصد ايهام أنّ وجه الخليفة أتمّ في الوضوح والضّياء من الصّباح وان كان الأمر بحسب الواقع بالعكس هذا، و فيه ارشاد للعباد على القيام بوظايف الحمد عند السّراء والضرّاء، والملازمة بمراسم التّحيّة والثناء في حالتي الشدّة والرّخاء لأنّ الرضاء بالقضاء والصّبر على البلا يوجبان الثواب الجميل والأجر الجزيل في العقبى فبذلك الاعتبار البلاء منه سبحانه أيضاً نعمة توجب الحمد لله تعالى قال:

« وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَراتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ » الآيات.

وفي رواية الكافي عن داود بن فرقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال إنّ فيما أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران يا موسى بن عمران ما خلقت خلقا أحبّ إليّ من عبدي المؤمن، و اني انما أبتليه لما هو خير له، وأزوي عنه لما هو خير له، وأنا أعلم بما يصلح عليه عبدي، فليصبر على بلائي و ليشكر نعمائي وليرض بقضائي اكتبه في الصّديقين عندي إذا عمل برضائي وأطاع أمري

(ونستعينه على هذه النفوس) المايلة بمقتضى جبلّتها إلى المفاسد والمقابح والراغبة عن المنافع والمصالح (البطاء عمّا امرت به) من العبادات والطّاعات (السّراع إلى مانهيت عنه) من المعاصي والسّيئات (ونستغفره ممّا أحاط به علمه وأحصاه كتابه) من صغاير الذّنوب و كبايرها وبواطن السّيئات وظواهرها وسوالف الزّلاّت وحوادثها (علم غير قاصر) عن شيء ولايعزب عنه ممّا في الأرض والسّماء من شيء (و كتاب

غير مغادر) شيء أي لا يغادر ولا يبقى صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصيها .

(ونؤمن به) أي نصدّقه بقول مقول و عمل معمول وعرفان بالعقول واتّباع الرّسول (ايمان من عاين الغيوب) وشاهد بعين اليقين الغيب المحجوب عن غمرة الموت و سكرته وضيق القبر و ظلمته و طول البرزخ ووحشته و عقبات السّاعة ودواهيها وأهوال القيامة وشدائدها (ووقف) أي اطّلع (على الموعود) من الرّفد المرفود و الطلح المنضود والسّدر المخضود والظل الممدود و غيرها ممّا وعد به المتّقون ، أو النّار ذات الوقود والقيح والصّديد والعذاب الشّديد ونزل الحميم وتصلية الجحيم ونحوها ممّا وعد به المجرمون .

وانّما خصّ ايمان المعاين الواقف بالبيان لكونه أقوى درجات الايمان ، فانّ من الايمان ما يكون بحسب التقليد ، ومنه ما يكون بحسب البرهان و هو علم اليقين ، وأقوى منه الايمان بحسب الكشف والمشاهدة ، و هو عين اليقين و ذلك هو الايمان الخالص .

وفي الكافي باسناده عن إسحاق بن عمّار قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى بالنّاس الصّبح فنظر إلى شابّ في المسجد و هو يخفق ويهوى برأسه مصفراً لونه وقد نحف جسمه وغارت عيناه في رأسه فقال له رسول الله صلّى الله عليه وآله : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت يا رسول الله موقناً ، فعجب رسول الله صلّى الله عليه وآله من قوله و قال : إنّ لكلّ يقين حقيقة فما حقيقة يقينك ؟ فقال : إنّ يقيني يا رسول الله هو الّذي أحزنني وأسهر ليلي و أظمأ هواجرى فعزفت نفسي عن الدّنيا و مافيها حتّى كأنّي أنظر إلى عرش ربّي و قد نصب للحساب و حشر الخلايق لذلك و أنا فيهم ، و كأنّي انظر إلى أهل الجنّة يتنعّمون في الجنّة ويتعارفون على الأرائك متّكؤون ، و كأنّي أنظر إلى أهل النّار وهم فيها معذّبون مصطرخون ، وكأنّي الآن أسمع زفير النّار يدور في مسامعي ، فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله لأصحابه : هذا عبد نوّر الله قلبه بالايمان ، ثمّ قال له : ألزم ماأنت عليه ، فقال الشاب: ادع الله لي يا رسول الله أن أرزق الشّهادة معك ، فدعى له رسول الله صلّى الله عليه وآله

فلم يلبث أن خرج في بعض غزوات النّبي صلّى الله عليه وآله فاستشهد بعد تسعة نفر و كان هو العاشر .

وحيث كان ايمانه عليه السلام من أقوى درجات الايمان وأعلى مراتبه ، موصوفاً بالخلوص واليقين كما قال : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا اتبعه بقوله : (ايمانا نفى اخلاصه الشّرك و يقينه الشّك) أما نفى اخلاصه للشّرك فواضح ، و أما نفى يقينه للشّك فلأنّ اليقين عبارة عن الاعتقاد بأنّ الأمر كذا مع اعتقاد أنه لايمكن أن لايكون إلاّ كذا ، فهو مناف للشكّ لامحالة .

(ونشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله عبده ورسوله) و قد مضى تفصيل ما يتعلّق بالشّهادتين في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثانية ولا حاجة إلى الاعادة .

(شهادتين تصعدان القول) أى الكلم الطّيب (و ترفعان العمل) أى العمل الصّالح و إنما تكونان كذلك إذا كانتا صادرتين عن صميم القلب و وجه اليقين و خلوص الجنان فتكونان حينئذ فاتحة الاحسان و عزيمة الايمان تصعدان الكلمات الطيّبات، وترفعان الأعمال الصّالحات ، وتزيدان في الدّرجات، وتكفّران الخطيآت و أمّا الصّادرة عن مجرّد اللّسان فلا فايدة فيها إلاّ تطهير ظاهر الانسان ، و خيرها زهيد ونفعها فقيد هذا .

و في قوله (لايخفّ ميزان توضعان فيه ولا يثقل ميزان ترفعان عنه) دلالة على أنّ لهما مدخلية في ثقل الميزان وخفّته بوضعهما فيه ورفعهما عنه .

و يشهد به صريحاً في الجملة ما قدّمنا روايتها في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثانية ، من ثواب الأعمال عن أبي سعيد الخدرى عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال : قال الله جلّ جلاله لموسى بن عمران : يا موسى لو أنّ السّماوات، وعامريهنّ عندي والأرضين السبع في كفّة ولاإله إلاّ الله في كفة مالت بهنّ لاإله إلاّ الله .

ثمّ وصّى عليه السلام العباد بمالا يزال يوصي به فقال : (اُوصيكم عباد الله بتقوى الله

التي هي) الذّخيرة و (الزادوبها) المرجع و (المعاد زاد) يتقوّى به إلى طي منازل الآخرة وسلوك سبيل الجنان (مبلّغ) إلى غاية الرّضوان (ومعاد منجح) يصادف عنده الفوز و النجاح و ينال به منتهى الارباح (دعا اليها) أى إلى التقوى (أسمع داع ووعاها) أى حفظها (خيرواع) يحتمل أن يكون المراد بأسمع داع هوالله سبحانه ، لأنّه أشدّ المسمعين اسماعاً ، وقد دعى إليها كثيراً وندب إليها في غير واحد من الكتب السّماويّة و غير آية من الآيات القرآنيّة و من جملتها قوله سبحانه :

«وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوىٰ».

وبخير واع هو الأنبياء والمرسلون أو الاعمّ منهم ومن ساير المسارعين إلى داعى الله الّذين هم أفضل القوابل الانسانيّة ، و أن يكون المراد بأسمع داع رسول الله وبخيرواع نفسه عليه السلام .

ويؤيّده قوله تعالى : اذن واعية ، بما روى فى الكافي عن الصادق عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله : هي اُذنك يا علي .

(فاسمع داعيها) أى لم يبق أحد من المكلّفين إلاّ أسمعه تلك الدّعوة (وفاز واعيها)المتدبّر فيهاالآخذبها .

ثمّ نبّه على آثار التقوى وخواصّها في الأولياء فقال (عبادالله إنّ تقوىالله حمت) أى منعت (أولياءالله) من حماه سبحانه وهو (محارمه) كما قال صلى الله عليه وآله ألا وإنّ لكلّ ملك حمى وانّ حمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى أوشك أن يقع فيه،أى قرب أن يدخله (و الزمت قلوبهم مخافته) و خشيته (حتى اسهرت لياليهم واظمأت هواجرهم) نسبةالسّهرإلى اللّيالي والظماء إلى الهواجر من باب التوسّع والمجاز على حدّ قولهم : نهاره صائم وليله قائم ، والمراد أنّ التقوى وشدّة الخوف أوجبت سهرهم في اللّيالي للقيام إلى الصّلاة و الدّوام على المناجاة و عطشهم فى الهواجر لملازمتهم بالصّيام والكفّ عن الشراب والطعام، فهم عمش العيون من

البكاء ذبل الشفاه من الدعاء حدب الظهور من القيام خمص البطون من الصيّام، صفر الوجوه من السهر، عليهم غبرة الخاشعين.

(فأخذوا الراحة) في الأخرى (بالنصب) و التعب في الدّنيا (و الرّي) من عين سلسبيل (بالظّماء) و العطش في زمان قليل (واستقربوا الأجل فبادروا العمل و كذبوا الأمل فلاحظوا الأجل) يعني أنهم عدّوا الآجال أى مدّة الأعمار قريباً، فسارعوا إلى الأعمال الصّالحة وتهيّأوا زاد الآخرة، و أنهم كذّبوا الآمال الباطلة ولم يغترّوا بالامنيّات العاطلة فلاحظوا الموت.

وبما ذكرنا ظهر أنّ الأجل في الفقرة الأولى بمعنى مدّة العمر، وفي الثانية بمعنى الموت، فلا تكرار كما ظهر أنّ الفاء في قوله: فبادروا، للسّببية مفيدة لسببيّة ماقبلها لمابعدها، وأمّا في قوله فلاحظوا فيحتمل أن تكون كذلك أى لافادة سببيّة ماقبلها لمابعدها، ويحتمل العكس فيكون مفادها مفاد لام التعليل كمافي قولك أكرم زيداً فانّه فاضل، يعني أكرمه لكونه فاضلا، فيدلّ على أنّ فضله علّة لاكرامه.

والاحتمالان مبنيّان على أنّ الدّنيا والآخرة ضرّتان متضادّتان فبقدر التّوجّه إلى إحداهما يغفل عن الأخرى و طول الأمل انّما ينشأ من حبّ الدّنيا و الميل إليها، فلحاظ الآخرة أعني الاجل و ما بعده و الالتفات إليها و التوجّه لها يستلزم الاعراض عن الدّنيا وعن الآمال الباطلة المتعلّقة بها لا محالة، و هومعني تكذيبها كما أنّ انتزاع محبّة الدّنيا عن القلب و عدم الاغترار بآمالها يستلزم ملاحظة الآخرة، فبين الأمرين ملازمة في الحقيقة يكون تكذيب الآمال سبباً لملاحظة الآخرة و باعتبار آخر يكون ملاحظة الآخرة علّة لتكذيب الآمال وأعني بالعلية والسّببيّة الارتباط والملازمة وان لم تكن تامة فافهم جيداً.

و يمكن أن يراد بالأجل في الفقرة الأولى الموت، وفي الثانية مدّة العمر عكس ماقدّمنا ويحتاج حينئذ إلى نوع تكلّف، بأن يراد بملاحظة الأجل ملاحظة

قصر مدّة العمر و قلّتها حتّى يستفهم العلية المستفادة من الفاء فتدبّر .

ثمّ انّه عليه السلام وصف الدّنيا بأوصاف منفّرة وعن الركون إليها فقال (ثمّ انّ الدّنيا دار فناء وعناء وغير وعبر) أى دار موصوفة بالفناء والمشقة والتغيّر والاعتبار (فمن الفناء انّ الدّهرموتر قوسه) شبّه الدّهر بالرامي بالقوس على سبيل الاستعارة بالكناية ، و الجامع بينهما أنّ الدّهر يرمى بمصائبه و حوادثه المستندة إلى القضاء الالهى الذي لا يتغيّر و لا يتبدّل ، كما أنّ الرامي يرمي بسهامه الغير الخاطئة ، وذكر القوس تخييل ، وذكر الايتار ترشيح (و) رشّح ثانية بقوله (لاتخطي سهامه و) ثالثة بأنه (لاتوسى جراحه) أى لا تداوى ولا تصلح .

ولماجعل الدّهر بمنزلة الرامى بيّن كيفيّة رميه بقوله (يرمى الحيّ بالموت والصحيح بالسّقم والناجي بالعطب) والهلاك وقوله (آكل لا يشبع وشارب لاينقع) يعني أنّ الدهر آكل لايشبع من أكل لحوم الناس وافنائهم ، وشارب لايروى من شرب دمائهم ، و هو من باب التّشبيه البليغ على حدّ قولنا زيد أسد ، لا الاستعارة كما توهّمه البحراني ، لأنّ مبنى الاستعارة على تناسى التشبيه مبالغة كمافي قولك رأيت أسداً يرمى ، فيلزمه أن لا يؤتي بطرفى التّشبيه معاً في الكلام ، لأنّ الاتيان بهما يبطل ذلك الغرض ، وقد تقدّم تحقيقه في ديباجة الشرح .

(ومن العناء) أى من عناء الدّنيا ومشقّتها (أنّ المرء يجمع) فيها (مالا يأكل و يبنى مالا يسكن) لا يزال مشغولا بالجمع و البناء حتى تتمّ المدّة وتقضى (ثمّ يخرج إلى الله سبحانه) فيدع ما جمع و يذر ما بنى يأكله الأعقاب والأبناء ويسكنه الأباعد والأعداء (لامالاً حمله إلى محطّه(١) (ولا بناء نقله) إلى مخطّه وفي هذا المعنى قال الشّاعر :

هبك بلّغت كلّما تشتهيه ... وملكت الزّمان تحكم فيه
هل قصارى الحياة إلاّ الممات ... يسلب المرء كلّ ما يقتنيه

(١) المحط والمخط بالحاء المهملة والخاء المعجمة معا القبر، منه

(ومن غيرها) أى تغيّر الدّنيا و انقلابها (انّك ترى المرحوم مغبوطا والمغبوط مرحوماً) يعني ترى من يرحمه الخلايق بسبب الضّر والفقر والمسكنة يصير في زمان قليل موصوفاً باليسار والرّخاء والسعة فيغبطونه بذلك، وترى من يغبطه الخلائق بالعزّ و المنعة والغنى يصير عمّا قليل مبتلا بالذلّ و الفقر والعناء، فيرحمونه لأجل ذلك .

و (ليس ذلك إلاّ نعيما زلّ وبؤساً نزل) أى ليس كون المغبوط مرحوما إلاّ بنعيم انتقل من المغبوط إلى غيره ، أو شدّة نزلت عليه و فقر و سوء حال حلّ به

(و من عبرها أنّ المرء يشرف على أمله فيقتطعه حضور أجله) أى يطلع على أمله ويعلو عليه بحيث يكاد يدركه فيحضر إذا أجله و يقتطعه عنه ويحول بينه وبينه (فلا أمل يدرك ولا مؤمّل يترك) ثمّ تعجب من بعض حالات الدّنيا وأطوارها و قال (فسبحان الله ما أغرّ سرورها وأظماء ريّها وأضحى فيئها) أراد بالرّى استتمام لذّتها و بفيئها الرّكون إلى قنياتها والاعتماد عليها ، أى أيّ شيء أوجب لكون سرورها سبباً للغرور ، و كون ريّها سبباً للعطش وظلّها سببا للحرارة ، فانّ الضحى هي وقت ارتفاع الشّمش وعنده تكون الحرارة .

ونسبة الغرور إلى السرور والظماء إلى الرّى والضحى إلى الفيء باعتبار أنّ سرورها ولذّاتها وزخارفها هي الصّوارف عن العمل للآخرة ، والشواغل عن الاقبال إلى الله سبحانه ، فكان سرورها أقوى سبب للاغترار بها ، وريّها من آكد الأسباب للعطش في الآخرة و الحرمان من شراب الأبرار ، و فيئها من أقوى الدواعي إلى إيراده في حرّ الجحيم وتصلية الحميم .

ويحتمل أن يكون المراد باظماء ريّها أنّ الارتواء منها لاينقع و لا ينفع من الغلة ، بل يزيد في العطش كمن شرب من الماء المالح و الاجاج ، فيكون كناية عن كون الاكثار منها سبباً لمزيد الحرص عليها ، و كذا يكون المراد باضحاء فيئها أنّ من طلب الراحة فيها اعتماداً على ماجمعها منها لا يجد فيها الراحة ولاينجو به من حرارة الكبد و فرط المحبة إلى جمعها و تحصيلها و إكثارها ، بل هودائما في

التّعب والعطب للتحصيل والطلب إلى أن يموت فيكفن ويخرج فيدفن (لاجاء يردّ) به أراد به الموت (ولا ماض يرتد) أراد به الميّت .

ثمّ تعجب ثانية وقال (فسبحان الله ما أقرب الحيّ من الميّت للحاقه به وأبعد الميّت من الحيّ لانقطاعه عنه) وهو من أفصح الكلام وأحسنه في تأدية المرام يعرف ذلك من له دراية في صناعة البيان وإحاطة بلطايف فنّ المعان .

ثمّ نبّه على شدّة عقاب الآخرة وعظم ثوابها بقوله (إنّه ليس شيء بشرّ من الشرّ إلاّ عقابه وليس شيء بخير من الخير إلاّ ثوابه) قال الشارح البحراني : يحتمل أن يريد الشرّ و الخير المطلقين و يكون ذلك للمبالغة إذ يقال للأمر الشريف : هذا أشدّ من الشديد و أجود من الجيد ، ويحتمل أن يريد شرّ الدّنيا و خيرها ، فانّ أعظم شرّ في الدّنيا مستحقر في عقاب الله ، و أعظم خير فيها مستحقر بالنسبة إلى ثواب الله ، انتهى .

والاحتمال الأوّل أظهر ، وعليه فالمراد انه ليس شيء يكون أشرّ الأشياء ، إلاّ عقاب ذلك الشّيء ، ولا شيء يكون أعظم الأشياء خيراً إلاّ ثواب ذلك الشيء .

إلاّ أنّ الاحتمال الثاني يؤيّده قوله (و كلّ شيء من الدّنيا) خيراً كان أو شرّاً (سماعه أعظم من عيانه) أما خيرها فلأنّ الانسان لايزال يحرص على تحصيل الدّرهم والدّينار و ساير القنيات الدّنيويّة ، ويكون قلبه مشغولا بتحصيلها مسروراً بانتظار وصولها ، فاذا وصل إليها هانت عليه وارتفع وقعها لديه كما يشهد به التجربة والوجدان ، وأمّا شرّها فلأنّ أعظم شرّ يتصوّرها الانسان بالسّماع ويستهوله ويستنكره ممّن يفعله هو صورة القتل والجرح ، فاذا وقع في مثل تلك الأحوال واضطرّ إلى المخاصمة والقتال سهل عليه ماكان يستصعبه منها ، وهو معنى قوله في بعض كلماته الآتية : إذا هبت أمراً فقع فيه .

(و كلّ شيء من الآخرة) ثواباً كان أو عقاباً (عيانه أعظم من سماعه) فانّ جلّ الخلق بل كلّهم إلاّ الصّدّيقين إذا سمعوا أحوال الآخرة خيرها وشرّها إنما يتصوّرونها كأحوال الدّنيا ويزعمونها مثلها ويقيسونها إليها ، بل بعضهم يتوهّمونها

أهون منها مع أنّه لانسبة لها إليها و لذلك قال عزّ من قائل في طرف الثواب : أعددت لعبادي الصّالحين مالا عين رأت ولا اذن سمعت و لا خطر على قلب بشر ، و في طرف العقاب .

« كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ » .

حيث جعل الرّؤية بالعين أعلى المراتب لأنّه يحصل بها مالا يحصل بغيرها ، وأمّا الصّدّيقون فلا تفاوت لهم بين السّماع والعيان ، فقدقال سيّدهم و رئيسهم : لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً .

وحيث كانت أهوال الآخرة و شدايدها أعظم من أن تعبّر باللّسان و تدرك بالآذان و يطّلع عليها على ماهى عليها قبل خروج الأرواح من الأبدان (فليكفكم من العيان السّماع ومن الغيب الخبر) أى ليكفكم من معاينة تلك الأهوال سماعها وممّا غاب عنكم منها انبائها ، ومما حجب منها أخبار المخبرين الصّادقين باخبارها لتأخذوا لها عدّتها وتهيّئوا لها جنّتها .

(واعلموا أنّ ما نقص من الدّنيا و زاد في الآخرة خير ممّا نقص من الآخرة وزاد في الدّنيا) لأنّ ما يزاد للآخرة فهو باق دائم وما يزاد للدّنيا فهو فان زائل وأيضاً في زيادة الدّنيا طول الحساب والعقاب ، وفي زيادة العقبى مزيد الفوز والثواب (فكم من منقوص رابح) كماقال سبحانه:

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » و قال :« مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ

أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مأة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم »

(و) كم من (مزيد خاسر) لقوله سبحانه : « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » وقوله تعالى : « ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة » الآية.

ثم قال (إن الذى امرتم به أوسع مما نهيتم عنه وما احل لكم أكثر مما حرم عليكم) الأظهر أن الجملة الثانية توكيد للأولى فيكون المراد بالمأمور بـه في الأولى مطلق ما رخص في ارتكابـه فيعم الواجب و المندوب و المكروه و المباح بالمتساوى الطرفين و بالنهى عنه فيها ما نهى عنه نهى تحريم ، و أوسعية الثاني بالنسبة إلى الأول على ذلك واضحة لأن المنهي عنه قسم واحد والمأمور به أقسام أربعة

لا يقال : الأمر حقيقة في الوجوب على ما حقق في الأصول فكيف يعم الأقسام؟ لأنا نقول : سلمنا إلا أنـه إذا قامت قرينة على المجاز لا يكون بأس بحمل اللفظ عليه و القرينة في المقام موجودة و هى الأوسعية و العلاقة هي اشتراك ساير الأقسام مع الواجب في أن كلاً منها مأذون فيها مرخص فى فعلها وتناولها ، ويدل على كثرة الحلال بالنسبة إلى الحرام صريحاً قوله سبحانه :

« خلق لكم ما في الأرض جميعاً ».

فانّ كلمة مامفيدة للعموم ولفظ الجميع تأكيد لها ، واللاّم للانتفاع فيدلّ على جواز الانتفاع بجميع ما في الأرض .

فان قلت : إنّ الآية لاتفيد العموم لأنّ شرط حمل المطلقات على العموم أن لايكون المقام مقام الاجمال بل يكون مقام البيان ، وههنا ليس كذلك إذ المقصود بيان أنّ في خلق الأشياء منفعة لكم للايمان « للايماء ظ» أنّ جميع الأشياء مما ينتفع بها .

قلت : فيه بعد ما عرفت أنّ الموصول مفيد للعموم لاسيّما مع التوكيد بلفظ الجميع إنّ الآية واردة في مقام الامتنان المقتضى للتعميم كما لا يخفى ، فيدلّ على إباحة الانتفاع و حلّه بجميع ما في الأرض فيكون الأصل الأولى في الجميع هو الحلّ و الاباحة إلى أن يقوم دليل على الحظر و الحرمة، فيحتاج إلى تخصيص ما ثبتت حرمته من عموم الآية ، ويدلّ عليه أيضاً قوله سبحانه :

« قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ».

فانّ تخصيص المحرّمات بمابعد إلاّ دليل على أنّ غير المستثنى ليس حراماً ، و عدم وجدان النّبيّ ﷺ دليل على عدم وجود الحرمة واقعاً ، و يدلّ عليه أيضاً قوله سبحانه : أُحلّ لكم الطيّبات ، فانّ الطيّب هو ضدّ الخبيث الذي يتنفّر عنه الطّبع فيكون ، المراد بالطّيبات ماتستلذّها الطباع فيدلّ على حلّية جميع المستلذّات ويخصّص بما دلّ على حرمة بعضها بالخصوص ، وهذه الآيات تدلّ على إباحة جميع مالم يقم دليل على حرمته ، ولذا استدلّ بها الأُصوليّون في مسألة الحظر والاباحة على أنّ الأصل الأولى في الأشياء هوالاباحة .

ومثلها في الدّلالة عليها قوله ﷺ : كلّ شيء مطلق حتّى يردفيه نهى ، إلاّ أنّ ذلك يدلّ على الاباحة الظاهريّة فيما شكّ في إباحته و حرمته ، و هذه على

الاباحة الواقعية ، فمعناه أنّ كلّ شيء مرخّص فيه من قبل الشارع حتّى يرد فيه نهى ، فالناس في سعة مما لم يعلم بورود نهى فيه .

ثمّ انّ اصالة الاباحة كما تجرى فى الأعيان مثل التفاح ونحوه بقوله : خلق لكم ما في الأرض جميعاً ، فيباح الأفعال المتعلّقة بها كذلك تجرى في الأفعال كالغنامثلا ان فرض عدم قيام دليل على حرمته لقوله : أُحلّ لكم الطيبات ، فالأصل المذكور يجرى في القسمين المذكورين من دون تأمّل .

وربّما يقال : باختصاص اصالة الاباحة بالأعيان وأنّ الأصل الدّال على حلّية الأفعال يسمّى باصالة الحلّ فهما أصلان ناظران إلى موردين و نحن نقول إنّ ذلك لابأس به إذلامشاحة فيالاصطلاح لكن لايختصّ أحدهما بالحجّية دون الآخرضرورة أنّالأدلة وافية بحجّيتهما معاً وان كانامختلفي المورد .

و على ذلك فيمكن أن لا يجعل العطف في كلامه عليه السلام تفسيرياً بأن يكون المراد بما امرتم به و مانهيتم عنه الأعيان المباحة والمنهيّة ، وبما حلّ وما حرّم الأفعال المحلّلة والمحرّمة .

و كيف كان فلمّا أفصح عن كون المباح أوسع من المنهيّ والحلال أكثرمن الحرام أمر بترك المحرّمات والمنهيّات فقال (فذروا) أى اتركوا (ما قلّ لما كثر وماضاق لما اتّسع)يعني أنّهبعد ما كان الحرام قليلا والحلال كثيراً فلا حرج عليكم في ترك الأوّل وأخذ الثاني ، ولا عسر في ذلك و كذلك المباح والمحظور نعم لو كان الأمر بالعكس لكان التكليف أصعب ، و لكنّه سبحانه منّ على عباده بمابين السّماء والأرض ، وجعل الملّة سمحة سهلة ، وما جعل في الدّين من حرج علمامنه بضعف النفوس عن القيام بمراسم عبوديّته بمقتضى الجبلّة البشريّة ، فسبحان الله ما أعظم مننه وأسبغ نعمه وأوسع كرمه .

ثمّ نهى عن تقديم طلب الرّزق على الاشتغال بالعبادة و ترجيحه عليه فقال (قدتُكفّل لكم بالرّزق وأُمرتم بالعمل) أماالأمر بالعمل فواضح، وأمّاالتكفّل بالرّزق فقد تقدّم الكلام فيه وفي معنى الرّزق بمالامزيدعليه في شرح الفصل الأوّل من فصول

الخطبة التسعين (فلا يكون المضمون لكم طلبه أولى بكم من المفروض عليكم عمله) وهذا يدلّ صريحاً على المنع من ترجيح الطّلب على العمل حسب ما اشرنا إليه ، ولا دلالة فيه على ترك الطّلب بالكليّة ، بل المستفاد من الرّوايات الكثيرة كراهة ذلك مثل الأول .

منها ما رواه في الكافي باسناده عن عمر بن يزيد قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام رجل قال لأقعدنّ في بيتي ولأصلّين ولأصومن ولأعبدن ربّي فأما رزقي فسيأتيني فقال أبو عبدالله عليه السلام : هذا أحد الثلاثة الّذين لا يستجاب لهم .

وفيه عن معلّى بن خنيس قال سأل أبو عبدالله عليه السلام عن رجل وأنا عنده فقيل أصابته الحاجة ، فقال : ما يصنع اليوم ؟ قيل في البيت يعبد ربّه ، قال : فمن أين قوته ؟ قال : من عند بعض اخوانه ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : والله للّذي يقوته أشدّ عبادة منه .

ثمّ وبّخهم بقوله (مع أنه والله لقد اعترض الشّك ودخل اليقين) أى اعترض الشّك في المضمون و المفروض وتزلزل اليقين بضمان المضمون وبفرض المفروض (حتّى كأنّ الّذي ضمن لكم قد فرض عليكم) فبالغتم في تحصيله وطلبه والجدّ له (وكأنّ الّذى فرض عليكم قد وضع عنكم) فتوانيتم فيه ولم تبالوا به (فبادروا العمل) المأمور به قبل حلول الموت (و خافوا بغتة الأجل) وفجأة الفوت (فانه لا يرجى من رجعة العمر) وعوده (ما يرجى من رجعة الرّزق) هذا في مقام التعليل للمبادرة إلى العمل وترجيحه على طلب الرزق بيانه :

أنّ العمر ظرف للعمل ومافات ومضى منه فلا يعود و لا يرجى عوده ويفوت العمل كساير الزّمانيّات المتعلّقة به بفواته لا محالة و لا يمكن استدراكه بعينه فاذاً وجب المبادرة إليه والاتيان به وإليه أشير في قوله عليه السلام :

ما فات مضى و ما سيأتيك فأين قم فاغتنم الفرصة بين العدمين

و قال آخر :

إنّما هذه الحياة متاع والسّفيه الغوىّ من يصطفيها

ما مضى فات و المؤمّل غيب ذلك السّاعة الّتي أنت فيها

و أمّا الرزق فهو مقسوم وما نقص منه في الماضى أمكن جبرانه في الغابر، وإليه أشار بقوله (مافات اليوم من الرزق رجى غدا زيادته و مافات أمس من العمر لم يرج اليوم رجعته) لأنّ العمر عبارة عن زمان الحياة ومدّته والزّمان كمّ متّصل غير قارّ الذات، والجزء الثّاني منه عادم للجزء الأوّل، والجزء الثّالث عادم للجزء الثاني وهكذا فلا يمكن رجوع الجزء الأوّل بعد مضيّه أبداً، وهذا بخلاف الرّزق كالمآكل والمشارب والأموال، فانّ الانسان إذا فاته شيء منها قدر على ارتجاعه بعينه إن كان عينه باقية، ومالايبقى عينه يقدر على اكتساب مثله، نعم يشكل ذلك لوعممنا الرزق بالنّسبة إلى التّنفس في الهواء، فانه كالعمل أيضاً من الزّمانيات لا يمكن استدراكه، اللّهم إلاّ أن يقال إنّه فرد نادر، ونظر الامام عليه السلام في كلامه إلى الأفراد الشايعة والأعمّ الأغلب، فانّ ساير أفراد الرّزق عموماً قابل للاستدراك.

وقوله عليه السلام (الرّجاء مع الجائي واليأس مع الماضي) مؤكّد لماسبق وأراد بالجائي الرّزق و بالماضى العمر.

ولما أمرهم بالمبادرة إلى العمل مخافة بغتة الأجل أكّد ذلك بالأمر بملازمة التقوى فقال (فاتّقوا الله حقّ تقاته) أى حقّ تقواه و مايجب منها و هو استفراغ الوسع في القيام بالواجبات والاجتناب عن المحرّمات (ولاتموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون) وهو اقتباس من الآية في سورة آل عمران قال تعالى:

«يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ» الآية.

قال في مجمع البيان معناه و اتّقوا عذاب الله أى احترسوا و امتنعوا بالطاعة من عذاب الله كما يحقّ، فكما يجب أن يتّقى ينبغي أن يحترس منه، وذكر في قوله حقّ تقاته وجوه **أحدها** أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى، وهو المرويّ عن أبي عبدالله عليه السلام و **ثانيها** أنه اتّقاء جميع معاصيه و **ثالثها** أنّه المجاهدة في الله وأن لا تأخذه فيه لومة لائم وأن يقام له بالقسط في الخوف والأمن وقوله:

« وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنـتُمْ مُسْلِمُونَ » .

معناه لاتتركوا الاسلام وكونوا عليه حتّى إذا ورد عليكم الموت صادفكم عليه ، و انما قال بلفظة النّهى عن الموت من حيث إنّ الموت لابدّ منه وإنما النّهى في الحقيقة عن ترك الاسلام لأن لا يهلكوا بالانقطاع عن التّمكّن منه بالموت إلاّ أنـه وضع كلام موضع كلام على جهة التّصرّف والابدال بحسن الاستعارة وزوال اللّبس و روى عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام : وأنتم مسلّمون ، بالتشديد ومعناه مستسلمون لما أتى به‌النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم منقادون له، والله‌الموفّق .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آنحضرت است در تنبيه برتقوى وپرهيزكارى وتزهيد ازاين جهان فانى باين قرار كه ميفرمايد :

حمد بيقياس معبود بحقّيرا سزاست كه وصل كننده است حمد را بنعمتها، و پيوند كننده است نعمتها را بشكر ، حمد ميكنيم برنعماء او همچنانكه سپاس ميكنيم بربلاء او ، و طلب اعانت ميكنيم از او بر اين نفسهائى كه دير حركت كننده‌اند از آنچه مأمور شده‌اند بأوشتابنده‌اند بسوى آنچه نهى گشته‌اند از آن ، و استغفار ميكنيم از او ازآنچه كه احاطه كرده بأو علم آن ، وشمرده است اورا كتاب آن علميكه كوتاه نيست از چيزى ، وكتابى كه ترك كننده نيست چيزيرا وايمان‌مى‌آوريم‌اورا مثال‌ايمان كسيكه ديده باشد غيبها را بعين‌اليقين، وواقف‌بشود بچيزيكه وعده داده شده است از أحوال يوم الدّين ، ايمـانيكه نفى كند اخلاص آن شرك را از دلها ، وزايل نمايد يقين اوشكّ را از قلبها ، وشهادت ميدهيم باينكه نيست هيچ معبود بحقّى‌بجزخدا درحالتيكه يكتا است شريك نيست اورا ، وباينكه محمّد بن عبدالله صلى‌الله‌عليه‌وآله بندهٔ پسنديده و پيغمبر بر گزيده اواست، شهادتينى كه بلنـد ميگردانند گفتار پاكيزه را ورفع ميكنند عمل صالح را درحالتيكه سبك نميشود ميزانى كه نهاده شوند آن دو شهادت در او وسنگين نميشود ميزاني كه برداشته شوند آن دوشهادت ازآن .

وصيّت میکنم شما را ای بندگان خدا بتقوی و پرهیز کاری از خدا چنان پرهیز کاری که آن است توشه راه آخرت وبا او است رجوع بحضرت ربّ العزّة ، چنان توشهٔ که رسانندہ است بمقصود ، و رجوعیکه ادراك کننده است مطلوب را دعوت نمود بسوی آن تقوی شنوانندہ‌ترین دعوت کنندگان ، وحفظ نمود ونگاه داشت آنرا بهترین نگاه دارندگان ، پس شنوانید دعوت کننده آن ، و فایز شد نگاه دارنده آن .

ای بندگان خدا بدرستیکه تقوی وپرهیز کاری ازخدای تعالی حفظ نمود دوستان خدا را از محرّمات آن ، ولازم گردانید قلبهای ایشان را ترس اورا تا اینکه بیدار گردانید آن ترس شبهای ایشانرا بجهة عبادت ، وتشنه ساخت روزهای گرم ایشانرا بجهة روزها و کثرت طاعت ، پس فرا گرفتند استراحت آخرت را بعوض چند روزها زحمت ، و سیرابی را بعوض تشنگی ، و نزدیك شمردند مدّت عمررا ، پس مبادرت نمودند بسوی أعمال صالحه ، و تکذیب نمودند آرزوهای باطله را ، پس ملاحظه کردند مرگرا .

پس بدرستیکه دنیا دار فنا و مشقّت وتغیّر و عبرت است ، پس ازجمله فناء دنیا این است که روزگار بزه کرده کمان خودرا ، خطا نمیکند تیرهای او ، ودوا کرده نمیشود زخمهای او ، می‌اندازد زنده را بمرگ ، و تندرست را به بیماری ، ورستگار را بهلاکت و گرفتاری ، خورنده‌ایست که سیر نمیشود ، و آشامنده‌ایست که سیراب نمیباشد ، و از جمله مشقّتهای دنیا این است که بدرستیکه مرد جمع میکند چیزیرا که نمی‌خورد ، و بنا میکند چیزی را که ساکن نمیشود ، پس بیرون میرود بسوی خدا درحالتیکه نه مالی باشد که برداشته باشد ، و نه بنائی باشد که نقل نماید .

وازجمله تغیّرات دنیا این است که تومیبینی فقیر عاجزیکه خلایق بحال اورحم مینمایند غبطه برده شده بجهة ثروت ومال ، وکسیکه بحال اوغبطه مینمایند رحم شده بجهة فقر وفاقه یعنی دراندك زمانی پریشاني فقیر برفاه حال مبدّل میشود ورفاه حال غني بفقر

تبدیل می‌یابد ، نیست این‌حال یعني تبدّل حال غني به‌پریشاني مگر نعمتیکه منتقل شده باشد ، وشدّتی که فرود آمده باشد .

وازجملهٔ عبرتهای‌دنیا اینست که مرد مشرف ونزدیك میشود بادراك آرزوی خود پس جدا میکند اورا حاضرشدن مرگ او ، پس سبحان الله چه چیزسبب غرور گردانیده شادی دنیا را ، و تشنه ساخته سیرابی دنیا را ، وگرم گردانیده سایه دنیارا ، نه آینده‌بازگردانیده میشود نه برگذشته رجوع مینماید .

پس سبحان الله چه چیز غریب وعجیب باعث شده برنزدیکی زنده از مرده بجهة سرعت‌لحوق او بآن ، و چه چیز باعث شده بدوری مرده از زنده بجهة بریده شدن او ازآن ، بدرستیکه نیست بدتر ازبد مگر عقاب آن ، ونیست بهتر از خوب مگرثواب آن ، وهرچیز ازدنیا شنیدن آن بزرگتر است از دیدن آن ، وهرچیزی از آخرت دیدن او بزرگتر است از شنیدن آن ، پس بایدکه کفایت نماید شما را از دیدن امور اخروی شنیدن آن ، و از غیبها خبر او ، وبدانید آنچیزیکه ناقص شود ازدنیا وزیاده‌شود برآخرت بهتراست از چیزیکه ناقص شود ازآخرت وزاید شود بردنیا ، پس بسا کم شده‌ایست که باعث ربح ومنفعت است ، وبسا زیاده‌ایست که باعث ضرر وخسارت .

بدرستیکه آنچیزی که خداوند شما را أمر فرموده بآن فراختر است از چیزیکه نهی فرموده‌خدا شمارا ازآن ، وچیزیکه حلال‌شده‌ازبرای شما أکثر است از چیزیکه حرام شده برشما ، پس‌ترك نمائید چیزیکه اندکست ازبرای چیزیکه بسیار است ، و چیزیکه تنگ است از برای چیزی که وسعت دارد ، بتحقیق که کفالت شده‌است ازبرای شما بروزی ، ومأمورشده‌اید بعمل ، پس بایدنباشد چیزی که ضمانت شده‌است ازبرای شماطلب‌کردن آن اولی بشما ازچیزیکه فرض وواجب شده است برشما عمل آن .

با وجود این بحق خدا پیش آمده است شمارا شك در ضمان روزی ومدخول

ومتزلزل شده است يقين در فرض ربّ العالمين حتى اينكه گويا آنچه كه ضمانت شده براى شما واجب كرده شده است بر شما و چيزيكه فرض كرده بر شما انداخته شده است از گردن شما ، پس بشتابيد بسوى عمل ، و بترسيد از ناگهان رسيدن أجل ، پس بدرستيكه اميد گرفته نميشود از باز گشتن عمر آنچه كه اميد گرفته ميشود از باز گشتن روزى ، آنچه كه فوت شده است امروز از روزى اميد گرفته ميشود فردا افزونى آن ، و آنچه كه فوت شده است ديروز از عمر اميد گرفته نميشود امروز باز گشتن آن ، اميد با آينده است كه روزى فردا است ، و نوميدى با گذشته است كه عمر ديروزى است بس ، و بترسيد از خدا حق تقوى و ترسكارى ، و مميريد مگر در حالتيكه شما هستيد مسلمان و تسليم داريد حكم ملك منّان .

و من خطبة له عليه السلام فى الاستسقا. و هى المأة والرابعة عشر من المختار فى باب الخطب

و هى ملتقطة من خطبة طويلة اوردها الصدوق فى الفقيه باختلاف كثير ناتى بها بعد الفراغ من شرح ما رواه السيد (ره) فى الكتاب لكثرة فوائدها ومزيد عوايدها

أَللّٰهُمَّ قَدْ انْصاحَتْ جِبالُنا ، وَأَغْبَرَتْ أَرْضُنا ، وَهامَتْ دَوابُّنا ، « وَ تَحَيَّرَتْ فِي مَرابِضِها خ » ، وَ عَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكالىٰ عَلىٰ أَوْلادِها ، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَراتِعِها ، وَ الْحَنِينَ إِلىٰ مَوارِدِها ، أَللّٰهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ ، وَحَنِينَ الْحانَّةِ ، أَللّٰهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَها فِي مَذاهِبِها ، وَ أَنِينَها فِي مَوالِجِها ، أَللّٰهُمَّ خَرَجْنا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنا حَدابِيرُ السِّنِينَ ، وَأَخْلَفَتْنا مَخائِلُ الْجُودِ ، فَكُنْتَ الرَّجاءَ لِلْمُبْتَئِسِ وَ الْبَلاغَ لِلْمُلْتَمِسِ ،

نَدْعُوكَ حِينَ قَنِطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ، أَلاَّ تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلاَ تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا، وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ، سَحّاً وَابِلاً تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ، أَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً تَامَّةً عَامَّةً طَيِّبَةً مُبَارَكَةً هَنِيئَةً مَرِيئَةً مَرِيعَةً زَاكِياً نَبْتُهَا، ثَامِراً فَرْعُهَا، نَاضِراً وَرَقُهَا، تَنْعَشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيِّتَ مِنْ بِلاَدِكَ.

أَللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَتُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا وَتَسْتَعِينُ بِهَا ضَوَاحِينَا، مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ، وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً مِدْرَاراً هَاطِلَةً، يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ، غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا، وَلاَ جَهَامٍ عَارِضُهَا، وَلاَ قَزَعٍ رَبَابُهَا، وَلاَ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَا بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ، وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ.

قال السيد رضى (ره) قولـه (انصاحت) جبالنـا أى تشققت من المحول يقال انصاح الثوب إذا انشقّ ويقال أيضاً انصاح النبت وصاح وصوّح إذا جفّ و يبس كلّه بمعنى، وقوله (هامت دوابنا) أى عطشت والهيام العطش وقوله (حدابير السنين)

جمع حدبار و هي الناقة التي انضاها السّير فشبّه بها السّنة التي فشا فيها الجدب قال ذو الرّمة :

حدابير ما تنفكّ إلاّ مناخة ... على الخسف أو ترمى بها بلداً قفراً

وقوله (ولاقزع ربابها) القزع الصغار المتفرّقة من السّحاب ، و قوله (و لاشفان ذهابها) فانّ تقديره و لا ذات شفّان ذهابها والشفان الريح الباردة ، والذهاب الأمطار اللّينة فحذف ذات لعلم السامع به

اللغة

(الاستسقاء) استفعال بمعنى طلب السّقى مثل الاستمطار لطلب المطر واستسقيت فلاناً إذا طلبت منه أن يسقيك و قد صار حقيقة شرعية أو متشرّعة في طلب الغيث بالدّعاء (و هامت دوابنا) يجوز أن يكون من الهائم بمعنى المتحيّر و (ثكلت) المرأة ولدها ثكلا من باب تعب فقدته والاسم الثكل وزان قفل فهى ثاكل وقد يقال ثاكلة وثكلى والجمع ثواكل وثكالى وفي بعض النسخ الثكلى بدل الثكالي و (أنّ) الرجل انّاً و أنيناً تأوّه و (الحنين) الشّوق و شدّة البكاء و (الآنّة الحانّة) الشّاة والنّاقة يقال ماله آنّة ولاحانّة .

و (عكر) على الشيء يعكر عكراً وعكوراً واعتكر كرّوا نصرف ، والعكار الكرار العطاف ، و اعتكر الظلام اختلط و (الجود) بفتح الجيم المطر الغزير ، وفي بعض النسخ الجود بضم الجيم و (قنط) يقنط من بابى ضرب و تعب و في لغة من باب قعد فهو قانط وقنوط (وانبعق) السّحاب انبعج وانفرج بالمطر و (المغدق) من اغدق الشجر إذا ظهرت ثمرته و (السّح) بالضمّ الصّب و السّيلان من فوق و (السّقيا) و زان فعلى بالضمّ مؤنثة اسم من سقاه الله الغيث أنزله له و (مروية) من باب الإفعال أو التفعيل ومنه يوم التروية لثامن ذى الحجّة لأنّ الماء كان قليلا بمنى فكانوا يرتوون من الماء لمابعد .

و (تعشب) بفتح المضارعة مضارع عشب وزان تعب أو بضمّها من باب الافعال يقال عشب الارض واعشبت أي نبتت فهي عشيبة وعاشبة ومعشبة أى كثيرة العشب

ويقال اعشبت الأرض أيضاً أى انبتت العشب فتكون الهمزة للتعدية والعشب بالضمّ الكلاء الرطب في أوّل الربيع ، وفي بعض النسخ تعشب بالبناء على المفعول .

و (النجاد) بكسر الأوّل جمع نجد وهو ما ارتفع من الأرض و يجمع أيضاً على نجود كفلس وفلوس و (الوهاد) بكسر الأول أيضاً جمع الوهد وهي المنخفضة من الارض و (خصب) الأرض من باب ضرب و علم و اخصبت أى اتّصفت بالخصيب و هو بكسر الخا كثرة العشب و رفاغة العيش و (الجناب) بفتح الجيم الفناء بالكسر وهو سعة امام البيت أوما امتدّ من جوانبه ، ويطلق الجناب على الجانب من كلّ شيء أيضاً و (أرمل) فلان أى افتقر وفقد زاده .

و (اخضله) المطر أى بلّه والسّماء المخضلة أى تخضل النبت و تبلّه ، وفي أكثر النسخ مخضلّة و زان مبيضّة من اخضلّ النبت اخضلالاً أى ابتلّ و (حفزه) كضربه دفعه بشدّة (البرق الخلّب) المطمع المخلف و السحاب (الجهام) الذي لاماء فيه و (العارض) السحاب الذي يعترض في افق السّماء و (القزع) محركة قطع من السّحاب متفرّقة جمع قزعة ، و (الرّباب) بفتح الأوّل السّحاب الأبيض و (الذّهاب) بكسر الذال جمع الذّهبة بالكسر أيضاً المطرة الضّعيفة و (مرع) الوادى بالضمّ مراعة أخصب بكثرة الكلاء فهو مريع و الجمع إمرع و أمرع مثل يمين وإيمن وأيمن .

وأرض محل ـ ومحول ـ ومحلة وممحل وممحلة أى اتّصفت بالجدب وانقطاع المطر ـ وانضاها السير أى هزلها و ـ الحدابير ـ في بيت ذى الرّمة مما لم يذكره إلاّ السيد (ره) ، و الموجود في كتب الأدبيّة حراجيج و هكذا روى الشارح المعتزلي عن ابن الخشاب ، و هى جمع حرجوج الناقة الضّامرة و ـ الخسف ـ الذلّ و البلد القفر لاماء فيه ولا نبات.

الاعراب

منع الغمام فعل لم يسمّ فاعله رعاية للأدب واستكراهاً لاضافة المنع إلى الله سبحانه وهو منبع النعم ومبدء الجود والكرم ، وفي بعض النّسخ منع الغمام بصيغة

المعلوم فلابدّ من حذف المتعلّق أى منع الغمام من المطر ، و سحّا منصوب على المصدر أى تسحّ سحّا ، وجملة تحيى به منصوبة المحلّ على الحال من فاعل نشر وسقياً منك ، منصوب على المصدر أيضاً ونجادنا بالرفع فاعل تعشب و يروى بالنّصب فيكون مفعولا له بناء على كونه من باب الأفعال متعدّيا حسبما مرّ في بيان اللغة .

وقوله على بريّتك ظرف لغو متعلّق بالجزيلة أو الواسعة على التنازع ، وسماء مخضلة تأنيث الوصف رعاية للفظ الموصوف وإن كان المعنى مذكّراً ، وجملة يدافع الودق منصوبة المحلّ صفة لسماء أوحال منها لكونها نكرة موصوفة أو من ضمير هاطلة ، والوجهان جاريان في نصب غير خلب .

و أمّا بيت ذى الرّمة فقد اعترض عليه غير واحد من علماء الأدبية بكونه مخالفاً للقواعد النحوية حيث إنّ شرط الاستثناء المفرّغ أن يكون في الكلام الغير الموجب وهذا الشرط مفقود هنا ، لأنّ تنفكّ الناقصة مثل زال نفيها اثبات واثباتها نفى فكما لايجوز أن يقال ما زال زيد إلاّ قائماً ، فكذلك لا يجوز ما تنفكّ إلاّ مناخة ، ولذلك قال الاصمعي : إنّ ذا الرّمة غلط في ذلك إذ لا يقال جاء زيد إلاّ راكبا .

واجيب بوجوه : **الاول** أنّ الرواة غلطوا فيه وأنّ الرواية الصحيحة إلاّ مناخة بالتنوين أى شخصا **الثاني** انّ تنفكّ تامّة بمعنى تنفصل فنفيها نفى أى ما تنفصل عن التّعب أو ماتخلص منه ومناخة حال من الضمير في تنفك أى لاتنفصل منه في حالة من حالات إلاّ في حالة الاناخة **الثالث** أنها ناقصة والخبر على الخسف ومناخة حال .

قال ابن هشام : وهذا فاسد لبقاء الاشكال إذ لايقال جاء زيد إلاّ راكبا يعنى أنّ الاشكال الذي هو وقوع الاستثناء المفرّغ في الايجاب لا يرتفع بهذا الجواب بل هو باق بحاله .

وقد يعترض عليه بأنّ الاستثناء المفرّغ يقع في الايجاب بشرطين كماصرّح به ابن الحاجب أحدهما أن يكون المستثنى فضلة لاعمدة ، الثاني أن تحصل به فائدة فلا يجوز ضربت إلاّ زيداً إذ من المحال أن يضرب جميع الناس إلاّ زيداً ، ويجوز قرئت إلاّ يوم كذا ، لجواز أن يقرء في جميع الأيام إلاّ في ذلك اليوم وعلى

هذا فيرتفع الاشكال و لا يبقى بحاله لأنّ مناخة إذا كان خبرا كان عمدة و أمّا إذا كان حالا كان فضلة و كان الكلام مفيداً **الرابع** أنّ إلاّ زائدة ذهب إليه ابن جنّى وحكى عن الاصمعى كما ذهب إليه ابن مالك قوله :

أرى الدّهر الاّ منجنونا بأهله ... و ما صاحب الحاجات إلاّ معذّبا

هذا، و قوله : من بركاتك ، بدل من قوله : منك ، أى سقيا من بركاتك، ومخضلة صفة لسماء والتانيث باعتبار لفظ الموصوف و إن كان باعتبار معناه أعنى المطر مذكراً ، وجملة يحفز القطر اه عطف تفسير .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة كما ذكره السّيده (ره) خطب عليه السلام بها في الاستسقاء أى في مقام طلب السّقيا وتوفير المياه، قال شيخنا الشهيد طاب ثراه ، والاستسقاء أنواع أدناه الدّعاء بلا صلاة ولا خلف صلاة ، وأوسطه الدّعاء خلف الصّلاة ، وأفضله الاستسقاء بركعتين .

و كيفيّته على ما وردت في الأخبار و نبّه عليها علمائنا الأخيار أن يخرج النّاس بعد التوبة وردّ المظالم وتهذيب الأخلاق وصوم ثلاثة أيّام يكون ثالثها يوم الاثنين ، ويبرزوا في الثالث إلى الصّحراء وإن كانوا بمكّة فالى المسجد الحرام حفاة مشاة ونعالهم في أيديهم بسكينة ووقار متخشّعين مخبتين مستغفرين ، و يخرجون الشّيوخ والصّبيان والبهايم وأهل الزّهد والصّلاح ، فاذا حضروا في المصلّى ينادى المؤذّنون بدل الأذان ، الصّلاة ثلاثاً ، فيصلّى الامام بالنّاس ركعتين : يقرء في الأولى بعد الحمد سورة بالجهر ثمّ يكبّر خمساً ويقنت عقيب كلّ تكبيرة و يدعو في القنوت بالاستغفار و طلب الغيث وإنزال الرحمة ، و من المأثور فيه : اللّهمّ اسق عبادك و امائك و بهائمك و انشر رحمتك وأحى بلادك الميّتة ، ثمّ يكبّر السادسة ويركع ويسجد السجدتين ثمّ يقوم إلى الركعة الثانية فيفعل مثل مافعل في الأولى إلاّ أنّ التكبيرات فيها أربع ويقنت أربعا أيضا عقيب التكبيرات ، ثمّ يكبّر الخامسة ويركع ويسجد ويشهد ويسلّم .

فلما فرغ من الصلاة يصعد المنبر ويحوّل ردائه فيجعل الذى على يمينه على يساره و الذي على يساره على يمينه تأسّيا برسول الله صلّى الله عليه و آله، و سئل الصّادق عليه السّلام عن تحويل النّبى صلّى الله عليه و آله رداه إذاستسقى قال عليه السّلام: علامة بينه صلّى الله عليه و آله وبين أصحابه يحول الجدب خصبا ، ويخطب بخطبتين ثمّ يستقبل القبلة فيكبّرالله مأة تكبيرة رافعا بها صوته ، ثمّ يلتفت إلى يمينه فيسبّح الله مأة مرّة رافعا بهاصوته ، ثمّ يلتفت إلى يساره فيهلّل الله مأة تهليلة رافعا بهاصوته ، ثمّ يستقبل الناس بوجهه فيحمدالله مأة رافعابها صوته والناس يتابعونه في الأذكاردون الالتفات إلى الجهات ، فان سقوا ، وإلاّ عادوا ثانيا وثالثا من غيرقنوط بانين على الصوم الأوّل ان لم يفطروا وإلاّ فبصوم مستأنف

إذاعرفت ذلك فنقول : إنّ من أفضل الخطب المأثورة في هذا المقام وأفصحها ماخطب إمام الانام عليه السّلام وهوقوله (اللّهمّ قدانصاحت جبالنا) أى تشقّقت من المحل والجدب (واغبرت ارضنا) أى صارت كثير الغبار بانقطاع الأمطار (وهامت دوابنا) أى عطشت وتحيّرت في مرابضها ومباركها من الظّماء وفقد ان النّبات والكلاء .

(و عجّت) أى صرخت مثل (عجيج الثكالى على أولادها) يحتمل رجوع الضمير إلى الثكالي ورجوعه إلى الدّواب و الأوّل أظهر (وملت التردّد في مراتعها و الحنين إلى مواردها) وذلك لأنّها أكثرت من التردّد في مراتعها المعتادة فلم تجد فيهانبتاترعاه فملت من التردّد و كذلك لم تجدماء في الغدران والموارد المعدّة لشربها ، فحنت إليها وملت من الحنين، ويئست من الانين .

(أللهمّ فارحم أنين الآنّة) من الشياة (وحنين الحانّة) من النّوق (اللّهمّ فارحم حيرتها في مذاهبها) ومسالكها (وأنينها في موالجها) و مداخلها وإنما ابتدء عليه السّلام بذكر الدوّاب والأنعام لأنها أقرب إلى الرّحمة و مظنة الا فضال بها على المذنبين من الامّة .

ويرشد إلى ذلك ما في منتخب التوراة ، يابن آدم كيف لاتجتنبون الحرام ، ولا اكتساب الآثام ، ولا تخافون النيران ، ولاتتّقون غضب الرّحمن ، فلولا مشايخ ركّع، وأطفال رضّع ، وبهائم رتّع ، وشباب خشّع ، لجعلت السّماء فوقكم حديداً

والأرض صفصفاً ، والتراب رماداً ، ولا انزلت عليكم من السماء قطرة ، ولا أنبت لكم من الأرض حبّة ، ويصبّ عليكم العذاب صبّاً .

وفي النبوي لولا أطفال رضّع ، و شيوخ ركّع ، و بهائم رتّع لصبّ عليكم العذاب صبّاً .

و في الفقيه عن حفص بن غياث عن أبي‌عبدالله عليه‌السلام أنّه قال : إنّ سليمان ابن داود عليه‌السلام خرج ذات يوم مع أصحابه ليستسقى فوجد نملة قد رفعت قائمة من قوائمها إلى السّماء وهي تقول : اللّهمّ إنا خلق من خلقك لاغناء بناعن رزقك ، فلا تهلكنا بذنوب بني آدم ، فقال سليمان لأصحابه : ارجعوا فقد سقيتم بغيركم .

وروى الرازي عن رجل أنّه قال : أصاب النّاس في بعض الأزمنة قحط شديد فأصحروا يستسقون ، فلم يستجب لهم ، قال الراوى : فأتيت وقتئذ إلى بعض الجبال فاذا بظبية قلقة من كثرة العطش و شدّة الهيام مبادرة نحو غدير هناك ، فلماوصلت إلى الغدير و لم تجد فيها ماء تحيّرت واضطربت و رفعت رأسها إلى السّماء تحرّكه و تنظر إليها ، فبينما هى كذلك رأيت سحابة ارتفعت و أمطرت حتّى امتلاء الغدير فشربت منه وارتوت ثمّ رجعت .

ثمّ قال عليه‌السلام (اللهمّ خرجنا إليك حين اعتكرت) أى تكرّرت (عليناحدابير السّنين) تشبيه السّنين بالحدابيرمن باب تشبيه المعقول بالمحسوس ووجه الشّبه عقلى ، وهوأنّ الحدابير كماتتعب راكبهافكذلك السّنون تتعب أهلها كما لايخفى .

(واخلفتنا مخائل الجود) أى الامارات التي توقع الجود في الخيال وأرادبها البرق و السّحاب الّتي يظنّ أنّها تمطر و ليست بماطرة ، فكأنها وعدت بالمطر فأخلفت ولم تف بوعده (فكنت الرجاء للمبتئس) أى ذى البؤس الحزين (والبلاغ للملتمس) أى كفاية للطالب المسكين (ندعوك حين قنط الانام) ويأس (ومنع الغمام) وحبس (وهلك السوام) أى الابل السائمة الرّاعية.

(ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا ولاتأخذنا بذنوبنا) قال الشارح المعتزلي : الفرق بين المؤاخذة والأخذ أنّ الأول عقوبة دون الثاني لأنّ الأخذ هو الاستيصال والمؤاخذة عقوبة

أقول : إن كان نصّ بذلك من أهل اللغة فلا بأس ، وإلاّ فقولهم زيادة المباني تدلّ على زيادة المعاني يفيد عكس ماقاله ، وكيف كان ففي كلامه عليه السلام دلالة على أنّ للذنوب و المعاصي مدخليّة في منع اللّطف و الرّحمة و استحقاق المؤاخذة و السخطة ، وسرّ ذلك أنّ الجود الالهي لا بخل فيه و لا مانع لـه من قبله سبحانه وإنما يصل إلى الموادّ بحسب القابلية والاستعداد ، والمنهمكون في المعاصي راغبون عن الله تعالى وعن تلقّي آثار رحمته ، فهم لانهماكهم في الفساد اسقطوا أنفسهم عن الاستعداد ، وحرىّ بمن كان كذلك أن يمنع من الفيوضات ويحرم من البركات .

وقد روى في الأخبار أنّ كلاًّ من أصناف الذّنوب تورث نوعاخاصّا من المؤاخذات الدّنيوية ، مثل ما رواه في الفقيه عن عبدالرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام أنه قال : إذا فشت أربعة ظهرت أربعة إذا فشا الزّنا ظهرت الزلازل ،وإذا امسكت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحاكم في القضاء أمسك المطر من السماء ، و إذاخفرت (١) الذّمة نصر المشركون على المسلمين .

وفي الكافي عن أبان عن رجل عن أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله خمس إن أدركتموهنّ فتعوّذوا بالله منهنّ: لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوها إلاّ ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا ، و لم ينقصوا المكيال والميزان إلاّ أخذوا بالسنين وشدّة المؤنة وجور السلطان، و لم يمنعوا الزّكاة إلاّ منعوا القطر من السماء و لولا البهائم لم يمطروا ، و لم ينقضوا عهدالله وعهد رسوله إلاّ سلّط الله عليهم عدوّهم وأُخذوا بعض مافي أيديهم ، ولم يحكموا بغير ما أنزل الله إلاّ جعل الله بأسهم بينهم .

و عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال وجدنا في كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله إذا ظهر الزّنا من بعدي كثر موت الفجأة ، وإذا طفّف المكيال والميزان أخذهم الله بالسنين و النقص ، و إذا منعوا الزكاة منعت الأرض بركتها من الزّرع و للثمار و المعادن كلّها ، وإذاجاروا في الأحكام تعاونوا على الظلم والعدوان، و إذانقضوا العهد سلّط الله عليهم عدوّهم، وإذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار، و إذا

١ ـ خفر خفوراً وخفراً نقض عهده وغدره كأخفره ، قاموس .

لم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر ولم يتبعوا الأخيار من أهل بيتي سلّط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم.

ثمّ قال عليه السلام (وانشر علينا رحمتك بالسّحاب المنبعق) أى المنفرج بالمطر و السّائل الكثير السّيلان (و الربيع المغدق) المظهر للثمر (والنبات المونق) المعجب (سحّاً) أى صبّاً (وابلاً) أى مطراً شديداً (تحيى به ما قد مات وتردّ به ماقد فات) من الزرع والنّبات (اللّهمّ سقيامنك محيية) للموات (مروية) للنّبات (تامّة) ثمراتها (عامة) بركاتها (طيّبة مباركة هنيئة مريئة مريعة) أى سائغة لذيذة خصيبة واسعة (زاكياً) نامياً (نبتها ثامراً فرعها) أى يكون فرعها ذاثمر (ناضراً ورقها) أى يكون ورقها ذا نضرة و حسن و بهجة (تنعش) و ترفع (بها الضعيف من عبادك وتحيى بها الميّت من بلادك اللّهمّ سقياً منك تعشب بهانجادنا) أى تنبت بها أراضينا المرتفعة (وتجرى بها وهادنا) أى تسيل بها أراضينا المنخفضة المطمئنّة (وتخصب بهاجنابنا) أى تكثر بهاعشب فنائنا وجوانبنا (وتقبل بهاثمارنا و تعيش بها مواشينا و تندى) أى تنتفع بها (أقاصينا) و أباعدنا (و تستعين بها ضواحينا) ونواحينا (من بركاتك الواسعة وعطاياك الجزيلة) العظيمة الكثيرة (على بريّتك المرملة) المفتقرة (و وحشك المهملة) المرسلة التي لاراعى لها ولا صاحب يشفق بها (وأنزل علينا سماء مخضلّة) مبتلّة (مدراراً هاطلة) أى كثيرة الدّرور متتابعة (يدافع الودق منها الودق ويحفز القطر منها القطر) أراد بذلك كثرتها و شدّتها و كونها أعظم وأغزر.

وأكّد ذلك بقوله (غير خلب برقها ولاجهام عارضها ولا قزع ربابها ولاشفّان ذهابها) أى لا يكون برقها مطمعا مخلفاً، ولا سحابها المعترض في افق السّماء خاليا من الماء، و لاسحابها الأبيض قطعاً متفرقة، ولا أمطارها اللّينة الضعيفة ذات ريح باردة بالزرع والنبت مضرّة وأراد بذلك كلّه عموم نفعها و كثرة منفعتها (حتى يخصب لامراعها المجدبون) أى يتّصف أهل الجدب بالخصب ورفاغة العيش لكثرة كلائها (و يحيى ببركتها المسنتون) الذين أصابتهم السنة و جهد القحط

(فانّك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك) وهذا اشارة إلى حسن الظنّ بالله وعدم القنوط واليأس من روح الله (وأنت الوليّ) للنعم والاحسان و (الحميد) بالكرم والامتنان وأنت على كلّ شيء قدير وبالاجابة حقيق جدير .

تكملة

ينبغي أن نورد تمام تلك الخطبة على ما في الفقيه و نتبعها بتفسير بعض ألفاظها الغريبة ، فأقول : قال الصّدوق (ره) : و خطب أمير المؤمنين عليه السلام في الاستسقاء فقال :

الحمدلله سابغ النّعم ، ومفرّج الهمّ ، وبارىء النّسم ، الذي جعل السماوات لكرسيّه عماداً ، و الجبال للأرض أوتاداً ، و الأرض للعباد مهاداً ، و ملائكته على أرجائها ، وعرشه على أمطائها ، و أقام بعزّته أركان العرش ، و أشرق بضوئه شعاع الشّمس ، وأحيا بشعاعه ظلمة الغطش الدياجير ، وفجر الأرض عيوناً ، والقمر نورا و النّجوم بهورا ثمّ علا فتمكّن ، وخلق فأتقن ، وأقام فتهيمن ، فخضعت له نخوة المستكبر ، وطلبت إليه خلّة المتمسكين « المتمكن خ » ، اللهمّ فبدرجتك الرفيعة ومحلّتك المنيعة وفضلك السابغ ، وسبيلك الواسع ، أسئلك أن تصلّي على محمّد و آل محمّد كما دان لك ، ودعا إلى عبادتك ، و وفا بعهدك ، و أنفذ أحكامك ، واتّبع أعلامك ، عبدك و نبيّك وأمينك على عهدك إلى عبادك القائم بأحكامك ، ومؤيّد من أطاعك وقاطع عذر من عصاك ، اللهمّ فاجعل محمّداً أجزل من جعلت له نصيباً من رحمتك ، وأنضر من أشرق وجهه بسجال عطاياك ، و أقرب الأنبياء زلفة يوم القيامة عندك ، وأوفرهم حظّا من رضوانك ، وأكثرهم صفوف امّة في جنانك ، كما لم يسجد للأحجار ، ولم يعتكف للأشجار ، ولم يستحلّ السباء ، ولم يشرب الدّماء .

اللهمّ خرجنا إليك حين فاجأتنا المضايق الوعرة ، وألجأتنا المحابس العسرة وعضّتنا علائق الشّين ، وتأثلت علينا لواحق المين ، واعتكرت علينا حدابير السنين وأخلفتنا مخائل الجود ، واستظمأنا لصوارخ القود ، و كنت رجاء المبتئس ، والثقة للملتمس ، ندعوك حين قنط الأنام ، ومنع الغمام ، وهلك السّوام ، يا حيّ يا قيّوم ،

عدد الشجر والنجوم ، والملائكة الصّفوف ، والعنان المكفوف ، ألاّ تردّ ناخائبين ولا تؤآخذنا بأعمالنا ، ولاتخاصمنا بذنوبنا ، وانشرعلينا رحمتك بالسّحاب المنساق والنبات المونق ، وامنن على عبادك بتنويع الثمرة ، وأحي بلادك ببلوغ الزّهرة ، واشهد ملائكتك الكرام السفرة ، سقياً منك نافعة دائمة غزرها واسعا درّها ، سحاباً وابلا ، سريعاً عاجلا تحيي به ما قد مات وتردّ به ماقد فات ، وتخرج به ماهوآت .

اللهمّ اسقنا غيثا مغيثا ممرعا طبقا مجلجلاً متتابعا خفوقه ، منبجسة بروقه ، مرتجسة هموعه ، وسيبه مستدرّ ، وصوبه مستطر ، لاتجعل ظلله علينا سموما ، وبرده علينا حسوما ، وضوئه علينا رجوماً ، ومائه أجاجا ، ونباته رماداً رمدداً .

اللّهمّ انّا نعوذبك من الشّرك وهواديه ، والظلم ودواهيه ، والفقرودواعيه يا معطي الخيرات من أماكنها ، ومرسل البركات من معادنها ، منك الغيث المغيث وأنت الغياث المستغاث ، ونحن الخاطئون و أهل الذنوب ، وأنت المستغفر الغفار ، نستغفرك للجهالات من ذنوبنا ، ونتوب إليك من عوامّ خطايانا

اللهمّ فأرسل علينا ديمة مدراراً ، واسقنا الغيث واكفا مغزاراً ، غيثا واسعا وبركة من الوابل نافعة ، تدافع الودق بالودق ، ويتلو القطر منه القطر ، غير خلّب برقه ولا مكذب رعده ، ولا عاصفة جنائبه ، بل ريّا يقصّ بالرّيّ ربابه ، وفاض فانضاع به سحابه ، جرى آثارهيدبه جنابه ، سقيا منك مجلبة «محيية خ» مروية مفضلة محفلة زاكيا نبتها ، ناميا زرعها ، ناضراً عودها ، ممرعة آثارها ، جارية بالخصب و الخير على أهلها ، تنعش بها الضّعيف من عبادك ، وتحيي بها الميّت عن بلادك ، و تنعم بها المبسوط من رزقك ، و تخرج بها المخزون من رحمتك ، و تعمّ بها من نأى من خلقك حتى يخصب لامراعها المجدبون ، ويحيي ببركتها المسنتون ، وتترع بالقيعان غدرانها ، و تورق ذرى الآكام زمراتها ، ويدهام بذرى الآجام شجرها ، و يستحقّ علينا بعد اليأس شكراً منّة من مننك مجللة ، و نعمة من نعمك مفضلة على بريّتك المرملة ، وبلادك المعرنة ، وبهائمك المعملة ، ووحشك المهملة

اللهم منك ارتجاؤنا ، وإليك مآبنا ، فلا تحبسه علينا لتبطنك سرائرنا ، ولا تؤاخذ بما فعل السّفهاء منّا ، فانّك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا و تنشر رحمتك و أنت الوليّ الحميد .

ثمّ بكى عليه السلام فقال : سيّدي صاحت جبالنا ، واغبرت أرضنا ، وهامت دوابنا وقنط الناس منّا أومن قنط منهم ، وتاهت البهائم ، وتحيّرت في مراتعها ، و عجّت عجيج الثّكالي على أولادها ، و ملّت الدّوران في مراتعها حين حبست عنها قطر السّماء ، فدق لذلك عظمها ، وذهب لحمها وذاب شحمها ، وانقطع درّها .

اللهمّ ارحم أنين الآنّة ، وحنين الحانّة ، ارحم تحيّرها في مراتعها ، وأنينها في مرابضها ، هذا .

ويعجبني أن اردف هذه الخطبة الشريفة بخطبتي السّيدين الجليلين الامامين الهمامين النّورين النيّرين أبي محمّد الحسن وأبي عبدالله الحسين عليهما وعلى جدّهما وأبيهما والطيبين من آلهما صلوات الله و سلامه ملاء الخافقين ، ليعلم أنّ كلامهما تالى كلام أبيهما في الفصاحة ، وأنّ الكلّ قد بلغ الغاية في البراعة والبلاغة .

« وَ مَثَلُ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُها ثابِتٌ وَ فَرْعُها فِي السَّماء تُؤْتِي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّها » .

قال في الفقيه : وجاء قوم من أهل الكوفة إلى عليّ عليه السلام فقالوا يا أمير المؤمنين ادع لنا بدعوات في الاستسقاء ، فدعا عليّ عليه السلام الحسن والحسين عليهما السلام فقال : يا حسن ادع ، فقال الحسن عليه السلام :

اللهمّ هيّج لنا السحاب بفتح الأبواب ، بماء عباب ، ورباب بانصباب وانسكاب يا وهاب ، واسقنا مطبقة مغدقة مونقة ، فتح اغلاقها ، وسهل اطلاقها ، وعجل سياقها بالأندية في الأودية يا وهّاب ، بصوب الماء يا فعّال ، اسقنا مطراً قطراً طلاً مطلاً طبقاً مطبقاً عاماً معماً رهماً بهماً رحيماً رشاً مرشاً واسعاً كافياً عاجلا طيباً مباركاً سلاطح بلاطح يناطح الأباطح مغدودقا مطبوبقا مغرورقا ، و اسق سهلنا و جبلنا ،

وبدونا وحضرنا ، حتى ترخص به أسعارنا ، و تبارك به في ضياعنا ومدننا أرنا الرزق موجوداً والغلا مفقوداً ، آمين رب العالمين .

ثم قال للحسين عليه السلام: ادع، فقال الحسين عليه السلام اللهم معطي الخيرات من مظانها، ومنزل الرحمات من معادنها ، ومجرى البركات على أهلها ، منك الغيث المغيث ، وأنت الغياث والمستغاث، ونحن الخاطئون وأهل الذنوب ، وأنت المستغفر الغفار ، لا إله إلا أنت ، اللهم أرسل السماء علينا ديمة مدراراً ، و اسقنا الغيث واكفا مغزاراً ، غيثا مغيثا واسعا مسبغا مهطلا مريئا مريعاً غدقا مغدقا عبابا مجلجلا صحاً صحصا حاًبساً بساساً مسبلا عاما ودقا مطفاحا، تدفع الودق بالودق دفاعا ويطلع القطر منه القطر غير خلّب البرق ، ولا مكذب الرعد، تنعش بها الضعيف من عبادك ، وتحيى به الميت من بلادك، وتستحق علينا مننك آمين رب العالمين .

فما تم كلامه عليه السلام حتى صب الله الماء صبا ، فسئل سلمان الفارسي فقيل يا أباعبدالله هذا شيء علماه ؟ فقال (رض) ويحكم ألم تسمعوا قول رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول : اجريت الحكمة على لسان أهل بيتي .

بيان

«النسم» جمع النسمة محركة وهى الانسان و«الأرجاء» جمع الرجا وهي الناحية و « الأمطاء » جمع المطا، و هو الظهر والضمير في ضوئه راجع إلى العرش كماروى أن نور الشمس من نور العرش و « غطش » الليل أظلم ، قال الطريحي و في الحديث اطفأ بشعاعه ظلمة الغطش أى ظلمة الظلام و « الدياجير » جمع الديجور وهو الظلام وليلة ديجور أى مظلمة و « البهور » المضيء و « المهيمن » من أسمائه تعالى القائم على خلقه بأعمالهم وآجالهم وأرزاقهم وقيل : الرقيب على كل شيء .

و « النخوة » بالفتح فالسكون الافتخار والتعظم و « الخلّة » الفقر والخصاصة و « المستمسكين» الطالبون للمسكة و هو بالضم ما يمسك الأبدان ، من الغذاء والشراب ، وفي بعض النسخ المتمسكين أى المعتصمين به و « السجال » دلو عظيم مملوة ، والكاف في قوله « كما لم يسجد » للتعليل على حد قوله تعالى: و اذكروه

كما هديكم ، أى لأجل هدايتكم .

و « السّباء » بالكسر و المدّ الخمر و « الوعر » ضدّ السهل و « العسرة » الصّعبة الشّديدة و « الشّين » خلاف الزّين ، وقيل ما يحدث في ظاهر الجلد من الخشونـة يحصل به تشويه الخلقة و « تأثّلت » علينا أى اجتمعت و « المين » الكذب و « القود » بالفتح الجمل المسن و هو الذي جاوز في السن البازل ، قال الطريحي : وفي حديث الاستسقاء و استظماءنا لصوارخ القود ، أىظمأنا منظمأظماءً مثل عطش عطشا وزنا ومعنى والقود الخيل .

و قوله « عدد الشجر » من متعلّقات ندعوك قال الجوهري « عنان » السّماء هو ما عنّ لك منها أى بدا إذا رفعت رأسك و « زهر » النّبات نوره الواحدة زهرة كتمر و تمرة و قد تفتح الهاء و « الغزر » شدة النفع وعمومه و « غيثاً مغيثا » أى مطراً نافعا و « ممرعا » أى خصيبا واسعا و « طبقا » أى مغطيا للأرض ما لئاً لها كلّها ، منقولهم غيم طبق أى عام واسع أى من طبق الغيم تطبيقا إذا أصاب بمطره جميع الأرض ومطر طبق أى عام .

و « مجلجلا » أى مشتملا على الجلجلة وهو صوت الرعد و « خفق » المطر خفوقا إذا سمع دوى جريه و «منبجسة بروقه » أى منفجرة بروقه بالماء من الانبجاس وهوالانفجار قال سبحانه :

« فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتا عَشَرَةَ عَيْناً ».

و « مرتجسة هموعه » الهموع بالضّم السّيلان أى يكون هموعـه مشتملة على الرّجس وهو بالفتح الصّوت الشديد من الرّعد يقال رجست السّماء رعدت شديداً وتمخضت و « السّيب » بالفتح مصدرساب أى جرى ومشى مسرعا ، و بالكسر مجرى الماء و « الصّوب » الانصباب و « المستطر » المنتشر و « الظلل » جمع الظلة وهي ما وارى الشّمس منه من السّحاب و « الحسوم » بالضّم الشؤم و « رماد رمدد » كز برج و درهم كثير دقيق جدّاً أو هالك و « الهوادى » الأوائل جمع الهادي

و « الدّواهي » جمع الدّاهية و هي النائبة و المصيبة و « عوامّ خطايانا » و زان دواب و الظّاهر أنّه جمع عام قال في القاموس : والتعويم وضع الحصيد قبضة فاذا اجتمع فهى عامة والجمع عام

و« درّ » السماء بالمطر درّاً درورًا فهى مدرار و «وكف» البيت يكف قطر ، و كف البيت بالمطر سال و « عاصفة جنائبه » قال الطريحي كانّه يريد الرّياح الجنوبية فانهاتكثرالسّحاب وتلحق روادفه بخلاف الشمالية فانها تمزقه و « الرّى» بالكسراسم من روى من الماء ريّا وريّا بالفتح والكسرو«يقص بالرّى» أى يرجع و « الفيضان » السّيلان و « الانضياع » التحرّك أومن انضاع الفرخ بسط جناحيه إلى أُمّه لتزقّه و« الهيدب » السحاب المتدلى و«الجناب » الفناء والناحية و «محفلة» من حفل الماء واللبن اجتمع والوادي بالسيل جاء بملىء جنبيه والسماء اشتدّ مطرها و « من نأى من خلقك » أى من تباعد منهم عن ذكر الله من النّأى وهوالبعد .

« و تترع بالقيعان غدرانها » أى تملاء ، والقيعان جمع القيعة و هى كالقاع ماستوى من الأرض ، والغدران جمع الغدير وهوالنهر و « الآكام » كأعناق جمع اكمه و هو التلّ الصّغير و « الزمرة » الجماعـة و الباء في قوله « بذرى الآجام » للظرف و « بلادك المعرنة » من عرنت الدّارعرانا بعدت وديار عران وعارنة بعيدة « و بهائمك المعملة » أى المعدّة للعمل يقال ناقة عملة كفرحة بيّنةالعمالة فارهة و العوامل لبقر الحرث و « لتبطنك سرائرنا » مصدر باب التفعل أى لوقوفك على بواطن سرائرنا و « عباب » الماء معظمه

و « اسقنا مطبقة مغدقة مونقة » المطبقة السّحابة بعضها على بعض والمغدقة بالغين المعجمة والدّال المهملةالكثيرةالغزيرة ، والمونقة المفرحة من الانق وهو الفرح والسّرور أو المعجبة .

و « الأندية » جمع الندى و هو المطر و « الظلّ » من السّحاب مـاوارى الشّمس منه أوسواده و « المظلّ » صاحب الظلّ و « طبقا مطبقا » أى مطرا عاما مغطيا للأرض و « عامامعمّا » أى مطرا شاملا يعمّ بخيره قال في القاموس يقال عمّهم

بالعطية وهو معمّ خيّر بكسر أوّله يعمّ بخيره وعقله و « رهما » وزان عنب جمع رهمة بالكسر و هى المطرة الدّائمة ويقال الرهمة أشدّ دفعا من الدّيمة .

و« البهيم » الخالص الذي لم يشبه غيره و « الرّحيم » مبالغة في الرّاحم من رحمت زيداً رحمة رققت له وحننت و « رشّت » السّماء امطرت وأرشّت بالهمزة لغة ومنه مرشّا ورشّ الماء صبّه قليلا قليلا

و « سلاطح بلاطح يناطح الأباطح » السلاطح بالضمّ و زان علابط العريض ، قال الفيروز آبادى وسلاطح بلاطح اتباع ، و قال الطريحى السّلطح الصلطح الضخم والبلطح كبلاح الذي يضرب بنفسه الأرض ، والسلاطح والصّلاطح كعلابط العريض وقوله عليه السلام في الاستسقاء: سلاطح بلاطح يناطح الأباطح يريد كثرة الماء وقوّته وفيضانه وحينئذ فلا حاجة إلى جعل بلاطح من الاتباع كشيطان ليطان انتهى .

و « نطحه » نطحا ضربه وأصابه بقرنه و « الأباطح » جمع الأبطح وهومسيل واسع فيه دقاق الحصى و « الديمة » بالكسر المطر يدوم في سكون بلا رعد وبرق أوتدوم خمسة أو ستّة أو سبعة أويوما وليلة و « مهطلا » أى متتابعا من الهطل وهو تتابع المطر المتفرّق العظيم القطر و « صحّا صحصاحا » الصحّ بالضمّ البرائة من كلّ عيب و صحصاحا قال الطريحى كأنّه أراد مستويا متساويا و « بسّا بساسا » البس بالفتح ارسال الماء وتفريقها في البلاد والبساس مبالغة فيه و « مطفاحا » من طفح الأناء امتلاء و ارتفع وطفاح الأرض ملاءها هذا .

والله العالم بحقايق كلام أوليائه عليهم السلام .

الترجمة

از جمله خطب شريفهٔ آن مقتداى كونين و پيشواى ثقلين است در مقام خواستن باران

بارخدايا شكافته شد كوههاى ما ازخشكى ، وگرد آلود شد زمين ما و بسيار تشنه شد چهارپايان ما ، ومتحير شدند درمحلّهاى خوابيدن خود ، وناله كردندمثل نالهٔ زنان بچه مرده بر فرزندان خود ، و ملال آوردند از تردّد نمودن در

چراگاههای خود .

بار خدایا رحم کن برنالهٔ ناله کنندگان ، واشتیاق وفغان مشتاقان .

بارخدایا پس رحم کن برحیرت وسر گردانی ایشان در مواضع رفتن ایشان ورحمت فرما برنالهٔ ایشان در مکانهای درآمدن ایشان .

بارخدایا بیرون آمدیم بسوی تو درحینیکه مختلط شد برماشتران لاغرقحط سالها ، ووعده خلافی کرد مارا علامتهای باران ، پس هستی تو امید مراندوهگین را ورساننده بمطلوب التماس کننده حزینرا ، میخوانیم ترا در زمانیکه نا امید شدند مردمان ، و ممنوع شد از باریدن ابرهای آسمان ، و هلاك شد چرندگان اینکه مؤاخذه نکنی برعملهای ما ، واخذ نکنی مارا بگناهان ما ، ونشر کن برمارحمت بی نهایت خودرا بأبرهای منفجر بباران سخت و باشدّت ، و با بهار ظاهر کننده میوها ، وبانبات وگیاه تعجب آورنده خلقها درحالتی که بریزد برماریختنی بباران فراوان که زنده‌سازی بآن آنچه که مرده ، وباز گردانی بآن آنچه که فوت گشته .

بار خدایا آب ده مارا آب دادنی از جانب خود که زنده سازد زمین مرده را وسیراب گرداننده باشد ومتصف شود بتمامی وعموم منفعت و پاکیزگی وببرکت وگوارائی ووسعت ، درحالتی که نمو کننده باشد گیاه آن ، میوه دهنده باشد شاخ آن ، تر و تازه باشد برگ آن که بلند نمائی بآن ، و قوّت دهی عاجز وذلیل را از بندگان خود ، وزنده سازی بآن مرده را ازشهرهای خود .

بار خدایا آب ده مارا آب دادنی از نزد خود که پر گیاه شود بآن زمینهای بلند ما ، و جاری شود بآن زمینهای نشیب ما ، و بفراخ سالی در آید بسبب آن اطراف وجوانب ما وروی آورد و اقبال کند بجهة آن میوهای ما ، وزندگانی نماید بآن چهارپایان ما ، ونمناك بشود بآن جماعتی که ازما دورند ، واستعانت جویند بآن مردمانی که در نواحی ما هستند از برکتهای با وسعت خودت و عطاهای بزرگ خودت برمردمان صاحب احتیاج خود ، وحیوانات وحشی بی‌صاحب خود ، و نازل کن بر ما باران تر کننده بارندهٔ بسیار ریزان که دفع کند باران بزرگ قطره

دیگر را از غایت شدّت ، وبرانگیزاند قطرها ازآن قطرهای دیگررا درحالتي که نباشد برق آن طمع آورنده و خلف کننده ، و نه ابر پهن شده در کنار آسمان آن خالي ازآب ، ونه ابرهای سفید آن پارهای کوچك کوچك ، ونه بارانهای نرم آن صاحب بادهای خنك ، تا آنکه فراخ سالي یابند بجهة بسیاری گیاههای آن قحط یابندگان ، و زنده شوند ببرکت آن سختی کشیدگان ، پس بدرستی که تو فرو فرستی باران را از پس آنکه نومید میشوند مردمان ، وپراکنده میسازی رحمت خودرا برعالمیان ، وتوئی وليّ نعمتها ، وستوده درصفتها

ومن خطبة له عليه السلام وهى المأة و الخامسة عشر من المختار فى باب الخطب

أَرْسَلَهُ داعِياً إِلَى ٱلحَقِّ ، وَشاهِداً عَلَى ٱلخَلْقِ ، فَبَلَّغَ رِسالاٰتِ رَبِّهِ غَيرَ وانٍ وَلاٰ مُقَصِّرٍ ، وَجاهَدَ فِي اللهِ أَعداءَهُ غَيرَ واهِنٍ وَلاٰ مُعَذِّرٍ ، إِمامُ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى .

منها : وَلَوْ تَعلَمُونَ ما أَعْلَمُ مِمّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُداتِ تَبْكُونَ عَلَى أَعْمالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوالَكُمْ لاحارِسَ لَها وَلاخالِفَ عَلَيْها ، وَلَهَمَّتْ كُلَّ امْرِءٍ مِنْكُمْ نَفْسُهُ ، لا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِها ، وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ ما ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ ما حُذِّرْتُمْ ، فَتاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ ، وَلَوَدِدْتُ أَنَّ اللهَ فَرَّقَ بَيْني وَبَيْنَكُمْ ، وَأَلْحَقَني بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بي مِنْكُمْ ، قَوْمٌ وَاللهِ مَيامِينُ الرَّأْيِ ، مَراجيحُ الْحِلْمِ ، مَقاويلُ بِالْحَقِّ ، مَتاريكُ لِلْبَغْيِ ، مَضَوْا قُدُماً عَلَى

الطَّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى الْمَحَجَّةِ ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى الدَّائِمَةِ ، وَالْكَرَامَةِ الْبَارِدَةِ ، أَمَا وَاللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلامُ ثَقِيفٍ الذَّيَّالُ الْمَيَّالُ ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ ، وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ ، إِيهٍ أَبَا وَذَحَةٍ .

قال السيد (ره) اقول : الوذحة الخنفساء وهذا القول يؤمي به الى الحجاج وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره

اللغة

(الواني) الفاتر الكال و (المعذّر) بالتّثقيل الذي يعتذر من تقصيره بغير عذر كما قال تعالى : و جاء المعذّرون من الأعراب و (الصّعدات) جمع الصّعد وهو جمع صعيد قال الشارح المعتزلى : الصّعيد التّراب و يقال وجه الأرض و الجمع صعد وصعدات كطريق وطرق وطرقات ، وعن النهاية فيه ايّاكم والقعود بالصّعدات هي الطّرق وهي جمع صعد وصعد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات وقيل هي جمع صعدة كظلمة و هي فناء باب الدّار وممرّ النّاس بين يديه ، و منه الحديث لخرجتم إلى الصّعدات تجأرون .

و (الالتدام) ضرب النساء وجوههنّ في النّياحة (ولهمّت كلّ امرء) قال الشارح المعتزلي أى أذابته وانحلته ، هممت الشّحم أى اذبته ، ويروى : ولاهمّت كلّ امرء وهو أصحّ من الرّواية الأولى ، أهمّني الأمر اذا حزنني ، انتهى. وفيه نظر لأنّ همّ أيضاً يكون بمعنى أهمّ قال الفيروز آبادي : همّه الأمر همّا حزنه كأهمّه فاهتمّ والسقم جسمه أذا به وأذهب لحمه والشّحم أذابه فانهمّ ذاب .

(و مراجيح) الحلم قال الجوهرى : راجحته فرجحته أى كنت ارزن منه و منه قوم مراجيح الحلم و (المقاويل) جمع مقوال و (المتاريك) جمع متراك و (قدما) بالضّم و بضمّتين و (الذّيال) هوالذي يجرّ ذيله على الأرض تبختراً يقال : ذأل فلان من باب منع ذألا و ذألاناً تبختر و (الخضرة) بفتح الخاء و كسر الضّاد الزّرع ، والبقلة الخضراء و الغضّ ، وقال في القاموس (الوذح) محرّكة ما

تعلّق بأصواف الغنم من البعروالبول الواحدة بها والجمع وذح كبدن ، وقال الشارح المعتزلي في قول السيّد (ره) : الوذحة الخنفساء ولم اسمع هذا من شيخ من أهل الأدب ولا وجدته في كتاب من كتب اللّغة ولا أدرى من أين نقل الرّضىّ ذلك

الاعراب

داعياً وشاهداً و غير وان و غير واهن ، منصوبات على الحال ، و امـام خبر محذوف المبتداء ، و كلّ منصوب على المفعول والفاعل نفسه ، وايه اسم فعل يراد بـه الاستزادة أى زدوهات ، قال فى القاموس : ايه بكسر الهمزة والهاء وفتحها و تنوّ ن المكسورة كلمة استزادة و استنطاق ' و قال الطريحىّ ايه اسم سمّى به الفعل لأنّ معناه الأمر يقال للرجل زد اذا استزدته من حديث أو عمل ايه بكسر الهاء ، قال ابن السـّكيت فان وصلت نوّنت فقلت ايه حديثا ، و إذا أردت التبعيد بايه قلت أيها بفتح الهمزة بمعنى هيهات ، ومن العرب من يقول ايهات وهو فى معنى هيهات .

وفي كتاب شرح الاثبات : إذا قلت ايه بغير تنوين فكان مخاطبك كان في حديث ثمّ أمسك فأمرته بالشروع في الحديث الذى كان فيه أى هيهات الحديث ، فاذا قلت أيه بالتنوين فكأنّك أمرته ابتداء بأن يحدّث حديثا أى هات حديثا .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة على ما يستفاد من شرح البحراني ملتقطة من خطبـة طويلة خطب عليه السلام بها في الكوفة لاستنهاض أصحابه إلى حرب الشام و ما ظفرت بعد على تمامها ، وما أورده السّيد (ره) منها في الكتاب يدور على فصلين :

الاول في ذكر ممادح النبيّ صلّى الله عليه وآله و ذكر بعض أوصافه الجميلة و نعوتـه الجليلة ، وهو قوله (أرسله داعياً إلى الحقّ) بالحكمة والموعظة الحسنة (وشاهداً على الخلق) يوم القيامة كما قال تعالى :

« وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ » فقد فسر الشّاهد بمحمّد صلّى الله عليه وآله ، والمشهود بيوم القيامة

أمّا الأوّل فلقوله تعالى:

« فَكَيْفَ إِذا جِئْنا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنا بِكَ عَلى هؤُلاءِ شَهِيداً » وأمّا الثّاني فلقوله تعالى: « وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ».

و قد تقدّم تحقيق هذه الشّهاده بما لا مزيد عليه في شرح الخطبة الحادية والسّبعين فتذكّر.

(فبلّغ رسالات ربّه) سبحانه (غيروان) في الابلاغ (ولامقصّر) في الانذار (وجاهد في الله) تعالى (أعدائه غير واهن) في الجهاد (ولا معذّر) من قتال الانجاد و هو (امام من اتّقى) لأنّه قدوة المتّقين في كيفيّة سلوك سبيل التّقوى و الصّلاح (و بصر من اهتدى) لأنّه نور المهتدين في المسير إلى طريق الخير و الفلاح كما يهتدي بالبصيرة إلى سبيل الرشاد ويسلك بهانحو القصدوالسّداديهتدى بالبصر إلى الجادّة الوسطى والطريق المستقيم.

و الفصل الثاني اخبار عن الغيب و اظهار لما يبتلى به أهل الكوفة بسوء أعمالهم و قبح فعالهم و هو قوله عليه السلام (و لو تعلمون ما أعلم ممّا طوى) و اخفى (عنكم غيبه) وباطنه (إذاالخرجتم إلى الصّعدات) أى خرجتم عن البيوت وتركتم الاستراحة والجلوس على الفرش للقلق والانزعاج وجلستم في الطريق أوعلى التراب (تبكون على أعمالكم) التي كان الواجب تركها (وتلتدمون على أنفسكم) للتقصير فيمايجب عليكم فعله (ولتركتم أموالكم لاحارس لها) يحرسها (ولا خالف عليها) يستخلفها (و لهمّت كلّ امرىء منكم نفسه) أى أذابته أو حزنته لا يلتفت إلى غيرها (ولكنّكم نسيتم ما ذكّرتم وأمنتم ماحذّرتم) أراد بذلك ماذكّرهم عليه السلام به ممّافيه نظام امورهم وتحذيرهم مما أوجب إدالة الأعداء منهم وتسلّط الولاة السّوء عليهم ، وهو النّفاق وتشتّت الأهواء ، واختلاف الآراء .

(فتاه) (١) أى ضلّ و تحيّر أوهلك واضطرب (عنكم رأيكم) أى عقلكم و تدبيركم (و تشتّت عليكم أمركم) بغلبة العدوّ على بلادكم .

ثمّ تمنّى مفارقتهم بقوله (ولوددت أنّ الله فرّق بيني وبينكم و ألحقني بمن هوأحقّ)وأحرى(بي منكم) أراد به رسول الله صلى الله عليه وآله وحمزة وجعفرومن لم يفارق الحقّ من الصّحابة (قوم والله ميامين الرأى) ومبارك الآراء (مراجيح الحلم) و ثقال الحلوم لايستخفنّهم جاهلية الجهلاء (مقاويل بالحقّ متاريك للبغى) أى أكثرون قولا بالحقّ والصّدق وتركا للبغى والظلم (مضوا قدما) أى متقدّمين (على الطريقة الوسطى (وأوجفوا) أي أسرعوا (على المحجّة) البيضاء غير ملتفتين عنها (فظفروا) وفازوا (بالعقبى الدائمة والكرامة الباردة) التي ليس فيها تعب ولامشقة حرب .

و لمّا حذّرهم عمّا طوى عنهم غيبه أراد التنبيه ببعض ذلك المطوى والتّصريح ببعض ما يلحقهم من الفتن العظيمة فقال عليه السلام : (أما والله ليسلّطنّ عليكم) وفي الايماء بحرف التنبيه و القسم والنون ما لا يخفى من التأكيد لوقوع المخبر به أي لامحالة يسلّط عليكم (غلام ثقيف) أراد به الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل ابن مسعود من بني ثقيف (الذيّال) الذي يجرّ ذيله على الأرض تبختراً وهو كناية عن كثرة نخوته (الميّال) كثير الظلم والميل عن الحقّ (يأكل خضرتكم ويذيب شحمتكم) أراد بذلك أخذ الأموال وتعذيب الأبدان واستيصال النّفوس و وقوع ذلك الخبر على ما أخبر عليه السلام بـه مشهور وفي الكتب مسطور وقد تقدّم شطر من فعله بأهل العراق في شرح الخطبة الخامسة والعشرين .

و روى في البحار من الخرايج أنّ الأشعث بن قيس استأذن على علي عليه السلام فردّه قنبر فأدمى أنفه ، فخرج علي عليه السلام وقال : ماذاك ياأشعث أما والله لو بعبد ثقيف مررت لاقشعرّت شعيرات استك ، قال : و من غلام ثقيف ؟ قال ، غلام يليهم لا يبقى بيت من العرب إلاّ أدخلهم الذّلّ ، قال : كم يلى ؟ قال عشرين إن بلغها ، قال الراوي : ولي الحجّاج سنة خمس وسبعين ومات خمس وتسعين .

---

(١) تاه فلان يتيه اذا تحيّر واضطرب وتاه يتوه اذا هلك واضطرب عقله منه .

ثمّ قال عليه السلام (ايه أباوذحة) أى زد وهات ماعندك أبا الخنفساء على ماذكره الرّضي من تفسير الوذحة بالخنفساء ، قال الشارح المعتزلي : إنّ المفسّرين بعد الرّضى (ره) فالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوها :

منها أنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلاّه فطردها فعادت ، ثمّ طردها فعادت ، فأخذ بها بيده وحذف بها فقرصته قرصاً ورمت يده منه ورماً كان فيه حتفه قالوا : وذلك لأنّ الله تعالى قد قتله بأهون مخلوقاته كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة التي دخلت في أنفه فكان فيها هلاكه .

ومنها أنّ الحجّاج كان اذا رأى خنفساء تدبّ قريبة منه يأمر غلمانه بابعادها و يقول : هذه وذحة من وذح الشّيطان ، تشبيها بالبعرة المعلّقة بأذناب الشّاة .

ومنها أنّ الحجّاج قد رأى خنفسات مجتمعات فقال : واعجبا لمن يقول إنّ الله خلق هذه ، قيل : فمن خلقها أيّها الأمير ؟ قال : الشّيطان ، إنّ ربّكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوذح ، فنقل قوله هذا إلى الفقهاء في عصره فأكفروه

ومنها أنّ الحجّاج كان مثفاراً أى ذا ابنة ، وكان يمسك الخنفساء حيّة ليشفى بحر كتها في الموضع حكاكه ، قالوا : ولا يكون صاحب هذا الدّاء إلاّ شانياً مبغضاً لأهل البيت ، قالوا : ولسنا نقول كلّ مبغض فيه هذا الداء ، و إنّما قلنا كلّ من به هذا الدّاء فهو مبغض ، قالوا : و قد روى أبوعمرو الزّاهد و لم يكن من رجال الشيعة في أماليه و أحاديثه عن السّيارى عن أبي خزيمة الكاتب قال : مافتّشنا أحداً فيه هذا الدّاء إلاّ وجدناه ناصبيّا .

قال أبوعمرو وأخبرني العطاني عن رجاله قالوا سئل جعفر بن محمّد عن هذا الصّنف من النّاس فقال : رحم منكوسة يؤتى ولايأتي وماكانت هذه الخصلة في وليّ الله قطّ ، ولا تكون أبداً ، وإنما يكون في الكفّار و الفسّاق والنّاصب للطّاهرين .

أقول : ويدلّ على ذلك ويؤيّده :

مـا رواه في الكافي عن أحمد عن عليّ بن أسباط عن بعض أصحابنـا عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ماكان في شيعتنا فلم يكن فيهم ثلاثة أشياء : من يسأل في كفّه

ولم يكن فيهم أزرق أخضر ، ولم يكن فيهم من يؤتى في دبره .

و عن أحمد عن جعفر بن محمد الأشعري عن ابن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى أبي ، فقال : يابن رسول الله إنّي ابتليت ببلاء فادع الله لي ، فقيل له : انّه يؤتى في دبره ، فقال : ما أبلى الله عزّ وجلّ بهذا البلاء أحداً له فيه حاجة ، ثمّ قال أبي : قال الله عزّ وجلّ ، و عزّتي وجلالي لا يقعد على استبرقها و حريرها من يؤتى في دبره .

و في البحار من الخصال للصدوق عن أبيه عن سعد عن البرقيّ عن عدّة من أصحابنا عن عليّ بن أسباط عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ما ابتلى الله به شيعتنا فلن يبتليهم بأربع : بأن يكون لغير رشدة ، أو أن يسألوا بأكفّهم ، أو أن يؤتوا أدبارهم ، أو أن يكون فيهم أزرق .

و فيه منه عن ابن الوليد عن محمد العطّار عن أحمد بن محمد عن أبي عبدالله الرازي عن ابن أبي عثمان عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام ، قال : أربع خصال لا يكون في مؤمن : لا يكون مجنوناً ، ولا يسأل عن أبواب النّاس ، ولا يولد من الزّنا ، ولا ينكح في دبره

وفيه من قرب الاسناد عن محمد بن عيسى عن القداح عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال : جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: إني لأُحبكم أهل البيت، قال: وكان فيه لين، قال : فأثنى عليه عدّة فقال عليه السلام له : كذبت ما يحبّنا مخنّث ولا ديّوث ولا ولد زنا ولا من حملت به أُمّه في حيضها ، قال : فذهب الرّجل ، فلمّا كان يوم صفّين فهي مع معاوية

وحكى المحدّث الدّربندي قال : كنت « كان ظ » ابن ستّة عشر من أولاد بعض علماء بلدنا معروفاً بهذا الفعل الشّنيع ، فبينا أنا مع جمع نكثر السّرور والفرح في يوم العيد الغدير دنا منّي هذا الشخص ، و قال : مالك كأني أراك تظنّ أنّ الله قد أعطاك في هذا اليوم سلطنة الدّنيا ؟ قلت : إنّ كرامة الله على محبّي أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين عليه السلام في هذا اليوم الشريف أعظم من سلطنة الدّنيا ،

فقال: ناشدتك بالله هل تحبّ عليّ بن أبيطالب ؟ فقلت : ويلك هل يوجد أحد اتّصف بالاسلام ولا يحبّ أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فقال : والله أنا لاأُحبّه ، فقلت الحمدلله الذي لم يدخل مثلك النجس الخبيث المخنّث في حزب محبّى الأطيب الأطهر أمير المؤمنين ولعنة الله عليك وعلى أمثالك من المخنّثين، قال: فلم يمض على ذلك إلاّ مدّة قريبة من مدّة سنة أن اختار الشرك و أظهر الكفر ودخل في مذهب النّصرانية .

وفي الأنوار النّعمانية للمحدّث الجزايري (ره) عن جلال الدّين السيوطي في حواشي القاموس عند تصحيح لغة الابنة قال : وكانت في جماعة في الجاهلية أحدهم سيّدنا عمر ، وقال ابن الأثير وهو من أجلاّء علماء العامة : زعمت الرّوافض أنّ سيّدنا عمر كان مخنّثاً ، كذبوا ولكن به داء دواؤه ماء الرّجال .

ثمّ قال الجزائري : ولم أر في كتب الرّافضة مثل هذا نعم روى العياشي منهم حديثاً حاصل معناه أنّ لفظ أمير المؤمنين قد خصّ الله به عليّ بن أبي طالب و لهذا لم تسمّ الرافضة أئمّتهم بهذا الاسم ومن سمّاها نفسه به غير علي بن أبي طالب عليه السلام فهو ممّا يؤتى في دبره ، و هو شامل لجميع المتخلّفين من الامويّة و العبّاسيّة لعنهم الله انتهى .

وقد أوردنا رواية العياشي مع غيرها في ديباجة الشرح في نور ألقاب أمير المؤمنين عليه السلام فتذكر ، وفي أخبار كثيرة من طريق أهل البيت عليهم السلام أنّ هؤلاء لا خير فيهم وفي بعضها أنّه لا يبتلى به أحد لله فيه حاجة .

ثمّ قال الشّارح المعتزلي بعد ذكر ماأوردنا من كلامه في تفسير أباوذحة : فهذا مجموع ماذكره المفسّرون و ما سمعته من أفواه النّاس في هذا الموضع ، و يغلب على ظنّي أنّه أراد معنى آخر ، و ذلك أنّ عادة العرب أن تكنّى الانسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم كقولهم : أبوالهول وأبوالمقدام وأبوالمغوار فاذا أرادت تحقيره والغضّ منه كنّته بما يستحقر ويستهان به كقولهم في كنية يزيد ابن معاوية لعنه الله يعنون القرد و كقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاري المحدّث أبوالفاردو كقولهم للطّفيلي : أبولقمة « إلى أن قال » فلما كان أمير المؤمنين عليه السلام

يعلم من حال الحجاج نجاسته بالمعاصي والذنوب التي لو شوهدت بالبصر لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشّاة كنّاه أباوذحة.

ويمكن أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه وحقارة منظره وتشويه خلقته فانّه كان قصيراً دميماً نحيفا أخفش العينين معوج الساقين قصير السّاعدين مجدور الوجه أصلع الرّأس فكنّاه عليه السلام بأحقر الأشياء وهو البعرة.

و قد روى قوم هذه اللّفظة بصيغة اخرى فقالوا ايه أباودجة، قالوا: واحدة الأوداج كنّاه بذلك لأنه كان قتّالا يقطع الأوداج بالسّيف، ورواه قوم أباوحرة و هي دويبة تشبه الحرباء قصير الظّهر شبهته بها قال: و هذا وما قبله ضعيف و ما ذكرناه أقرب إلى الصواب.

الترجمة

از جمله خطب بليغه آن بزرگوار و امام أبرار است در نعت حضرت خاتم الأنبياء و مذمت أهل كوفه بجهة سنگيني از جهاد أعداء واعلام ايشان بفتنهٔ حجّاج بي ايمان چنانچه فرمود كه:

فرو فرستاد خداوند آفريدگار رسول مختار را در حالتيكه خواننده بود مردمان را بسوى حق، و گواه بود برخلق، پس رسانيد پيغامهاى پروردگار خودرا در حالتيكه سستي ننمود در أداء پيغام، و تقصير كننده نبود در تبليغ أحكام، وجهاد كرد در راه خداى متعال با أعداء ربّ ذوالجلال درحالتيكه سست نبود در قتال، و عذر خواهى نكرد بعذر ناموجه از مقاتله ابطال پيشواى صاحبان تقوى است، وبينائى طالبان هدايت.

و اگر بدانيد آنچه من ميدانم از چيزيكه كتمان شده از شما غيب آن در آن هنگام هرآينه خارج ميشديد بسوى راهها يعنى ترك استراحت ميكرديد در خانهها درحالتيكه گريه ميكرديد برعملهاى خودتان، وميزديد برنفسهاى خود، وهرآينه ترك مينموديد مالهاى خودرا درحالتى كه هيچ مستحفظى نباشد آنهارا، و هيچ جانشينى نباشد بر آنها، و هرآينه محزون و غمگين ميساخت يا اينكه

میگداخت هرمردی را از شما نفس او که أصلا التفات نمیکند بغیر خود ، ولیکن شما فراموش کردید چیزیرا که پند داده شدید بآن ، و ایمن گشتید از چیزیکه ترسانیده شدید ازآن ، پس حیران گشت از شما اندیشه وتدبیر شما ، و پراگنده شد برشما کار شما ، هرآینه دوست میدارم اینکه خدای تعالی جدائی افکند میان من و میان شما ، ولاحق نماید مرا بکسانیکه ایشان سزاوار ترند بمن از شما ، ایشان قومی بودند قسم بخدا که صاحبان رأی مبارك بودند و موصوفان بافزونی بردباری بسیار سخن گوینده بودند براستی ، و زیاد ترك کننده بودند ظلم و گمراهی را گذشتند در حالتیکه پیش قدم بودند بر راه راست ، و شتافتند برطریقهٔ درست وفایز شدند بآخرت بی‌نهایت ، وبکرامت خالی از زحمت .

آگاه باشید قسم بخدا هرآینه البته مسلّط می‌شود برشما پسری ازقبیله ثقیف یعني حجاج بن یوسف ثقفی که کشنده باشد دامن خودرا برزمین از روی غرور ونخوت ، وعدول کننده باشد از راه عدالت که می‌خورد زراعت شمارا ، ومیگدازد پیه شما را ، زیاده کن و بیاور آنچه که در پیش تو است ای پدرجعل .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة و السادس عشر من المختار في باب الخطب .

فَلاَ أَمْوالَ بَذَلْتُمُوها لِلَّذي رَزَقَها ، وَلاَ أَنْفُسَ خاطَرْتُمْ بِها لِلَّذي خَلَقَها ، تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلى عِبادِهِ ، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ في عِبادِهِ ، فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنازِلَ مَنْ كانَ قَبْلَكُمْ ، وَانْقِطاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوانِكُمْ .

اللغة

(خاطرتم بها) من المخاطرة وهي ارتكاب مافيه خطر وهلاك و (تكرمون)

الأوّل من باب فعل والثاني من باب افعل يقال كرم الرجل كرماً من باب حسن عزّ ونفس فهو كريم .

الاعراب

أموال و أنفس منصوبان على الاشتغال ، و اللاّم في الذى رزقها تحتمل الصّلة والتعليل ، و في للّذي خلقها للتّعليل لا غير كما هو غير خفيّ ، و انقطاعكم عطف على نزولكم .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذا الفصل على التوبيخ بالبخل بالأموال و الأنفس ، و الأمر بالاعتبار بتقلّبات الدّهر وتغيّرات الزّمان فلا مهم أوّلا بترك بذل الأموال (فلا أموال بذلتموها للّذي رزقها) لايخفى ما في التّعبير بهذه العبارة من اللطف والنكتة وهو أنّ التّعبير بقوله: للّذي رزقها فيه من زيادة تقرير الغرض المسوق له الكلام ما ليس في التعبير بقوله لله كما في قوله :

أعبّاد المسيح يخاف صحبي ونحن عبيد من خلق المسيحا

فانه أدلّ على عدم خوفهم النصارى من أن يقول نحن عبيد الله ، وذلك لأنّ غرضه عليه السلام لومهم وتوبيخهم على البخل و الامساك عن بذل الأموال و التعبير بالموصول آكد في افادة ذلك المطلوب لدلالته على اتّصافهم بغاية البخل حتى انّهم يمسكون أموالهم عن معطيها و رازقها فضلا عن غيره ، فيستحقّون بذلك غاية اللّوم والمذمّة

و مثله قوله (و لا أنفس خاطرتم بها للّذي خلقها) فانّه أدلّ على البخل بالأنفس وأثبت لذلك الغرض ، فانهم إذا لم يخاطروا بأنفسهم ولم يلقوا بها إلى المهالك لرضاء الخالق مع كونه أحقّ و أولى بها منهم ، فكيف لغيره

ثمّ أكّد التّوبيخ بقوله (تكرمون بالله على عباده و لا تكرمون الله في عباده) و لذلك وصل هذا الكلام بما سبق و لم يفصل بالعاطف ، لكون ذلك أو فى بتأدية المراد ممّا سبق ، يعني أنّكم تتنافسون وتظهرون العزّ والشّرف على عباد الله

تعالى بالله سبحانه أي بما خوّلكم وأعطاكم ومنحكم من النّعم الدّنيويّة والاُخروية و لا تكرمون الله و لا تطيعونه في الاحسان إلى عباده و الافضال عليهم ، بل بنعمته تبخلون ، وعن عباده تمسكون (فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم) من طحنتهم الآجال وضاق بهم المجال وارتهنوا بالأعمال كما قال عزّ من قائل :

« وَ سَكَنْتُمْ في مَساكِنِ الّذينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيفَ فَعَلْنا بِهِمْ وَ ضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ » .

(وانقطاعكم عن أوصل اخوانكم) حتى انتقلوا إلى ضيق المضجع و وحشة المرجع ، فستصيرون مثلهم و تنزلون منزلتهم ، فاسلكوا مسلك العاجلة حميداً ، وقدّموا زاد الآجلة سعيداً .

الترجمة

از جملۀ كلام بلاغت نظام آن امام است در توبيخ و عتاب منمّت أصحاب برعدم بذل أموال در راه ذوالجلال فرموده .

پس هيچ مالهاى دنيارا بذل نكرديد براى كسيكه روزى شما گردانيد آنهارا وهيچ جانها در مهالك نيفكنديد براى كسيكه خلق كرد آنهارا ، كريم و عزيز شويد بسبب خدا بربندگان خدا ، وگرامى نميداريد خدا را دربندگان خدا ، پس عبرت بگيريد بنازل شدن خودتان بمنزلهاى كسانيكه بودند پيش ازشما ، وببريدن خود از أقرب برادران خود .

ومن كلام له عليه السلام و هو المأة والسابع عشر من المختار في باب الخطب

أنْتُمُ الأنْصارُ عَلَى الْحَقِّ ، وَ الإخْوانُ في الدّينِ ، وَ الْجُنَنُ يَوْمَ

الْبَأْسِ ، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ، بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ، فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ جَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ، سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ .

اللغة

(الجنن) جمع الجنّة وهى ما استترت به من سلاح و (بطانة) الرّجل خاصّته وأصحاب سرّه و (خليّة) في بعض النسخ بالجيم وفي بعضها بالخاء .

الاعراب

دون ظرف إما بمعنى عند أو بمعنى سوى ، و الفاء في قوله: فأعينوني فصيحة

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام على ما رواه الشارح المعتزلي من المدايني و الواقدى قاله أمير المؤمنين عليه السلام للأنصار بعد فراغه من حرب الجمل ، والغرض بذلك مدح أصحابه و استمالة قلوبهم إلى مناصحته فقوله عليه السلام : (أنتم الأنصار على الحقّ) أى النّاصرون لي والمعينون على الحقّ الذّابون عن الباطل (والاخوان في الدّين) لقوله سبحانه : « إنّما المؤمنون إخوة » (والجنن) والتّرس (يوم البأس) أى يوم الشّدة والحرب (والبطانة) أى خاصّتي وخالصتى الذين لا اطوى عنكم سرّى (دون النّاس) أى عندهم يعني أنّكم عندهم معروفون باختصاصي ، أو أنتم البطانة لي سوى النّاس أى ليس لي بطانة غيركم (بكم أضرب المدبر) عن الحقّ (وأرجو طاعة المقبل) يعني من أقبل إلىّ إذا رأى أخلافكم الحميدة أطاعني بصميم قلبه ، ويمكن أن يراد بالمقبل من كان من شأنه الاقبال والطاعة ، وإذا كنتم بهذه المثابة (فأعينوني بمناصحة جليّة) أى صافية أوخالية (من الغشّ) والتدليس (سليمة من الرّيب) أى سالمة من الشّك في استحقاقي للخلافة والولاية (فوالله انى لأولى النّاس بالنّاس) وأحقّ بالامامة .

الترجمة

از جمله كلام آنحضرتست در مدح أصحاب خود كه فرموده :

كه شما يارى كنندگانيد بر راه راست ، و برادرانيد در دين ، و سپرهائيد در روز سختى و شدّت ، و خواص منيد در نزد مردمان ، باعانت شما ميزنم پشت گرداننده از حق را ، و بوجود شما اميد ميدارم رو آورنده را پس اعانت نمائيد بنصيحت كردني كه خالى است ازنقص و عيب ، وسالم است از شك وريب ، پس قسم بخدا كه بدرستي من بهترين مردمانم بمردمان ، وأولايم بايشان از ديگران .

و من كلام له عليه السلام وهو المأة والثامن عشر من المختار في باب الخطب

و قد جمع النّاس وحضّهم على الجهاد فسكتوا مليّاً

فقال عليه السلام : ما بالكُمْ أمُخْرَسُونَ أنْتُمْ ؟ فقالَ قومٌ مِنهُمْ : يا أميرَ المُؤْمنينَ إنْ سِرْتَ سِرْنا معَكَ .

فَقالَ عليه السلام : ما بالُكُمْ لا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ ، وَلا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ، أفي مِثْلِ هذا يَنْبَغي لي أنْ أخرُجَ ، إنّما يَخرُجُ في مِثْلِ هذا رَجُلٌ مِمَّنْ أرْضاهُ مِنْ شُجعائِكُمْ وَذَوي بَأسِكُمْ ، وَلا يَنْبَغي لي أنْ أدَعَ الجُنْدَ وَالمِصْرَ وَبَيْتَ المالِ وَجِبايَةَ الأرْضِ وَالقَضاءَ بَيْنَ المُسْلِمينَ وَالنَّظَرَ في حُقُوقِ المُطالِبينَ ، ثُمَّ أخرُجَ في كَتيبَةٍ أتْبعُ أُخرى ، أتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ القِدْحِ في الجَفيرِ الفارِغِ ، وَإنّما أنا قُطْبُ الرَّحى تَدُورُ عَلَيَّ وَأنا بِمَكاني ، فإذا فارَقْتُهُ اسْتَحارَ مَدارُها ، وَاضْطَرَبَ ثِفالُها ، هذا لَعَمْرُ اللهِ الرَّأيُ السُّوءُ ،

وَاللهِ لَوْلاَ رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ لَقَرَّبْتُ رِكَابِي، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ، وَلاَ أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشِمَالٌ، طَعَّانِينَ، عَيَّابِينَ، حَيَّادِينَ، رَوَّاغِينَ، وَإِنَّهُ لاَ غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ، لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لاَ يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلاَّ هَالِكٌ، مَنِ اسْتَقَامَ فَإِلَى الْجَنَّةِ، وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى النَّارِ.

اللغة

(المليّ) الهواء من الدّهر والساعة الطويلة من النّهار قال تعالى: واهجرني مليّاً، و (مخرسون) اسم مفعول من أخرسه الله و (سدّدتم) بالتخفيف والتشديد و (الشجعاء) جمع شجيع وفي بعض النسخ شجعانكم بالنّون وهو بالضّمّ والكسر جمع شجاع و (الكتيبة) القطعة العظيمة من الجيش و (القدح) بالكسر السّهم قبل أن يراش و ينصل و (الجفير) الكنانة وقيل وعاء للسّهام أوسع من الكنانة و (استحار مدارها) قال الشّارح المعتزلي: اضطرب ولم نجده بهذا المعنى في اللغة والظّاهر من استحار إذا لم يهتد بسبيله يقال استحار السّحاب أى لم يتجه جهة، وعن الجوهري المستحير سحاب ثقيل متردّد ليس له ريح تسوقه و (الثفال) كالكتاب و الغراب الحجر الأسفل من الرّحى و (الرّكاب) كالكتاب أيضاً الابل التي يسار عليها.

الاعراب

مليّاً منصوب على الظرف، وقوله: والله لولا رجائي الشهادة جواب القسم، قوله: لقرّبت ركابي، وهو سادّ مسدّ جواب لولا، وجملة لو قد حمّ لي لقائه، شرطيّة معترضة بين القسم وجوابه كما في قوله:

لعمري وما عمري عليّ بهيّن لقد نطقت بطلا (١) عليّ الأقارع

وجواب لو محذوف بدلالة سياق الكلام عليه أي لو قدحم لي لقائه لقيته ودخول قد في شرط لو نادر، و مثله ما رواه في حواشي المغني من صحيح البخاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو قدجاء مال البحرين قد أعطيتك هكذا هكذا، واختلف في المرفوع بعد لولا وأنّ رفعه لماذا، قال ابن هشام لولا تدخل على جملة اسميّة ففعليّة لربط امتناع الثانية بوجود الأولى، نحو لولا زيد لأكرمتك، أى لولا زيد موجود إلى أن قال، و ليس المرفوع بعد لولا فاعلا بفعل محذوف، و لا بلولا لنيابتها عنه، و لا بها أصالة، خلافاً لزاعمي ذلك، بل رفعه بالابتداء، و طعانين مع المنصوبات الثلاثة بعدها حالات من ضمير الخطاب في قوله أطلبكم، وجملة لقد حملتكم جواب لقسم محذوف، والطريق يذكّر ويؤنث ولذا اتى بصفة أوّلا بالتذكير وثانياً بالتأنيث جريا على اللّغتين.

المعنى

إنّ هذا الكلام قاله أمير المؤمنين عليه السلام بعد انقضاء أمر صفّين والنهروان في بعض غارات أهل الشام على أطراف العراق، (وقد جمع النّاس وحضّهم) أى حثّهم (على الجهاد فسكتوا مليّاً) أى ساعة طويلة (فقال عليه السلام) توبيخا لهم على تثاقلهم (ما بالكم أمخرسون أنتم) فلا تنطقون (فقال قوم منهم يا أمير المؤمنين عليه السلام ان سرت) إلى العدوّ (سرنا معك فقال عليه السلام: ما بالكم لاسددتم لرشد و لا هديتم لقصد) دعاء عليهم بعدم الاستقامة و السّداد لما فيه الصّلاح والرّشاد وعدم الاهتداء للقصد أى الأمر المعتدل الذى لايميل إلى أحد طرفي الافراط والتفريط.

(أفي مثل هذا ينبغي لي أن أخرج) استفهام على سبيل التوبيخ و الانكار، و الاتيان باسم الاشارة للتحقير كما في قوله تعالى: «أهذا الذي يذكر آلهتكم»

---

(١) بطلا صفة لمحذوف أى نطقاً بطلا أى باطلا و الاقارع جمع اقرع و هو الذى ذهب شعر رأسه من آفة، منه

(انما يخرج في مثل هذا رجل ممّن ارضاه من شجعانكم و ذوى بأسكم) و شجاعتكم .

ثمّ أشار عليه السلام إلى وجوه الفساد في خروجه بنفسه بقوله (و لا ينبغي لى أن أدع الجند والمصر وبيت المال وجباية الأرض) أى جمع ما فيها وخراجها (والقضاء بين المسلمين) و فصل خصوماتهم (و النظر في حقوق المطالبين) و دفع ظلاماتهم وغير ذلك مما فيه نظام الدولة وانتظام المملكة ومهام العباد وقوام البلاد (ثم اخرج في كتيبة أتبع) في كتيبة (أخرى أتقلقل) أى أضطرب (تقلقل القدح في الجفير الفارغ) من السهام ، و الغرض التشبيه في اضطراب الحال و الانفصال عن الجنود والاعوان بالقدح الذي لا يكون حوله قداح تمنعه من التقلقل ولا يستقرّ مكانه .

وقال الشارح البحراني : شبّه خروجه معهم بالقدح في الجفير ، ووجه الشبه أنّه كان قد نفد الجيش و أراد أن يجهّز من بقي من النّاس في كتيبة اخرى فشبّه نفسه في خروجه في تلك الكتيبة وحده مع تقدم أكابر جماعة و شجعانها بالقدح في الجفير الفارغ في كونه يتقلقل ، وفي العرف يقال للشريف إذا مشى في حاجة ينوب فيها من هو دونه و ترك المهام التي لا تقوم إلاّ به ترك المهمّ الفلاني ومشى يتقلقل على كذا ، والأشبه ما ذكرنا

(و إنما أنا قطب الرّحى تدور عليّ و أنا بمكاني) شبّه عليه السلام نفسه بالقطب وامور الامارة و الخلافة المنوطة عليه بالرحى ووجه الشّبه دوران تلك الامور عليه دوران الرّحى على القطب كما أشار إليه بقوله : تدور عليّ ، وهو من قبيل التشبيه المجمل المقرون بذكر وصف المشبّه به كما في قولها : هم كالحلقة المفرغة لا يدرى أين طرفاها

و قوله (فاذا فارقته استحار مدارها واضطرب ثفالها) إشارة إلى الغرض من التشبيه وهو فساد الامور المذكورة واضطرابها بمفارقته عليه السلام لها وانتقاله عليه السلام عن مكانه ، و كذلك يبطل الغرض المقصود من الرّحا بارتفاع قطبها و انتفائه ، و معنى استحار مدارها على تفسير الشّارح المعتزلي اضطراب دورانها وخروجه عن الحركة

المستديرة إلى المستقيمة ، وعلى ماقدّمنا من عدم مجيء الاستحارة بمعنى الاضطراب فالأنسب أن يكون كناية عن الوقوف عن الحركة ويكون اضطراب ثفالها كناية عن عدم تأتى الغرض المطلوب منه .

ولما نبّه على فسادر أيهم أكّد ذلك بالقسم البارّ وقال (هذا لعمر الله الرأى السّوء) ثمّ أقسم باستكراهه لهم و استنكافه منهم ونفرة طبعه عن البقاء معهم إلاّ أنّ له مانعا عن ذلك و هو قوله (والله لولا رجائي) لقاء الله بـ(الشهادة عند لقائى العدوّ لوقدحمّ) وقدّر (لي لقائه لقرّبت ركابي ثمّ شخصت عنكم) وفارقتكم غيرمتأسّف عليكم (فلا أطلبكم) سجيس اللّيالي (ماختلف جنوب و شمال) تبرّماً من سوء صنيعتكم وقبح فعالكم ومخالفتكم لأو امرى حالكونكم (طعّانين) على النّاس (عيّابين) عليهم (حيّادين) ميّالين عن الحقّ (روّاغين) عن الحرب روغ الثّعلب (وانّه لاغناء) و لا نفع (في كثرة عددكم مع قلّة اجتماع قلوبكم) و نفاقكم (لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لايهلك عليها) أى كائنا عليها أو بسببها (إلاّ هالك من استقام) و اعتدل و لزم سلوكها (فـ) مرجعه (إلى الجنّة) بنفس مطئنّة (ومن زلّ) وعدل عنها (فـ) مصيره (إلى النّار) وبئس القرار .

الترجمة

از جملهٔ کلام بلاغت اسلوب آن امام است در حالتی که جمع کرده بود مردمان را و ترغیب میفرمود ایشان را برجهاد ، پس ساکت شدند زمان درازی ، پس فرمود که چیست شما را آیا گنك ساخته‌اند شما را پس گفتند طایفهٔ ازایشان أی مولای مؤمنان أکر سیر بفرمائید سیر میکنیم با تو ، پس فرمود که :

چه می‌شود شما را موفّق نباشید برراه قویم وهدایت نیابید برطریق مستقیم آیا درمثل این کار مختصرسزاوار استمرا که بیرون بروم بکار زار ، جز این نیست که خارج میشوند درمانند این امرمردی از کسانیکه پسند من بوده باشد ازدلیران شما ، وصاحبان قوت وشجاعت شما، وسزاوار نیست مرا که ترك کنم لشکرراو شهررا

و بيت المال و خراج گرفتن زمين را ، وحكم نمودن در ميان مسلمانان و نظر كردن درحقهاى طلب كنند گان حقوق را ، بعداز آن خارج شوم درطايفه ازلشگر كه متابعت نمايم طايفهٔ ديگر را ، جنبش نمايم مثل جنبش نمودن تير بى‌پر در تيردان خالى از تير ، وجزاين نيست كه من‌مثل قطب آسيا هستم كه ميگردد آن آسيا برمن‌ومن درجاى باشم ، پس‌هنگامى كه من‌جدا شوم ازآن‌متحيّر‌وسر گردان شود دوران آن ، ومضطرب گردد سنگ زيرين آن

اينكه شما ميگوئيد قسم بخدا بد رأيى است و انديشه كج است ، و بخدا سو گند اگر نبود اميدوارى من بشهادت درحين ملاقات دشمن اگر مقدر بشود از براى من ملاقات آن هرآينه نزديك ميگردانيدم شتر سوارى خودرا بعداز آن رحلت ميكردم ازشما پس طلب نميكردم شما را أبداً ماداميكه اختلاف دارند باد جنوب و شمال در حالتيكه هستيد طعن نمايند گان مردمان ، عيب جويند گان ، بر گردند گان از راه حق ، ترسند گان ، وبدرستى هيچ منفعتى نيست در كثرت عدد و شماره شما با وجود كمى اجتماع قلبهاى شما ، هرآينه بتحقيق كه حمل نمودم شمارابرراه روشن‌وآشكار كه هلاك نميشود برآن مگرهلاك شونده گمراه ، كسيكه مستقيم شد بر آن راه پس رجوع آن بسوى بهشت است ، وكسيكه لغزيد از آن راه پس بازگشت آن بسوى آتش است .

قال الشارح المحتاج الى غفران‌الله تعالى ورحمته ، المتوسل الى‌الله سبحانه برسول الله وعترته سلام الله عليه وعليهم ما اختلف الليل و النهار والجنوب والشمال : هذا هو المجلد الثالث(١) من مجلّدات شرح النهج ، قد يسّرالله اتمامه و أحسن بالخير ختامه ، و يتلوه انشاءالله سبحانه المجلّد الرّابع ، وهذه هى النسخة الأصل التي كتبتها بيمينى ، والمرجوّ من الله سبحانه أن يبثها في صحايف الحسنات،ويجعلهاممحاةللسيّئآت بفضله‌الواسع ، و كرمه السّابغ ، و بمحمّد وآله الطاهرين ، وكان الفراغ سلخ شهرذى القعدةالحرام ١٣٠٦

(١) هذا علي حسب تجزأة المصنف قدس سره كما فى الطبعة الاولى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذي هدانا إلى نهج الحقّ و منهج الصّواب ، و الاعتصام بالعروة الوثقى و الحبل المتين في المبدء و المآب ، والصّلاة والسّلام على من آتاه الحكم و فصل الخطاب ، ؤ بعثه ليتمّ مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب ، شجرة الاصطفاء وثمرة الاجتباء سريف الحسب و كريم الأنساب، ختم الأنبياء و أنف البطحاء نخبة العرب وشامخ الالقاب ، وعلى أوصيائه الذين هم أعلام التوحيد ومنار التفريد و عندهم علم الكتاب ،و أهل الذكر المسؤلون المؤيّدون في كلّ فصل وباب ، والمعصومون المسدّدون في الشيب والشباب ، وإليهم حشر الخلائق ونشرهم وإليهم الاياب وعليهم الحساب ، وبولايتهم تقبل الأعمال وتنال الآمال ويفازعظيم الزلفى وحسن الثواب .

يا بني أحمد ناديكم اليوم و أنتم غداً لردّ جوابي

ألف باب اعطيتم ثمّ افضى كلّ باب منها إلى ألف باب

لكم الأمر كلّه و إليكم ولد يكم يؤل فصل الخطاب

لا سيّما أعظم النعيم و النّباء العظيم والصّراط المستقيم أبو الأئمة الأطهار الأنجاب ، هادى الأمم وكاشف الظلم و سيّد العرب و العجم والعبيد و الأرباب ، علم الهدى و كهف الورى و طود النهى وبحر السدى وماطر السحاب ، من أحبّه سعد مولده وطاب ، ومن أبغضه ضلّ سعيه وخسر وخاب .

و بعد فهذا هو المجلّد الرابع من مجلّدات منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة املاء راجي عفو ربه الغني **حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمى العلوى الموسوى** أعطاه الله كتابه بيمناه ، وجعل عقباه خيراً من اولاه ، و أسأله سبحانه من نواله ، أن يمنّ عليّ باكماله ، بجاه محمد وآله .

فأقول :قال السّيد رضى الله عنه :

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والتاسع عشر من المختار في باب الخطب

تَاللهِ لَقَدْ عُلِّمْتُ تَبْلِيغَ الرِّسالاتِ، وَإِتْمامَ الْعِداتِ، وَتَمامَ الْكَلِماتِ، وَعِنْدَنا أَهْلِ الْبَيْتِ أَبْوابُ الْحُكْمِ، وَضِياءُ الْأَمْرِ، أَلا وَإِنَّ شَرائِعَ الدِّينِ واحِدَةٌ، وَسُبُلَهُ قاصِدَةٌ، مَنْ أَخَذَ بِها لَحِقَ وَغَنِمَ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْها ضَلَّ وَنَدِمَ، إِعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ الذَّخائِرُ، وَتُبْلَى فِيهِ السَّرائِرُ، وَمَنْ لا يَنْفَعُهُ حاضِرُ لُبِّهِ، فَعازِبُهُ أَعْجَزُ، وَغائِبُهُ أَعْوَزُ، وَاتَّقُوا ناراً حَرُّها شَدِيدٌ، وَقَعْرُها بَعِيدٌ، وَحِلْيَتُها حَدِيدٌ، وَشَرابُها صَدِيدٌ، أَلا وَإِنَّ اللِّسانَ الصّالِحَ يَجْعَلُهُ اللهُ لِلْمَرْءِ فِي النّاسِ خَيْرٌ مِنْ مالٍ يُورِثُهُ مَنْ لا يَحْمِدُهُ.

اللغة

(علّمت) في أكثر النّسخ على صيغة المجهول من باب التفعيل و في بعضها بالتخفيف على المعلوم، قال الشّارح المعتزلي: والرّواية الأولى أحسن و (الحكم) في أكثر النسخ بالضمّ وسكون الكاف وفي بعضها بالكسر وفتح الكاف جمع الحكمة و (عزب) الشّيء من باب قعد بعد عنّي وغاب و (عوز) الشّيء كفرح إذا لم يوجد والرجل افتقر وأعوزه الدهر أفقره.

الاعراب

قوله عليه السلام: وعندنا أهل البيت في أكثر النّسخ بالجرّ، وفي بعضها بالنصب أمّا الثاني فعلى الاختصاص، وأمّا الأوّل فعلى كونه بدلاً من ضمير المتكلّم كما يراه بعض علماء الأدبية أو على أنه عطف بيان كما هو الأظهر.

فان قلت : صرّح الأدبيّون بأنّ عطف البيان إنّما يؤتى به لايضاح متبوعه وههنا المتبوع أعرف من التابع فكيف يجوز الاتباع ؟

قلت : هذا مبنيّ على الأغلب وإلاّ فقد يؤتى بالبيان لقصد المدح كما قاله المحقّق التفتازاني ، حيث قال : فائدة عطف البيان لاتنحصر في الايضاح لما ذكر صاحب الكشاف أنّ البيت الحرام في قوله تعالى : جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للنّاس ، عطف بيان جيء به للمدح لا للايضاح كما تجيء الصّفة لذلك ، انتهى

و جملة تذخر له الذّخائر مجرورة المحلّ على الوصف ، وجملة يجعله الله في محلّ النصب على الحال أو الوصف ، وجملة يورثه من لايحمده وصفيّة .

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام كما يفهم من سياقه الاشارة إلى وجوب اتباعه و ملازمته و التمسك بذيل ولايته واتباع الطّيبين من عترته و ذرّيته ، ووجوب أخذ معالم الدّين و أحكام الشّرع المبين عنهم عليهم السلام ، و عقّبه بالأمر بأخذ الزاد ليوم المعاد ، و لذلك ذكر جملة من فضائله المخصوصة به المفيدة لتقدّمه على غيره ، والدّالة على وجوب تقديمه نظراً إلى قبح ترجيح المرجوح على الرّاجح ، و غير خفيّ على الذّكيّ البصير أنّ كلاً من هذه الخصايص برهان واضح وشاهد صدق على اختصاص الخلافة والولاية بهم عليهم السلام وعلى أنّها حقّ لهم دون غيرهم

و افتتح كلامه بالقسم البارّ تحقيقاً للمقصد فقال : (تالله لقد علّمت تبليغ الرسالات) أى علّمنيه رسول الله صلّى الله عليه وآله بتعليم من الله سبحانه و أعلمنيه بأمر منه تعالى ، لا أنّه علمه بوحى كما توهمه بعض الغلات ، لأنّ الأئمة عليهم السلام محدّثون ، والرسالة هو الاخبار عن مراد الله تعالى بكلامه بدون واسطة بشر ، والمراد أنّه عليه السلام علّمه رسول الله صلّى الله عليه وآله إبلاغ ماجاء به إلى الخلق على اختلاف ألسنتهم وتعدّد لغاتهم سواء كان ذلك في حال حياة الرّسول كبعثه صلّى الله عليه وآله له عليه السلام بسورة براءة إلى أهل مكة وعزله لأبي بكر معلّلا بقوله صلّى الله عليه وآله : اُمرت أن لايبلغها إلاّ أنا أورجل منّي وبعثه له إلى الجنّ ونحو ذلك ، أو بعد وفاته صلّى الله عليه وآله ، فقد كان هو وأولاده الطاهرون

سلام الله عليهم أوعية علم النبي عليه السلام وحملة سرّه وحفظة شرعه مؤدّين له إلى أمّته وكان عمدة نشر الأحكام وانتشار مسائل الحلال والحرام و انفتاح باب العلم في زمنهم عليهم السلام وكانوا مأمورين بالتّبليغ والانذار ، كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله مأموراً بذلك

و يشهد بذلك ما رواه الكليني و الطبرسي و العياشي عن الصّادق عليه السلام في قوله تعالى : و أُوحيَ إليّ هذا القرآن لأُنذركم به ومن بلغ الآية ، قال : ومن بلغ أن يكون اماماً من آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فهو ينذر بالقرآن كما أنذربه رسول الله صلى الله عليه وآله

وفي غاية المرام عن الصّدوق باسناده عن يزيد «بريد ظ» بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: انّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد، فقال : المنذر رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ الهادي ، وفي كلّ وقت وزمان امام منّا يهديهم إلى ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وآله .

وفيه أيضاً عن الصّدوق مسنداً عن أبي هريرة قال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وقد نزلت هذه الآية : إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد ، فقرأها علينا رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أنا المنذر ، أتعرفون الهادى ؟ قلنا : لا يا رسول الله ، قال صلى الله عليه وآله هو خاصف النعل ، فطولت الأعناق اذخرج علينا عليّ عليه السلام من بعض الحجر و بيده نعل رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ التفت إلينا وقال : ألا إنّه المبلّغ عنّى والامام بعدي وزوج ابنتي و أبو سبطى ، ففخراً نحن أهل بيت أذهب الله عنّا الرجس و طهّرنا تطهيراً من الدّنس الحديث .

وفي البحار عن بصائر الدرجات باسناده عن انس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وآله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله يا على أنت تعلّم النّاس تأويل القرآن بما لا يعلمون ، فقال عليّ عليه السلام : ما ابلغ رسالتك بعدك يارسول الله ، قال : تخبر النّاس بما اشكل عليهم من تأويل القرآن .

وفيه أيضاً من كشف الغمة من كتاب محمّد بن عبدالله بن سليمان مسنداً عن أنس قال : كنت أخدم النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال لي يا أنس بن مالك : يدخل عليّ رجل امام المؤمنين ، وسيّد المسلمين وخير الوصيّين ، فضرب الباب فاذا عليّ بن أبيطالب عليه السلام فدخل بعرق فجعل النبيّ صلى الله عليه وآله يمسح العرق عن وجهه ويقول : أنت تؤدّى عنّى

أوتبلغ عني ، فقال : يا رسول الله أولم تبلغ رسالات ربّك ؟ فقال صلى الله عليه وآله : بلى ولكن أنت تعلم النّاس .

(و إتمام العدات) أى انجازها يحتمل أن يكون المراد بها ماوعده الله سبحانه في حقّه ، فقد علّمه رسول الله صلى الله عليه وآله بأن الله سيفي به بما انزل عليه في القرآن حيث قال : أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه .

روى في غاية المرام عن الحسن بن أبي الحسن الدّيلمي باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام في هذه الآية قال : الموعود عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، وعده الله أن ينتقم له من أعدائه في الدنيا ، ووعده الجنّة له ولأوليائه في الآخرة .

ولكنّ الأظهر أن يراد بها العدات و العهود التي عاهد عليها الله سبحانه ، ويشهد به قوله تعالى : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا. فقد روت الخاصّة و العامّة أنّها نزلت في عليّ عليه السلام وجعفر وحمزة .

روى في غاية المرام عن عليّ بن يونس صاحب كتاب صراط المستقيم قال : قال : روى المفسّرون أنها نزلت في عليّ وحمزة ، ولا ريب أنه لمّا قتل حمزة اختصّت بعليّ فامن منه التبديل بحكم التنزيل و روى اختصاصها بعليّ عليه السلام ابن عبّاس والصّادق عليه السلام وأبو نعيم.

و فيه أيضاً عن محمّد بن العباس الثقة في تفسيره فيما نزل في أهل البيت عليهم السلام باسناده عن جابر عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام عن محمّد بن الحنفية رضى الله عنه قال : قال عليّ عليه السلام : كنت عاهدت الله ورسوله أنا وعمّي حمزة وأخي جعفر وابن عمّي عبيدة بن الحارث على أمر وفينا به لله و رسوله ، فتقدّمني أصحابي و خلفت بعدهم لما أراد الله عزّ وجلّ ، فأنزل الله سبحانه فينا:

« مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ » حمزة وجعفر وعبيدة « وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ».

أنا المنتظر وما بدّلت تبديلا

أو يراد بها مواعيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي وعدها للنّاس فقد قال له رسول الله صلى الله عليه وآله : أنت وصيّي ووارثي وقاضي ديني و منجز عدتي ، وعلّمه صلى الله عليه وآله كيفيّة أدائها ومن أين يؤدّيها .

وقد روى في غاية المرام ، عن محمد بن عليّ الحكيم الترمذي من أعيان علماء العامة في كتابه المسمّى بفتح المبين من كتاب الأوصال قال : وروى أنّ أمير المؤمنين كرم الله وجهه قد أدّى سبعين ألفاً من دينه صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان أكثره من الموعود

وفيه أيضاً من كتاب ثاقب المناقب قال : حدّثني شيخي أبوجعفر محمد بن حسين الشهرابي في داره بمشهد الرّضا عليه السلام باسناده إلى عطا عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قدم أبو الصمصام العيسى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و أناخ ناقته على باب المسجد ودخل وسلّم وأحسن التسليم ثمّ قال : أيكم الفتى الغوى الذي يزعم أنه نبيّ ؟

فوثب إليه سلمان الفارسي «رض» فقال : يا أخا العرب أما ترى صاحب الوجه الأقمر ، والجبين الأزهر ، والحوض والشفاعة ، والتواضع والسكينة ، والمسألة والاجابة ، و السّيف و القضيب ، والتكبير والتهليل ، و الأقسام والقضية ، و الأحكام الخفيّة ، والنّور والشرف ، والعلوّ والرّفعة ، والسخاء والشجاعة والنجدة ، والصّلاة المفروضة و الزكاة المكتوبة ، و الحجّ والاحرام ، وزمزم والمقام ، و المشعر الحرام ، و اليوم المشهود ، والمقام المحمود ، والحوض المورود ، و الشفاعة الكبرى ، و ذلك مولانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

فقال الأعرابيّ : إن كنت نبيّاً فقل متى تقوم الساعة ومتى يجيء المطر وأيّ شيء في بطن ناقتي وأيّ شيء اكتسب هذا ومتى أموت ؟

فبقى صلى الله عليه وآله ساكتاً لا ينطق بشيء فهبط الأمين جبرئيل فقال : يا محمد اقرء :

« إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما في الْأَرْحامِ وَما تَدْري نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْري نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ

إنّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ »

قال الأعرابي : مدّ يدك فأنا أشهدأن لاإله إلاّ الله ، واقرّ أنّك رسول الله ؛ فأىّ شيء لي عندك إن آتيك بأهلي وبني عمّي مسلمين ؟ فقال له النّبي صلى الله عليه وآله : لك عندي ثمانون ناقة حمر الظهور ، بيض البطون ، سود الحدق ، عليها من طرايف اليمن ونقط (١) الحجاز .

ثمّ التفت النبيّ صلى الله عليه وآله إلى عليّ بن أبيطالب عليه السلام وقال صلى الله عليه وآله : اكتب ياأبا الحسن بسم الله الرّحمن الرّحيم أقرّ محمّد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدالمناف وأشهد على نفسه في صحّة عقله و بدنه وجواز أمره أنّ لأبي الصّمصام عليه و عنده وفي ذمّته ثمانين ناقة حمر الظهور ، بيض البطون ، سود الحدق عليها من طرايف اليمن ونقط الحجاز ، وأشهد عليه جميع أصحابه .

وخرج أبوالصّمصام إلى أهله ، فقبض النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقدم أبوالصّمصام و قد أسلم بنوعيس كلّها ، فقال أبوالصّمصام : ما فعل رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالوا: قبض ، قال: فمن الوصيّ بعده ؟ قالوا ماخلف فينا أحداً ، قال : فمن الخليفة بعده ؟ قالوا : أبوبكر فدخل أبوالصمصام المسجد فقال : ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ لي على رسول الله صلى الله عليه وآله ديناً ثمانين ناقة حمر الظهور ، بيض البطون ، سود الحدق عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز ، فقال أبوبكر يا أخا العرب سألت مافوق العقل ، والله ما خلف فينا رسول الله صلى الله عليه وآله لاصفراء ولا بيضاء ، خلف فينا بغلته الذلول ، ودرعه الفاضلة فأخذها عليّ بن أبي طالب ، وخلف فينا فدكا فأخذناها بحقّ ، ونبينا محمّد صلى الله عليه وآله لايورث .

فصاح سلمان : كردى ونكردى وحق أمير بردى ، ردّ العمل إلى أهله ثمّ مدّ يده إلى أبي الصّمصام فأقامه إلى منزل عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو يتوضّأ وضوء الصّلاة ، فقرع سلمان الباب ، فنادى عليّ عليه السلام : ادخل أنت وأبوالصّمصام العيسى

---

(١) لم أجد لفظ النقط في كتب اللغة والظاهر انه تحريف من النساخ والصحيح نمط الحجاز وهو ثوب من صوف ذوألوان ويقال أيضاً لما يفرش من مفارش الصوف الملوّنة ، منه.

فقال أبو الصمصام: اعجوبة ورب الكعبة، من هذا الذي سمّاني ولم يعرفني؟

فقال سلمان الفارسي «رض»: هذا وصيّ رسول الله، هذا الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وآله أنا مدينة العلم و عليّ بابها فمن أراد العلم فليأت الباب، هذا الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: عليّ خير البشر فمن رضى فقد شكر ومن أبى فقد كفر، هذا الذي قال الله تعالى فيه:

«وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّاً».

هذا الّذي قال الله تعالىٰ فيه: «أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ»

و هذا الّذي قال الله تعالىٰ فيه: «أَجَعَلْتُمْ سِقايَةَ الْحاجِّ وَعِمارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجاهَدَ في سَبيلِ اللهِ لا يَسْتَوُونَ»

هذا الّذي قال الله تعالىٰ فيه: «يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ». هذا الّذي قال الله تعالىٰ فيه: «فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» الآية.

هذا الّذي قال الله تعالىٰ فيه: «إِنَّما يُريدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهيراً»

هذا الّذي قال الله عزّ وجلّ فيه: «إِنَّما وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذينَ آمَنُوا الَّذينَ يُقيمُونَ الصَّلٰوةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكٰوةَ وَهُمْ راكِعُونَ»

ادخل يا أبا الصمصام و سلّم عليه، فدخل و سلّم عليه، ثمّ قال: إن لى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمانين ناقة حمر الظهور، بيض البطون، سود الحدق، عليها من طرائف اليمن و نقط الحجاز، فقال عليه السلام أمعك حجّة؟ قال: نعم، ودفع الوثيقة

فقال عليه السلام : ناد ياسلمان في الناس : ألامن أراد أن ينظر إلى قضاء دين رسول الله صلى الله عليه وآله فليخرج إلى خارج المدينة .

فلمّا كان بالغد خرج النّاس ، وقال المنافقون : كيف يقضي الدين وليس معه شيء غداً يفتضح من أين له ثمانون ناقة حمر الظهور ، بيض البطون ، سود الحدق عليها من طرائف اليمن ، ونقط الحجاز فلما كان الغد اجتمع الناس وخرج علي عليه السلام في أهل بيته ومحبّيه وفي الجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأسرّ الحسن عليه السلام سرّاً لم يدر أحد ما هو .

ثمّ قال : ياأباالصمصام امض مع ابني الحسن إلى كثيب الرّمل ، فمضى ومعه أبوالصّمصام ، وصلّى ركعتين عند الكثيب ، وكلّم الأرض بكلمات لا يدرى ماهي ، وضرب على الكثيب بقضيب رسول الله صلى الله عليه وآله ، فانفجر الكثيب عن صخرة ململمة مكتوب عليهاسطران ، على الأوّل لاإله إلاّ الله محمد رسول الله ، وعلى الآخر لاإله إلاّ الله وعليّ وليّ الله ، وضرب الحسن عليه السلام تلك الصّخرة بالقضيب فانفجرت عن خطام ناقة ، فقال الحسن عليه السلام : قدياأبا الصّمصام ، فقاد ، فخرج منها ثمانون ناقة حمر الظهور ، بيض البطون ، سود الحدق ، عليهامن طرائف اليمن ، ونقط الحجاز ، ورجع إلى علي عليه السلام فقال عليه السلام : استوفيت حقك يا أباالصّمصام ؟ فقال : نعم ، فقال عليه السلام : سلّم الوثيقة ، فسلّمها إليه فخرقهافقال : هكذا أخبرني ابن عمّي رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الله عزّوجلّ خلق هذه النّوق في هذه الصخرة قبل أن يخلق ناقة صالح بألفى عام ، ثمّ قال المنافقون : هذا من سحر عليّ قليل .

قال صاحب ثاقب المناقب : ويروى هذا الخبر على وجه آخر وهو ماروى أبومحمد الادريسى عن حمزة بن داود الديلمي عن يعقوب بن يزيد الانبارى عن أحمد ابن محمد بن أبي نصر عن حبيب الأحول عن أبي حمزة الثّمالي عن شهر بن حوشب عن ابن عبّاس قال :

لمّا قبض النّبي صلى الله عليه وآله وجلس أبوبكر نادى في النّاس : ألا من كان له على رسول الله صلى الله عليه وآله عدة أودين فليأت أبابكر وليأت معه شاهدين ، ونادى عليّ عليه السلام بذلك

على الاطلاق من غير طلب شاهدين ، فجاء أعرابي متلثم متقلداً سيفه متنكبا كنانته وفرسه لايرى منه إلاّحافره ، وساق الحديث ولم يذكر الاسم والقبيلة، وكان ما وعده مأة ناقة حمراء بأزمتها وأثقالهاموقـرة ذهباً وفضّة بعبيدها .

فلما ذهب سلمان بالأعرابي إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قال له حين بصربه : مرحباً بطالب عدة والده من رسول الله صلى الله عليه وآله : فقال : ما وعد أبي يا أباالحسن ؟

قال : إنّ أباك قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله قال : أنا رجل مطاع في قومي إن دعوتهم أجابوك ، و إنّي ضعيف الحال فما تجعل لي إن دعوتهم إلى الاسلام فأسلموا فقال صلى الله عليه وآله : من أمر الدّنيا أم من أمرالآخرة ؟ قال : وماعليك أن تجمعهما بي يا رسول الله و قد جمعهما الله لأُناس كثيرة ، فتبسّم النبي صلى الله عليه وآله و قال : اجمع لك خير الدّنيا والآخرة ،أما في الآخرة فأنت رفيقي في الجنة ، وأمّا في الدّنيا فما تريد ؟ قال : مأة ناقة حمر بأزمتها وعبيدها موقرة ذهباًوفضّة ، ثمّ قال : وإن دعوتهم فأجابوني وقضى عليّ الموت ولم ألقك فتدفع ذلك إلى ولدى قال : نعم على أني لا أراك ولا تراني في دار الدّنيا بعد يومي هذا ، و سيجيبك قومك ، فاذا حضرتك الوفاة فليصر ولدك إلى وليّي من بعدي ووصيّي ، وقد مضى أبوك ودعاقومه فأجابوه و أمرك بالمصير إلى رسول الله صلى الله عليه وآله او إلى وصيّه ، وها أنا وصيّه ومنجزوعده .

فقال الأعرابي : صدقت يا أباالحسن ، ثمّ كتب عليه السلام له على خرقـة بيضاء وناول الحسن عليه السلام ، وقال : يا أبامحمّد سر بهذا الرجل إلى وادي العقيق و سلّم على أهله و اقذف الخرقة و انتظر ساعة حتّى ترى ما يفعل ، فان دفع إليك شيء فادفعه إلى الرجل ، ومضيا بالكتاب .

قال ابن عباس : فسرت من حيث لم يرني أحد ، فلما أشرف الحسن عليه السلام على الوادي نادى بأعلى صوتـه السّلام عليكم أيّها السكان البررة الأتقيا أنا ابن وصيّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنا الحسن بن عليّ سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وابن رسول الله صلى الله عليه وآله ورسوله إليكم ،وقد قذف الخرقة في الوادي فسمعت من الوادي صوتاً لبّيك لبّيك يا سبط رسول الله وابن البتول و ابن سيدالاوصياء سمعنا و أطعنا انتظر ليدفع إليك ،

فبينا أنا كذلك إذ ظهر غلام لم ادر من اين ظهر وبيده زمام ناقة حمراء تتبعها ستة فلم يزل يخرج غلام بعد غلام في يد كلّ غلام قطار حتّى عددت مأة ناقة حمراء بأزمتها وأحمالها ، فقال الحسن عليه السلام خذ بزمام نوقك وعبيدك ومالك وامض يرحمك الله هذا

و قد روى هذا الحديث بطرق آخر من العامة والخاصّة نحواً ممّا رويناه .

وأما قوله : (و تمام الكلمات) فقد فسره الشارح المعتزلى بتأويل القرآن وبيانه الذى يتمّ به، قال: لأنّ فى كلامه تعالى المجمل الذى لا يستغنى عن متمّم ومبيّن يوضحه

أقول : إذا كان متمّم القرآن ومبيّنه هو أمير المؤمنين عليه السلام ولم يمكن الاستغناء فيه عنه عليه السلام ، فكيف يمكن معذلك تقديم أجلاف العرب الذين لا يعرفون من القرآن إلا اسمه عليه و ترجيحهم عليه ، فانّ القرآن هو إعجاز النبوّة وأساس الملّة و عماد الشريعة، فلابد أن يكون القيّم به والعارف له والحافظ لأسراره، هو الحجّة لاغير كما هو غير خفيّ على الذكي ذى الفطنة .

ثمّ أقول الذي عندي أنه يجوز أن يراد بالكلمات الكلمات القرآنية خصوصاً أعنى الآيات وما تضمّنته من التأويل والتنزيل والمفهوم والمنطوق والظهر والبطن والنكات والأسرار ، ومافيها من الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه والعام و الخاص والمطلق والمقيّد والمجمل والمبيّن والأمر والنهى والوعد والوعيد والجدل والمثل والقصص والترغيب والترهيب إلى غير ذلك ، فانّ تمام ذلك وكلّه عند أمير المؤمنين عليه السلام والعلم بجميع ذلك مخصوص به وبالطاهرين من أولاده سلام الله عليهم حسبما عرفته تفصيلا وتحقيقاً فى التّذييل الثّالث من تذييلات الفصل السابع عشر من فصول الخطبة الأولى .

وأن يراد بها مطلق كلمات الله النازلة على الأنبياء والرّسل في الكتب السماوية والصّحف الالهيّة ، وقد مضى مايدلّ على معرفتهم بتمام هذه في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية عند قوله عليه السلام: و كهف كتبه

وأن يراد بها الأعمّ من هذه أيضاً ، وهو الأنسب باقتضاء عموم وظيفتهم عليهم السلام ، فيكون المراد بها ما ورد في غير واحد من الأخبار من أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّم علياً كلمة تفتح ألف كلمة و ألف كلمة يفتح كلّ كلمة ألف كلمة ، و عبّر عنها في أخبار اخر بلفظ الباب وفي بعضها بلفظ الحديث وفي طايفة بلفظ الحرف .

مثل مارواه في غاية المرام عن المفيد مسنداً عن أبي حمزة الثمالي عن علي ابن الحسين عليهما السلام قال : علّم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً كلمة تفتح ألف كلمة ، وألف كلمة يفتح كلّ كلمة ألف كلمة .

وفيه عن المفيد أيضاً باسناده عن عبدالرّحمن بن أبي عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام قال : علّم رسول الله صلى الله عليه وآله علياً حرفاً يفتح ألف حرف كلّ حرف منها يفتح ألف حرف .

و فيه أيضاً عن محمّد بن الحسن الصّفار مسنداً عن أبي حمزة الثّمالى عن أبي إسحاق السّبيعى قال : سمعت بعض أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام ممّن يثق به يقول : سمعت عليّاً عليه السلام يقول : إنّ في صدرى هذا العلماً جمّاً علّمنيه رسول الله صلى الله عليه وآله لوأجد له حفظة يرعونه حقّ رعايته ويروونه عنّي كما يسمعونه منّي إذا لأودعتهم بعضه ، يعلم به كثيراً من العلم مفتاح كلّ باب و كلّ باب يفتح ألف باب .

وفيه أيضاً عن محمّد بن عليّ الحكيم الترمذى عن صاحب الينابيع قال : سأل قوم من اليهود عمر في زمن خلافته عن مسائل بشرط إن أجابهم أو غيره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم آمنوا به صلى الله عليه وآله وقالوا :

ما قفل السماء و ما مفتاح ذلك القفل ؟ و ما القبر الجاري ؟ و من الرّسول الذي وعظ قومه و لم يكن من الجنّ ولا من الانس ؟ و من الخمسة الذين يسيرون في الأرض و لم يخلقوا في أرحام الأمهات ؟ و ما يقول الدّيك في صوته ؟ و الدرّاج في هديده ؟ والقمري في هديره ؟ والفرس في صهيله ؟ والحمار في نهيقه ؟ والضفدع في نقيقه ؟ فأطرف عمر زماناً ثمّ رفع رأسه قال لا أدرى ، فقالوا : علمنا أنّ دينكم باطل ، فغدا سلمان «ض» جدّاً وأخبر علياً بالقصّة فأتي فلما رآه استقبله وعانقه وأخبره بالقصّة فقال كرّم الله وجهه لاتبال فانّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علّمني ألف باب من العلم كان يتشعّب منه ألف باب آخر ، قال عمر فا سألوه عنها ، فقال في جوابهم :

أمّا قفل السّماء فهو الشرك ، و أمّا مفتاح ذلك القفل فقول لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله ، قالوا : صدق الفتى ، ثمّ قال : وأمّا القبر الجارى فهو الحوت الذي

كان يونس في بطنه حيث دار به في سبعة أبحر ، و أمّا الرّسول الذي لم يكن من الجنّ والانس فنملة سليمان كما قال الله تعالى :

« قالَتْ نَمْلَةٌ يا أيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلوُا مَساكِنَكُمْ لاٰ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاٰ يَشْعُرُونَ » .

وأمّا الخمسة الذين لم يخلقوا في أرحام الاُمّهات فآدم ، وحوّا ، وناقة صالح ، و كبش إبراهيم ، وثعبان موسى ، وأمّا الديك فيقول : اذكروا الله أيّها الغافلون ، وأمّا الدرّاج فيقول : الرّحمن على العرش استوى . وأمّا القمرى فيقول : اللهمّ العن مبغضي محمّد و آل محمّد ، و أمّا الفرس فيقول عند الغزو : اللهمّ انصر عبادك المؤمنين على عبادك الكافرين ، و أمّا الحمار فيلعن العشّار ولا ينهق إلاّ في وجه الشيطان ، وأمّا الضفدع فيقول : سبحان ربّي المعبود في لجج البحار .

وروى أنّهم كانوا ثلاثة فآمن منهم اثنان ، وقام ثالثهم فسأل عن أصحاب الكهف وعن أسمائهم وأسماء كهفهم و اسم كلبهم ، فأخبر بكلّها عليّ رضى الله عنه كما رواه عنه صاحب الكشاف في تفسير سورة الكهف ، وقصّ قصّتهم ، فآمن اليهودي .

ثمّ قال عليه السلام : (وعندنا أهل البيت أبواب الحكم) يجوز أن يراد بالحكم على رواية ضمّ الحاء و سكون الكاف القضاء والفصل بين الناس في الخصومات والدعاوى ، و أن يراد به الحكم الشرعي الفرعي أعني خطاب الله المتعلّق بأفعال المكلّفين .

فعلى الاول فالظاهر أنّ المراد بأبوابه هو طرقه ووجوهه ، فانهم عليهم السلام كانوا عالمين بها عارفين بتمامها يحكمون في القضايا الشخصية على مايقتضيه المصلحة الكامنة الظاهرية أوالواقعيّة .

ففى بعضها كانوا يحكمون بظاهر الشريعة على مايقتضيه اليمين والبيّنة ، وهوالمراد بما روى عن النبي صلّى الله عليه وآله أنه قال : انّما أنا بشر مثلكم وإنما تختصمون إليّ ولعلّ بعضكم يكون أعرف بحجّته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حقّ أخيه فلا يأخذه فانما اقطع له قطعة من النار .

وفي بعضها بمرّ الحقّ على وجه التّدبير واستخراج وجه الحيلة والاحتيال في اعمال الحقّ و استخراج الافراد بالحقوق الباطنة بلطايف الفكر كما كان يفعله أمير المؤمنين عليه السلام في أيام خلافة عمرو غيرها كثيراً ، مثل قضائه في المرأة التي استودعها رجلان وديعة ، وفي المرأة التي توفّي عنها زوجها وادّعى بنوها أنّها فجرت وفي الجارية التي افتضتها سيّدتها اتهاماً ورميالها بالفاحشة حسبما تقدّم تفصيل ذلك كلّه في شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية .

و مثل ما رواه عنه في الفقيه قال : قال أبو جعفر عليه السلام : توفّي رجل على عهد أمير المؤمنين و خلّف ابنا وعبداً فادّعى كلّ واحد منهما انه الابن و أنّ الآخر عبده فأتيا أمير المؤمنين عليه السلام فتحاكما إليه ، فأمر أمير المؤمنين أن يثقب في حايط المسجد ثقبتان ، ثمّ أمر كلّ واحد منهما أن يدخل رأسه في ثقب ، ففعلا ، ثمّ قال : ياقنبر جرّد السيف و أشار إليه لا تفعل ما آمرك به ، ثمّ قال عليه السلام اضرب عنق العبد العبد قال فنحّى العبد رأسه فأخذه أمير المؤمنين عليه السلام وقال للآخر أنت الابن وقد اعتقته وجعلته مولى لك .

وفي بعضها بالحكم الواقعي المحض وبه يحكم القايم من آل محمّد سلام الله عليه وعليهم بعد ظهوره ، وهو المعبّر عنه بحكم داود وآل داود في الأخبار ، فانّ داود عليه السلام كان يعمل زمانا على مقتضى علمه بالوحي من دون أن يسأل عن البيّنة ، ثمّ إنّ بني إسرائيل اتّهموه لبعده عن طور العقل ، فرجع إلى العمل بالبينات ، وقد رويناه في شرح الفصل المذكور من الخطبة الشقشقية عن الساباطي قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام بما تحكمون إذا حكتم ؟ فقال : بحكم الله وحكم داود الحديث ، وقد مضى ثمّة أخبار اخر بهذا المعنى .

و كان أمير المؤمنين عليه السلام يحكم بهذا الحكم احياناً ، مثل ما روى عنه في محاكمة رسول الله صلّى الله عليه وآله مع الاعرابي .

قال في الفقيه : جاء أعرابيّ إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فادّعى عليه سبعين درهماً ثمن ناقة باعها منه ، فقال صلّى الله عليه وآله قد أوفيتك ، فقال : اجعل بيننا و بينك رجلا يحكم بيننا

فأقبل رجل من قريش فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : احكم بيننا ، فقال للأعرابي : ماتدّعى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : سبعين درهماً ثمن ناقة بعتها منه ، فقال : ما تقول يا رسول الله ؟ قال : قد أوفيته ، فقال للأعرابي : ما تقول ؟ قال : لم يوفني ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألك بيّنة على أنك قد أوفيته ؟ قال : لا ، قال للأعرابي : أتحلف أنك لم تستوف حقك و تأخذه ؟ فقال : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لأتحاكمنّ مع هذا إلى رجل يحكم بيننا بحكم الله عزّ وجلّ ، فأتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام ومعه الأعرابي فقال عليّ عليه السلام : مالك يارسول الله ؟ فقال : ياأباالحسن احكم بيني و بين هذا الأعرابي ، فقال عليّ عليه السلام : يا أعرابي ما تدّعى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : سبعين درهماً ثمن ناقة بعتهامنه ، فقال : ماتقول يارسول الله ؟ فقال : قد أوفيته ثمنها ، فقال : يا أعرابي اصدق رسول الله فيما قال ؟ قال : لا ، ما أوفاني شيئاً ، فأخرج علي عليه السلام سيفه فضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لم فعلت ذلك ياعلي ؟ فقال : يارسول الله نحن نصدّقك على أمر الله ونهيه وعلى أمر الجنة والنار والثواب والعقاب ووحى الله عزّ وجلّ ، ولانصدّقك في ثمن ناقة هذا الاعرابي ، و إنّي قتلته لأنّه كذّبك لمّا قلت له اصدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما قال فقال لا ما أوفاني شيئاً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أصبت يا عليّ فلا تعد إلى مثلها ، ثمّ التفت صلى الله عليه وآله وسلم إلى القرشي وكان قد تبعه فقال صلى الله عليه وآله وسلم : هذا حكم الله لاماحكمت به .

وفي رواية محمّد بن بحر الشّيباني عن أحمد بن الحارث قال : حدّثنا أبوأيوب الكوفي قال : حدّثنا إسحاق بن وهب العلاّف قال : حدّثنا أبوعاصم النبال عن ابن جريح عن الضحاك عن ابن عبّاس قال :

خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من منزل عايشة فاستقبله أعرابيٌّ و معه ناقة فقال : يا محمّد تشري هذه النّاقة ؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : نعم بكم تبيعها يا أعرابي ، فقال : بمأتي درهم ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : بل ناقتك خيرمن هذا ، قال : فما زال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يزيد حتى اشترى الناقة بأربعمأة درهم ، قال : فلمّا دفع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى أعرابي الدّراهم ضرب الأعرابي يده إلى زمام الناقة فقال : الناقة ناقتي والدّراهم دراهمي فان

كان لمحمّد شيء فليقم البيّنة ، قال : فأقبل رجل فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أترضى بالشّيخ المقبل ؟ قال : نعم يا محمّد ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : تقضي فيما بيني وبين هذا الاعرابي فقال : تكلّم يارسول الله ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : الناقة ناقتي والدّراهم دراهم الاعرابي فقال الاعرابي : بل الناقة ناقتي والدّراهم دراهمي إن كان لمحمّد شيء فليقم البيّنة ، فقال الرّجل : القضيّة فيها واضحة يا رسول الله ، و ذلك أنّ الاعرابي طلب البيّنة ، فقال له النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : اجلس فجلس ، ثمّ أقبل رجل آخر فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : أترضى يا أعرابي بالشيخ المقبل ؟ فقال : نعم يا محمّد ، فلمّا دنى قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : اقض فيما بيني وبين هذا الأعرابي ، فقال تكلّم يارسول الله فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : الناقة ناقتي والدّراهم دراهم الأعرابي ، فقال الأعرابي : بل الناقة ناقتي و الدّراهم دراهمي إن كان لمحمّد شيء فليقم البيّنة ، فقال الرّجل : القضيّة فيها واضحة يا رسول الله لأنّ الأعرابي طلب البيّنة ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : اجلس حتّى يأتي الله عزّ وجلّ بمن يقضي بيني وبين الأعرابي بالحقّ ، فاقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله أترضى بالشّاب المقبل ؟ فقال : نعم ، فلمّا دنى قال النّبيّ صلى الله عليه وآله : يا أباالحسن اقض فيما بيني وبين الأعرابي ، فقال : تكلّم يارسول الله ، فقال النّبيّ صلى الله عليه وآله : الناقة ناقتي والدّراهم دراهم الأعرابي ، فقال الأعرابي ، بل الناقة ناقتي والدّراهم دراهمي إن كان لمحمّد شيء فليقم البيّنة ، فقال عليّ عليه السلام : خلّ بين النّاقة و بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال الأعرابي : ما كنت بالّذي أفعل أويقيم البيّنة ، قال فدخل علي عليه السلام منزله فاشتمل على قائم سيفه ثمّ أتا فقال خلّ بين النّاقة وبين رسول الله قال ما كنت بالذي أفعل أويقيم البيّنة ، قال : فضربه عليّ ضربة فاجتمع أهل الحجاز على أنـه رمى برأسه و قال بعض أهل العراق : بل قطع عضواً منه قال فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم : ماحملك على هذا ياعليّ ؟ فقال: يارسول الله نصدّقك على الوحى من السماء ولا نصدّقك على أربعمأة درهم ، قال الصدوق (ره) بعد رواية هذين الحديثين انهما غير مختلفين لأنهما في قضيّتين وكانت هذه القضيّة قبل القضيّة التي ذكرتها قبلها، هذا .

وقد تقدّم في شرح الكلام الثّامن والخمسين ماينفعك في هذا المقام .

وعلى الثاني أي على كون المراد بالحكم الأحكام الشرعية فالمراد بأبوابه هوطرق الافتاء ووجوه بيان المسائل على ماتقتضيه المصلحة فيفتون بعض الناس بالحكم الواقعي و بعضهم بالتقيّة حقنا لدمائهم أو لدماء السائلين حسبما تقدّم تفصيل ذلك أيضاً في شرح الكلام الثامن والخمسين في بيان وجوه التفويض فتذكر .

و كيف كان فقد وضح وظهر ممّا قرّرنا أنّ الأئمة عليهم السلام عندهم أبواب الحكم بأيّ معنى اخذ الحكم وأنهم عارفون بها محيطون بأقطارها ، وهذا الوصف مخصوص بهم لا يوجد في غيرهم ، لأنّ معرفة المصالح الكامنة لا يحصل إلاّ بتأييد الهى و قوّة ربّانية مخصوصة بأهل العصمة والطهارة .

ولذلك أي لقصد الاختصاص والتخصيص قدّم عليه السلام المسند وقال : وعندنا أبواب الحكم (و ضياء الأمر) و المراد بالأمر إمّا الولاية كما كنّى به عنها كثيراً في اخبار أهل البيت عليهم السلام ، وفي قوله تعالى وأُولي الأمر منكم ، والضياء حينئذ بمعناه الحقيقي أي عندنا نور الامامة والولاية، وإمّا الأوامر الشرعيّة فالضياء استعارة للحقّ لأنّ الحقّ يشبه بالنور كما أنّ الباطل يشبه بالظلمة قال سبحانه :

« أَللّهُ وَلِيُّ الّذينَ آمَنُوا يُخرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمـاتِ إِلَى النُّورِ وَ الّذينَ كَفَرُوا أَوْلياؤُهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُماتِ »

فالمقصود أنّ الأئمة عليهم السلام عندهم حقّ الأوامر الشرعيه و التّكاليف الالهية ، و إليه اشير في قوله سبحانه :

« أَطيعُوا اللّهَ وَأَطيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » .

وإمّا مطلق الأُمور المقدّرة في الكون كماقال تعالى:

« تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فيها بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ »

أي تنزّل إلى وليّ الأمر بتفسير الأُمور على ما تقدّم تحقيقه بما لامزيد عليه في شرح

الفصل الرابع من فصول الخطبة الثانية .

ثمّ انه عليه السلام بعد ما ذكر جملة من فضايله وفضائل آله الطّاهرين سلام الله عليهم أجمعين أردف ذلك بالاشارة إلى وجوب اتّباعهم وأخذ معالم الدّين عنهم عليهم السلام فقال (ألاوإنّ شرايع الدّين) وطرقه أى قواعده وقوانينه (واحدة وسبله قاصدة) أى معتدلة مستقيمة و هي ما دلّ عليها أهل بيت العصمة و الطهارة ، لأنهم أولياء الدّين وأبواب الايمان وأُمناء الرّحمن والأدلاّء على الشريعة والهداة إلى السنة (من أخذ بها) واتّبع أئمة الهدى سلك الجادّة الوسطى و (لحق) بالحقّ (وغنم) النعمة العظمى (و من وقف عنها) و انحرف عن الصراط الأعظم و السّبيل الأقوم وأخذ في أمر الدين بطرق الأقيسة ووجوه الاستحسانات العقلية ، أو رجع فيه إلى الهمج الرعاع وأئمة الضّلال العاملين فيه لعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة (ضلّ وندم) وقد تقدّم في شرح الكلام السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ماينفعك في هذا المقام.

ثمّ أمر بتحصيل الزاد ليوم المعاد فقال عليه السلام (اعملوا اليوم تذخر له الذخاير) وهى الأعمال الصّالحة (وتبلى فيه السرائر) الغرض بالوصف إمّا تخصيص الموصوف أو التهويل حثاً بالعمل كما في قوله سبحانه :

« فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ».

والجملة الثانية مأخوذة من الكتاب العزيز قال تعالى: يوم تبلى السراير، أى تختبر و السرائر: ماأسرّ القلوب من العقايد والنيات و غيرها و ما خفى من الأعمال قال الطبرسي :والسّرائر أعمال بني آدم والفرائض ما أوجبت عليه وهى سرائر في العبد تختبر تلك السرائر يوم القيامة حتّى يظهر خيرها وشرّها .

و عن معاذ بن جبل قال : سألت النبيّ ما هذه السرائر التي تبلى بها العباد يوم القيامة ؛ قال صلى الله عليه وآله سرائر كم هي أعمالكم من الصّلاة والزكاة ، و الصيام والوضوء و الغسل من الجنابة و كلّ مفروض لأنّ الأعمال كلّها سرائر خفيّة فان شاء قال صلّيت ولم يصلّ ، وإن شاء قال توضّأت ولم يتوضّ ، فذلك قوله: يوم تبلى السرائر هذا .

و لما كان كمال القوّة العملية لايحصل إلاّ بكمال القوّة النظرية أردفه بقوله (و من لاينفعه حاضر لبّه فعازبه) أى بعيده (أعجزوغايبه أعوز) أى أعدم للمنفعة يعني أنّ من لاينفعه لبّه الحاضر وعقله الموجود فهو بعدم الانتفاع بماهوغير حاضر ولا موجود عنده من العقل أولى وأحرى

وقيل في تفسيره وجوه أُخر: **الاول** من لايعتبر بلبّه في حياته فأولى بأن لاينتفع به بعد الموت **الثاني** أنّ من لم يعمل بما فهم وحكم به عقله وقت امكان العمل فأحرى أن لاينتفع به بعد انقضاء وقته بل لا يورثه إلاّ ندامة وحسرة **الثالث** أنّ من لم يكن له من نفسه رادع وزاجر فمن البعيد ان ينزجر ويرتدع بعقل غيره وموعظة غيره كما قيل: وزاجر من النفس خير من عتاب العواذل

و لما حثّ بالعمل أكّده بالتحذير من النار فقال (و اتّقوا ناراً حرّها شديد وقعرها بعيد وحليتها حديد وشرابها صديد) لايخفى ما في هذه الفقر من حسن الخطابة حيث ناط بكلّ لفظة ما يناسبها ويلايمها لو نيطت بغيرها لم تلائم ، والاضافة في القرينة الأولى على أصلها ، و في الأخيرة لأدنى المناسبة ، و في الوسطين تحتمل الأول و الثّاني ، و استعارة الحلية للقيود و الاغلال من باب التحكم ، والقرينة الأُخرى مأخوذة عن قوله سبحانه : يُسْقَىٰ مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ ، وهو القيح والدّم ، وقيل : هو القيح كأنه الماء في رقته والدّم في شكله ، وقيل : هو مايسيل من جلود أهل النار و كيف كان فتوصيف النار بهذه الأوصاف الأربعة للتحذير والترهيب منها كما أنّ في ذكر حلية أهل الجنّة وشرابهم في قوله تعالى :

« وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَ سَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً ».

ترغيبا و تشويقاً إليها

ثمّ قال (ألا وإنّ اللّسان الصالح) اى الذكر الجميل تسمية للشيء باسم مسبّبه (يجعله الله للمرء في الناس خير له من مال يورثه من لايحمده) وقد مرّ نظير هذه العبارة في الفصل الثاني من فصلي الخطبة الثالثة والعشرين ، والمراد أنّ تحصيل مكارم الأخلاق

ومحاسن الأفعال من البذل والانفاق ونحوهما مما يوجب الثناء الجميل في الدنيا والثواب الجزيل في العقبا خير من تحصيل المال وجمعه وتوريثه من لا يشكره عليه أى وارثه الذي لا يعد ذلك الايراث فضلا ونعمة لايجابه العذاب الأليم والندم الطويل وهو شاهد بالعيان معلوم بالوجدان

الترجمة

از جمله كلام بلاغت فرجام آن امام أنام است كه فرموده :

قسم بخداوند بتحقيق كه تعليم كرده شده‌ام من برسانيدن رسالتها را ، وتمام كردن وعدها را ، وتمامى كلمه‌ها را ، ونزد ما أهل بيت است بابهاى أحكام ، وروشنى امورات ، آگاه باشيد و بدانيد كه طرق دين يكى است ، و راههاى آن معتدل ومستقيم است ، هركه فرا گرفت آنرا رسيد بمقصد وغنيمت يافت ، وهركه وا ايستاد از آن گمراه شد وبضلالت وندامت شتافت ، عمل نمائيد از براى روزيكه ذخيره كرده ميشود از براى آن روز ذخيرها ، وامتحان كرده ميشود در آن روز عقايد صحيحه وفاسده ونيات حقّه وباطله ، وكسيكه فائده نبخشد اورا عقل او كه حاضر است پس عقلى كه بعيد است از او عاجزتر است از نفع بخشيدن ، وعقلى كه غائب است از آن عادم تر است منفعت را ، و بترسيد از آتشى كه گرمى آن سخت است ، وتهِ آن دور است ، وزينت آن آهن است ، وشراب آن زردابست ، بدانيد كه بدرستى كه زبان خوشى كه بگرداند اورا خداوند تعالى از براى مرد درميان خلق بهتر است مر اورا از مالى كه ارث بگذارد آنرا بكسيكه ستايش نكند اورا بكثير وقليل آن ولنعم ماقيل:

كسى كو شد بنام نيك مشهور　　　پس از مرگش بزرگان زنده دانند
ولى آنرا كه بدفعل است وبدنام　　　اگرچه زنده باشد مرده خوانند

و قال آخر :

سعديا مرد نكو نام نميرد هرگز　　　مرده آنست كه نامش بنكوئى نبرند

ومن كلام له ﷺ وهو المأة والعشرون من المختار في باب الخطب

وقد قام اليه رجل من أصحابه فقال نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الامرين أرشد، فصفق (ع) احدى يديه على الأخرى ثمّ قال

هٰذا جَزاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ، أما وَ اللهِ لَوْ أنّي حينَ أمَرْتُكُمْ بِما أمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الّذي يَجْعَلُ اللهُ فيهِ خَيْراً فَإنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وإنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإنْ أبَيْتُمْ تَدارَكْتُكُمْ، لَكانَتِ الْوُثْقى وَ لٰكِنْ بِمَنْ وَ إلىٰ مَنْ؟ أُريدُ أنْ أُداوِيَ بِكُمْ وَ أنْتُمْ دائي كَناقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أنَّ ضَلَعَها مَعَها، أللّٰهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أطِبّاءُ هٰذَا الدّاءِ الدَّوِيِّ، وَ كَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأشْطانِ الرَّكِيِّ، أيْنَ الْقَوْمُ الّذينَ دُعُوا إلَى الْإسْلامِ فَقَبِلُوهُ، وَ قَرَؤُا الْقُرْآنَ فَأحْكَمُوهُ، وَ هيجُوا إلَى الْجِهادِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقاحِ إلىٰ أوْلادِها، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أغْمادَها، وَ أخَذُوا بِأطْرافِ الْأرْضِ زَحْفاً زَحْفاً، وَصَفّاً صَفّاً، بَعْضٌ هَلَكَ، وَبَعْضٌ نَجىٰ، لا يُبَشَّرُونَ بِالْأحْياءِ، وَلا يُعَزَّوْنَ عَنِ الْمَوْتىٰ، مُرْهُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكاءِ، خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيامِ، ذُبُلُ الشِّفاهِ مِنَ الدُّعآءِ، صُفْرُ الْألْوانِ مِنَ السَّهَرِ، عَلىٰ وُجُوهِهِمْ «عَلَيْهِمْ خ» غَبَرَةُ الْخاشِعينَ، أُولٰئِكَ إخْواني الذّاهِبُونَ، فَحَقَّ لَنا أنْ

نَظْمَاءَ إِلَيْهِمْ ، وَنَمَصّ الأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ ، إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحِلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ « وَبِالْفُرْقَةِ الْفِتْنَةَ خ » ، فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ ، وَاقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَاعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ .

اللغة

(العقدة) بالضمّ الرأى والحزم والنظر في المصالح وما تمسكه وتوثقه و (نقش الشوكة) إذا استخرجها من جسمه وبه سمي المنقاش الذى ينقش به و (الضلع) محرّكة الميل والهوى وضلعك مع فلان أى ميلك وهواك قال الفيروزآبادي ' قيل والقياس تحريكه ، لأنهم يقولون ضلع مع فلان كفرح ولكنهم خفّفوا انتهى . و يستفاد منه جواز القرائة بفتح اللاّم وسكونها معا ، الأوّل على القياس لكونه مصدرضلع من باب فرح ، والثاني على التخفيف .

و (الدّاء الدوى) الشديد كقولهم يسيل السّيل وشعر شاعر و (النزعة) جمع نازع كمردة و مارد و هو الذي يستقى الماء و (الأشطان) جمع الشّطن كالأسباب و السّبب و هوالجهل و (الرّكى) جمع الرّكية وهى البئر و في بعض النسخ : فولهوا اللّقاح، باسقاط لفظة الوله و (اللّقاح) بكسر اللاّم الابل الواحدة لقوح كصبور وهي الحلوب أوالتي نتجت هى لقوح إلى شهرين أوثلاثة ، ثمّ هى لبون و (زحف) اليه كمنع زحفا وزحوفا وزحفانا مشى ، والزحف أيضاً الجيش لأنّهم يزحفون إلى العدوّويمشون و (الصّف) مصدر كالتصفيف ويقال أيضاً للقوم المصطفين.

و (المره) بضمّ الميم وسكون الراء مرض في العين بترك الكحل من مرهت عينه كفرحت فسدت بترك الكحل و (خمص البطن) مثلّثة خلاه (ذبل) الشيء ذبولا من باب قعد قلّ نضارته و ذهب ماؤه و (الظماء) محرّكة شدّة العطش و (سنّاه) تسنية فتحه و سهله و (الفرقة) وفي بعض النسخ بكسر الفاء وهو الطائفة

من الناس والجمع فرق كسدرة وسدر وفي بعضها بالضمّ وهواسم من فارقته مفارقته وفراقاً .

الاعراب

أما حرف استفتاح يبتدء بها الكلام وتدخل كثيراً على القسم كماهنا ، وقوله والله لوأنّى ، لو حرف شرط ، وأنّي حملتكم ، واقع موقع الشرط لكون أنّ بالفتح فاعلاالفعل محذوف يفسّره قوله: حملتكم ، وهذا أعنى تقدير الفعل بعدلو التي يليها أنّ هومذهب المبرّد ، وقال السيرافى : الذي عندي أنّه لايحتاج إلى تقدير الفعل ولكن انّ يقع نائبة عن الفعل الذي يجب وقوعه بعدلو لأنّ خبر انّ إذا فعل ينوب لفظه عن الفعل بعدلو ، فاذا قلت لوأنّ زيداً جائني ، فكأنّك قلت لوجائني زيد .

وقوله : حين أمرتكم ، متعلّق بحملتكم والتّقدّم للتوسّع ، وجواب لومحذوف استغناء عنه بجواب القسم وهو قوله : لكانت الوثقى ، وانما جعلناه جوابا للقسم دون لوبحكم علماء الأدبية ، قال نجم الأئمة : إذا تقدّم القسم أوّل الكلام وبعده كلمة الشرط سواءكانت إن ، أولو ، أولولا ، أواسم الشرط ، فالأكثر والأولى اعتبار القسم دون الشرط فيجعل الجواب للقسم ، ويستغنى عن جواب الشرط لقيام جواب القسم مقامه ، نحو:

« وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِاللهِ خَيْرٌ » .

وتقول : والله أن لوجئتنى لجئتك ، واللاّم جواب القسم لا جواب لو ولوكانت جواب لولجاز حذفها ولايجوز في مثله ، وكذا تقول : والله لوجئتنى ما جئتك ، ولا تقول لماجئتك ، ولوكان الجواب للولجاز ذلك، انتهى.

و قوله عليه السلام : ممّن وإلى من ، حذف متعلّقهما بقرينة المقام و ستعرفه في بيان المعنى ، وقوله أين القوم أين كلمة استفهام استعملت هنامجازاً في التحسّر والتأسّف على السّلف الماضين ، وهومن باب تجاهل العارف ، وأغمادها منصوب بنزع الخافض أوبدل من السيوف ، وأخذوا بأطراف الأرض ، إمّا من باب القلب أى أخذوا الأرض بأطرافها كما تقول : أخذوا بزمام النّاقة ، أو الباء زائدة ، أى أخذوا على النّاس

أطراف الأرض أى حصروهم .

و زحفاً زحفاً و صفاًصفاً ، منصوبان على الحال من فاعل أخذوا ، أى زحفا بعد زحف وصفابعد صف ، أىذوى صفوف كثيرة ولايمنعجمودهما إمّا لعدم اشتراط الاشتقاق في الحال ، أولامكان التأويل المشتق بناءً على الاشتراط ، ويجوزانتصابهما على المصدر ، أى يزحفون زحفا ويصطفون صفا

و التنوين في قولـه : بعض هلك وبعض نجـا ، للتعويض ، أى بعضهم هلك وبعضهم نجا ، و كذلك اللاّم فيقوله : لايبشّرون بالأحياء ولايعزّون بالموتى، وجملة أُولئك اخواني الذّاهبون ، استينافية بيانية ، والباء في قوله : و يعطيكم بالجماعـة الفرقة للمقابلة والعوض .

المعنى

اعلم أنّ صدر هذا الـكلام الشّريف مسوق لدفع شبهـة الخوارج ، و عقّبه بالتضجّر والاشتكاء منهم وبالتأسّف علىالسّلف الصالحين من رؤساء الدّين ، وختمه بالموعظة والنّصح لهم ، وينبغي أن نذكر أولاً شبهة الخوارج ، ثمّ نتبعها بمايدفعها .

فأقول : قد تقدّم فيشرح الخطبة الخامسة والثلاثينعند ذكر كيفيةالتحـكيم بدء أمرالخوارج ، وعرفتهناك أنّ أولخروجهمكان بصفّين بعد عقد الصّلح ، وذلك أنّ أهل الشّام لما رأوا عقيب ليلة الهرير أنّ أمارات الفتح والظفر وعلامات القهر والغلبة قد ظهرت ولاحت لأهل العراق ، فعدلوا عند ذلك عن القراع إلىالخداع ، وبدّلواالقتال بالاحتيال ، ورفعوا المصاحف علىالرّماح بخديعة ابنالنابغة ، ونادوا الله الله يامعشر العرب في البنات والأبناء ، والذّراري والنساء ، هذا كتابالله بينكم و بيننا ، فلما رأى ذلك أهل العراق وسمعوه ، رفعوا أيديهم عن السيوف ، و تركوا الجهاد ، وأصرّوا على التحـكيم ، وكلّما منعهم أميرالمؤمنين عليه السلام ونهاهم عن ذلك وحثّهم علىالجهاد ، لم يزددهم منعهإلاّ تقاعداً وتخاذلا ، ولما رأى تخاذلهم وقعودهم عن الحرب و اصرارهم على الصلح والمحاكمة وقولهم له : يا علي أجب القوم إلى

كتاب الله و إلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفان ، أجابهم إليه كرهاً لا رغبة ، و جبراً لا اختياراً .

ثمّ لما كتب صحيفة الصلح على ماتقدّم تفصيلها ، وقرءها أشعث بن قيس على صفوف أهل العراق ، فنادى القوم لاحكم إلّا لله لا لك ياعلي ولا لمعاوية ، و قد كنا زللنا وأخطأنا حين رضينا بالحكمين ، قد بان لنا خطائنا فرجعنا إلى الله وتبنا فارجع أنت وتب إلى الله كما تبنا ، فقال علي عليه السلام ويحكم أبعد الرّضا و الميثاق والعهد نرجع ؟ أليس الله قد قال: أوفوا بالعقود ، فأبى علي عليه السلام أن يرجع ، وأبت الخوارج إلّا تضليل الحكم والطعن فيه .

فمن ذلك نشأت الشبهة لهم ، و اعترضوا عليه عليه السلام و قال له عليه السلام بعضهم : (نهيتناعن الحكومة ثمّ أمرتنا بها فما ندرى أىّ الأمرين أرشد) محصّله أنه انكانت في الحكومة مصلحة فما معنى النهى عنها أوّلاً ، وإن لم تكن فيها مصلحة فمامعنى الأمر بها ثانيا ، فلابدّ من أن يكون أحد الأمرين خطاء .

ولماكان هذا الاعتراض غيروارد عليه عليه السلام ، وكان الخطاء منهم لامنه، تغيّر عليه السلام (فصفق احدى يديه على الأخرى) فعل المتغيّر المغضب ، (ثمّ قال هذا جزاء من ترك العقدة) يجوزأن يكون المشار إليه بهذا الجهل والحيرة التي يدلّ عليها قولهم فما ندرى أىّ الأمرين أر شد ، فيكون ترك العقدة منهم لا منه عليه السلام ، والمعنى أنّ هذا التحيّر جزائكم حيث تركتم العقده والرأى الأصوب المقتضي للثبات على الحرب والبقاء على القتال ، وأصررتم علي اجابة أصحاب معاوية إلى المحاكمة ، فوقعتم في التّيه والضلال ، ويجوزابقائه على ظاهره وهو الألصق بقوله بعد ذلك : لوحملتكم على المكروه لكانت الوثقى، فالمراد أنّ هذاجزائي حين تركت العقدة ، أى هذاالاعتراض مما يترتب على ترك العقدة

فان قلت : فعلى هذا يتّجه اعتراضهم عليه حيث ترك العقدة .

قلت : لا ، لأنّ تركه لها كان اضطراراً لا اختياراً ، و لا عن فساد رأى كما يدلّ عليه صريح قوله في الخطبة الخامسة والثلاثين : وقد كنت أمرتكم في هذه

الحكومة أمرى و نخلت لكم مخزون رأيى لوكان يطاع لقصير أمر ، فأبيتم على إباء المخالفين الجفاة و المنابذين العصاة اه ، وقوله عليه السلام هنا : ولكن بمن و إلى من ، ومن المعلوم أنّ ترك الأصلح إذا لم يمكن العمل بالأصلح مما لا فساد فيه ، و لا ريب فى عدم امكان حربه عليه السلام بعد رفعهم المصاحف و افتراق أصحابه و نفاق جيشه على ما سمعت

والحاصل أنّ الاعتراض إنما كان يرد عليه لوكان تركه العقدة طوعا واختياراً لاجبراً واضطراراً ، فظهر من ذلك كلّه أنّ المصلحة الكامنة كانت في النهى عن الحكومة و لما نهاهم عنها فلم ينتهوا و أصرّوا على المخالفة أجابهم اليها ، خوفا من شقّ عصا الجماعة ، و حقناً لدمه ، فكانت المصلحة بعد المخالفة والاصرار وظهور النفاق والافتراق في الاجابة إليها .

وإلى هذا يشير بقوله (أما والله لو أنّى حين) ما (أمرتكم بما أمرتكم به) من المصالحة والتحكيم اجابة لكم وقبولاً لمسألتكم مع إصراركم فيها اغتراراً منكم بمكيدة ابن النّابغة ، و افتتانا بخديعته، تركت الالتفات إليكم ولم اجب إلى مأمولكم (حملتكم) أى ألزمتكم (على المكروه الذي) هو الثبات على الحرب والجدّ في الجهاد حيث كرهته طباعهم وتنفروا عنها بطول المدّة بهم و أكل الحرب أهلها وهو الذى (يجعل الله فيه خيراً كثيراً) وهو الظفر وسلامة العاقبة كما نطق بـه الكتاب العزيز حيث قال :

« كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ » .

ثمّ لماكان الوجوه المتصوّرة من أحوالهم حين حملهم على المكروه وفرض أمرهم بالجهاد ثلاثة أشار إليها وأردف كلّ وجه بما يترتّب عليه وهو قوله:

(فان استقمتم) و أطعتم أمرى (هديتكم) إلى وجوه مصالح الحرب و طرق

الظفر و الغلبة (وإن اعوججتم) أى رفع منكم بعض الاستواء ، ويسير من العصيان بقلّة الجدّ وفتورالعزم والهمة (قوّمتكم) بالتأديب والارشاد والتحريص والتشجيع والنّصح والموعظة (وإن أبيتم) و عصيتم (تداركتكم) إمّا بالاستنجاد بغيركم من أهل خراسان والحجاز وغيرهم من القبايل ممّن كان من شيعته ، أو ببعضكم على بعض ، وإمّا بمايراه في ذلك الوقت من المصلحة التي تحكم بها الحال الحاضرة (لكانت) العقدة (الوثقى) و الخصلة المحكمة (ولكن بمن) كنت استعين وأنتصر (وإلى من) كنت أركن وأعتمد

و بذلك يعلم أنه لوحملهم على المكروه كان منهم الاباء والامتناع ، والتمرّد والعصيان ، وهو ثالث الوجوه المتصوّرة من حالهم و إنه حينئذ لايمكن له تداركهم لأنّ الاستنجاد من أهل البلاد النائية من الشّيعة لم يكن فيه ثمرة ، لأنهم إلى أن يصلوا إليه كانت الحرب قد وضعت أو زارها ، وكان العدوّ قد بلغ غرضه .

و الاستنجاد ببعضهم على بعض كان من قبيل ناقش الشوكة بالشوكة كما يشير إليه قوله (أُريدأن اُداوى بكم و أنتم دائى) استعار لفظ الداء والدواء لفساد الامور و صلاحها ، أى اُريد أن اصلح بكم الاُمور و اُعالجها ، و أنتم المفسدون لها (كناقش الشوكة بالشوكة وهويعلم أنّ ضلعها) وهواها (معها) وهومثل يضرب لمن يستعان به على خصم و كان ميله وهواه مع الخصم

و أصله أنّ الشوكة إذا نشبت في عضومن أعضائك من يدك أو رجلك أو غيرهما ، فانها لايمكن استخراجها بشوكة اخرى مثلها ، فانّ الاُولى كما انكسرت فى عضوك وبقيت في لحمك فكذلك الثانية تنكسر ، لأنّ ميلها معها ، والمقصود أنّ طباع بعضكم يشبه طباع بعض ويميل إليها كما يميل الشوكة إلى مثلها .

ثمّ اشتكى إلى الله سبحانه وقال (اللهمّ قد ملت أطباء هذا الدّاء الدّوى) الشديد أراد به داء الجهالة التي كانت في أصحابه وماهم عليه من مخالفته وعصيانه ، ومرض الحيرة والغفلة عن ادراك وجوه المصلحة ، واستعار لفظ الأطباء لنفسه وأعوانه ، أوله ولساير من دعا الى الله سبحانه من الأنبياء والرسل والأوصياء والخلفاء ، فانّهم الأطباء

الالهيّون معالجون لأسقام القلوب وأمراض الجهالات والذنوب ، وقد مضى توضيح ذلك في شرح الفصل الأول من الخطبة المأة والثامنة

(و كلّت النزعة بأشطان الرّكيّ) أى أعيت المستقين من الآبار بالأشطان والحبال ، وهو من قبيل الاستعارة المرشحة حيث شبّه نفسه بالنازع من البئر فاستعار له لفظه ، ثمّ قرن الاستعارة بما يلايم المستعار منه أعني الأشطان والرّكيّ ، والجامع أنّ من يستقى من البئر العميقة لاحياء الموات الوسيعة كما يكلّ ويعجز عن الاستقاء و يقلّ تأثير استقائه فيها ، فكذلك هو عليه السلام استخرج من علومه الغزيرة لاحياء القلوب الميتة وقلّ تأثير موعظته فيها وعجز عن احيائها ، وقد مرّ في شرح الفصل الأوّل من فصول الخطبة الثالثة تشبيه علومهم عليهم السلام بالماء و تأويل البئر المعطلة والقصر المشيد بهم ، فالقصر مجدهم الذي لايرتقى والبئر علمهم الذى لاينزف .

ثمّ تأسّف على السّلف الماضين من رؤساء الدّين كحمزة و جعفر و سلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار ونظرائهم وتحسّر على فقدهم فقال (أين القوم الذين دعوا إلى الاسلام فقبلوه) بأحسن القبول (وقرؤا القرآن فأحكموه) أى جعلوه محكما وأذعنوا بكونه من الله وأنّ المورد له رسول الله ، وتدبّروا فى معانيه وعملوا بمضامينه وأخذوا تأويله وتنزيله ممّن نزل في بيته

(وهيجوا إلى الجهاد فولهوا وله اللّقاح إلى أولادها) أى اشتاقوا إلى الجهاد اشتياق النّاقة المرضعة إلى أولادها ، وعلى النسخة الثّانية المتضمّنة لسقط لفظ اوله فالمعنى أنهم جعلوا اللّقاح والهة إلى أولادها لركوبهم اياها عند خروجهم إلى الجهاد (وسلبوا السّيوف) من (أغمادها) وجفونها أو سلبوا أغماد السّيوف منها (وأخذوا بأطراف الأرض) أى أخذوا الأرض بأطرافها وتسلّطوا عليها ، أو أخذوا على النّاس أطرافها وحصروهم وضيّقوا عليهم (زحفا زحفا وصفّا صفّا) يعنى حال كونهم جيشا بعد جيش وصفّا بعد صفّ (بعض هلك و بعض نجا) كما أخبر الله تعالى عنهم بقوله : فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا

ثمّ أشار إلى انقطاع علائقهم من الدّنيا بقوله (لايبشّرون بالأحياء ولايعزّون

عن الموتى) يعني إذا ولد لهم ولد فهم لا يبشّرون به وإذا مات منهم أحد فهم لا يعزّون عنه ، أو أنهم لشدّة ولههم إلى الجهاد لا يفرحون ببقاء حيّهم حتّى يبشّروا بـه ، ولا يحزنون لقتل قتيلهم حتّى يعزّوا عنه ، وهذا هو الأظهر سيما على ما في بعض النسخ من لفظ القتلى بدل الموتى .

ثمّ أشار إلى مراتب زهدهم وخوفهم وخشيتهم من الله تعالى فقال (مره العيون من البكاء خمص البطون من الصيام ذبل الشفاة من الدّعاء صفر الألوان من السّهر) أراد أنهم من شدّة بكائهم من خوف الله سبحانه صارت عيونهم فاسدة ، و من كثرة صيامهم ابتغاء لمرضاة الله صارت بطونهم ضامرة ، و من المواظبة على الدّعاء ظلّت شفاههم قليلة النداوة والنظارة ، ومن المراقبة على التهجد والقيام باتت ألوانهم متغيّرة مصفرّة .

(عليهم غبرة الخاشعين) وسيماء الخائفين (اُولئك اخواني الذاهبون فحقّ لنا) وخليق بنا (أن نظماء) ونشتاق (إليهم) أسفاً عليهم (ونعضّ الأيدى على فراقهم) حسرة على فقدانهم

قال الشّارح المعتزلي بعد أن ذكر أنّ المشار إليه باُولئك من كان في بدء الاسلام وخموله وضعفه أرباب زهد وعبادة وشجاعة كمصعب بن عمير وسعد بن معاذ وجعفر ابن أبيطالب وعبدالله بن رواحة و كعمّار وأبي ذر والمقداد وسلمان وخباب و جماعة من أصحاب الصفة ماهذا لفظه:

وقد جاء في الأخبار الصحيحة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال إنّ الجنّة لتشتاق إلى أربعة : عليّ ، وعمّار، وإبى ذر ، والمقداد ، وجاء في الأخبار الصّحيحة أيضا أنّ جماعة من أصحاب الصفّة مرّ بهم أبوسفيان بن حرب بعد الاسلام فعضّوا أيديهم عليه وقالوا وا أسفاه كيف لم تأخذ السيوف مأخذها من عنق عدوّالله ، وكان معه أبوبكر فقال لهم : أتقولون هذا لسيّد البطحاء ؟ فرُفع قوله إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأنكره وقال صلّى الله عليه وآله لأبي بكر انظر لاتكون أغضبتهم فتكون قد أغضبت ربك ، فجاء أبو بكر

إليهم وترضاهم سألهم أن تستغفروا له ، فقالوا : غفر الله لك

أقول : إذا كان رسول الله صلى الله عليه وآله قد أنكر ما صدر من أبي بكر في حقّ أهل الصّفة مع أنه لم يكن بشيء يعبأ به فكيف لا ينكر ما صدر عنه في حقّ أمير المؤمنين من غصبه عليه الخلافة مع أنّ نسبة أهل الصفة إليه ليست إلاّ نسبة الرّعية إلى السّيد والعبد إلى المولى ، و إذا كان غضبهم موجباً لغضب الرّب فكيف لا يوجب غضبه عليه السلام غضبه سبحانه ؟ وقد قال تعالى : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة

ثمّ أقول : انظر إلى تزوير هذا اللّعين كيف ترضى أهل الصفّة فيما قال مع أنه لو كان ذنبا فلم يكن إلاّ من صغاير الذّنوب وهينات السيئآت ولم يطلب الرّضا من عليّ المرتضى فيما فعل في حقه من الظلم و الخطاء مع كونـه من عظائم الجرائر و موبقات الكبائر ، و لم يسأل الاستغفار من فاطمة الزّهراء عليها السّلام بنت خاتم الأنبياء مع ما فعل في حقّها من الظلم والأذى ، حيث غصب منها فدك وألجأها إلى الخروج من قعر بيتها إلى الملاء ، وألبسها ثوب الصّغار والصماء مع أنّ هذا كان أولى بسؤال الاستغفار فأولى

ثمّ العجب من الشارح مع روايته لهذه الأحاديث الفاضحة وحكمه بصحّتها كيف يركن إلى أبي بكر و يتّخذه وليّاً ؟ بلى من لم يجعل الله لـه نوراً فمالـه من نور .

ثمّ نبّههم عليه السلام على مكائد الشيطان وتدليساته وعلى أنّ غرض هذا اللّعين أن يصدفهم عن منهج الرشاد والسداد إلى وادي التيه والفساد فقال (إنّ الشيطان يسنى لكم طرقه) أي يفتحها ويسهلها (ويريد أن يحلّ دينكم) الذي عقدتم وأحكمتموه في صدوركم (عقدة) بعد (عقدة ويعطيكم بالجماعة الفرقـة) أي يبدّل اجتماعكم بالافتراق واتّفاقكم بالنفاق .

وغرضه من ذلك كما علمت أن يحيدهم عن جادّة الهداية إلى طريق الضلالة فيوقع بينهم الفتنة والعداوة كما قال في بعض النسخ (وبالفرقة الفتنة ـ فاصدفوا) أي اعرضوا (عن نزعاته) وفساداته التي يفسد بها القلوب (ونفثاته) أي وساوسه التي

ينفث بها في الصدور (و اقبلوا النصيحة ممّن أهداها إليكم) أراد به نفسه عليه السلام (واعقلوها على أنفسكم) أى اربطوها عليها وشدّوها بها كما يعقل البعير الشموس بالعقال، ويشدّ الفرس الجموح بالوثاق

تكملة

هذا الكلام مرويّ في الاحتجاج إلى قوله بأشطان الركيّ، قال: احتجاجه عليه السلام على الخوارج لما حملوه على التحكيم ثمّ أنكروا عليه ذلك و نقموا عليه أشياء غير ذلك، فأجابهم عليه السلام عن ذلك بالحجة و بيّن لهم أنّ الخطاء من قبلهم بدأ وإليهم يعود، روى أنّ رجلا من أصحابه قام إليه فقال: نهيتنا عن الحكومة إلى آخر ما رواه كما في الكتاب إلاّ أنّ فيه بدل: يجعل الله خيراً، جعل الله خيراً.

الترجمة

ازجمله كلام آن پيشواى عالميانست در آنحال كه برخاست بسوى او مردى ازأصحاب او، پس گفت نهى كردى مارا ازحكومت حكمين پس ازآن أمر كردى مارا بآن، پس نميدانيم ما كه كدام يك ازاين دوكار بهتر است، پس برهم زد آنحضرت يكى ازدودست خودرا بردست ديگر، پس ازآن فرمود:

اينست جزاى كسيكه ترك كرده است رأى محكم وتدبير متقن را، آگاه باشيد بخدا سوگند اگر من در وقتيكه أمر كردم شمارا بآنچه أمر كردم شمارا بآن حمل مينمودم برچيزيكه مكروه طبع شما بود كه عبارت باشد از ثبات برجهاد آنچنان مكروهى كه ميگردانيد خداوند متعال درآن خير ومنفعتي را، پس اگر مستقيم ميشديد هدايت ميكردم شمارا، واگر كجى مينموديد راست ميساختم شمارا و اگر امتناع ميكرديد تدارك امتناع شما را مينمودم هرآينه شده بود كار محكم و خصلت استوار، وليكن با كه معاونت ميجستم و انتقام ميكشيدم، وبكه اعتماد ميكردم وخاطرجمع ميشدم، ميخواهم مداوا كنم ومعالجه نمايم باشما وحال آنكه شما درد من هستيد همچو كسيكه بخواهد بيرون آورد خار را باخار ديگر و حال آنكه ميداند كه ميل خار بخار است

بار پروردگارا بتحقیق ملال آورد طبیبهای این درد سخت، و عاجز شد کشندگان آب بریسمانهای چاه، کجایند گروهی که دعوت شدند باسلام پس قبول کردنداورا، وخواندند قرآنرا پس محکم نمودند آنرا، وبرانگیخته شدندبسوی جهاد پس شوقمند شدند بآن مثل اشتیاق شتران شیرده بسوی اولاد خود، وکشیدند شمشیرهارا ازغلافهای آنها، وگرفتند أطراف زمین را برمردمان دسته بدسته و صف بصف، بعضی از ایشان هلاك شدند، وبعضی نجات یافتند در حالتی که بشارت داده نمیشدند برزندگان، وتعزیة کرده نمیشدند برمردگان

ایشان تباه چشمان بودند ازشدّت گریه، ولاغر شکمان بودند از کثرت روزه خشك لبان بودند ازبسیاری دعاوزاری، زرد رنگان بودند اززیادتی تهجّد وبیداری برروی ایشانست غبارهای خشوع کنندگان، ایشان برادران روندگان منند، پس سزاوار است که مشتاق شویم بسوی وصال ایشان، وبگزیم انگشتان خودرا برحسرت وفراق ایشان، بدرستیکه شیطان ملعون سهل وآسان میگرداند برای شما راههای خودرا، ومیخواهد که بگشاید دین شما را گره گره، وبدهد شمارا بعوض جمعیت جدائی را، وبواسطهٔ جدائی فتنه وفساد را، پس اعراض نمائید ازفسادهای او واز وسوسهای او، وقبول نمائید نصیحت را از کسیکه هدیه کرد آن نصیحت رابسوی شما و به‌بندید آن نصیحت را بنفسهای خود.

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والاحد و العشرون من المختار فی باب الخطب.

قاله للخوارج و قد خرج الى معسكرهم و هم مقيمون على انكار الحكومة فقال (ع):

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنا صِفِّينَ؟ فقالوا: منّا من شهد ومنّا من لم يشهد، قال عليه السلام: فَامْتازُوا فِرْقَتَينِ فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْها

فِرْقَةً حَتَّىٰ أُكَلِّمَ كُلاًّ مِنكُمْ بِكَلامِهِ وَنادى النّاسَ فَقالَ عليه السلام: أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلامِ وَأَنصِتُوا لِقَوْلي وَاقْبَلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ، فَمَنْ نَشَدْناهُ شَهادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فيها.

ثمّ كلّمهم عليه السلام بكلام طويل منه:

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِ الْمَصاحِفِ حيلَةً وَغيلَةً وَمَكْراً وَخَديعَةً إِخْوانُنا وَأَهْلُ دَعْوَتِنا اسْتَقالُونا وَاسْتَراحُوا إِلىٰ كِتابِ اللهِ سُبْحانَهُ فَالرَّأْيُ الْقَبُولُ مِنْهُمْ، وَالتَّنْفيسُ عَنْهُمْ؟ فَقُلْتُ لَكُمْ: هٰذا أَمْرٌ ظاهِرُهُ إِيمانٌ، وَباطِنُهُ عُدْوانٌ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ، وَآخِرُهُ نَدامَةٌ، فَأَقيمُوا عَلىٰ شَأْنِكُمْ، وَالْزَمُوا طَريقَتَكُمْ، وَعَضُّوا عَلَى الْجِهادِ بِنَواجِذِكُمْ، وَلا تَلْتَفِتُوا إِلىٰ ناعِقٍ نَعَقَ، إِنْ أُجيبَ أَضَلَّ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ، وَقَدْ كانَتْ هٰذِهِ الْفَعْلَةُ وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوها، وَاللهِ لَئِنْ أَبَيْتُها ما وَجَبَتْ عَلَيَّ فَريضَتُها، وَلا حَمَّلَنِي اللهُ ذَنْبَها، وَوَاللهِ إِنْ جِئْتُها إِنّي لَلْمُحِقُّ الَّذي يُتَّبَعُ، وَإِنَّ الْكِتابَ لَمَعي ما فارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ، فَلَقَدْ كُنّا مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم وَإِنَّ الْقَتْلَ لَيَدُورُ بَيْنَ الْآباءِ وَالْأَبْناءِ وَالْإِخْوانِ وَالْقَراباتِ، فَما نَزْدادُ عَلىٰ كُلِّ مُصيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلاّ إِيماناً وَمُضِيّاً عَلَى الْحَقِّ، وَتَسْليماً لِلْأَمْرِ وَصَبْراً عَلىٰ مَضَضِ الْجِراحِ، وَلٰكِنّا إِنَّما أَصْبَحْنا نُقاتِلُ إِخْوانَنا في

الْإِسْلَامِ عَلَىٰ مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّيْغِ وَالْإِعْوِجَاجِ ، وَالشُّبْهَةِ وَالتَّأْوِيلِ فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ يَلُمُّ اللهُ بِهَا شَعْثَنَا ، وَنَتَدَانَا بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا، رَغِبْنَا فِيهَا ، وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

اللغة

(المعسكر) بفتح الكاف محلّ العسكر ، وعن النهاية (نشدتك) الله والرّحم أى سألتك بالله و بالرّحم ، وقال الفيومى : نشدت الضالة نشداً من باب قتل طلبتها ونشدتك الله وبالله نشدتك ذكرتك به واستعطفتك أوسألتك به مقسماً عليك و(الغيلة) بالكسر الخديعة و (نفّس) تنفيساً فرّج تفريجاً و (نعق) الرّاعى بغنمه ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بها وزجرها و (الفعلة) بالفتح المرّة من الفعل و (المضض) كالألم لفظا ومعنى و (جرحه) جرحا من باب نفع والاسم الجرح بالضمّ والجراحة بالكسر وجمعها جراح وجراحات بالكسر أيضا و (الخصلة) بفتح الخاء .

و (البقية) قال الشارح المعتزلي : هى الابقاء والكف ، وقال البحراني(ره) بقاء ما بقى فيما بيننا من الاسلام ، وفى البحار والأظهر عندى أنه من الابقاء بمعنى الرّحم والاشفاق والاصلاح كما فى الصّحيفه : لاتبقى على من تضرّع إليها ، وقال في القاموس : أبقيت ما بيننا أى لم أبالغ في افساده والاسم البقية وأُولو بقيّة ينهون عن الفساد أى ابقاء

الاعراب

الهمزة في قوله ألم تقولوا استفهاميّة للتقرير بمابعد النّفى كما قاله الزمخشري في قوله تعالى : ألم تعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير ، و الأظهر أنّها للانكار الابطالى المفيده لاثبات مابعدها إذا دخلت على النفى ، قال تعالى : أليس الله بكاف عبده ، أى كاف عبده .

وحيلةوغيلة ومكراً وخديعة ، منصوبات على نزع الخافض ، وإخواننا بالرّفع خبر محذوف المبتداء ، والجملة في محلّ النصب مقول تقولوا ، واللاّم في قوله : لئن أبيتها ، لام ابتداء جيء بها تاكيداً للقسم ، و جملة ما وجبت جواب القسم استغنى به عن جواب الشرط كما صرّح به علماء الأدبيّة

قال ابن الحاجب : و إذا تقدّم القسم أوّل الكلام على الشرط لزمه المضيّ لفظا أو معنى ، وكان الجواب للقسم لفظا مثل والله إن أتيتنى وإن لم تأتنى لاكرمنك وقال نجم الأئمة إذا تقدّم القسم أوّل الكلام ظاهراً أو مقدّراً وبعده كلمة الشرط فالأكثر و الأولى اعتبار القسم دون الشرط ، فيجعل الجواب للقسم و يستغنى عن جواب الشرط لقيام القسم مقامه كما في قوله تعالى : لئن أُخرجوا لا يخرجون معهم ولئن قوتلوا لا ينصرونهم الآية ، وقد تقدّم حكاية ذلك الكلام عنه في شرح الكلام السابق باختلاف يسير

ومنه يظهر الكلام في قوله : و والله إن جئتها إنّى للمحقّ الذى آه ، قال نجم الائمة : جواب القسم إذا كان جملة اسمية مثبتة يصدّر بان مشدّدة أومخفّفة أو باللاّم وهذه اللاّم لام الابتداء المفيدة للتأكيد لا فرق بينها وبين إنّ إلاّ من حيث العمل ، و إنما أُجيب القسم بهما لأنهما مفيدان لتأكيد الذي لأجله جاء القسم ، وقال في موضع آخر من شرح الكافية في تحقيق أنّ إنّ المكسورة مع جزئيها فى تقدير الجملة ولذلك دخلت اللاّم في خبرها دون المفتوحة : اعلم أنّ هذه اللاّم لام الابتداء المذكورة في جواب القسم وكان حقّها أن تدخل أول الكلام ، ولكن لما كان معناها ومعنى إنّ سواء أعنى التوكيد والتحقيق ، و كلاهما حرف ابتداء كرهوا اجتماعهما فأخّروا اللاّم و صدّروا إنّ لكونها عاملة و العامل حرّى بالتقديم على معموله وخاصّة إذا كان حرفاً إذ هوضعيف العمل آه

و جملة يلمّ الله بهاشعثنا في محلّ الجرّ صفة لخصلة ، و جملة رغبنا جواب اذا طمعنا

المعنى

اعلم أنه قد تقدّم في التذييل الثاني من شرح الخطبة السادسة والثلاثين كيفية قتال الخوارج وجملة من احتجاجاته عليه السلام معهم ، وهذا الكلام أيضاً قاله للخوارج احتجاجاً عليهم (وقد خرج إلى معسكرهم) أى محلّ عسكرهم و محطه (و هم مقيمون على انكار الحكومة) عليه (فقال عليه السلام) لهم (أكلّكم شهد معنا صفّين) و حضرها (فقالوا منّا من شهد و منّا من لم يشهد قال عليه السلام فامتازوا) أى تفرّدوا (فرقتين فليكن من شهد صفّين فرقـة و من لم يشهدها فرقـة حتى أُكلّم كلاً منكم بكلامه) الذى يليق به وفيه اسكاته ورفع شبهته (ونادى الناس فقال امسكوا عن الكلام و انصتوا لقولي واقبلوا بأفئدتكم إليّ) وتدبّروا فيما أقول (فمن نشدناه) أى سألنا منه (شهادة فليقل بعلمه فيها) ولا يكتمها .

(ثمّ كلّمهم عليه السلام بكلام طويل ،منه ألم تقولوا) أى قد قلتم (عند رفع المصاحف) بتدليس ابن العاص اللّعين(حيلة وغيلة ومكراً وخديعة) هؤلاء (اخواننا) في الدّين والاسلام (وأهل دعوتنا) أى دعاهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الاسلام فأجابوه (استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله سبحانه) أى طلبوا منا الاقالة ورفع اليد عمّا كنّا عليه من المحاربة و القتال ، وسألوا الراحة بالرّجوع إلى كتاب الله و العمل بما يقتضيه (فالرأى القبول عنهم) لملتمسهم (والتنفيس عنهم) لكربتهم

(فقلت لكم) تنبيها على حيلتهم وارشاداً إلى خديعتهم و ايقاظاً لكم من نوم الغفلة والجهالة (هذا) أى رفعهم المصاحف (أمر ظاهره ايمان) لتسليمهم ظاهراً الرجوع إلى الكتاب وايهامهم العمل بما فيه من الأحكام (وباطنه عدوان) إذ كان مقصودهم به الحيلة والظلم والغلبة والخديعة (وأوّله رحمة) منكم لهم (وآخره ندامة) عليكم منهم .

(فأقيموا على شأنكم) و ما أنتم فيه من القتال و براز الأبطال (و الزموا طريقتكم وعضّوا على الجهاد بنواجذكم) و هو كناية عن المبالغة في الثبات عليه

(ولا تلتفتوا إلى ناعق نعق) أراد بـه معاوية أو عمرو بن العاص حيث كان رفع المصاحف بتدبيره (إن اُجيب أضلّ) من أجاب (وإن ترك ذلّ) وخاب (وقدكانت هذه الفعلة) وهي الرضا بالحكومة (وقد رأيتكم اعطيتموها) وأقدمتم عليها .

ثمّ أراد رفع شبهتهم بقوله : (والله لئن أبيتها ما وجبت عليّ فريضتها و لا حملني الله ذنبها ووالله ان جئتها إنّي للمحقّ الذي يتّبع وان الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته) يعني أنّ الحكومة على تقدير امتناعي عنها لم تكن واجبة حتى تجب عليّ فريضتها أي الأحكام الواجبة بسببها والمترتّبة عليها و ما كنت مذنباً بترك الواجب ، وعلى تقدير إقدامي عليها لم تكن محرّمة حتى تكونوا باتّباعكم إيّاي في الاقدام عليها مرتكبين للحرام، فانّي أنا المحقّ الذي أحقّ أن يتّبع ويقتدى، وانّ كتاب الله سبحانه لمعي لفظاً و معنى لا اُفارقـه و لا يفارقني ، فلا اقدم على أمر مخالف للقرآن موجب للعصيان .

فان قلت : المعلوم من حاله عليه السلام حسبما ظهر من الروايات المتقدّمـة في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين أنه امتنع من الحكومة أولاً وحثّ أصحابه على الجهاد والثبات عليه ، ويدلّ عليه أيضاً الكلام الذي نحن بصدد شرحه ، ثمّ لما رأى إصرارهم في الاجابة إلى أهل الشام والبناء على التحكيم رضي عليه السلام به وبنا عليه ، فقدكان الاباء أولاً والبناء ثانياً من فعله عليه السلام ، وكان عالماً بذلك ، فما معنى الاتيان بالشرط المنبىء عن الشكّ ؟

قلت إنما أتى بالشرط مع جزمـه و علمه به تجاهلا لاقتضاء المقام التجاهل و الابهام ، وذلك لأنّ أصحابه عليه السلام كانوا فرقتين فرقة ترى التحكيم واجباً ، و هم جلّ أصحابـه و هم الذين أشار إليهم في هذا الكلام بقوله : ألم تقولوا عند رفع المصاحف إخواننا و أهل دعوتنا استقالونا واستراحوا إلى كتاب الله فالرأى القبول منهم والتنفيس عنهم، وفرقة تراه حراما والاقدام عليه معصية، وهم الخوارج الذين قالوا لاحكم إلاّ لله ولاحكم إلاّ الله، فأجمل الكلام وأبهم المرام لاقتضاء المقام ، وساق المعلوم مساق المجهول اسكاتاً للفريقين ، فانه لو صرّح بمايوافق رأى إحدى الفرقتين تبرّئت

عنه الفرقة الاخرى وانجرّ الأمر إلى الفساد كما مرّ نظيره في كلامه الذي قاله في قتل عثمان : لو أمرت به لكنت قاتلا أو نهيت عنه لكنت عاصيا ، وهو الثلاثون من المختار في باب الخطب .

ومحصّل جوابه عليه السلام عن انكارهم للتحكيم يعود إلى أنّه امام مفترض الطاعة وأنّ الأمر إليه وهو وليّ الأمر لو رأى المصلحة في الاباء منه كان الاباء واجباً ، ولو رآها في الاجابة إليه كانت الاجابة واجبة ، وعلى التقديرين فاللاّزم عليهم التسليم والانقياد لا الانكار والاعتراض ، والاقتداء والمتابعة لا الردّ والامتناع

فان قلت : فلم أكّد الكلام في جانب الاباء بتأكيدين أعني القسم واللاّم وفي الجانب الآخر أتى بأربع تأكيدات وهو القسم وإنّ واللام واسميّة الجملة ، حيث قال : و والله ان جئتها إنّي للمحقّ ، بل وأكّد خامسا بالوصف و قال : الذي يتّبع .

قلت : النكتة في ذلك أنّ مخاطبته بهذا الكلام لما كانت مع الخوارج الزاعمين لكون الاقدام على الحكومة معصية وحراماً دون الاباء ، وكانوا مصرّين على انكارها استدعى المقام زيادة التاكيد ردّاً لزعم المخاطبين ، وابطالا لانكارهم ولهذه النكتة أيضاً أتى بالموصول تفخيماً لشأنه ، و جعله وصفا تأكيداً لحقيقته ، و أكّد سادساً بقوله : وانّ الكتاب لمعي ، اشارة إلى أنه لا يرد ولا يصدر في شيء من الأبواب إلاّ بحكم الكتاب ، وهذه التحقيقات في هذا المقام من لطايف البلاغة قصرت عنها أيدي الشارحين ولله الحمد .

ثمّ رغّب عليه السلام في التأسّي بالسّلف الماضين من خيار الصحابة بقوله : (فلقد كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وآله و أنّ القتل ليدور بين الآباء والأبناء و الاخوان والقرابات فمانزداد على كلّ مصيبة وشدّة) أصابتنا وابتلينا بها (إلاّ ايماناً ومضيّاً إلى الحقّ وتسليماً للأمر) و رضاً بالقضاء (وصبراً على مضض الجراح) أي وجع الجراحات و ألمها و قد تقدّم نظير هذه الفقرات منه عليه السلام في الكلام الخامس و الخمسين .

و محصّله أنا إذا قاتلنا بين يدي رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كنّا له مسلمين ولأمره مطيعين ومنقادين ، و لا يزداد ما نزل بنا من المصائب إلاّ نوراً و ايماناً ، و تسليماً و اذعاناً ، فلا بدّ لكم أن تكونوا كذلك ، و أن تردّوا الأمر إلى وليّ الأمر ، ولا تكونوا له مخالفين ، وعن حكمه متمرّدين

ثمّ أكّد ابطال انكارهم للحكومة بقوله : (ولكنّا إنما أصبحنا نقاتل إخواننا في الاسلام) أراد به أهل الشام ، واطلاق المسلم عليهم لاقرارهم ظاهراً بشهادة أن لاإله إلاّالله و أنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه و آله و إن كانوا محكومين بكفرهم لبغيهم على الامام المفترض الطاعة يعني انا إنما قاتلناهم (على ما دخل فيه) أي الاسلام منهم (من الزّيغ) أى العدول عن الحقّ (والاعوجاج) عن الصّراط المستقيم (والشبهة) في الدّين (والتأويل) للكتاب المبين

(فاذا طمعنا في خصلة) أراد بها الحكومة (يلمّ الله به شعثنا) أى يجمع الله بها تفرّقنا وانتشار امورنا (ونتدانا بها إلى البقية فيما بيننا) أي نتقرّب بتلك الخصلة إلى الاصلاح و الاشفاق و الرّحم و ترك الفساد فيما بيننا (رغبنا فيها و أمسكنا عمّا سواها)

وحاصله أنّ مقصودنا بالذات من قتال هؤلاء لم يكن محض استيصال النفوس واراقة الدماء بهوى الأنفس والعناد ، وإنما المقصود إرجاعهم عن الضلال إلى الهدى ، و من الفساد إلى الرّشاد ، فاذا رجونا حصول ذلك الغرض و امكان التّوسل إليه بالحكومة لابدّ لنا من المصير إليها والكفّ عن إراقة الدّماء كما نبّه عليه السلام على ذلك في كلامه الرابع والخمسين بقوله : فوالله ما وقعت الحرب يوماً إلاّ وأنا أطمع أن تلحق بي طائفة لتهتدي بي و تعشو إلى ضوئي وذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها وإن كانت تبوء بآثامها .

تنبيه

قد اسقط في أكثر نسخ الكتاب قوله : وقد كانت هذه الفعلة ، إلى قوله : مذ صحبته ومن جملة تلك النسخ نسخة الشّارح المعتزلي قال في الشرح : هذا الكلام ليس يتلو بعضه بعضاً ولكنه ثلاثة فصول لا تلتصق أحدها بالآخر ، وهذه عادة الرضيّ

ينتخب من جملة الخطبة الطويلة كلمات فصيحة يوردها على سبيل التتالي و ليست متتالية حين تكلّم بها صاحبها ، آخر الفصل الأول قوله: وإن ترك ذلّ، وآخر الفصل الثاني قوله : على مضض الجراح ، والفصل الثالث ينتهي إلى آخر الكلام ، هذا .

و روى ذلك الكلام له عليه السلام في الاحتجاج عن قوله : ألم تقولوا ، إلى آخر الكلام مثل ما في أكثر النسخ باسقاط ما سقط إلاّ أنّ فيه بدل قوله على شأنكم على نيّاتكم ولا تلتفتوا إلى ناعق في الفتنة نعق إن اُجيب أضلّ وإن ترك أذلّ ، والله العالم

الترجمة

ازجملهٔ كلام بلاغت نظام آنحضرت است كه گفته‌است آنرا بخوارج نهروان درحالتيكه بيرون رفته‌بود بسوى لشگرگاه ايشان، وايشان ايستاده بودند برانكار حكومت حكمين پس فرمود :

آيا همه شما حاضر بوديد با ما درصفين ؟ پس گفتند : بعضي ازما حاضر شده بود و بعضى از ما حاضر نشده بود ، فرمود : پس جدا شويد از يكديگربدو فرقه پس بايد باشد كسانيكه‌حاضرصفّين شده‌بودنديكفرقه ، وجماعتي كه‌حاضرنبودند در آن معركه يكفرقه ديگر تا آنكه تكلّم بكنم با هرفرقه از شما بكلامى كه لايق حال او باشد ، وصدا كرد مردمان‌را پس فرمود كه :

باز ايستيد ازحرف زدن ، وساكت شويد ازبراى شنيدن قول من ، و متوجه باشيد با قلبهاى خودتان بسوى من پس هر كسى كه طلب كنم از آن شهادتى را پس بايد كه بگويد بمقتضاي علم خود در آن شهادت ، بعدازآن تكلّم فرمود باايشان بكلام دراز ازجملهٔ آن كلام اين‌است كه گفت :

آيا نگفتيد شما در هنگام برداشتن ايشان مصحفها را از روى حيله گرى وتباه‌كارى ومكارى وفريفتن كه : ايشان برادران مايند و كسانى هستند كه دعوت شده‌اند باسلام وقبول كرده‌اند طلب كرده‌اند ازمااقاله وفسخ كذشته هارا ، وراحت جستند بسوى كتاب‌خدا ، پس رأى صواب اين‌است كه‌قبول‌خواهش‌ايشانرا بكنيم، وغم واندوه ايشانرا برطرف سازيم ، پس گفتم شمارا كه اينكارشان كاريست ظاهر

آن ایمانست وباطن آن نفاق وعدوان ، و أول آن ترحّم است ازشما بایشان وآخر آن ندامت است و خسران . پس اقامت نمائید برکار خودتان که عبارتست از محاربه دشمنان ، و ثابت قدم بشوید برراه خود ، وبگزید بربالای جهاد بدندانها ، والتفات نکنید بسوی صدا کننده که صدا کرد یعنی معاویة اگرجواب داده شود آن صدا کننده بضلالت أفکند جواب دهندهٔ خودرا ، واگر ترك کرده‌شود یعني جوابش‌را ندهند خوار و ذلیل گردد .

وبتحقیق که شد این یك کار یعني رضای شما بحکومت حکمین ، و بتحقیق دیدم شما را که عطا کردید آنرا و اقدام نمودید بآن بخدا سوگند هرآینه اگر من امتناع میکردم از آن واجب نمیشد برمن واجبات آن ، و بار نمیکرد برمن خداوند گناه آنرا ، وبخدا سوگند اگر میآمدم بسوی آن بدرستی و بتحقیق که منم محقّ ودرستکار که تبعیت کرده میشوم ، وبدرستی کتاب عزیزخدا بامن است که جدا نشده‌ام من ازآن از زمانیکه مصاحب اوشده‌ام

پس بتحقیق که بودیم با حضرت رسول مختار صلوات‌الله علیه وآله درحالتی که کشتن دوران میکرد در میان پدران وپسران وبرادران وخویشان ، پس زیاده نمیکردیم ما بربالای هرمحنت‌وشدتي‌مگر ایمانرا بخدا و گذشتن برحق‌ومنقاد شدن برأمر وصبر کردن برسوزش جراحتها ، ولکن ما غیر از این‌نیست که گشتیم مقاتله میکنیم با برادران اسلامی خود برآنچه داخل شده است در اسلام از جانب ایشان از لغزش وگمراهی و اشتباه و تأویل باطل ، پس زمانیکه طمع کردیم در خصلتی که جمع کند خداوند متعال بسبب آنخصلت پراکندگي ما را ، و تقرب کنیم بایکدیگر بجهة آن خصلت بسوی مهربانی وشفقت درمیان ما رغبت میکنیم درآن خصلت ودست برداریم ازغیرآن

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والثاني والعشرون من المختار في باب الخطب

قاله للاصحاب في ساعة الحرب

وَأيُّ امْرِءٍ مِنْكُمْ أَحسّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَاشٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَرَأى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوانِهِ فَشَلاً، فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ الَّتي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ، فَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ، إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ، لاَ يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ، وَلاَ يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ، إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ، وَالَّذي نَفْسُ ابْنُ أَبي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ.

اللغة

(ربطه) يربطه من بابي نصر وضرب شدّه، قال الفيروز آبادى ورابط الجاش وربيطه شجاع وربط جاشه رباطه بالكسر أشدّ قلبه والله على قلبه ألهمه الصبر وقوّاه و (النجدة) الشجاعة قال الشارح المعتزلي (الميتة) بالكسر هيئة الموت كالجلسة والركبة هيئة الجالس والراكب يقال مات فلان ميتة حسنة قال: والمرويّ في نهج البلاغة بالكسر في أكثر الروايات، وقد روى من موتة، وهو الأليق يعني المرّة الوحداة ليقع في مقابل الألف

الاعراب

أىّ شرطية مرفوعة على الابتداء، و جملة أحسن خبر، و جملة فليذبّ جواب والباقي واضح.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام (قاله عليه السلام للأصحاب في ساعة الحرب) ولم أظفر بعد على أنه أىّ حرب ، و المقصود به امرهم بقضاء حقّ الاخوّة ورعاية شرايط المواساة والمحبة والذبّ عن اخوانهم المسلمين وحماية بيضة الاسلام وحوزة الدّين

قال عليه السلام (وأىّ امرء منكم أحسّ) أى علم ووجد (من نفسه رباطة جاش) وقوّة قلب (عند اللّقاء) أى عند القتال ولقاء الأبطال (و رأى من أحد من اخوانه) المؤمنين (فشلا) و جبنا (فليذبّ) أى ليدفع المكروه (عن أخيه بفضل نجدته) وشجاعته (التي فضّل) أى فضّله الله (بها عليه كما يذبّ) ويدفع (عن نفسه) بنهاية الاهتمام و الجدّ (فلوشاء الله لجعله مثله) أى لجعل أخاه الجبان شجاعا مثله ، و حيث آثره بتلك النعمة و تفرّد بهذه الفضيلة و اختصّ بها و لم يجعل أخوه مثله فلابدّ له من القيام بوظائف النعم والتشكّر بالدفع عن الآخر

و ذلك لـ(أنّ الموت طالب) للانسان (حثيث) أى سريع في طلبه (لا يفوته المقيم ولا يعجزه الهارب) يعنى لا يخلص (١) منه الراضي به المقيم له ، ولا ينجو منه السّاخط لـه الهارب عنه ، و مع ذلك فلا ينبغي للعاقل أن يختار الفرار على القرار ، و يؤثر البقاء على اللقاء ، مع ايجابه العارفى الأعقاب ، والنار يوم الحساب

---

(١) قال الشاعر :

ارى الموت لقيام الكرام و يصطفى	عقيلة مال الفاحش المتشدّد
ارى العيش كنزاً ناقصا كلّ ليلة	و ما تنقص الايام و الدّهر ينفد
لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى	لكا. لطول المرخى و ثنياه باليد

يعنى ارى الموت يختار الكرام بالافنا. ويصطفى كريمة مال البخيل بالابقا. أوانه يعم الجواد والبخلا. فيصطفى الكرام وكرائم اموال البخلا. أى لاخلاص منه لواجد من الصنفين فلا يجدى البخيل بخله والجواد جوده وقوله فى البيت الثالث لكا. لطول المرخى الطول الحبل الذى يطول للدابة لترعى فيه والارخا. الارسال والثنى الطرف والجمع الاثنا. يقول اقسم بحياتك ان الموت فى مدة اخطائه الفتى بمنزلة حبل طول للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه يريد انه لايتخلص منه كما ان الدابة لا تفلت مادام صاحبها اخذ بطرفى طولها منه

وأيضاً قال (إنّ أكرم الموت القتل) حيث إنّه موجب للذكر الجميل في الدّنيا والأجر الجزيل في العقبا ومع ذلك فلا يجوز للبصير تفويت هذا النفع الكثير على نفسه و الاقدام على الموت بحتف أنفه قال الشاعر :

وإن تكن الأبدان للموت انشئت فقتل امرء والله بالسيف أفضل

ثمّ حاول عليه السلام تحريص أصحابه وتحريضهم على الجهاد والثبات عليه وجعل طباعهم مناسبة لطبيعته فقال (والذى نفس ابن أبيطالب بيده لألف ضربة بالسّيف أهون علىّ) وأسهل (من ميتة على الفراش).

فان قلت : حلفه ذلك هل هو على الحقيقة أو من باب المجاز والمبالغة ترغيباً لأصحابه في الجهاد ؟

قلت : بل هو على حقيقته ، لأنّه لفرط محبّته في الله و منتهى شوقه إلى الله وغاية رغبته في ابتغاء مرضات الله سبحانه كان في أعلى مراتب الفناء في الله و البقاء بالله ، فارغاً عن نفسه في جنب مولاه ، ومع ذلك الحال لاتأثير فيه لضربات السيوف وطعنات الرّماح البتّة

ويشهد بذلك ما رواه غير واحد من أنه عليه السلام قد أصابت رجله الشريف نشابة في غزوة صفّين و لم يطق الجرّاحون إخراجها من رجله لاستحكامها فيه ، فلما قام إلى الصّلاة أخرجوها حين كونه في السجدة ، فلما فرغ من الصّلاة علم باخراجه وحلف أنه لم يحس ذلك أصلا

و يؤيد ذلك ما عن الخرائج مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام قال الحسين عليه السلام قبل أن يقتل إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يابنىّ انّك ستساق إلى العراق وهى أرض قد التقى بها النّبيون و أوصياء النبيّين ، وهى أرض تدعى غمورا وأنك تستشهد بها ويستشهد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد ، وتلى صلى الله عليه وآله : يا نار كونى برداً وسلاماً على إبراهيم ، يكون الحرب عليك وعليهم سلما ، الحديث

وجه التأييد أنّ أصحاب الحسين عليه السلام مع كونهم من أدنى عبيد أمير المؤمنين إذا لم يجدوا ألم الحديد بما فيهم من المحبّة والشوق إلى لقاء الحقّ فكيف به عليه السلام

مع خوضه في بحار المعرفة وكماله في مقام المحبّة .

هذا كلّه على ما في أكثر النسخ من رواية كلامه عليه السلام كما أوردنا وفي نسخة الشارح المعتزلي هكذا : لألف ضربة بالسيف أهون من ميتة على فراش في غير طاعةالله ، وعليه فلا اشكال أصلا لأنّ ألم السيوف دنيوىّ ، والميتة على الفراش بغير الطاعة معقبة للألم الاُخروى ، والأوّل أهون وأسهل من الثاني لا محالة و لعذاب الآخرة أشدّ وأبقي .

والعجب من الشارح أنه حمل ذلك على المجاز والمبالغة حيث قال ، بعد ايراد كلامه عليه السلام على ما حكينا من نسخته : الواجب أن يحمل كلامه إمّا على جهة التحريص فيكون قد بالغ كعادة العرب والخطباء في المبالغات المجازية ، و إمّا أن يكون أقسم على أنه يعتقد ذلك وهو صادق فيما اقسم لأنّه هكذا كان يعتقد بناء على ما هو مركوز في طبعه من محبّة القتال و كراهيّة الموت على الفراش ، انتهى .
وفيه ما فيه .

التـرجمة

از جمله كلام آنحضرتست كه فرموده آنرا بأصحاب خود درساعت جنگ وهرمردى ازشما كه احساس كند وبفهمد از نفس خود قوت قلب را هنگام ملاقات أعداء وببيند ازيكى ازبرادران خود ترس وجبن‌را پس بايد كه دفع نمايد از برادر خود بزيادتى شجاعت خود كه تفضيل داده شده بآن شجاعت ببرادر خود همچنانكه دفع ميكند از نفس خود ، پس اگر ميخواست خداوند تعالى هرآينه ميگردانيد اورا درشجاعت مثل آن ، بدرستيكه مرگ طلب كننده است شتابان كه فوت نميشود از او اقامت كنندهٔ ، وعاجز نميكند اورا گريزندهٔ ، بدرستيكه كه گرامى‌ترين مرگ كشته شدن است ، بحق آنكسيكه جان پسرأبي‌طالب بيدقدرت اواست هرآينه هزارضربت باشمشيرسهل وآسان‌تر است برمن ازمردن برروى بستر .

و من كلام له عليه السلام وهو المأة والثالث والعشرون من المختار فى باب الخطب

وَكَأَنّي أَنظُرُ إِلَيكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ الضِّبابِ، لاَ تَأْخُذُونَ حَقّاً، وَلاَ تَمْنَعُونَ ضَيْماً، قَدْ خُلِّيتُمْ وَالطَّرِيقَ، فَالنَّجاةُ لِلْمُقْتَحِمِ، وَالْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ.

اللغة

(كشت) الأفعى كشيشاً من باب ضرب إذا صاتت من جلدها لا من فمها قال الشارح المعتزلي: الكشيش الصوت يشوبه خور مثل الخشخشة قال الراجز:

كشيش افعى اجمعت بعض فهى تحكّ بعضها ببعض

و عن النهاية كشيش الافعى صوت جلدها إذا تحرّكت، و قد كشت تكش وليس صوت فمها لأنّ ذلك فحيحها، و(الضبّ) دابة بريّة وجمعه ضباب بالكسر كسهم وسهام

الاعراب

جملة لاتأخذون آه في محلّ النصب على الحال من فاعل تكشّون، والطريق منصوب على المفعول معه

المعنى

اعلم أنّ المستفاد من بعض نسخ النّهج أنّ هذا الكلام و كذلك الكلام الآتي كليهما من فصول الكلام السّابق، حيث إنّ العنوان فيه في كلّ منهما بلفظ منه وفي بعضها عنوان ذلك بلفظ منه، وعنوان مايتلوه بلفظ ومن كلام له عليه السلام، وفي نسخة ثالثة العنوان في كلّ منهما بلفظ منها، والظاهر أنّه سهو من النساخ لأنّ العنوان فيماسبق حسبما عرفت بلفظ ومن كلام له عليه السلام فلايناسبه ارجاع الضمير المؤنث إليه

و لعلّ الأظهر أنّ كلاّمنها كلام مستقلّ لعدم ارتباط أحدها بالآخر، حيث إنّ الكلام السابق حسبما عرفت قاله للأصحاب في ساعة الحرب للتحريض والتشجيع

وهذا الكلام كماترى وارد في مقام التوبيخ والتقريع لهم ، والكلام الآتي وارد في مقام تعليم رسوم الحرب ، فلا مناسبة لأحدها مع الآخر ولم يكن الوسط مضاداً لهما ، اللهمّ إلاّ أن يكون السيد (ره) قد اسقط مايوجب الأئتلاف والارتباط على ماجرت عليه عادته في الكتاب من الاسقاط و الالتقاط ، وبعض فقرات هذا الكلام يأتي في رواية الارشاد ، و هو أيضاً يخيّل كونه كلاماً مستقلاّ ، و ستطّلع في شرح الكلام الآتي ما يفيد استقلاله أيضا .

و كيف كان فقد قال عليه السلام لأصحابه (وكأنّي أنظر إليكم) بمافيكم من الجبن و الفشل (تكشّون كشيش الضباب) المجتمعة يعني أنّ أصواتكم غمغمة بينكم من الهلع الذي قد اعترا كم ، فهى أشبه شيء بأصوات الضباب ، أو المراد بيان حالهم في الازدحام و الهزيمة (لا تأخذون) لله (حقّا ولا تمنعون ضيما) و ذلاّ (قد خلّيتم و الطريق) أى طريق الآخرة (فالنجاة للمقتحم و الهلكة للمتلوّم)أى النجاة في الدنيا من العار و في الآخرة من النار للداخل في الجهاد و المقدم عليه ، والهلاك الدائم للمتوقف عن القتال المتثبّط فيه ، أو أنّ النجاة من سيف الأعداء للمطرق المقدم ، لانه مع اقدامه وتجلّده يرتاع له خصمه وينخذل عنه نفسه والهلاك بسيف الأعداء للمتثبط المتلوّم لأنّ نفس خصمه تقوى عليه وطمعه يزداد فيه كما هو مشاهد بالعيان و تشهد به التجربة والوجدان و في هذا المعنى قال :

ذق الموت ان شئت العلى واطعم الرّدى قتيل الأماني بالمنيّة مكتوب
خض الحتف تأمن خطة الخسف انما يبوح ضرام الخطب والخطب مشبوب

تنبيه

يشبه أن يكون هذا الكلام ملتقطاً من كلام له عليه السلام رواه في البحار من الارشاد قال : من كلامه صلوات الله عليه في هذا المعنى (١) بعد حمدالله والثناء عليه :

ما أظن هؤلاء القوم ـ يعني أهل الشام ـ إلاّ ظاهرين عليكم ، فقالوا له : بماذا

---

(١) اى فى استنفار القوم الى الجهاد واستبطائهم عنه بعد بلوغ خبر مسير بسر بن ارطاة الى اليمن كما سبق اليه الاشارة فى الارشاد ، منه

يا أمير المؤمنين ؟ فقال عليه السلام : أرى أُمورهم قد علت ، ونيرانكم قد خبت ، و أراهم جادين ، و أراكم و انين ، و أراهم مجتمعين ، وأراكم متفرّقين ، وأراهم لصاحبهم مطيعين، وأراكم لي عاصين ، أم والله لئن ظهروا عليكم لتجدنّهم أرباب سوء من بعدي لكم ، لكأني أنظر اليهم و قد شاركوكم في بلادكم ، و حملوا إلى بلادهم فيئكم ، و كأني أنظر اليكم تكشّون كشيش الضباب ، ولاتأخذون حقاً ، ولاتمنعون لله من حرمة ، و كأنّي أنظر إليهم يقتلون صالحيكم ، و يحيفون (١) قرائكم ، ويحرمونكم ، ويحجبونكم ، ويدنون الناس دونكم . فلو قد رأيتم الحرمان والاثرة ووقع السّيوف ونزول الخوف ، لقد ندمتم وحسرتم(٢) على تفريقكم في جهادكم و تذاكرتم ما أنتم فيه اليوم من الخفض والعافية حين لاينفعكم التذكار

الترجمة

ازجملهٔ كلام آن امام أنام است كه فرمود:

گويا نظر ميكنم بسوى شما كـه آواز ميكنيد در ازدحام نمودن بهزيمت وفرار همچو آواز نمودن پوستهاى سوسمار كه برهم خورند در رفتار ، درحالتيكه أخذ نميكنيد بجهة خدا حقّى را ، ومنع نميكنيد ذلّتى را ، بتحقيق كه رهاشده‌ايد باطريق آخرت ، پس نجات مر كسى‌راست كه داخل شود بدون تأمّل درقتال وجهاد وهلاكت مر كسى راست كه توقّف كند ازمحاربهٔ أعداء.

و من كلام له عليه السلام فى حثّ اصحابه على القتال وهو المأة و الرابع والعشرون من المختار فى باب الخطب

قاله للاصحاب فى صفين وقد رواه غير واحد باختلاف تعرفه انشاءالله

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ ، وَ أَخِّرُوا الْحاسِرَ ، وَ عَضُّوا عَلَى الْأَضْراسِ فَإِنَّهُ

---

(١) الحيف الجور والظلم منه

(٢) الحسرة أشد التلهف على الشيء الفائت تقول منه حسر على الشيء بالكسر يحسر حسرا فهو حسير ، صحاح

أَنْبَا لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهامِ، وَالْتَوُوا في أَطْرافِ الرِّماحِ فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلأَسِنَّةِ، وَغُضُّوا الأَبْصارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلجاشِ وَأَسْكَنُ لِلقُلُوبِ، وَأَمِيتُوا الأَصْواتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلفَشَلِ، وَرايَتَكُمْ فَلا تُمِيلُوها وَلا تُخِلُّوها وَلا تَجْعَلُوها إِلاَّ بِأَيْدي شُجْعانِكُمْ وَالْمانِعِينَ الذِّمارَ مِنْكُمْ، فَإِنَّ الصّابِرِينَ عَلى نُزُولِ الْحَقائِقِ هُمُ الَّذِينَ يَحِفُّونَ بِراياتِهِمْ وَيَكْتَنِفُونَها حِفافَيْها وَوَرائَها وَأَمامَها، لا يَتَأَخَّرُونَ عَنْها فَيُسْلِمُوها، وَلا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْها فَيُفْرِدُوها، أَجْزَءَ امْرُءٌ قِرْنَهُ، وَآسى أَخاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلى أَخِيهِ، فَيَجْتَمِعُ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ، وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعاجِلَةِ لا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الآخِرَةِ، وَأَنْتُمْ لَهامِيمُ الْعَرَبِ، وَالسَّنامُ الأَعْظَمُ، إِنَّ فِي الْفِرارِ مُوجِدَةَ اللهِ وَالذُّلَّ اللاَّزِمَ، وَالْعارَ الْباقِي، وَإِنَّ الْفارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمْرِهِ، وَلا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ، مَنْ رائِحٌ إِلى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْماءَ، الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرافِ الْعَوالي، الْيَوْمَ تُبْلى الأَخْبارُ، وَاللهِ لأَنا أَشْوَقُ إِلى لِقائِهِمْ مِنْهُمْ إِلى دِيارِهِمْ، أَللّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَماعَتَهُمْ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطاياهُمْ، إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَواقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِراكٍ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ، وَضَرْبٍ يُفْلِقُ الْهامَ، وَيُطِيحُ الْعِظامَ، وَيُنْدِرُ السَّواعِدَ وَالأَقْدامَ، وَحَتّى يُرْمَوْا بِالْمَناسِرِ

تَتبَعُهَا ٱلمَناسِرُ ، وَ يُرْجَمُوا بِالْكَتائِبِ ، تَقْفُوهَا ٱلحَلائِبُ ، وَحَتّىٰ يَجُرّ بِبلادِهِمُ ٱلخَمِيسُ يَتلوهُ ٱلخَمِيسُ وَحَتّىٰ تَدْعَقَ ٱلخُيُولُ فِي نَواحِرِ أَرْضِهِمْ، وَبِأَعْنانِ مَسارِبِهِمْ وَمَسارِحِهِمْ .

قال السيد ره : الدعق ، الدقّ ، اى تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم ، ونواحر أرضهم ، متقابلاتها يقال : منازل بني فلان تتناحر أى تتقابل .

اللغة

(الدارع) لابس الدّرع و (الحاسر) الذي لا درع عليه و لا مغفر و (نبا) السّيف عن الضريبة كلّ عنها و ارتد ولم يمض و (التوى) انعطف و (المور) التحريك والاضطراب قال تعالى : يوم تمور السماء موراً ، و (الذمار) بالكسر ما يلزمك حفظه وحمايته ، وعن الجوهرى فلان حامى الذّمار أى إذا ذمر وغضب حمى وفي شرح المعتزلي الذّمار ماوراء الرّجل مما يحقّ عليه أن يحميه و سمّى ذماراً لأنّه يجب على أهله التذمّر له أى الغضب .

و (الحقايق) جمع الحقيقة بمعنى مايحق للرّجل أن يحميه ، أوبمعنى الراية كما ذكره في القاموس وحكى عن الصحاح ، وقال الشارح المعتزلى و تبعه غيره إنّ الحقايق جمع حاقة وهى الأمر الصعب الشديد ، ومنه قوله تعالى : الحاقّة ماالحاقّة يعني السّاعة ، وفي كونه جمعاً لها نظر

و (الحفاف) وزان كتاب الجانب وفي (امرء) ثلاث لغات : فتح الراء دائما و ضمّها دائماً ، واختلافها باختلاف حركة الآخر ، تقول : هذا امرء ورأيت امرءاً و مررت بامرء و(القرن) بالكسر كفوك في الشجاعة أوعامّ لكلّ كفو و(آس) أخاه بالهمزة أى جعله اسوة لنفسه و يجوز و اسيت زيداً بالواو و هى لغة ضعيفة و(اللّهاميم) جمع اللّهموم بالضم كعنقود وعناقيد الجواد من النّاس والخيل و (سنام) الابل معروف و (الموجدة) الغضب والسخط وفي بعض النسخ (والذّل اللاّذم) بالذّال المعجمة أيضاً بمعنى اللازم بالزاء يقال : لذمت المكان أى لزمته و (العوالي) جمع

العالية وهى أعلى القناة أو رأسها أو نصفها الذي يلى السنان .

و (تبلى الأخبار) هنا بالبا الموحّدة وفي بعض النسخ بالياه المثنّاةالتحتانيّة و (أبسلته) أسلمته إلى الهلكة و (النسيم) الريح اللينة ، وفي بعض النسخ النسم أى طعن يخرق الجوف بحيث يتنفّس المطعون من الطعنة ، و روى القشم بالقاف والشين المعجمة وهواللحم والشحم و (فلقت) الشيء افلقه بكسر اللاّم فلقا شققته و(المناسر) جمع المنسر بفتح‌الميم و كسرالسّين وبالعكس أيضا قطعة من‌الجيش تكون امام الجيش الأعظم

و (الحلائب) بالحاء المهملة جمع حليبة و هى الطائفة المجتمعة من حلب القوم حلبا من باب نصر أى اجتمعوا من كلّ وجه ويقال احلبوا إذا جاؤا من كلّ أوب للنصرة و (الخميس) الجيش لأنه خمس فرق : المقدّمة ، والقلب ، والميمنة والميسرة ، والساقة و (المسارب) و (المسارح) جمع المسربة والمسرح وهوالمرعى

قال الشارح المعتزلى : (ونواحر أرضهم) قد فسّره‌الرضىّ ويمكن أن يفسّر بأمر آخر ، وهوأن يريد أقصى أرضهم وآخرها من‌قولهم لآخر ليلة في‌الشهر ناحرة والمسارب ما يسرب فيه المال الراعى ، والمسارح ما يسرح فيه والفرق بين سرح وسرب أنّ السروح إنما يكون في أول النهار ، وليس ذلك بشرط في السروب .

الاعراب

جملة لايتأخّرون عنها آه ، بدل من جملة يكتنفونها كما في قوله تعالى :

« وَمَنْ يَفْعَلْ ذٰلِكَ يَلْقَ أَثَاماً يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ » .

وقوله : اجزء امرء قرنه آه ، قال الشارح المعتزلي : من‌الناس من يجعل هذه‌الصيغة و هى صيغة الاخبار بالفعل الماضي في معنى الأمر كأنـه قال ليجزى كلّ امرء قرنه لأنه إذا جاز الأمر بصيغة الاخبار في المستقبل جازالأمر بصيغة الماضي ، وقدجازالأول نحوقوله:

«وَالْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ» .

فوجب أن يجوز الثاني ، ومن النّاس من قال معنى ذلك هلاّ اجزء امرء قرنه فيكون تحضيضا محذوف الصّيغة ، إنتهى

أقول : معنى التحضيض في الماضي التوبيخ و اللّوم على ترك الفعل و في المضارع الحضّ على الفعل و الطلب له ، وهذا الكلام له عليه السلام كما ترى وارد في معرض الحثّ و الترغيب لا اللّوم و التوبيخ ، فلابدّ أن يجعل هلاّ هنا على تقدير حذفها حرف عرض ، و قوله : من رائح إلى الله رائح خبر لمبتدء محذوف والجملة صلة من، وفي بعض النسخ الرائح إلى الله كالظمآن، وهو الأوفق، ويجوز على الأوّل كون خبر من لفظ كالظمآن وجملة يرد صفة للظمآن ، ويجوز كون كالظمآن صفة لرائح وخبر من جملة يرد ، وعلى ذلك فلابدّ أن يراد بالماء الحياة الأبد على سبيل المجاز و في بعض النسخ كالظمآن يرد إلى الجنّة ، و هو يؤيّد كون جملة يرد خبراً كما هو ظاهر .

المعنى

اعلم أنّ الشارح المعتزلى بعد تقطيعه في الشرح هذا الكلام لـه عليه السلام على فصول ثلاثة قال في شرح الفصل الثّاني منه وهو قوله: اجزء امرء قرنه إلى قولـه وابسلهم بخطاياهم : وهذه الألفاظ لايتلو بعضها بعضاً وإنما هي منتزعة من كلام طويل انتزعها الرضيّ(ره) واطرح ماعداها

أقول : وما ظفرت بعد على تمامه ، والمستفاد من الروايات الآتية في التكملة الآتية أنه ليس منتزعاً من كلام واحد ، بل منتزع من كلام متعدّد حسبما تطلع عليه

و كيف كان فالغرض منه حثّ أصحابه على الجهاد وتحريضهم وتعليمهم آداب الحرب ورسومها قال عليه السلام (فقدّموا الدارع) اللاّبس للدّرع (و أخّروا الحاسر) العارى عنه لأنّ سورة الحرب و شدّتها تلتقي و تصادف الأول فالأول ، فوجب أن

يكون أوّل القوم مستلئما و يقدم المستلئم (١) على غير المستلئم (و عضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسّيوف عن الهام) كما مضى توضيحه في شرح الكلام الحادى عشر مع ما فيه من إظهار الغيظ والخنق على الخصم (والتووا في أطراف الرّماح فانّه أمور للأسنة) أى إذا وصلت إليكم أطراف الرماح فانعطفوا ليزلق و يتحرّك فلا ينفذ، و حمله الشارح البحراني (ره) على الالتواء عند إرسال الرّمح و رميه إلى العدوّ بأن يميل صدره ويده فانّ ذلك أنفذ وليس بشيء

(وغضّوا الأبصار فانه أربط للجاش) ورواع القلب إذا اضطرب (وأسكن للقلوب) من الفزع وإنما أمرهم بغضّها لئلاّ يروا من العدوّ مايهولهم ويدهشهم، وكيلا يرى العدوّ منهم جبنا وفشلا قد مضى ذلك أيضاً في شرح الكلام الحادى عشر (و أميتوا الأصوات) أراد به قلّة الكلام وترك رفع الأصوات (فانه أطرد للفشل) والجبن والجبان يصيح ويرعد و يبرق كمامرّ في الكلام التاسع (ورايتكم فلا تميلوها) لأنّ ميلهامن أسباب انكسار العسكر، لأنهم ينظرون إليها (ولاتخلوها) من محام لها (ولا تجعلوها إلاّ بأيدى شجعانكم) لضعف الجبناء عن إمساكها.

كما ضعف الأوّل و الثّاني عن إمساكها يوم خيبر و انهزما بأقبح وجه، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لأعطينّ الراية غداً رجلا يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله و رسوله كرّار غير فرّار يفتح الله عليه، فلما كان الغد طاولت الأعناق لها، و كلٌّ رجا أن يدفعها إليه فلم يدفعها إلاّ إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وفي هذا المعنى قال الشارح المعتزلي في قصيدته التي قالها في فتح خيبر:

وما أنس لا أنس اللذين تقدّما	و فرّهما والفرّ قد علما حوب
وللراية العظمى و قد ذهبا بهـا	ملابس ذلٍّ فوقهـا و جلابيب
يشلها من آل موسى شمردل	طويل نجاد السيف اجيد يعبوب

إلى أن قال

دعا قصب العلياء يملكها امرؤ	بغير أفاعيل الدّنائة مقضوب

١- استلئم لبس اللامة، منه.

يرى أنّ طول الحرب والبؤس راحة ... وانّ دوام السلم والخفض تعذيب
فلله عينا من رآه مبارزاً ... وللحرب كأس بالمنيّة مقطوب

إلى آخر ما قال ، وقوله (والمانعين الذّمار منكم) أى الذابّين عمّن يجب عليهم حفظه وحمايته ، فانّ من كان كذلك لايترك الراية حتى يظفر أو يقتل وعلّله بقوله (فانّ الصّابرين على نزول الحقايق) أى نزول الرايات منازلها أونزول مايعرض لهم في الحرب من الحالات التي يجب ويحقّ الحماية عنها ، أونزول الأمور الصّعبة الشديدة كما ذكره الشارح المعتزلي (هم الذين يحفّون براياتهم) ويحيطون بها (ويكتنفونها حفا فيها) وجانبيها أى اليمين واليسار (وورائها وأمامها لا يتأخّرون عنها فيسلموها ولايتقدّمون عليها فيفردوها) بل يلازمونها أشدّ الملازمة ويراقبونها كمال المراقبة ويحاربون حولها ويضربون خلفها وأمامها .

ثمّ قال (أجزء امرء قرنه وآسا أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن أخيه) وهو أمر لهم بالمواساة يقول : ليجزء وليكفى كلّ امرء منكم قرنه و كفوه وليواس أخاه بنفسه ، ولم يدع قرنه ينضمّ إلى قرن أخيه فيصيرا معا في مقاومة الأخ المذكور ، فانّ ذلك قبيح كاسب للائمة ، ناش عن دنائة الهمّة ، إذ أولو العزم وذووا الهمم العالية لايرضى أحد منهم بأن يقاتل أخوه اثنين وهو ممسك يده قد خلّى قرنه إلى أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه

ثمّ أقسم بالقسم البارّ فقال (وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة) لحبّ البقاء والحياة (لاتسلموا من سيف الآخرة) أى من عذاب الله وعقابه سبحانه على فراركم و تخاذلكم ، و تسميته العذاب بالسيف إما مبنىّ على الاستعارة أو على المشاكلة (وأنتم لهاميم العرب) أى ساداتها وأجوادها (والسنام الأعظم) أراد شرفهم وعلوّ نسبهم على سبيل الاستعارة أو التشبيه البليغ لأنّ السنام أعلى أعضاء البعير وأرفعها (إنّ في الفرار) من الجهاد (موجدة الله) سبحانه وغضبه يوم الحساب (والذلّ اللازم والعار الباقي) في الأعقاب (و انّ الفارّ لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه) يعنى انّ

الفرار لايزيد في عمر الفارّ ولايحجز بينه وبين اليوم الذي قدّر فيه موته كماقال تعالى في حقّ المنافقين المعتلّين في الرّجوع يوم الأحزاب بأن بيوتهم عورة :

« قُل لَن يَنفَعَكُمُ ٱلفِرارُ إِن فَرَرتُم مِنَ ٱلمَوتِ أَوِ ٱلقَتلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً قُل مَن ذا ٱلَّذِي يَعصِمُكُم مِنَ اللهِ إِن أَرادَ بِكُم سُوءً أَو أَرادَ بِكُم رَحمَةً وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِن دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً » .

يعني قل للّذين استأذنوك في الرّجوع واعتلّوا بأنّ بيوتهم يخاف عليها : لن ينفعكم الفرار من الموت أوالقتل ، إن كان حضر آجالكم فانه لابدّ من واحد منهما ولاينفعكم الهرب والفرار ، وإن لم يحضر آجالكم وسلمتم من الموت أو القتل في هذه الوقعة لم تمتّعوا في الدّنيا إلاّ أياما قلائل .

ثمّ أكّد الحثّ عليهم بالترغيب و التشويق فقال (من) هو (رائح إلى الله) وذاهب إلى رضوان الله سبحانه (كالظمآن) العطشان (يرد الماء) و يروى غلته (الجنّة تحت أطراف العوالي) و أسنّة الرّماح و تحت ظلال السيوف (اليوم تبلى الأخبار) أى أخبار الحرب من الثبات والفرار ويمتحن السرائر والضمائر من الايمان والنفاق والشجاعة والجبن وغيرها ،أويمتحن الأخيار من الأشرار (والله لأنا أشوق) وأرغب (إلى لقائهم) أي الأعداء (منهم إلى ديارهم) ثمّ دعا عليهم بقوله :

(أللّهم فان ردّوا الحقّ) وأرادوا إبطاله (فافضض جماعتهم وشتّت كلمتهم) أي بدّل اجتماعهم بالافتراق و اتّفاق قولهم بالاختلاف والنفاق الموجب للهزيمة (و أبسلهم بخطاياهم) أى اهلكهم و أسلمهم إلى الهلاك و لاتنصرهم بما اكتسبوا من الاثم والخطاء كما قال سبحانه :

« وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُم لَعِباً وَلَهواً وَغَرَّتهُمُ ٱلحَيوةُ ٱلدُّنيا وَذَكِّر بِهِ أَن تُبسَلَ نَفسٌ بِما كَسَبَت لَيسَ لَها مِن دُونِ اللهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ وَإِن تَعدِل كُلَّ عَدلٍ لا يُؤخَذ مِنها أُولئِكَ ٱلَّذِينَ أُبسِلُوا بِما

كَسَبُوا لَهُمْ شَرابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذابٌ أَلِيمٌ بِما كانُوا يَكْفُرُونَ »

ثم أشار إلى جدّ الخصم في الجهاد تهييجاً لأصحابه على المقاومة والثبات فقال عليه السلام (انهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك) متدارك متتابع يتلو بعضه بعضاً (يخرج منه النسيم) والريح اللينة لسعته كما قال الشاعر :

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر لها نفد لولا الشعاع أضاها
ملكت بها كفّي فانهرت فتقها يرى قائم من دونها ماوراها

يعني أنّ هذه الطعنة لا تّساعها يرى الانسان المقابل لها ببصره ماوراها ، و انه لولا شعاع الدّم لبان منها الضوء (وضرب يفلق الهام) ويشقق الرؤوس (و يطيح العظام ويندر السواعد والأقدام) أى يسقطها من مواضعها ومحالها (وحتّى يرموا بالمناسر) والجيوش (تتبعها المناسر) الأخر (ويرجموا) أى يغزوا (بالكتائب) و طوائف الجيوش (تقفوها) وتتبعها (الجلائب) والطوائف الأخرى المجتمعة من كلّ صقع وناحية لنصرها والمحاماة عنها (وحتّى يجرّ ببلادهم الخميس يتلوه) ويعقّبه (الخميس) الآخر (وحتّى تدعق الخيول) وتدقّ بحوافرها (في نواحر أرضهم) أى متقابلاتها أو أواخرها (وبأعنان مساربهم ومسارحهم) أى أطراف مراعيهم و نواحيها

تكملة

هذا الكلام رواه المحدّث العلامة المجلسي (ره) بطرق متعدّدة واختلاف كثير أحببت أن أوردما رواه طلباً لمزيد الفائدة فأقول :

روى (قده) في البحار من الكافي في حديث مالك بن أعين قال : حرّض أمير المؤمنين عليه السلام النّاس بصفّين فقال : انّ الله عزّ وجلّ قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ، وتشفى بكم على الخير ، الايمان بالله والجهاد في سبيل الله وجعل ثوابه مغفرة للذنب ومساكن طيبة في جنّات عدن وقال جلّ وعزّ

« إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيانٌ مَرْصُوصٌ »

فسوّوا صفوفكم كالبنيان المرصوص ، فقدّموا الدارع وأخّروا الحاسر ، و عضّوا

على النواجذ ، فانه أنبا للسيوف عن الهام ، والتووا على أطراف الرماح فانّه امور للأسنّة ، و غضّوا الأبصار فانّه أربط للجاش وأسكن للقلوب ، وأميتوا الأصوات فانه أطرد للفشل وأولى بالوقار ، ولا تميلوا براياتكم ولا تزيلوها ، ولاتجعلوها إلاّ مع شجعانكم ، فانّ المانع للذّمار و الصابر عند نزول الحقايق هم أهل الحفاظ ، ولاتمثلوا بقتيل ، وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلاتهتكوا ستراً «ستراً ظ» ولاتدخلوا داراً ، ولاتأخذوا شيئاً من أموالهم إلاّ ما وجدتم في عسكرهم ، و لا تهيجوا امرأة بأذى و إن شتمن أعراضكم وسببن اُمرائكم وصلحائكم ، فانهنّ ضعاف القوى والأنفس والعقول ، وقد كنا نؤمر بالكفّ عنهنّ و هنّ مشركات و ان كان الرّجل ليتناول المرأة فيعيّر بها وعقبه من بعده

واعلموا أنّ أهل الحفاظ هم الذين يحفّون براياتكم ويكتنفونها ، ويصيرون حفافيها ووارئها وأمامها ، ولايضيعونها ولايتأخّرون عنها فيسلموها ولايتقدّمون عليها فيفردوها رحم الله امرءاً واسا أخاه بنفسه ، ولم يكل قرنه إلى أخيه ، فيجتمع عليه قرنه و قرن أخيه فيكتسب بذلك اللاّئمة ، ويأتي بدنائة ، و كيف لا يكون كذلك وهو يقاتل الاثنين ، وهذا ممسك يده قد خلى قرنه على أخيه هارباً ينظر إليه وهذا فمن يفعله يمقته الله فلا تعرّضوا لمقت الله عزّ وجلّ فانما ممرّكم إلى الله و قد قال الله عزّوجلّ:

«لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَ إِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاّ قَلِيلاً»

و أيم الله لئن فررتم من سيوف العاجلة لا تسلمون من سيوف الآجلة ، فاستعينوا بالصبر و الصّدق فانما ينزل النصر بعد الصّبر فجاهدوا في الله حقّ جهاده ولا قوّة إلاّ بالله .

وفي كلام له آخر

و إذا لقيتم هؤلاء القوم غداً فلا تقاتلوهم حتّى يقاتلونكم ، فاذا بدؤا بكم فانهدوا إليهم وعليكم السكينة و الوقار ، وعضّوا على الأضراس فانه أنبأ للسيوف

عن الهام، و غضّوا الأبصار . و مدّوا جباه الخيول و وجوه الرّجال ، و أقلّوا الكلام فانه أطرد للفشل ، وأذهب بالوهل ، ووطنوا أنفسكم على المبارزة والمنازلة و المجادلة ، واثبتوا ، و اذكروا الله عزّوجلّ كثيراً فانّ المانع للذّمار عند نزول الحقايق هم أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم ويضربون حافتيها وأمامها ، و إذا حملتم فافعلوا فعل رجل واحد ، وعليكم بالتحامي فانّ الحرب سجال لايشدّون عليكم كرّة بعد فرّة ، ولا حملة بعد جولة ، ومن ألقى اليكم السّلام فاقبلوا منه واستعينوا بالصّبر فانّ بعد الصّبر النّصر من الله عزّ وجلّ

«إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» .

وفي البحار من الارشاد قال من كلامه عليه السلام أيضاً في هذا المعنى أى في تحضيضه على القتال يوم صفّين :

معشر النّاس إنّ الله قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم ، وتشفى بكم على الخير العظيم : الايمان بالله ورسوله صلى الله عليه وآله والجهاد في سبيله ، وجعل ثوابه مغفرة الذّنوب ومساكن طيّبة في جنات عدن ثمّ أخبركم أنه

« يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ »

فقدّموا الدّارع وأخّروا الحاسر و عضّوا على الأضراس فانّه أنبأ للسيوف عن الهام و التووا في أطراف الرماح فانّه أمور للأسنّة ، وغضّوا الأبصار فانه أربط للجاش و أسكن للقلوب ، وأميتوا الأصوات فانّه أطرد للفشل وأولى بالوقار ، ورايتكم فلا تميلوها و لا تخلوّها و لا تجعلوها إلاّ في أيدي شجعانكم ، فانّ المانعين للذّمار الصّابرين على نزول الحقايق أهل الحفاظ الذين يحفّون براياتهم و يكتنفونها ، رحم الله امرءً منكم آسى أخاه بنفسه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجمع عليه قرنه وقرن أخيه فيكتسب بذلك اللآئمة ، و يأتي به دنائة ولاتعرّضوا لمقت الله ، ولا تفرّوا من الموت فانّ الله تعالى يقول :

« قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً »

وأيم الله لئن فررتم من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآجلة ، فاستعينوا بالصبر والصّلاة والصّدق في النّية فانّ الله تعالى بعد الصبّر ينزل النصر ، هذا

وقد مرّ أكثر الفقرات الأخيرة من هذا الكلام الذى نحن بصدد شرحه في رواية نصر بن مزاحم عن الشّعبي في شرح الخطبة الخامسة و الثّلاثين عند ذكر كيفية التحكيم فليراجع ثمة .

بيان ما لعله يحتاج إلى التفسير من ألفاظ الروايتين فأقول قال الجوهرى « رصّصت» الشيء رصّا ألصقت بعضه ببعض و منه بنيان مرصوص و « الحفاظ » بالكسر الذّب عن المحارم و « حفافيها » متعلّق بقوله : يكتنفونها أو بقوله : يصيرون أيضاً على سبيل التنازع ، قال في البحار و في بعض النسخ ورائها بدون العطف فهما الامام و الوراء و « نهد »الرّجل نهض ولعدوّه صمد لهم .

وقوله عليه السلام « ومدّوا جباه الخيول ووجوه الرّجال » قال في البحار لعلّ المراد بهما تسوية الصّفوف و اقامتها راكبين وراجلين ، أو كناية عن تحريكها و توجيهها إلى جانب العدوّ و « الوهل» الضعف والفزع ، وقوله «فانّ الحرب سجال » أى مرّة لنا ومرّة علينا ، وأصله إنّ المستقين بالسجل يكون لكلّ واحد منهم سجل ، والسجل الدلو الكبير و « السّلام» الاستسلام ، و قد مرّ تفسير ساير ما يحتاج إلى التفسير في شرح المتن

تذكرة

قد قدّمنا في شرح الكلام الخامس والسّتين شطراً من وقايع صفّين ، وأوردنا تمام وقايعها في شرحه وشرح ساير الخطب المتقدّمة عليه حسبما مرّت الاشارة اليها هنالك ، من أراد الاطلاع عليها فليراجع ثمّة

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آنجنابست در تحریص و ترغیب أصحاب خود برمقاتله ومحاربه معاویه وأصحاب او که فرموده :

پس مقدم دارید زره پوش را ، و مؤخّر نمائید عاری از زره را ، و بگزید بردندانها یعنی دندانهارا بالای همدیگر محکم بگذارید ، پس بدرستیکه استحکامی دندانها بازگرداننده‌تر است شمشیرها را ازفرق ، وپیچیده شوید در أطراف نیزها پس بتحقیق که آن پیچیدگی حرکت دهنده‌تر است نیزها را ازنفوذ آنها ، وفرو خوابانید دیده‌ها را پس‌بدرستیکه آن موجب زیادتی ثبات دل بی‌آرام است وشدّت سکون قلبها است ، و ترك کنید بلندی آوازها را پس بدرستیکه آن راننده تر است جبن را .

و عَلم خودتان را پس میل ندهید آنرا وخالی نگذارید آنرا و مگردانید آنرا مگر بردست‌شجاعان‌خودتان، ومگر بردست کسانیکه‌بازدارند گانندبی‌غیرتی‌را از شما در روز هیجا ، پس بدرستی کسانیکه صبر نماینده اند بر نزول حقیقة کارهائیکه حقیق است بحمایت ایشان اشخاصی هستند که احاطه میکنند بعلمهای خود ، ودور آنها را میگیرند از دو جانب چپ وراست آنها وازپس آنها وپیش آنها یعنی محافظت میکنند علمها را از چهار طرف و پس نمیافتند ازآن‌علمها تا تسلیم کنند آنها را برأعداء ، وپیش نمیروند از آنها تا اینکه تنها گذارند آنهارا

باید که کفایت کند مرد کفو خودش را در کار زار ، و مواساة کند با برادر خودش بنفس خود، وواگذار ننماید قرین و کفوخودرا ببرادرخودتامجتمع‌شود براو قرین اووقرین برادراو، وبخدا سوگند اگر بگریزیدشمااز‌شمشیردنیاسلامت‌نمانیداز شمشیر آخرت و حال آنکه شما أشراف عرب هستید وکوهانهائی بزرگتر أرباب أدب‌میباشید، بدرستیکه‌درگریختن‌ازجنك‌غضب پروردگار است ، و ذلّت و خواری همیشگی است وعار وسرکوبی باقی است ، وبدرستیکه فرارکنندهٔ ازجنگ زیاده کننده نیست درعمرخود ، وباز داشته شده نیست میان خود ومیان روز موعود خود

کسیکه رونده است بسوی آفریدگار مثل تشنه ایست که وارد شود بر آب بهشت عنبر سرشت، در زیر أطراف نیزهای بلند مقدار است، امروز آشکار میشود خبرها.

بار پروردگارا اگر رد کنند این قوم بدبنیاد حق را پس پراگنده نما جماعت ایشانرا، و متفرّق گردان سخنان باطل ایشانرا، وهلاك بگردان ایشانرا بگناهان خودشان، ایشان هر گز زایل نمیشوند ازموقفهای خودشان بی زدن نیزه پی درپی که خارج بشود ازاو بجهة گشادی او نسیم، وبی ضربتی که بشکافد کاسهٔ سررا وبیندازد استخوانها را وبیفکند بازوها وقدمها را، وتا آنکه أنداخته شوند بلشکرهائی که مقدمهٔ لشکر دیگر باشند که تابع شود بایشان مقدّمة الجیش دیگر، و سنگسار شوند بلشکرهای گران که تبعیت نماید بایشان لشکران جمع شده از هرطرف تا آنکه کشیده شود بشهرهای ایشان سپاهی که درعقب آن باشد سپاهی دیگر، وتا آنکه بکوبند اسبان بسمهای خود دراواخر بلاد ایشان وبنواحی مراعی وچراگاههای ایشان، یعني اگر جد و کوشش نشود در جهاد ایشان دست ازطغیان خود برنخواهند داشت

و من كلام له عليه السلام فى التحكيم و هو المأة و الخامس و العشرون من المختار فى باب الخطب.

ورواه الطبرسی فی الاحتجاج الی قوله لاول البغی نحوه، قال علیه السلام

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجالَ وَ إِنَّما حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ وَ هٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّما هُوَ خَطٌّ مَسْطُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ، لاٰ يَنْطِقُ بِلِسانٍ وَلاٰ بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمانٍ، وَ إِنَّما يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجالُ، وَ لَمّا دَعانَا الْقَوْمُ إِلىٰ أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتابِ اللهِ تَعالىٰ، وَ قَدْ قالَ سُبْحانَهُ : فَإِنْ

تَنازَعتُمْ في شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ، فَرَدُّهُ إِلَى اللهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتابِهِ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ، فَاِذا حُكِمَ بِالصِّدْقِ في كِتابِ اللهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النّاسِ بِهِ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَنَحْنُ أَوْلاهُمْ بِهِ، وَأَمّا قَوْلُكُمْ: لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ أَجَلاً فِي التَّحْكِيمِ فَإِنَّما فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجاهِلُ، وَيَتَثَبَّتَ الْعالِمُ وَلَعَلَّ اللهَ أَنْ يُصْلِحَ في هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ، وَلا تُؤْخَذَ بِأَكْظامِها فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ، وَتَنْقادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ، إِنَّ أَفْضَلَ النّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ مِنَ الْباطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فائِدَةً وَزادَهُ فَأَيْنَ يُتاهُ بِكُمْ، وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ، إِسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيارىٰ عَنِ الْحَقِّ لا يُبْصِرُونَهُ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ وَلا يَعْدِلُونَ بِهِ، جُفاةٍ عَنِ الْكِتابِ نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ، ما أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِها، وَلا زَوافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْها، لَبِئْسَ حُشّاشُ نارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ، أُفٍّ لَكُمْ، لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرْحاً يَوْماً أُنادِيكُمْ وَيَوْماً أُناجِيكُمْ، فَلا أَحْرارُ صِدْقٍ عِنْدَ النِّداءِ، وَلا إِخْوانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجاءِ.

اللغة

(دفّتا) المصحف جانباه المكتنفان به و (الترجمان) وزان زعفران وعنفوان و ريهقان مفسّر اللّسان باللّسان الآخر، و التاء أصلية و الألف والنّون زائدتان والفعل ترجم و (التبيّن) يستعمل لازماً ومتعدّياً و (التثبّت) التأنّي في الأمور و (الهدنة)

بالضمّ المصالحة والدّعة والسكون و (الأكظام) جمع كظم كأسباب وسبب ومخرج النفس من الحلق و (كرثه) الغمّ من باب نصر وضرب و أكرثه اشتدّ عليه وبلغ منه المشقة .

و (تاه) يتيه تيها تحيّر و ضلّ أوتكبّر و (أُتيتم) بالبناء على المفعول و (أوزعته) بكذا ألهمته وقال الجوهريّ أوزعته بالشيء أغريته به و (جفات) جمع جاف من جفا السرج عن ظهر الفرس نبا وارتفع و (نكب) عن الطريق ينكب نكوبا من باب قعد عدل و (زافرة) الرّجل خواصّه و أنصاره و (الحشاش) بضمّ الحاء وتشديد الشين جمع حاش وهو الموقد للنار ويروى حشاش بالكسر والتخفيف وهو ما يحشّ بـه النار أى يوقد و (البرح) الشدّة وفي بعض النسخ بالتاء و هو الحزن و (النجاء) المناجاة مصدر ناجيته نجاءً مثل صارعته صراعاً وضاربته ضراباً

الاعراب

قوله : بين الدّفتين ، ظرف لغو متعلّق بقوله مسطور أو مستقرّ صفة لخطّ أوحال ضمير مسطور ، ومثله في احتمال الوصفية والحالية جملة لاينطق آه ، ولعلّ الله أن يصلح آه لعلّ حرف موضوع للتوقّع وهو الترجّي للمحبوب والاشفاق من المكروه وتنصب الاسم وترفع الخبر مثل ساير الحروف المشبّهة بالفعل ويقترن خبرها كثيراً بأن كما في هذا المقام وفي قوله :

لعلّك يوماً أن تلمّ ملمّة عليك من اللاّء يدعنك أجدعا(١)

حملا لها على عسى لاشتراكهما في الدلالة على الترجّي على سبيل الانشاء

فان قلت : أن تجعل مدخولها في تأويل المصدر و عليه فكيف يصحّ الحمل في قوله : لعلّ الله أن يصلح و قولك لعلّ زيدا أن يقوم إذ الحدث لا يكون خبراً عن الجثة .

قلت : هذا اشكال تعرّض له علماء الأدبيّة في باب عسى وتفصّوا عنه بوجوه

---

(١) الاجدع بالجيم والدال المهملة مقطوع الانف أى لعلك ان تنزل عليك نازلة من نوازل الدهر من اللاّء يتركنك بهذا الصفة من الجدع، منه

احدها أن يقدرهنا مضاف إمّا في الاسم أوفي الخبر ، فمعنى عسى زيد أن يقوم عسى حال زيدأن يقوم أوعسى زيد صاحب أن يقوم ، ونوقش فيه بأنه تكلّف إذلم يظهرهذا المضاف إلى اللّفظ أبداً لا في الاسم ولا في الخبر **وثانيها** أنّ أن زائدة ، ورد بأنّ الزايد لا يلزم إلاّ مع بعض الكلم و لزومه مطردا في موضع معيّن مع أيّ كلمة كانت بعيد **وثالثها** ما قاله الكوفيّون وهو أنّ أن مع الفعل في محلّ الرّفع بدلا مماقبله بدل اشتمال كقوله تعالى :

« لاٰ يَنْهٰيكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلوكُمْ في الدّينِ » إلىٰ قوله:

« أنْ تَبَرّوهُمْ ».

أي لاينهيكم الله عن أن تبرّوهم قال نجم الأئمة : و الذي أرى أنّ هذا وجه قريب فيكون في نحو يازيدون عسى أن يقوموا قدجاء بما كان بدلا من الفاعل مكان الفاعل والمعنى أيضاً يساعد على ما ذهبوا إليه ، لأنّ عسى بمعنى يتوقّع ، فمعنى عسى زيدأن يقوم أي يتوقّع ويرجا قيامه وإنما غلب فيه بدل الاشتمال لأنّ فيه اجمالا ثمّ تفصيلا وفي إبهام الشيء ثمّ تفسيره وقع عظيم لذلك الشي في النفس

وقوله ولا يؤخذ با كظامها عطف على قوله يتبيّن ، و قوله :حيارى و جفاة ونكب بالجرّ صفة لقوم ، وقوله ماانتم بوثيقة بالجرّ على حذف المضاف أو الموصوف أي بذوي وثيقة أو بعروة وثيقة ، والباء في قوله ولا يعدلون به إما بمعنى عن كما ذهب إليه الكوفيّون في قوله تعالى : فاسئل به خبيراً ، أي عنه ويؤيّده ما في بعض النسخ بدل به عنه أوصلة بمعناها الأصلي .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام في مقام الاحتجاج على الخوارج حيث أنكروا عليه التحكيم ، وقد مضى في شرح الخطبة الخامسة والثلاثين كيفية التحكيم وبدء خروج الخوارج ، و في شرح الخطبة السادسة والثلاثين احتجاجاته عليه السلام معهم من كتابي المناقب لابن شهر آشوب و كشف الغمة لعليّ بن عيسى الأربلي ، ونقول هنا

قد روى الطبرسي في الاحتجاج احتجاجه معهم نحو ما قدّمناه من المناقب ولابأس بايراده هنا لاختلاف الروايتين وتوضيحا للمقام وتأكيداً لما تقدّم

فأقول : قال (ره) : و روى أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أرسل عبدالله بن العباس إلى الخوارج و كان بمرئى منهم ومسمع قالوا له في الجواب : إنّانقمنا يابن عباس على صاحبك خصالا كلّها مكفرة موبقة تدعوإلى النار

أمّا أولها فانّه محا اسمه من امرة المؤمنين ثمّ كتب ذلك بينه وبين معاوية فاذا لم يكن أميرالمؤمنين ونحن المؤمنون فلسنانرضى بأن يكون أميرنا

و أمّا الثانية فانه شكّ في نفسه حيث قال للحكمين انظرا فان كان معاوية أحقّ بها فاثبتاه وإن كنت أولى بها فاثبتانى فاذا هو شكّ في نفسه ولم يدر أهوحقّ أم معاوية فنحن فيه أشدّ شكاً

والثالثة أنه جعل الحكم إلى غيره وقدكان عندنا أحكم الناس

والرابعة أنه حكم الرّجال في دين الله ولم يكن ذلك إليه .

والخامسة أنه قسم بيننا الكراع و السّلاح يوم البصرة ومنعنا النساء والذريّة .

والسادسة أنه كان وصيّا فضيّع الوصيّة

قال ابن عبّاس قد سمعت يا أميرالمؤمنين مقالة القوم وأنت أحقّ بجوابهم ، فقال عليه السلام : نعم ، ثمّ قال : يابن عبّاس قل لهم ألستم ترضون بحكم الله و حكم رسوله صلى الله عليه وآله ؟ قالوا : نعم ، قال : ابدء بمابدءتم به في بدء الأمر ثمّ قال عليه السلام :

كنت أكتب لرسول الله صلى الله عليه وآله الوحى و القضايا والشروط والأمان يوم صالح أبا سفيان وسهيل بن عمرو فكتبت : بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا ما اصطلح عليه محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله أباسفيان بن صخربن حرب وسهيل بن عمرو فقال سهيل إنا لانعرف الرّحمن الرّحيم ، و لانقرّ أنّك رسول الله ، ولكن نحسب ذلك شرفالك أن تقدّم اسمك قبل أسمائنا وان كنا أسنّ منك وأبي أسنّ من أبيك، فأمرني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال اكتب مكان بسم الله الرّحمن الرّحيم : باسمك اللهمّ ، فمحوت ذلك و كتبت باسمك اللهمّ ومحوت رسول الله و كتبت محمّد بن عبدالله ، فقال لي : إنك تدعى إلى

مثلها فتجيب وأنت مكره

و هكذا كتبت بيني و بين معاوية و عمرو بن العاص : هذا ما اصطلح عليه أمير المؤمنين ومعاوية وعمرو بن العاص فقالا : لقد ظلمناك إن أقررنا أنك أمير المؤمنين وقاتلناك ، ولكن اكتب عليّ بن أبي طالب ، فمحوت كما محى رسول الله ، فان أبيتم ذلك فقد جحدتم ، فقالوا :هذه لك خرجت منها قال :

وأمّا قولكم اني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين انظرا فان كان معاوية أحق بها منّي فأثبتاه ، فانّ ذلك لم يكن شكاً منّي : ولكني أنصفت في القول قال الله تعالى :

« وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ »

ولم يكن ذلك شكاً وقد علم الله أنّ نبيّه على الحقّ قالوا : وهذه لك قال عليه السلام :

وأمّا قولكم إني جعلت الحكم إلى غيري وقد كنت عندكم أحكم النّاس ، فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله قد جعل الحكم إلى سعد يوم بني قريظة وقد كان من أحكم الناس فقد قال الله تعالى:

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ »

فتأسّيت رسول الله صلى الله عليه وآله قالوا: وهذه لك بحجّتنا قال:

و أمّا قولكم إنّي حكمت في دين الله الرّجال، فما حكمت الرّجال وإنما حكمت كلام الربّ الذي جعله الله حكما بين أهله ، وقد حكم الله الرّجال في طائر فقال :

« وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ » .

فدماء المسلمين أعظم من دم طائر قالوا ،وهذه لك بحجّتنا قال :

و أمّا قولكم إنّي قسمت يوم البصرة لما اظفر الله بأصحاب الجمل الكراع والسلاح ومنعتكم النساء والذرّية فاني مننت على أهل البصرة كما منّ رسول الله صلى الله عليه وآله

على أهل مكة وان كان عدواً علينا أخذناهم بذنوبهم ولم نأخذ صغيراً بكبير ، وبعد فايكم كان يأخذ عايشة في سهمه ؟ قالوا : وهذه لك بحجتنا قال :

و أما قولكم إني كنت وصيا وضيعت الوصية فأنتم كفرتم و قدمتم على وأزلتم الأمر عني ، وليس على الأوصياء الدعا إلى أنفسهم إنما يبعث الأنبياء عليهم السلام فيدعون إلى أنفسهم، و أما الوصي فمدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه وذلك لمن آمن بالله ورسولهولقد قال الله تعالى :

« وَ لِلّٰهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً »

فلوترك الناس الحج لم يكن البيت ليكفر بتركهم إياه ولكن كانوا يكفرون بتركهم لأن الله قد نصبه لهم علماً و كذلك نصبني علماً حيث قال رسول الله صلى الله عليه وآله : يا على أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، أنت مني بمنزلة الكعبة تؤتى ولا تأتي ، فقالوا هذه لك بحجتنافادعونا ، فرجع بعضهم وبقى منهم أربعة آلاف لم يرجعوا ممن كانوا قعدوا عنه ، فقاتلهم وقتلهم

إذا عرفت ذلك فأقول : إنه قد ظهرلك من هذهالرواية ومن رواية المناقب المتقدمة أن من جملة مانقم الخوارج عليه عليه السلام تحكيمه للرجال ، و من جملته أنه عليه السلام ضرب للتحكيم أجلا معينا ، فساق هذا الكلام دفعا لشبهتهم

و قال في رد الأول .ودفعه : إن دعويكم على بتحكيم الرجال غير صحيحة لـ(أنالم نحكم الرجالو انما حكمنا القرآن وهذا القرآن انما هوخط مسطور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابد له من مفسر وترجمان وإنما ينطق عنه) ويترجمه (الرجال ولما دعاناالقوم) أى أهل الشام (إلى أن نحكم بيننا القرآن) حسبمامر تفصيله فيشرح الخطبة الخامسة والثلاثين (لم نكن الفريق المتولى عن كتابالله سبحانه و قد) ذم الله أقواما على ذلك حيث قال : وإذا دعوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم تولوا إلا قليلا منهم و هم معرضون بل لابد لنا من التسليم و الاجابة امتثالا لأمره تعالىحيث (قال عز منقائل فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول)

و لما كان الردّ إلى الله والرّسول مجملا محتاجاً إلى التفسير والبيان فسّره بقوله (فردّه إلى الله) سبحانه (أن نحكم بكتابه) العزيز (وردّه إلى الرّسول أن نأخذ بسنّته) القويمة (فاذا حكم بالصدق في كتاب الله) أى بقول مطابق للواقع لا بتفسيره عن رأى و اعتقاد فاسد (فنحن أحقّ الناس به) أى بالله أوبكتاب الله أو بالحكم الصّدق المستنبط من الكتاب ولوجب بمقتضاه الحكم بخلافتنا و وجوب المتابعة لنا لأنّ الله سبحانه قد قال فيه :

« أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ » وقال : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » .

(وان حكم بسنّة رسول الله) بالحقّ لا بتأويله عن هوى النفس (فنحن أولاهم بها) أى بالسنّة و في بعض النسخ به أى بالحكم الحقّ المستفاد من السنّة أو أولاهم بالرّسول لقوله فيه أنت منّى بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدى ، وغيره مما قال فيه من الأخبار الدالة على أولويته عليه السلام حسبما قدّمناها في شرح الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية وغيرها أيضاً

و محصّل جوابه عليه السلام انـه لما نقموا عليه بتحكيم الرّجال أجاب لهم بأنّ القوم لما رفعوا المصاحف على الرّماح ودعونا إلى كتاب الله سبحانه والعمل بحكمه لم يسعنا التّولّى و الاعراض و إن كان دعوتهم في الظاهر ايمانا وفي الباطن كفراً وعدواناً ، فأجبنا إليهم دعوتهم ورضينا بالتحكيم بالقرآن ، وحيث إنّ القرآن خطّ مسطور محتاج إلى المفسّر و المترجم قرّرنا الرجلين لمسيس الحاجة إلى التفسير و الترجمة ، فالحكم في الواقع والحقيقة هوالقرآن لا الرّجلان ، و انما وجودهما توصّلا إلى التفسير والبيان و حاجة إلى المفسر والتّرجمان ، مع انه قد مرّ غير مرّة أنّ رضاه عليه السلام بالتحكيم كان إجباراً و اضطراراً، لا رغبة واختياراً ، هذا

و لما كان هناك مظنّة أن يقال إنك بعد ما رضيت بالحكمين ولو من باب الحاجة إلى الترجمة فهلاّ انفذت قولهما و لم لم ترض بحكمهما؟ فأجاب عليه السلام عنه بأنّ الواجب علينا اتّباعهما لو كانا يحكمان في السنّة والكتاب بالصدق والصّواب ولو حكما بالحقّ لكنّا به أحقّ ، لكنهما حكما بالهوى والخطاء فلا يجب علينا الرضاء والاتباع ولا التنفيذ والامضاء ، هذا .

والعجب من الشّارح المعتزلي حيث ذكر في هذا المقام سؤالاً وجواباً ملخّصه أنه إذا كان البناء على تفسير الرجلين و ترجمتهما وحكمهما في واقعة أهل العراق و أهل الشام بما في القرآن دلالة عليه فمن الجائز اختلافهما في تفسيره و تأويله و استدلال كلّ منهما بدليل يوافق غرضه أو تفسير كلّ منهما لآية واحدة على ما يطابق رأيه ، إذ ليس فيه نصّ صريح يحسم مادّة النزاع ويرفع الخلاف من البين .

و أجاب بأنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب حقّ التأمّل لوجد فيه النّص الصريح على خلافة أمير المؤمنين ، لأنّ فيه النصّ الصّريح على أنّ الاجماع حجّة و معاوية لم يكن مخالفاً في هذه المقدّمة ولا أهل الشام ، وإذا كان الاجماع حجّة فقد وقع الاجماع لما توفى رسول الله صلّى الله عليه وآله على أنّ اختيار خمسة من صلحاء المسلمين لواحد منهم و بيعته يوجب لزوم طاعته وصحّة خلافته ، وقد بايع أمير المؤمنين خمسة من صلحاء الصحابة بل خمسون ، فوجب أن تصحّ خلافته ، و إذا صحّت خلافته نفذت أحكامه ، فقد ثبت أنّ الكتاب لو تؤمّل حق التأمّل لكان الحقّ مع أهل العراق ولم يكن لأهل الشام ما يقدح في استنباطهم المذكور ، انتهى كلامه هبط مقامه .

أقول: أما قوله إنّ الحكمين لو تأمّلا الكتاب لوجدا فيه النّص الصريح على خلافة أمير المؤمنين ، فهو حقّ لا ريب فيه ، لأنّ الآيات الدالّة على خلافته عليه السلام كثيرة لا تحصى ، وقد مضى جملة منها في مقدّمات الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية وأشرنا إلى بعضها هنا أيضاً .

و أما قوله لأنّ فيه النّص الصّريح على حجيّة الاجماع ، فلا يخفى ما فيه من الخبط والخطاء ، لانّه مع وجود النّص من القرآن على أصل الخلافة لا داعي

إلى إقامته النّص على حجّيّة الاجماع ثمّ الاستدلال به على خلافته ، وإنما هو أشبه شيء بالأكل من القفاء

و لعلّ الشارح إنما التزم به لأجل حماية الحمى و ذابّا عن الخلفاء ، لأنّه لو التزم بوجود النّص على أصل الخلافة لم يجد بدّاً من الالتزام ببطلان خلافة المتخلّفين كالالتزام ببطلان خلافة معاوية ، و في ذلك ابطال ما اختاره من المذهب والدّين.

وبعد الغضّ عن ذلك أقول: أىّ نصّ صريح في القرآن على حجّيّة الاجماع فانّ الآيات التي استدلّ بها الجمهور عليها من قوله سبحانه :

« وَمَنْ يُشاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ ما تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدى وَ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ ما تَوَلّى وَ نُصْلِهِ جَهَنَّمَ » وقوله : « وَكَذٰلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً » وقوله: « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ » و قوله : « فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَ الرَّسُولِ ».

وغير ذلك مما استدلوا بها عليها جلّها بل كلّها غير خال عن المناقشة والفساد كما نبّه عليه الفحول في كتب الأصول ، فانظر إلى كتابي التّهذيب والنّهاية للعلامة الحلّى طاب ثراه تجد صدق ماقلناه

و بعد التنزل والتسليم أقول : غاية الأمر أنّ هذه الأدلّة من قبيل الظّواهر لا من قبيل النصوص ، ثمّ لا أدرى ماذا يريد بقوله : فقد وقع الاجماع لما توفى رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم إلى قوله : وصحّة خلافته ، وأى شيء كان غرضه من افحامه في البين مع عدم ربطه بالدعوى وعدم الحاجة إليه في اثبات المدّعي ، لأنّه إذا دلّ الدليل من القرآن على حجّيّة الاجماع ، وقام الاجماع على خلافة أمير المؤمنين فتثبت خلافته

من غير حاجة إلى مقدّمة اُخرى

اللّهم إلّا أن يقال بأنّ غاية ما دلّ عليه القرآن هو حجّيّة الاجماع و أما أنّ المعتبر في حصول الاجماع على البيعة هل هو اتفاق الكلّ أو يكفى اتفاق البعض و على الثاني فأقلّ ما يحصل به هل هو اتفاق سبعة أو خمسة أو ثلاثة أم يكفى الاثنان كما ذهب إلى كلّ منها قوم ، فهذا شيء لا دلالة في القرآن عليه فاحتيج في تعيين القدر المعتبر في حصوله إلى دليل آخر فذكر هذه المقدّمة لاثبات أنّ المعتبر فيه هو اتفاق الخمسة لا الزايد ، فعلى هذا فلا تكون تلك المقدّمة مستغنا عنها ، اذ على فرض اعتبار اتفاق الكلّ في حصوله لاينهض هذا الدليل على اثبات المدّعى كما لايخفى

إلّا انّه يتوجّه عليه أنه بعد اشتراط اعتبار الخمسة في مقام الاختيار والبيعة لابدّله من الالتزام ببطلان خلافة أبي بكر ، لما قد مرّ في المقصد الثاني من المقدّمة الثانية من مقدّمات الخطبة الشقشقية من أنّ خلافته لم تنعقد إلّا ببيعة عمر وأبي عبيدة وسالم ولم يكن هنالك خمسة نفر ، و قد مضى ثمّة حكاية كلام من صاحب المواقف وشارحه ينفعك ذكره في هذا المقام

ولو سلّمنا وجود خمسة أيضاً حينئذ لما يجديه لاشتراطه في الخمسة هنا أن يكونوا من صلحاء المسلمين ، ومن الواضح أنّ الصلحاء يومئذ قد كانوا من المنكرين لخلافته لا المبايعين و إنما بايعه طغاة (١) طغام و عبيد كالأنعام و تخلّف عنه وجوه الصحابة في بيت أمير المؤمنين ثمّ اُخرجوا ملبّبين وبايعوا مكرهين كما عرفت ذلك كلّه في مقدمات الخطبة الشقشقيّة وغيرها

هذا كلّه على التنزّل والمماشاة، وإلّا فقد قدّمنا في مقدّمات الخطبة المذكورة من أنّ الامامة لاتكون إلّا بالنصّ من الله ورسوله لاشتراط العصمة فيه التي لايعرفها إلّا الله ورسوله ، ولاتنعقد ببيعة أجلاف العرب ولا أشرافها كما لاتبطل بعدم بيعتهم فافهم ذلك واغتنم وبالهدى فاستقم ، هذا

---

(١) الطغاة جمع الطاغى والطغام بالطاء لمهملة والغين المعجمة الاوغاد والسفلة من الناس، منه

وقال عليه السلام في رد الثاني (وأما قولكم لم جعلت بينكم وبينهم أجلاً في التحكيم فانما فعلت ذلك ليتبيّن الجاهل) و يظهر له وجه الحقّ (ويتثبت العالم) و يطمئنّ قلبه (ولعلّ الله أن يصلح في هذه الهدنة) والمصالحة (أمر هذه الامة) المفتونة (و) انما فعلته أيضاً لئ(لا تؤخذ) الأمة (بأكظامها) أي مجارى أنفاسها (فتعجل عن تبيّن الحقّ وتنقاد لأوّل الغيّ) وهو أوّل شبهة عرضت لهم من رفع المصاحف .

يعني أني لو أعجلت في الأمر وتركت ضرب الأجل بيني وبينهم والتنفيس عنهم لالجأهم الارهاق وضيق الخناق إلى البقاء على الجهل والعمى والانقياد إلى الغيّ والغوى وعدم ظهور وجه الحقّ والهدى وهو مناف للغرض المطلوب للشارع ومخالف للمقصود

(إنّ أفضل الناس عندالله) سبحانه (من) آثر الحقّ و (كان العمل بالحقّ أحبّ اليه وإن نقصه و كرثه) أي يوجب لنقصانه ويوقعه في الشدّة والمشقة (من الباطل وإن جرّ اليه فائدة وزاده)

ثمّ قال (فأين يتاه بكم) وتذهبون في التيه والحيرة (ومن أين اتيتم) أى من أيّ وجه أتاكم الشيطان و استحوذ عليكم، أو من أيّ المداخل دخلت عليكم الشبهة والحيلة والاستفهام على التعجّب .

ـ ثمّ حثّهم على الجهاد و قال (استعدّوا للمسير إلى قوم حيارى عن الحقّ) متحيّرين عنه (لايبصرونه وموزعين) ملهمين (بالجور لايعدلون به) أى عنه إلى غيره أولا يجعلون له مثلا و عديلا (جفاة عن الكتاب) بعيدون عنه (نكب عن الطريق) أى عادلون عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى

ثمّ وبّخهم على التثاقل والتساهل فقال (ما أنتم) (ب)عروة (وثيقة يعلق) ويتمسك (بها) عند القتال (ولازوافر عزّ يعتصم) ويلتجاء (اليها) عند براز الأبطال (لبئس حشاش نار الحرب أنتم اف لكم لقد لقيت منكم ترحا) أى شدّة و أذى (يوما أناديكم) جهاراً للحثّ على الجهاد (و يوما أناجيكم) سرّا بتدبير امور الحرب و الارشاد إلى الرشاد (فلا أحرار صدق عندالنداء) حتّى تنصرون و تحمون (ولا اخوان ثقة عند النجاء) حتّى تكتمون السرّ وتحفظون

الترجمة

ازجملهٔ کلام بلاغت نظام آن امام عاليمقام است درخصوص تحكيم عمروعاص وأبيموسى اشعري ورد کردن شبههٔ خوارج فرمود که

بدرستى ما حكم نگردانيديم مردمان‌را ، بلکه حكم قرارداديم ما قرآنَ را واين قرآن جزاين نيست که خطى است نوشته شده ميان دوجلد که نطق نميكند بزبان، وناچاراست‌مراورا ازترجمان، وجزاين‌نيست که گويا ميشود ازآن‌مردمان، وهنگامى که دعوت کرده‌مارا قوم معاويه ملعون بآنكه حاكم گردانيديم درميان خود قرآن را نشديم گروهى که اعراض نمايد از کتاب خدا و حال آنكه خدا فرموده در کتاب مجيد : فان تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول ، يعنى پس اگر نزاع کرديد در چيزى ازامور دنيا و آخرت پس ردّ کنيد آنرا بسوى خدا ورسول ، پس ردّ کردن شيء متنازع فيه بسوى خدا آنست که حكم کنيم با کتاب خدا ، ورد کردن آن بسوى رسول الله صلى الله عليه وآله آنست که أخذ کنيم سنت و طريقهٔ اورا ، پس اگرحكم کرده شود بصدق وراستى درکتاب خدا پس ما سزاوار ترين مردمانيم بآن ، و اگر حكم کرده شود بطريقهٔ رسول الله صلى الله عليه وآله پس ما اولويّة داريم بآن .

وأما قول شما که چرا گردانيدى درميان خود وميان ايشان مدّتى معين در تحكيم ، پس جز اين نيست که کردم آنرا تا دانا شود جاهل ، وتأمل نمايد عالم و شايد که خداوند اصلاح نمايد دراين مدّت مصالحه أمر اين امّت را ، و بتنگي نيفتند و گرفته نشود مجارى نفس ايشان ، پس شتابانيده شوند از دانستن حقّ ، و گردن نهاده شوند مراول گمراهى‌را ، بدرستى أفضل‌مردمان درنزد خداوندتعالى کسى است که عمل کردن بحقّ محبوب تر باشد بسوى‌او اگرچه نقصان برساند باو ، و اندوهگين نمايد او را از عمل کردن بباطل اگرچه جلب منفعت کند بسوى او .

پس‌ازکجابحيرت افتاده شديد وازکجا آمده شديد يعني ازکجاآمد شيطان

ملعون بسوي شما ومسلّط گرديد برشما مهيا شويد براى رفتن بسوى جهاد قومى كه حيران وسر گردانند از راه حق كه نمى‌بينند آن را ، والهام شدند بظلم و ستم كه عدول نمى كنند ازآن ودورانند ازفهم مضامين كتاب ، واعراض كنندگانند از راه صواب .

نيستيد شما صاحبان وثوق كه تمسك بشود باو ، ونه أعوان وأنصارعزّت كه چنگ زده شود بآنها، هرآينه بد فروزندگان آتش حربيد شما ، دلتنگى باد شمارا هرآينه ملاقات كردم از شما بشدّت وأذيّت ، يك روزى صدا ميكنم شمارا ازبراى جنگ درراه خدا ، ويك روز نجوى ميكنم با شما ازتدبير امور أعداء ' پس نيستيد شماازمردانيكه صفت آزادى‌وحميّت درآنها هست در وقت نداء ، ونه برادرانى كه اعتماد ميشودبرايشان‌هنگام رازگوئى‌ونجوى.

و من كلام له عليه السلام لما عوتب على التسوية فى العطاء وتصييره الناس اسوة فى العطاء من غير تفضيل اولى السابقات والشرف و هو المأة والسادس و العشرون من المختار فى باب الخطب

وقد روى بطريق آخر على اختلاف تطلع عليه

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ، وَاللهِ مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً ، لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ ، فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللهِ ، أَلاَ وَإِنَّ إِعْطَآءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ ، وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللهِ ، وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ

حَقِّهِ وَلاَ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلاَّ حَرَمَهُ اللهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ، فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ.

اللغة

(الأُسوة) بالضمّ القدوة و تصيير النّاس أُسوة التّسوية بينهم كأنّ كلاّ منهم قدوة صاحبه و (تأمرونّى) بالتّشديد أصله تأمرونني بنونين فاسكنت الأولى وادغمت في الثّانية قال تعالى : أفغير الله تأمروّني أعبد أيّها الجاهلون و (وليت) الشيء وعليه وزان رضيت إذا ملكت أمره وفي بعض النسخ ولّيت بالبناء على المفعول من باب التّفعيل أى ولاّني الله عليه و (طار) حول الشيء يطور طوراً إذا حام .

و (ما سمر سمير) قال في القاموس : السّمر محرّكة اللّيل وحديثه ، و ما أفعله ما سمر سمير ، أى ما اختلف اللّيل والنّهار ، قال الطّريحى سمر فلان إذا تحدّث ليلا ، والاسامرة هم الّذين يتحدّثون ليلا ، قال : وفي حديث علي عليه السلام لايكون ذلك ما سمر سمير أى ما اختلف اللّيل والنّهار ، والمعنى لا يكون ذلك أبداً ، وهو من كلام العرب يقولون : ما أفعله ما سمر السّمير قال الجوهرى : وابنا سمير اللّيل والنّهار يسمر فيهما ، تقول : ما أفعله ما سمر بنا سمير أى أبداً ، ولا أفعله السّمر والقمر أى مادام الناس يسمرون في ليلة القمر ، وفي شرح المعتزلي السّمير الدّهر وابناه اللّيل والنهار و (الخدين) الصّديق من خادنت الرّجال أى صادقته

الاعراب

البـآء في قوله بالجور للمقابلة ، و في قولـه زلّت بـه النّعل للتّعدية ، و الباقي واضح .

المعنى

اعلم أنّ سنّة رسول الله قدكانت جارية في تقسيم بيت المال والفيء والصّدقات على العدل والتسوية من غير ترجيح وتفضيل لأُولى الشّرف والسّابقات على غيرهم و لما ولى أبوبكر حذا حذوه ، و لمّا ولىّ عمر ترك السنّة و بنى في العطية على

الترجيح و التفضيل حسب ما تطلع عليه بتفصيل ، و لمّا ولّى عثمان بلغ في ذلك الغاية و أعطى الناس على ما يراه و سلك في الاعطاء اليهم بمقتضى هواه حسب ما عرفته في شرح الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقية .

فلمّا قام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر وقد كان النّاس اعتادوا التّفضيل والترجيح أزمنة متطاولة ومدّة متمادية وأرادوا التسوية في العطيّة والعمل بسنّة الرّسول صلّى الله عليه وآله شقّ ذلك على الناس و صعب عليهم تغيير العادة و كان ذلك سبباً لنقض البيعة من زبير وطلحة و آكد أسباب تقاعد الناس عنه عليه السلام و لحوقهم بمعاوية حيث رأوا منه الصّنيعة حسب ما عرفته في شرح الخطبة الرابعة والثلاثين.

فعند ذلك مشى إليه طائفة من أصحابه وسألوه تفضيل أُولى السّابقات والشرف في العطاء أى تفضيل ذوى الخصال الحميدة من السّبق في الاسلام والهجرة و شهود الحروب من البدر و الأحزاب وسائر الخطوب و ذوى المجد والشرف والمتّصفين بعلوّ الحسب والنّسب .

فلمّا سألوه ذلك أجابهم عليه السلام بقوله : (أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور) استفهام على سبيل التقريع والتوبيخ : أى كيف تأمرونني أن أُطلب النّصر منكم بالجور و الظلم (في) حقّ (من ولّيت عليه) وملكت أمره من المسلين الذين لاسوابق لهم ولا شرف في حسبهم و نسبهم بنقصهم في العطاء عن غيرهم و بخسهم حقّهم كما فعله عمر وعثمان (والله ماأطور به) ولا أحوم حومه (ما سمر سمير) واختلف اللّيل والنّهار (وما أمّ) وقصد (نجم في السّماء نجما) أى دائماً لأنّ النجوم لايزال يقصد بعضها بعضاً بحركتها .

(لو كان المال لي لسوّيت بينهم) تبعاً لسيرة الرّسول و سنّته وقضاء لحقّ المواساة (فكيف وإنما المال مال الله) و الفقراء عيال الله فلاينبغي إزواء ماله عن عياله وصرفه إلى غيره .

ثمّ نبّه عليه السلام على مفاسد صرف المال في غير أهله بقوله (ألا وإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير وإسراف) وقد نهى الله عنه وقال :

«إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ ٱلشَّيَاطِينَ» وقال: «وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ».

(وهو يرفع صاحبه في الدّنيا ويضعه في الآخرة ويكرمه في النّاس ويهينه عندالله) ثمّ نبّه على ما يترتّب على وضع المال في غير محلّه في الدّنيا بقوله (ولم يضع امرؤ ماله في غير حقّه ولا عند غير أهله) رجاء للمكافات والجزاء أو توقّعا للشكر والثناء (إلّاحرّمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم فان زلّت به النّعل يوما) أي إذاعثر وافتقر يوما (فاحتاج إلى معونتهم ف) هم اذاً (شرّخدين) و صديق (وألئم خليل) ورفيق كماهومعلوم بالتجربة مشاهد بالعيان.

تنبيه

قد أشرنا إلى أنّ أوّل من فتح باب التفضيل في الصّدقات لأُولى الشرف و السّابقات هو عمر بن الخطاب، فحذا حذوه عثمان بن عفّان، وتبعها معاوية بن أبي سفيان، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، و غيّروا سنّة رسول الله، و كان ذلك من أعظم المطاعن على فاتح الباب، حيث خالف السّنّة و الكتاب، و ترتّب على ذلك من المفاسد ما لايحصى، و من البدعات مالاتستقصى، ولا بأس باشباع الكلام في هذا المرام تنبيها على ماترتّب عليه من الهفوات والآثام

فأقول: قال الشارح المعتزلي في شرح هذا الكلام، واعلم أنّ هذه مسألة فقهيّة ورأى عليّ وأبي بكر فيه واحد، وهو التسوية بين المسلمين في قسمة الفيء و الصّدقات، و إلى هذا ذهب الشّافعي، و أمّا عمر فانّه لما ولى الخلافة فضّل بعض النّاس على بعض: فضّل السّابقين على غيرهم، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين، وفضّل المهاجرين كافّة على الأنصار كافّة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصّريح على المولى، وقد كان أشار على أبي بكر أيّام خلافته فلم يقبل: و قال: إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد ولكنه قال: انّما الصّدقات للفقراء و المساكين، ولم يخصّ قوماً دون قوم فلمّا أفضت إليه الخلافة عمل بما

كان أشار أو لا

قال : وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين إلى قوله ، والمسألة محل اجتهاد و للامام أن يعمل بما يؤديه اليه اجتهاده و إن كان اتباع علي عليه السلام عندنا أولى لاسيما إذا عضده موافقة أبي بكر ، وإن صح الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وآله سوى فقد صارت المسألة منصوصاً عليها ، لأن فعله عليه السلام كقوله ، انتهى

أقول : كون المسألة منصوصة لا غبار عليها حسبما تعرفه ، و الاجتهاد في مقابل النص باطل

وقال الشارح في شرح الكلام المائتين والأربعة والعشرين عند ذكر مطاعن عمر : إنه كان يعطى من بيت المال مالايجوز حتى أنه كان يعطى عايشة وحفصة عشرة آلاف درهم في كل سنة ، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجرى مجرى الواصل إليهم من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله، وانه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل القرض إلى أن قال : و نحن نذكر مافعله عمر في هذا الباب مختصراً نقلناه من كتاب أبي الفرج عبدالرحمن بن علي ابن الجوزي المحدث في أخبار عمر وسيرته .

روى أبوالفرج عن سلمة بن عبدالرحمن قال استشار عمر الصحابة بمن يبدء فى القسم والفريضة، فقالوا ابدء بنفسك ، فقال بل أبدء بآل رسول الله وذوى قرابته فبدء بالعباس .

قال ابن الجوزى : و قد وقع الاتفاق على أنه لم يفرض لأحد أكثر مما فرض له ، وروى أنه فرض له اثناعشر ألفاً وهو الأصح .

ثم فرض لزوجات رسول الله لكل واحدة عشرة آلاف ، وفضل عايشة عليهن بألفين فأبت فقال : ذلك بفضل منزلتك عند رسول الله فاذا أخذت فشأنك ، واستثنى من الزوجات جويريه و صفية و ميمونة ، ففرض لكل واحدة منهن ستة آلاف ، فقالت عايشة : إن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعدل بيننا ، فعدل عمر بينهن وألحق هولاء الثلاث بسايرهن

ثمّ فرض للمهاجرين الذين شهدوا بدراً لكلّ واحد خمسة آلاف و لمن شهدها من الأنصار لكلّ واحد أربعة آلاف، وقد روى انّهُ فرض لكلّ واحد ممن شهد بدراً من المهاجرين أومن الأنصار أومن غيرهم من القبائل خمسة آلاف.

ثمّ فرض لمن شهد اُحدا و ما بعدها إلى الحديبيّة أربعة آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهدالمشاهد بعد الحديبيّه ثلاثة آلاف، ثمّ فرض لكلّ من شهدالمشاهد بعد وفاة رسول الله ألفين وخمسمأة وألفين وألفاً وخمسمأة وألفا واحدا إلى مأتين وهم أهل هجر ومات عمر على ذلك

قال ابن الجوزى وادخل عمر في أهل بدر ممن لم يحضر بدرا أربعة: و هم الحسن والحسين وأبوذر وسلمان ففرض لكلّ واحد منهم خمسة آلاف.

قال ابن الجوزى وروى السّدى أنّ عمر كسا أصحاب النبي ﷺ فلم يرتض في الكسوة مايستصلحه للحسن والحسين عليهما السلام فبعث إلى اليمن فاتى لهما بكسوة فاخرة، فلمـا كساهما قال: الآن طابت نفسى.

قال ابن الجوزي: فأمّا ما أعتمده في النساء فانّه جعل نساء أهل بدر على خسمأة، و نساء من بعد بدر إلى الحديبيّة على أربعمأة، و نساء من بعد ذلك على ثلاثمأة، وجعل نساء أهل القادسيّة على مأتين ثمّ سوّى بين النساء بعد ذلك.

قال الشارح بعد رواية ما أوردنا: ولولم يدلّ على تصويب عمر فيما فعله إلاّ اجماع الصحابة واتّفاقهم عليه وترك الانكار لذلك، كان كافياً

وقال ثمّة أيضاً بعد ما ذكر جواب قاضي القضاة عن ذلك الطّعن واعتراض المرتضى (ره) عليه بأنّ تفضيل الأزواج لا سبب فيهنّ يقتضى ذلك و إنّما يفضّل الامام في العطاء ذوى الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الأمور العامّ نفعها للمسلمين مالفظه: وكيف يقول المرتضى ماجاز أن يفضّل أحداً إلاّ بالجهاد و قد فضّل الحسن والحسين على كثير من أكابر المهاجرين والأنصار وهما صبيّان ما جاهدا ولا بلغاالحلم بعد، وأبوهما أميرالمؤمنين موافق على ذلك راض به غير منكر له، وهل فعل عمر ذلك إلاّ لقربهما من رسول الله؟ انتهى

اقول لايخفى ما في ذلك من وجوه الكلام وضروب الملام

اما اولا فلأنّ كون القسم بالسّوية موافقاً للسنّة ومنصوصاً عليه ممّا لاغبار عليه ، ومخالفة عمر لها في ابداع التفضيل و كونه بدعة لاخفاء فيه

و يدلّ على ذلك ما رواه في البحار من البخاري و مسلم و غيرهما بأسانيد عديدة أنّ النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم قال للأنصارى في مقام التّسلية قريباً من وفاته : ستلقون بعدي اثرة فاصبروا حتّى تلقوني على الحوض ، وهل يرتاب عاقل في أنّ هذا القول بعد أن كان يسوى بين المهاجرين و الأنصار مدّة حياته إخبار بما يكون بعده من التّفضيل ويتضمّن عدم إباحته وعدم رضاه بـه وماتقدّم آنفا في رواية ابن الجوزى من قول عايشة لعمران رسول الله كان يعدل بيننا وماتقدّم أيضاً في كلام الشارح من قول أبي بكر لعمر إنّ الله لم يفضّل أحداً على أحد ولكنه قال:

« إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلفُقَراء وَ الْمَساكِينَ » .

ولم يخصّ قوما دون قوم ، ويفيده أيضاً تسوية أمير المؤمنين في التقسيم ، وهو يدور مع الحقّ و الحقّ يدور معه حيثما دار ، بنصّ الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم كما تظافرت بـه الروايات من طرق المخالف و المؤالف ، واحتجاجه على المهاجرين والأنصار لمّا كرهوا عدله في القسمة بمخالفة التّفضيل للشريعة بما مرّ في هذا الكلام الذي شرحناه بقوله : أتأمروني أن أطلب النصر بالجور ، وقوله : ألاوإنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير و إسراف ، و احتجاجه على طلحة و الزبير بما يأتي إن شاءالله في الكلام المأتين و الأربعة من قوله : وأما ما ذكرتما من أمر الاسوة فانّ ذلك أمر لم احكم أنا فيه برأى ولا وليته هوى منى بل وجدت أنا وأنتما ماجاء به رسول الله قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندى ولا لغير كما فيهذا عتبى .

فلو كان رسول الله يقسم على التفضيل لاحتجّ به عمر على أبي بكر ولأقام المهاجرون والأنصار وطلحة والزبير بذلك على أمير المؤمنين حجّة .

والعجب من الشّارح أنه مع ذلك كلّه يشكّ في كون المسألة منصوصاً عليها ومع ماقاله في بعض كلامه من قوله

فان قلت : إنّ أبا بكر قد قسّم بالسوية كما قسّمه أمير المؤمنين عليه السلام ولم ينكروا عليه كما أنكروا على أمير المؤمنين عليه السلام .

قلت : قسّم أبو بكر محتذيا بقسم رسول الله ، فلما ولى عمر الخلافة و فضّل قوماً على قوم ألفوا ذلك ونسوا تلك القسمة الاُولى وطالت أيام عمر واشربت قلوبهم حبّ المال وكثرة العطاء ، وأمّا الذين اهتضموا فقنعوا ومرنوا على القناعة و لم يخطر لأحد من الفريقين أنّ هذا الحال تنقض و تتغيّر بوجه ما ، فلمّا ولى عثمان أجرى الأمر على ماكان عمر يجريه فازداد وثوق العوام بذلك ، ومن ألف أمراً شقّ عليه فراقه وتغيير العادة فيه، فلمّا ولىّ أمير المؤمنين أراد أن يردّ الأمر إلى ماكان في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وأبي بكر وقد نسي ذلك ورفض وتخلّل بين الزمانين اثنتان و عشرون سنة ، فشقّ ذلك عليهم و أكبروه حتى حدث ما حدث من نقض البيعة ومفارقة الطاعة ولله أمر هو بالغه ، انتهى

وأقول: مضافا إلى هذا كلّه إنّه لو كان إلى جواز التّفضيل و مصانعة الرّؤساء و الأشراف للمصالح سبيل ، لما عدل أمير المؤمنين إلى العدل و التّسوية مع مارآه عياناً من تفرّق أصحابه لذلك ، وتقاعد النّاس عنه و لحوقهم بمعاوية حيثما عرفته في شرح الخطبة الرّابعة و الثّلاثين ، ومن نقض طلحة والزّبير بيعته حسبما عرفته فيما تقدّم وتعرفه مفصّلا أيضاً انشاء الله تعالى في شرح الكلام المأتين و الأربعة ، و لما أختار فيه إراقة الدّماء وحدوث الفتن ، و لما كان يمنع عقيلا صاعا من برّ فيذهب إلى معاوية ، إلى غير ذلك ممّا ترتّب عليه

وأما ثانياً فلأنّ استدلال الشّارح على تصويب عمر فيما فعله باجماع الصحابة فيه :

أولا منع الاجماع إذ لم يجمع على ذلك إلاّ أجلاف العرب و الخاضمون لمال الله خضم الابل نبتة الرّبيع ، و النّاس أبناء الدّنيا يحبّون المال حبّاً جمّاً

ويأكلونه أكلا لمّا ، فاذا وصل اليهم منه منافع جزيلة وفوائد جليلة وانتفعوا بها في دنياهم و كانوا أهل يسار وثروة بعد ما كانوا ذوى فقر وفاقة وخصاصة كيف ينكرون فعله .

وثانيا منع حجّية ذلك الاجماع خصوصاً مع مخالفته لسنّة الرّسول صلّى الله عليه وآله

وأما ثالثا فلأنّ ما ذكره الشّارح في الاعتراض على المرتضى من عدم انحصار اسباب التفضيل في الجهاد وجواز كون سببه رعاية القرابة من رسول الله مستدلاً بتفضيل الحسنين عليهما السلام مع رضاء أبيهما وعدم إنكاره له فيه :

انّ عدم انحصار السبب في الجهاد على فرض جواز أصل التّفضيل مسلّم ، واعتراضه على المرتضى بذلك حق إلاّ أنّ أصل التّفضيل ممنوع كما عرفته ، ورعاية عمر لقرابة رسول الله صلّى الله عليه وآله باطل إذ لو كان ملاحظاً للقرابة لما منع بضعة الرّسول وابنته البتول من حقّها كماهو ظاهر لايخفى .

وأمّا رضاء أمير المؤمنين بتفضيل الحسنين عليهما السلام فامّا أنه للتّقيّة ، أو لأنّه لمّا حرمهم حقّهم من الخمس والفيء والانفال أخذا ما أخذا عوضاً من حقوقهم .

قال في البحار : و يمكن أن يقال لمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام وليّ الأمر فلعلّ ماأخذا صرفه في مصارفه وكان الأخذ من قبيل الاستنقاذ من الغاصب والاستخلاص من السّارق ، إذا عرفت ذلك فلنشر إلى ماترتّب على هذه البدعة وما أثمرته هذه الشجرة الملعونة فأقول :

قال العلامة المحدث المجلسي :

و اعلم أنّ أكثر الفتن الحادثة في الاسلام من فروع هذه البدعة ، فانّه لو استمرّ النّاس على ما عوّدهم الرّسول صلّى الله عليه وآله من العدل و جرى عليه الأمر في أيّام أبي بكر لمانكث طلحة والزبير بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم تقم فتنة الجمل ، ولم يستقرّ الأمر لمعاوية ، ولا تطرّق الفتور إلى أتباع أمير المؤمنين وأنصاره ولو كان المنازع له في أوّل خلافة معاوية لدفعه بسهولة ، ولم ينتقل الأمر إلى بني اميّة ، و لم يحدث ما أثمرتـه تلك الشّجرة الملعونة من إراقة الدّماء المعصومة و قتل

الحسين وشيوع سب أمير المؤمنين على المنابر ، ثم انتقال الخلافة إلى بني العباس وماجرى من الظلم والجور على أهل البيت و على سائر أهل الاسلام

و قدكان من الدواعي على الفتن والشرور بدعته الأخرى وهي الشورى اذ جعل طلحة و الزبير مرشحين للخلافة نظيرين لأمير المؤمنين عليه السلام فشق عليهما طاعته والصبر على الاسوة والعدل ، وهذا في غاية الوضوح

وقد روى ابن عبد ربه في كتاب العقد على ماحكاه العلامة عنه في كشف الحق قال : إن معاوية قال لابن الحصين : أخبرني ما الذي شتت أمر المسلمين وجماعتهم وفرق ملائهم وخالف بينهم؟ فقال: قتل عثمان،قال: ماصنعت شيئاً،قال: ماعندي غير هذا يا أمير المؤمنين قال:فأنا أخبرك أنه لم يشتت بين المسلمين ولافرق أهوائهم إلا الشورى جعلها عمر في ستة ثم فسر معاوية ذلك فقال : لم يكن من الستة رجل إلا هواها لنفسه و لقومه ، و تطلعت إلى ذلك نفوسهم ، و لو أن عمر استخلف كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك اختلاف ، و قد تم اثارة الفتنة باغواء معاوية و عمرو بن العاص واطماعهما في الخلافة . و كان معاوية عامله على الشام و عمروبن العاص عامله و أميره على مصر ، فخاف أن يصير الأمر إلى علي فقال لما طعن و علم أنه يموت : يا أصحاب محمد صلى الله عليه وآله تناصحوا فان لم تفعلوا عليكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان روى ذلك ابن أبي الحديد

ثم حكى عن شيخنا المفيد (ره) أنه قال : كان غرض عمر بالقاء هذه الكلمة إلى الناس أن تصل إلى عمروبن العاص ومعاوية فيتغلبا على مصر و الشام لو أفضى الأمر إلى علي عليه السلام

وبالجملة جميع ما كان ومايكون في الاسلام من الشرور إلى يوم النشور إنما أثمرته شجرة فتنته فغرس أصل الفتن يوم السقيفة ، وربي بما أبدعه من التفضيل في العطاء و وضع الشورى و غير ذلك ، فهو السهيم في جميع المعاصي و الجرائم ، والحامل لجملة الأوزار والآثام .

تكملة

قد مرّ رواية هذا الكلام له عليه السلام في شرح الخطبة الرّابعة و الثّلاثين عن عليّ بن سيف المدايني باختلاف عرفته

و رواه أيضاً في مجلد الفتن من البحار من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثّقفي عن محمّد بن عبدالله بن عثمان عن عليّ بن سيف عن أبي حباب عن ربيعة و عمارة

قال: إنّ طائفة من أصحاب عليّ مشوا إليه فقالوا: ياأمير المؤمنين أعط هذه الأموال وفضّل هؤلاء الأشراف من العرب وقريش على الموالي والعجم ، ومن تخاف خلافه من النّاس و فراره ، و إنّما قالوا له ذلك للّذي كان من معاوية يصنع بمن أتاه ، فقال لهم عليّ :أتأمرونّي أن أطلب النّصر بالجور ،والله لاأضلّ «أفعل ظ» ماطلعت شمس وما لاح في السّمآء نجم ، والله لو كان مالهم لي لو اسيت بينهم فكيف وماهي إلاّ أموالهم.

قال ثمّ أرمّ طويلا ساكتا ثمّ قال : من كان له مال فايّاه والفساد فانّ إعطاء المال في غير حقّه تبذير واسراف ، وهو ذكر لصاحبه في الدّنيا ويضعه عندالله ولم يضع رجل ماله في غير حقّه و عند غير أهله إلاّ حرمه الله شكرهم ، و كان لغيره ودّهم ، فان بقى معه من يودّه و يظهر له البشر فانّما هو ملق و كذب وإنّما ينوى أن ينال من صاحبه مثل الذى كان يأتي إليه من قبل ، فان زلّت بصاحبه النعل فاحتاج إلى معونته و مكافاته فشرّ خليل و ألأم خدين ، و من صنع المعروف فيما آتاه الله فليصل به القرابة ، وليحسن فيه الضّيافة ، وليفكّ به العانى ، وليعن به الغارم وابن السّبيل والفقراء والمهاجرين ، وليصبر نفسه على الثّواب والحقوق ، فانّ الفوز بهذه الخصال شرف مكارم الدّنيا ودرك فضايل الآخرة

ورواه أيضاً في الكافي عن العدّة عن أحمد بن أبي عبدالله عن محمّد بن عليّ عن أحمد بن عمرو بن سليمان البجليّ عن إسماعيل بن الحسن بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم التّمار عن إبراهيم بن إسحاق المدايني عن رجل عن أبي مخنف الازدي،

قال : أتى أمير المؤمنين عليه السلام رهط من الشيعة فقالوا يا أمير المؤمنين لو أخرجت هذه الأموال ففرقتها في هؤلاء الرؤساء والأشراف و فضلتهم علينا حتى إذا استوسقت الامور عدت إلى أفضل ما عودك الله من القسم بالسوية والعدل ، فقال أمير المؤمنين : أتأمروني ويحكم أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه من أهل الاسلام ، لا والله لايكون ذلك ماسمر سمير و ما رأيت في السماء نجماً والله لوكانت أموالهم مالي لساويت بينهم فكيف وإنما هي أموالهم

قال ثم أرم ساكتا طويلا ثم رفع رأسه فقال : من كان فيكم له مال فايـّا ه والفساد ، فان إعطائه في غير حقه تبذير وإسراف ، وهو يرفع ذكر صاحبه في النـّاس و يضعه عندالله و لم يضع امرء مالـه في غير حقه و لا عند غير أهله إلاّ حرّمه الله شكرهم ، و كان لغيره ودهم ، فان بقي معه منهم بقية ممـن يشكر له ويريه النصح فانما ذلك ملق منه و كذب ، فان زلت بصاحبهم النعل ثم احتاج إلى معونتهم ومكافاتهم فألأم خليل و شر خدين ، ولم يضع امرء ماله في غير حقه وعند غير أهله إلاّ لم يكن له من الحظ فيما أتى إلاّ محمدة اللئام ، وثناء الأشرار مادام عليه منعما مفضلا ، ومقالة الجاهل ما أجوده ، وهو عندالله بخيل فأى حظ أبور و أخسر من هذا الحظ ، و أيّ فائدة معروف أقل من هذا المعروف ،فمن كان منكم له مال فليصل به القرابة ، وليحسن منه الضيافة ، وليفك به العاني والأسير وابن السبيل فان الفوز بهذه الخصال مكارم الدنيا وشرف الآخرة

الترجمة

از جمله كلام فصاحت انتظام آن جنابست در وقتى كه سرزنش كردند اورا برمساوى نمودن در عطاء ، وبر گردانيدن اومردمان را پيروى شدۀ يكديگر درمقام اعطاء بى تفضيل دادن صاحبان سبقت در اسلام و جهاد و هجرت و موصوفان بشرف حسب ونسب ونجابت باين نحو كه فرمود :

آياأمر ميكنيد شما مرا باينكه طلب يارى كنم ازشما بظلم وستم نمودن در حق كسيكه والى أمر وصاحب اختيار او هستم ، بخدا سو گند كه نزديك نشوم

باين خواهش شما مادامیکه أفسانه گوید زمانـه ، و مادامیکه قصد کند ستارهٔ در آسمان ستارهٔ دیگر را ، یعنی أبداً اقدام دراینکار نمیکنم اگربودی این مال که قسمت میکنم از من هرآینه رعایت برابری و مواساة مینمودم درمیان ایشان ، پس چگونه ترك مواساة نمایم وحال آنکه جزاین نیست که این مال مال خداست

آگاه باشید و بدانید که اعطا نمودن مال درغیرحق خود بی اندازه خرج کردن واسراف است ، وآن بی‌أندازگی بلند میکند صاحب خودرا دردنیا ، وپست میگرداند اورا درآخرت ، وعزیز مینماید اورا درنزد خلایق ، وخوارمیکند اورا درنزد خالق ، ونگذارد ومصرف نکرده هیچ کس مال خودرا درغیرمصرف آن و در غیراهل آن مگر آنکه محروم نمود اورا خدایتعالی از تشکر وپاداش دادن ایشان ، وباشد بجهة غیر او دوستی ایشان ، پس اگر بلغزد بأوپای او روزی از روزها پس محتاج بشود بیاری ایشان پس بدترین صدیق باشند ولئیم‌ترین رفیق .

و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج وهو المأة و السابع والعشرون من المختار فى باب الخطب

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله بِضَلَالِي؟ وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَايَ ؟ وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي؟ سُيُوفُكُمْ عَلَىٰ عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ (البرائة خ » وَالسُّقْمِ ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصِنَ ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ ، وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ ، وَقَطَعَ السَّارِقَ ، وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصِنِ ، ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ ، وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِذُنُوبِهِمْ ،

وَأقامَ حقَّ اللهِ فيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الإِسْلامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أسْمائهُمْ مِنْ بَيْنِ أهْلِهِ، ثُمَّ أنْتُمْ شِرارُ النّاسِ وَمَنْ رَمى بِهِ الشَّيْطانُ مَرامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تيهَهُ، وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الحُبُّ إلى غَيْرِ الحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ البُغْضُ إلى غَيْرِ الحَقِّ ، وَخَيْرُ النّاسِ فِيَّ حالاً النَّمَطُ الأوْسَطُ فَالْزَمُوهُ ، وَالْزَمُوا السَّوادَ الأعْظَمَ ، فَإنَّ يَدَ اللهِ عَلى الجَماعَةِ ، وَإيّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ ، فَإنَّ الشّاذَّ مِنَ النّاسِ لِلشَّيْطانِ ، كَما إنَّ الشّاذَّ مِنَ الغَنَمِ لِلذِّئْبِ ، ألا مَنْ دَعا إلى هٰذا الشِّعارِ فاقْتُلوهُ وَلَوْ كانَ تَحْتَ عِمامَتي هٰذِهِ، وَإنَّما (فَإنَّما خ) حُكِّمَ الحَكَمانِ لِيُحْيِيا ما أحْيا القُرْآنُ ، وَيُميتا ما أماتَ القُرْآنُ ، وَإحْياؤُهُ الإجْتِماعُ عَلَيْهِ ، وَإماتَتُهُ الإفْتِراقُ عَنْهُ، فَإنْ جَرَّنا القُرْآنُ إلَيْهِمْ إتَّبَعْناهُمْ ، وَإنْ جَرَّهُمْ إلَيْنا اتَّبَعونا، فَلَمْ آتِ لا أبا لَكُمْ بُجْراً ، وَلا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أمْرِكُمْ وَلا لَبَّسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إنَّما اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلائِكُمْ عَلى اخْتِيارِ رَجُلَيْنِ أخَذْنا عَلَيْهِما أنْ لا يَتَعَدَّيا القُرْآنَ فَتاها عَنْهُ ، وَتَرَكا الحَقَّ ، وَهُما يُبْصِرانِهِ ، وَكانَ الجَوْرُ هَوِيَهُما، فَمَضَيا عَلَيْهِ ، وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْناؤُنا عَلَيْهِما في الحُكُومَةِ بِالعَدْلِ ، وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِما ، وَجَوْرَ حُكْمِهِما .

اللغة

(ضللت) بكسر اللام وفتحها وفي بعض النسخ (البرائة) بدل البرء ومعناهما واحد

و (احصن) الرّجل إذا تزوّج فهو محصن بالكسر على القياس وبالفتح على غير القياس و كلاهما مرويّ (و ضرب به تيهه) أي وجّهه إليه من ضربت في الأرض إذا سافرت ، والتّيه بالفتح الحيرة وبالكسر المفازة التي يتاه فيها .

وعن النّهاية في حديث علي عليه السلام خير هذه الأمّة النّمط الأوسط (النّمط) الطريقة من الطرائق و الضّرب من الضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضّرب والنّمط الجماعة من النّاس أمرهم واحد و (شعار) القوم علامتهم الّتي بها يتميّزون في الحرب و (العمامة) بالكسر المغفر والبيضة ومايلفّ على الرّأس و (البجر) بالضمّ الشرّ والأمر العظيم و (الملاء) من النّاس الأشراف والرؤساء الذين يرجع إليهم و إنّما قيل لهم ذلك لأنهم ملأوا بالرّأي والغناء و (الصّمد) بالفتح فالسّكون القصد .

الاعراب

جملة و قد علمتم حال من فاعل تضلّلون أو تكفرون على سبيل التّنازع ، والباء في قوله : رمي به وضرب به للتّعدية ، و حالا منصوب على التميز ، وبجراً مفعول آت ، وجملة لا أبالكم معترضة بينهما ، وسوء رأيهما بالنّصب مفعول سبق .

المعنى

اعلم أنّ مذهب الخوارج أنّ مرتكب الكبائر كافر ، وزعموا أنّ التحكيم كبيرة ، فحكموا بكفر أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه لذلك كما مرّ تفصيل ذلك في شرح الخطبة الخامسة و الثّلاثين و الخطبة السّادسة والثلاثين ، وقد مرّ في شرح الكلام المأة والخامس والعشرين في رواية الاحتجاج قولهم لابن عبّاس : إنّا نقمنا على صاحبك خصالا كلّها مكفّرة ، فاحتجّ عليه السلام بهذا الكلام عليهم ابطالا لمازعموا بوجوه أربعة بعضها ناظر إلى منع الصّغرى ، وبعضها الى منع الكبرى ، وبعضها مبني على التنزّل و المماشاة حسبما تعرفه حيثما بلغ الكلام محلّه

و قدّم ما بنائه على المماشاة رعاية لقانون المناظرة ، و ذلك أنّ الخوارج لمّا قالوا إنّ الدّار دار كفر لا يجوز الكفّ عن أحد من أهلها و قتلوا من لقوه

حتّى الأطفال و البهائم حسبما مرّ في شرح الخطبة السّادسة و الثّلاثين فقال لهم مماشاة معهم (فان أبيتم إلاّ أن تزعموا) و تظنّوا (أنّى أخطأت وضللت) بنصب الحكمين والرّضاء بالتحكيم (فلم تضلّلون عامّة أمّة محمّد صلّى الله عليه وآله بضلالي وتأخذونهم بخطاي و تكفّرونهم بذنوبي) و تقتلونهم حيثما لقيتم و لا تكفّون عن أحد برّ أو فاجر ما ذنبهم و ما جريرتهم (سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرء والسقم وتخلطون من أذنب بمن لم يذنب) يعني تقصير التحكيم على زعمكم إنّما هومقصور عليّ ومؤاخذته راجع إليّ فما بال من لم يكن دخيلافي هذاالأمرولم يكن منه في مراح ولامغدي

ثمّ بيّن فساد ما زعموه من كون صاحب الكبيرة كافراً ، وهوراجع إلى منع الكبرى معلّلا بأنّ رسول الله حكم في مرتكبي الكبائر بأحكام الاسلام وسلك معهم مسلك سائر المسلمين فقال (وقد علمتم أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله رجم الزّاني المحصن)

قال الشّهيد (ره) الرّجم يجب على المحصن إذا زنى ببالغة عاقلة ، والاحصان إصابة البالغ العاقل الحرّ فرجا مملوكا له بالعقد الدّائم أوالرّق يغدوعليه ويروح إصابة معلومة

وقال الشّهيد الثاني في شرحه :فهذه قيود ثمانية :

أحدها الاصابة أي الوطى قبلا على وجه يوجب الغسل فلا يكفى مجرّد العقد و لا الخلوة التامّة ولا إصابة الدّبر ولا مابين الفخذين و لا في القبل على وجه لا يوجب الغسل

وثانيها أن يكون الواطي بالغاً فلو أولج الصّبي حتّى غيب مقدار الحشفة لم يكن محصنا وإن كان مراهقاً

وثالثها أن يكون عاقلا فلووطى مجنوناً وإن عقد عاقلا فلا يتحقّق الاحصان ويتحقّق بوطيه عاقلا وإن تجدّد جنونه

ورابعها الحرّية فلو وطى العبد زوجة حرّة و أمة لم يكن محصنا وان عتق ما لم يطأ بعده

و خامسها أن يكون الوطى بفرج فلا يكفى الدّبر و لا التّفخيذ و نحوه كما سلف

و سادسها كونه مملوكاً له بالعقد الدّائم أو ملك اليمين فلا يتحقّق بوطى الزّنا ولا الشبهة وإن كان بعقد فاسد ولا المتعة

وسابعها كونه متمكّنا منه غدواً ورواحاً ، فلو كان بعيداً عنه لا يتمكّن منه فيهما وان تمكّن في أحدهما دون الآخر أو فيما بينهما أومحبوسا لا يتمكّن من الوصول إليه لم يكن محصنا وإن كان قد دخل قبل ذلك

وثامنها كون الاصابة معلومة ويتحقّق العلم باقراره بها أو بالبيّنة لابالخلوة ولا الولد لانّهما أعمّ

(ثمّ صلّى عليه وورّثه أهله) فلو كان الزّنا مع كونه كبيرة موجبا للكفر لما صلّى عليه و لا ورّثه لعدم جواز الصّلاة على الكافر و كون الكفر من موانع الارث (و) كذلك (قتل) صلى الله عليه وآله (القاتل و ورّث ميراثه أهله) فلوكان القتل مع أنّه كبيرة موجباً للكفر لما ورّث أهله منه

و هذا بظاهره يدلّ على أنّ المسلم لا يرث الكافر و هوخلاف المذهب لأنّ الكفر مانع من الارث في طرف الوارث لا المورث قال المحدّث العلاّمة المجلسيّ ولعلّه إلزام عليهم

أقول : و هو يتمّ لو كان مذهب الخوارج كونه مانعا من التّوارث من الطرفين وإلاّ فلا

(و) كذلك (قطع) يد (السّارق و جلد الزّاني غير المحصن ثمّ قسّم عليهما من الفيء) ولم يجعل السّرقة و الزّنا مكفّراً مانعاً من تقسيم مال الاسلام اليهما (و) كذلك (نكحا) أى السّارق و الزّاني (المسلمات) ولم يمنعهم رسول الله من ذلك بل قرّرهما عليه (فأخذهم) أى هؤلاء المذكورين من أهل الكبائر (رسول الله بذنوبهم و أقام حقّ الله فيهم) و حدّه بجرمهم (و لم يمنعهم سهمهم من الاسلام) من التوريث والتّقسيم وتقرير النّكاح و غيرها (و لم يخرج أسمائهم من بين أهله)

أى أهل الاسلام وهذه كلّها تدلّ على أنّ مرتكب الكبيرة لا يخرج بذنبه من حدّ الاسلام إلى الكفر

ثمّ نبّه على اتّصافهم بالغفلة والجهالة ، وهلكهم في أودية الضّلالة فقال (ثمّ أنتم شرار النّاس) بخروجكم على الامام الحقّ وبغيكم على من هو بالاتباع أحقّ (ومن رمى به الشيطان مراميه) من طرق الضّلال التى يقودكم بوساوسه إليها (وضرب به تيهه)ووجهه إليه (وسيهلك فيّ صنفان محبّ مفرط) مجاوز للحدّ (يذهب به الحبّ إلى غير الحقّ) كالغلاة وهم فرق كثيرة اتّفق كلّهم لعنهم الله على إبطال الشرايع كما نبّه عليه البرسى في مشارق الأنوار

منهم السّبائية وهم أصحاب عبدالله بن سبا وهو أوّل من غلا كما مرّ في شرح الكلام الثامن والخمسين و كان يهوديّا يتستّر بالاسلام وينتحله ومذهبه أنّ الله لا يظهر إلاّ في أمير المؤمنين وحده ، وأنّ الرسل كانوا يدعون إلى علي عليه السلام وأنّ الأئمة أبوابه فمن عرف أنّ عليّا خالقه ورازقه سقط عنه التكليف ، وفى شرح المعتزلى قال السبائية إنّ عليّاً لم يمت و الرّعد في السّماء صوته و البرق ضوءه وإذا سمعوا صوت الرّعد قالوا: السّلام عليك يا أمير المؤمنين

و منهم الخصيّبية أصحاب يزيد بن الخصيب و عنده أنّ الله لا يظهر إلاّ في أمير المؤمنين والأئمة من بعده ، وأنّ الرّسل هو أرسلهم يحثّون عباده على طاعته و أنّ عمر هو ابليس الابالسة و أنّ ظلمة زريق قديمة مع نور عليّ لأنّ الظّلمة عكس النّور

و منهم المفوّضة و هم قالوا إنّ الله فوّض الخلق و الأمر و الموت و الحياة والرّزق إلي عليّ والأئمة عليهم السلام ، وإنّ الذي يمرّ بهم من الموت فهو على الحقيقة وانّ الملائكة يأتيهم بالأخبار

ومنهم من يقول: إنّ الله يحلّ في هذه الصّورة ويدعو بنفسه إلى نفسه إلى غير ذلك من مزخرفاتهم التي لا يجوز تضييع الأوقات في نقلها وحكايتها ، وفرقهم تزيد على عشرين حسبما ذكره البرسي في مشارق الأنوار و غيره ، و بالجملة فهؤلاء كلّهم

هالكون لافراطهم في المحبّة و ادّعائهم للامام مالايرضى به وتجاوزهم فيه عن مرتبة العبوديّة إلى مرتبة الألوهية الرّبوبيّة

(و) مثل هؤلاء في الاتّصاف بالهلاك (مبغض مفرّط يذهب به البغض إلى غير الحقّ) كالنّواصب والخوارج، قال في البحار: وتقييد البغض بالافراط لعلّه لتخصيص أكمل الأفراد بالذّكر، أو لأنّ المبغض مطلقاً مجاوز عن الحدّ، أولأنّ الكلام إخبار عمّا سيوجد منهم مع أنّ فيه رعاية الازدواج والتّناسب بين الفقرتين.

أقول: هذا كلّه بناء على كون لفظة مفرط من باب الافعال، وأمّا على كونها من باب التفعيل كما في بعض النّسخ فلا حاجة إلى التكلّف (وخير النّاس فيّ حالا النمط الأوسط) وهم التاركون لطرفي الافراط والتّفريط، والمهتدون إلى الجادّة الوسطى و الصّراط المستقيم السّالك بهم إلى الجنان، و الموصل لهم إلى أعظم الرّضوان

ولذلك أمر بلزومه بقوله (فالزموه والزموا السّواد الأعظم) أى جملة النّاس ومعظمهم المتجمعين إلى طاعة السلطان العادل و سلوك المنهج المستقيم والنّهج القويم (فانّ يدالله على الجماعة) و هو كناية عن الحفظ و الدّفاع عنهم يعنى أنّ الجماعة من أهل الاسلام في كنف الله سبحانه (و إيّاكم و الفرقة فانّ الشاذّ من النّاس) طعمة (للشيطان كما أنّ الشّاذّ من الغنم) فريسة (للذئب)

ثمّ قال (ألا من دعا إلى هذا الشّعار) قال البحراني: أى مفارقة الجماعة والاستبداد بالرّأى. و قال الشّارح المعتزلي: يعني شعار الخوارج و كان شعارهم أنّهم يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقون الشّعروسطه مستديراً حوله كالاكليل، و قيل شعارهم ما ينادون به في الحرب من قولهم: لاحكم إلاّالله أو لاحكم إلاّلله (فاقتلوه و لو كان) الدّاعى (تحت عمامتى هذه) قيل: و هو كناية عن نفسه أى ولو كان الدّاعي أنا، و قال الشارح المعتزلي: أى ولو كان اعتصم و احتمى بأعظم الأشياء حرمة، فلا تكفوا عن قتله

ثمّ أشار إلى بطلان الصّغرى ومنع كون التّحكيم كبيرة بقوله (وإنّماحكّم

الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن ويميتا ما أمات القرآن) يعني أنّ تحكيم الحكمين إنّما كان المقصود به التّوصّل إلى حكم القرآن من حيث إنه خطّ مستور بين الدّفتين محتاج إلى الترجمان لا لمطلوبيّتهما بالذّات حسبما مرّ في كلامه المأة والخامس والعشرين وشرحه ، فالحكم في الحقيقة هو القرآن لا الرّجلان فوجودهما إنّما هو إحياء ما أحياه القرآن وإماتة ما أماته

(و إحيائه الاجتماع عليه) و الاتّباع له والالتزام على ما شهد باستصوابه واستصلاحه (وإماتته الافتراق عنه) والتّولي والاعراض عمّن شهد بضلاله (فان كان جرّنا القرآن إليهم اتبعناهم وإن جرّهم الينا اتبعونا) ومن المعلوم أنّ القرآن إنّما كان يجرّهم إليه عليه السلام إلاّ أنّ الحكمين خالفا حكم الكتاب و لم يحييا أحياه ولم يميتا ما أماته

(فلم آت لا أبالكم بجراً) أى داهية وشرّاً (ولاختلتكم) وخدعتكم (عن أمركم ولا لبّسته عليكم) أى ماجعلت الأمر مشتبها ومتلبّسا عليكم ، و محصّله أنّي ماأتيت بشيء موجب للكفر والضلال حتّى تكفّرونى وتضلّلوني

ثمّ أبطل زعمهم الفاسد واعتقادهم الكاسد بوجه آخر أشار اليه بقوله و (انّما اجتمع رأى ملائكم) ورؤسائكم (على اختيار رجلين) يعني أنّي ما أقدمت على التحكيم برضاء و اختيار منّى و إنّما اجتمع رأى أشرافكم عليه و كنت مجبوراً فيه ومستكرها له ومع ذلك فقد (أخذنا عليهما أن لايتعدّيا القرآن) ولا يخالفا حكمه (فتاها عنه و تركا الحقّ و هما يبصرانه) فنبذا الكتاب ونكبا عن سمت الهدى والصّواب (وكان الجور هواهما فمضيا عليه) وأقاما فيه (و) أيضاً ف(قد سبق استثناؤنا عليهما في الحكومة بالعدل والصّمد) أى القصد (للحقّ سوء رأيهما وجور حكمهما) يعني أنا اشترطنا عليهما في كتاب الصّلح أن لايتجاوزا حكم القرآن ، ولايحكما بهوى النفس وسوء الرّأى ، فخالفوا «فخالفا» الكتاب المبين ، وخانوا «خانا» في حقّ المسلمين ، فكان اللاّئمة في ذلك إليهما والعبؤ عليهما ، فلايجب علينا اذاً اتّباع حكمهما فنضلّ ونخزى

الترجمة

از جمله کلام آنحضرت است که فرمود بخارجیان بی‌ایمان:

پس اگر امتناع مینمائید از اطاعت مگر بجهة اینکه گمان فاسد می کنید که من خطا کردم و بضلالت افتاده‌ام پس چرا گمراه میدانید عموم امت پیغمبر را صلی الله علیه و آله بگمراهی من، و أخذ میکنید ایشانرا بخطای من، وتکفیر میکنید آنها را بگناهان من، شمشیرهای شما بر دوشهای شما، می نهید آنها را بر محلهای سلامتی و بیماری و میآمیزید گناهکار را بغیر گنه کار، وحال آنکه بتحقیق عالم هستید باینکه حضرت رسول صلی الله علیه و آله سنگسار نمود زنا کار صاحب زن را پس از آن نماز کرد براو وداد میراث اورا بوارثان او، وبقتل آورد قاتل را ازروی قصاص وإرث داد میراث اورا بوارثان او، و برید دست دزد را و تازیانه زد بر زنا کننده غیر صاحب زن پس قسمت کرد برایشان ازمال غنیمت، ونکاح کردند آن دونفر زنان مسلمه را پس مؤاخذه نمود بایشان رسول الله صلی الله علیه و آله بجهت گناهان ایشان واقامه نمود حق خدارا درایشان و با وجود آن منع نفرمود ایشان را ازسهمی که داشتند ازاسلام، وخارج نکردنام ایشان را ازمیان أهل اسلام

پس شما شریر ترین مردمانید وکسی هستید که انداخته است اورا شیطان لعین بمواضع انداختن خود، وبرده است اورا به‌بیابان گمراهي خود، وزود باشد که هلاك شود در حق من دو صنف: یکی دوست افراط کننده که ببرد او را آن دوستي بسوی غیر حق، و یکی دشمن تقصیر کننده است که ببرد او را آن دشمني بسوی غیر حق، و بهترین مردمان درحق من ازحیث حال جماعتی هستند که وسط باشند میان افراط و تفریط، پس لازم شوید بآن جماعت و ملازم باشید بسواد أعظم پس بدرستی که دست عنایت پروردگار برسر جماعت است، وبپرهیزید ازتفرقه پس بدرستی که شخصیکه تنها شده است از خلق طعمه شیطان لعین است چنانچه تنها مانده از گوسفندان طعمهٔ گرگ است

آگاه باشید وبدانید هر کسی که بخواند مردمان را بسوی این شعار خارجیان

پس بكشيد اورا و اگرچه شود آن شخص در زير عمامهٔ من ، و جزاين نيست كه تحكيم ساخته شدند آن دونفر حاكم تااينكه زنده سازند چيزى را كه زنده ساخته آن را قرآن ، و بميرانند چيزى را كه ميرانيده آن را قرآن ، وزنده گردانيدن آن عبارت است ازاجتماع واتفاق بآن، و ميرانيدن آن عبارت است ازافتراق از آن پس اگر كشيده بود مارا قرآن بسوى ايشان تبعيت ايشان ميكرديم ، واگر كشيده بود ايشان را بسوى ما متابعت ميكردند مارا

پس نياوردم پدر مباد شمارا بجهة شما شرى را ، وفريب ندادم شمارا از كار شما ، ومشتبه نكردم آنكار را برشما ، وجزاين نيست كه جمع شد رأى هاى رؤساى شما براختيار كردن دو مرد ، أخذ پيمان كرديم از ايشان كه تجاوز نكنند از حكم قرآن پس متحيّروسر گردان شدند ازآن ، وترك كردند حق را وحال آنكه ميديدند حق را و بصير بودند بآن وبود ظلم و جور آرزوى ايشان ، پس بگذشتند بآن وحال آنكه سابق شد استثنا كردن ما برايشان درحكم كردن بعدالت وقصد كردن مرحق سوء راى ايشان را ، وحكم بجور ايشان را يعنى در أول أمر استثنا كرده بوديم كه اين دو نفر اگر انديشهٔ بدوحكم جور نمايند معتبر نخواهد شد .

ومن خطبة له عليه السلام فيما يخبر به عن الملاحم بالبصرة و هى المأة و الثامنة و العشرون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين

الفصل الاول

يا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْسارَ بِالْجَيْشِ الَّذي لا يَكُونُ لَهُ غُبارٌ وَلا لَجَبٌ وَلا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ وَلا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ، يُثيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدامِهِمْ كَأَنَّها أَقْدامُ النَّعامِ .

قال السّيد (ره) يومي بذلك إلى صاحب الزّنج ثمّ قال عليه السلام : وَيلٌ لِسِكَكِكُمُ العامِرَةِ، وَالدُّورِ المُزَخرَفَةِ الَّتي لَها أَجنِحَةٌ كَأَجنِحَةِ النُّسُورِ، وَخَراطِيمُ كَخَراطِيمِ الفِيَلَةِ مِنْ أُولئِكَ الَّذينَ لا يُنتَدَبُ قَتِيلُهُمْ، وَلا يُفتَقَدُ غائِبُهُمْ، أنا كابُّ الدُّنيا لِوَجهِها، و قادِرُها بِقَدرِها، وَناظِرُها بِعَينِها.

اللغة

(الملحمة) هي الحرب أو الوقعة العظيمة فيها و موضع القتال ، مأخوذ من اشتباك النّاس فيها كاشتباك لحمة الثّوب بالسّدى و (اللّجب) محرّكة الجلبة والصّياح و (القعقعة) تحريك الشيء اليابس الصّلب مع صوت وتفسيره بحكاية صوت السّلاح و نحوه غير مناسب للمضاف إليهو (اللّجم) جمع اللّجام ككتب و كتاب و(الخمحمة)صوت الفرس حين يقصر في الصّهيل ويستعين بنفسه و(النعام)اسم لجنس النعامة ويقع على الواحد و (ألنسر) طائر معروف ويجمع على أنسر على وزن أفعل ونسور و (الفيلة) وزان عنبة جمع الفيل و(كببت) فلان على وجهه تركته ولم ألتفت إليه ، و كبّه قلبه و صرعه

الاعراب

قول السيّد : بالبصرة إمّا ظرف لغومتعلق بقوله يخبر أومستقرّ صفةللملاحم وكلاهما جائزان ، لأنّ هذه الخطبة قد خطب بها فى البصرة كما أنّ تلك الملاحم كانت فيها ، وجملة وقد سارمنصوبة المحلّ على الحال من قوله به ، والعامل محذوف والتّقدير كأنّى أبصربه وقد سار ، وجملة يثيرون حال من الجيش ، والباقي واضح

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة قد خطب بهافي البصرة كما صرّح به الشّارح المعتزلي و الشّارح البحراني ، و المستفاد من الثّاني أنّها من فصول الخطبة التي قدّمنا روايتها منه في شرح الكلام الثالث عشر ، وأنّه عليه السلام خطبها بعد الفراغ من حرب

أهل البصرة ووقعة الجمل على ما تقدّم ثمّة وهو من جملة الأخبار الغيبيّة له عليه السلام

وهذا الفصل كما نبّه عليه السيّد (ره) إشارة إلى خروج صاحب الزنج وهو رجل اسمه علي زعم أنّه علي بن محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبيطالب، قال الشّارح المعتزلي: و أكثر النّاس يقدحون في نسبه خصوصاً الطّالبيّون وجمهور النسابين اتّفقوا على أنّه من عبدالقيس وأنّه علي بن محمّد بن عبدالرّحيم، و أمه أسديّة من أسد بن خزيمة جدّه محمّد بن حكيم الأسدي من أهل الكوفة أحد الخارجين مع زيد بن علي على هشام بن عبدالملك، وذكر المسعودى في مروج الذهب أنّ أفعال علي بن محمّد صاحب الزنج تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّا وتصدّق مارمى به من دعوته في النّسب، لأنّ ظاهر حاله كان ذهابه إلى مذهب الأزارقة في قتل النّساء والأطفال والشيخ الفاني والمريض

و كيف كان فقد كان ظهوره في البصرة في سنة خمس وخمسين ومأتين، فتبعه الزّنج الّذين كانوا يسبخون السّباخ في البصرة و كان أكثر اتباعه في أوّل أمره عبيدالدّهاقين بالبصرة، واستمالهم إلى الفتنة بالمواعد واستنقاذهم من أيدي ساداتهم و استخلاصهم من سوء الحال و مايلقونه من شدّة العبوديّة و الخدمة و منّاهم أن يجعلهم قوّاد جيشه، ويملّكهم الضّياع والأموال، وحلف لهم بالايمان المغلّظة أن لايخدع بهم ولايخذلهم ولايدع شيئاً من الاحسان إلاّ أتى إليهم، واجتمع اليه السّودان من كلّ جهة، وتبعه جمع كثير من غيرهم، وفعل بأهل البصرة وغيرهم ماهو مشهور وفي كتب السّير مسطور مأثور، وقد ذكره الشّارح المعتزلي على تفصيله من أراد الاطلاع فليراجع إليه.

إذا تمهّد لك ذلك فلنعد إلى شرح كلامه فأقول: قوله: (يا أحنف) قيل كان اسمه صخر وقيل الضّحاك بن قيس بن معاوية من بني تميم و كنيته أبوبحر شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام الجمل ولم يشهد صفّين مع أحد الفريقين قال البحراني: والخطاب مع الاحنف، لأنّه كان رئيسا ذاعقل وسابقة في قومه وبسببه كان اسلام بني تميم حين دعاهم رسول الله صلّى الله عليه وآله فلم يجيبوا، فقال لهم الأحنف: إنه يدعوكم إلى مكارم الأخلاق

فأسلموا و أسلم الأحنف .

(كأنّي به) أي عليّ بن محمّد صاحب الزّنج (وقد سار بالجيش الّذي لايكون له غبار) أصلا أو الغبار الشّديد الذي جرت العادة بسطوعها عند مسير الجيوش والفرسان و ثورانها من حوافر الخيل (ولا لجب) وصياح (ولا قعقعة لجم ولا حمحمة خيل) إذ لم يكونوا ركباً بل كانوا مشاة حفاة (يثيرون الأرض بأقدامهم كأنّها أقدام النّعام) تشبيه أقدامهم بأقدام النعام لكونها في الأغلب قصاراً عراضاً منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع كما في النّعام ، و أراد باثارتهم الأرض بأقدامهم شدّة وطئهم لها ، و كنّى بها عنها و ما قيل : من أنّ المعنى أنهم يثيرون التراب بأقدامهم لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل ففيه أنه لا يلآئم ظاهر قوله لايكون له غبار إلاّ أن يحمل المنفيّ على الغبار الشّديد حسبما قدّمناه .

ثمّ قال : (ويل لسكككم العامرة) أي لطرقكم المستوية و أزّقتكم المعمورة (و الدّور المزخرفة) المموّهة بالزّخرف و الذّهب (الّتي لها أجنحة كأجنحة النّسور) أراد بأجنحة الدّور رواشنها وما يعمل من الأخشاب و البواري بارزة عن السّقوف حفظاً للحيطان وغيرها عن الأمطار وشعاع الشمس (و خراطيم كخراطيم الفيلة) أراد بخراطيمها ميازيبها التي تعمل من الخوص على شكل خرطوم الفيل وتطلى بالقار يكون نحواً من خمسة أذرع أو أزيد تدلى من السّطوح ليسيل منها مآء المطر و يحفظ السّطوح والحيطان (من أولئك الذين لا ينتدب قتيلهم) قيل إنه وصف لهم لشدّة البأس والحرص على القتال ولايبالون بالموت ، وقيل : لأنهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل و ولد ممّن عادتهم النّدبة (ولا يفتقد غائبهم) لكثرتهم و كونهم إذا قتل منهم قتيل سدّ مسدّه غيره ، أو لكونهم غرباء ليس لهم أقرباء من شانهم افتقاد الغائب .

ثمّ قال : (أنا كابّ الدّنيا لوجهها) كناية عن عدم إلتفاته إليها كما حكي مثله عن عيسى أنه قال : أنا الّذي كببت الدّنيا على وجهها ليس لي زوجة تموت ولا بيت يخرب و سادى الحجر وفراشي المدر و سراجى القمر ، أو أراد به علمه

بأسرارها و بواطنها كما يقال قلّب الأمر ظهراً لبطن.

(وقادرها بقدرها) أي معامل لها بمقدارها (وناظرها بعينها) أي ناظر إليها بعين البصيرة والعبرة ، أو أنظر إليها نظراً يليق بها وهو نظر الحقارة والذّلة .

كما يشهد به ما رواه في غاية المرام من رسالة الأهواز للصّادق عليه السلام قال : قال عليّ بن الحسين سمعت أباعبدالله الحسين عليهما السلام يقول : حدّثني أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّي كنت بفدك في بعض حيطانها وقد صارت لفاطمة، قال : فاذا أنا بامرئة قد قحمت عليّ وفي يدي مسحاة أعمل بها، فلمّا نظرت إليها طار قلبي ممّا تداخلني من جمالها ، فشبّتهها بثنية بنت عامر الجمحي و كانت من أجمل نساء قريش ، فقالت : يابن أبيطالب هل لك أن تزوّج بي فاغنيك عن هذه و أدلّك على خزآئن الأرض فيكون لك المال ما بقيت و لعقبك من بعدك ؟ فقلت لها : من أنت حتّى أخطبك من أهلك؟ قالت: أنا الدّنيا ، قلت لها : ارجعي واطلبي زوجاً غيري ، وأقبلت على مسحاتي و أنشأت أقول :

لقد خاب من غرّته دنيا دنيّة … وما هي إن غرّت قروناً بطائل

أتتنا على زىّ العزيز ثنيّة … و زينتها في مثل تلك الشّمائل

فقلت لها غرّي سواى فانّني … عروف عن الدّنيا و لست بجاهل

و ما أنا و الدّنيا فانّ محمّداً … أحلّ صريعاً بين تلك الجنادل

وهبها أتتنا بالكنوز و درّها … و أموال قارون و ملك القبائل

أليس جميعاً بالفناء مصيرها … و تطلب من خزّانها بالطّوائل

فغرّي سواي انّني غير راغب … بما فيك من ملك و عزّ و نائل

فقد قنعت نفسي بما قد رزقته … فشأنك يا دنيا و أهل الغوائل

فانّي أخاف الله يوم لقائه … و أخشى عذاباً دائماً غير زائل

فخرج من الدّنيا و ليس في عنقه تبعة لأحد حتّى لقى الله سبحانه محموداً غير ملوم ولا مذموم ، ثمّ اقتدت به الأئمّة من بعده بما قد بلغكم لم يتلطّخوا بشيء

من بوائقها صلّى الله عليهم أجمعين وأحسن مثواهم .

الترجمة

ازجمله خطب شريفهٔ آن سرور دين وقدوهٔ ارباب يقين است در آنچه خبر ميدهد بآن ازوقايع عظيمه درشهر بصره باين‌نحو كه ميفرمايد :

أى أحنف گويا من نظر ميكنم بآنشخص درحالتيكه سير كند با لشگرى كه نباشد مر آنرا گرد وغبارى ، و نه آواز هائلى ، ونه صداى حركت لجامها ، ونه آواز اسبها ، بشورانند خاك را بقدمهاى خود گويا كه قدمهاى ايشان قدمهاى شتر مرغان است در پهنائى و كوتاهى ، و در گشادگى انگشتان اشاره ميفرمايد آنحضرت باين كلام بعلي بن محمّد رئيس لشگر زنگيان .

بعد ازآن فرمود: واى درآنزمان براههاى آبادان شما، وبخانهاى زراندودى كه مرآنهاراست بالها مثل بالهاى كركسان ، وخرطومها مانند خرطومهاى فيلان، از اين لشگريكه گريسته نشود بر مقتولان ايشان ، وجسته نشود غائبان ايشان ، من افكنندهٔ دنيا هستم بروى او ، يعنى بى اعتنا هستم بآن ، و اندازه كنندهٔ اويم بأندازهٔ آن ، و نظر كنندهٔ اويم بچشمى كه مناسب ولايق او هست .

الفصل الثانى منها

ويؤمى بذلك الى وصف الاتراك

كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْماً كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطَرَّقَةُ ، يَلْبَسُونَ السَّرَقَ وَالدِّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ ، وَيَكُونُ هُنَالِكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى يَمْشِيَ الْمَجْرُوحُ عَلَى الْمَقْتُولِ ، وَيَكُونُ الْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ الْمَأْسُورِ .

فقال له بعض أصحابه: لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب؟

فضحك عليه السلام وقال للرّجل وكان كلبيّا يا أخا كلبٍ لَيسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيبٍ وَإنّما هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذي عِلْمٍ، وَإنّما عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السّاعَةِ وَما عَدَّدَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِقَوْلِهِ : إنّ الله عِنْدَهُ عِلْمُ السّاعَةِ الآيَة، فَيَعْلَمُ سُبْحانَهُ ما في الأَرْحامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثى، وَقَبيحٍ أَوْ جَميلٍ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخيلٍ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الجِنانِ لِلنَّبِيّينَ مُرافِقاً، فَهٰذا عِلْمُ الغَيْبِ الّذي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إلاّ اللهُ. وَما سِوى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ صلّى الله عليه وآله فَعَلَّمَنيهِ، وَدَعا لي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْري، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوانِحي.

اللغة

(المجانّ) بفتح الميم وتشديد النّون جمع المجن بكسر الميم وهو الترس أوالمجنّة بالكسر أيضاً كالمحاشّ والمحشّة وهو الدّبر إلاّ أنّه بالفتح وهومأخوذ من الجنّ و هو السّتر كأنّ التّرس يستتر به و منه الجنّ لاستتاره عن النّظر و الجنين لاستتاره في الرّحم، والمجنون لاستار عقله، والجنان للقلب و الجنّة لالتفافها بالأشجار و استتارها بها وقال سبحانه : «فلمّا جنّ عليه اللّيل» أى ستره.

و(المطرقة) وزان مكرمة من باب الافعال قال في القاموس والمجانّ المطرقة كمكرمة الذي يطرق بعضها على بعض كالنّعل المطرقة المخصوفة، ويروي المطرّقة بالتّشديد كمعظّمة أي الّتي طرّق ور كب بعضهـا على بعض و اطراق البطن ما ركب بعضها على بعض، والطّراق كلّ خصيفة يخصف بها النّعل ويكون حذوهـا سوآء، و كلّ صنعة على حذو، وجلد النّعل و أن يقوّر جلد على مقدار التّرس فيلزق بالتّرس.

و (السرق) محرّكة شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامّة و الواحدة سرقة و (يعتقبون الخيل) أي يحتبسونها و يرتبطونها من اعتقب السلعة إذ احبسها من المشتري ليقبض الثّمن أو يجبنونها لينتقلوا من غيرها إليها ، و (اضطمّ) الشّيء جمعه إلى نفسه ، و (الجوانح) الضّلوع تحت التّرائب مما يلي الصّدر و يروي جوارحي بدل جوانحي .

الاعراب

قوماً منصوب على البدل من ضمير الجمع في أراهم وابدال الظاهر من الضّمير الغائب لاغبار عليه بتصريح علماء الأدبيّة، وجملة يلبسون منصوبة المحلّ على الحال من ضمير الجمع أيضاً ، و الاضافة في أخا كلب لانتسابه إلى تلك القبيلة و هي من الاضافات الشائعة في لهجة العرب والرّابط إلى الموصول في قوله لايعلم أحد محذوف

المعنى

اعلم أنّ الموجود في نسخ النّهج غير نسخة الشّارح البحراني عنوان هذا الفصل بلفظ : منها ، و أمّا نسخة الشّارح فالعنوان فيها بقوله : ومن كلام له عليه السلام وهو يفيد كون ذلك كلاماً مستقلاّ لا من فصول الكلام السّابق والأمر سهل .

قال السّيد ره : و يؤمي به إلى وصف الأتراك ، وهم امّة تسمّون بالتّتار ، وكانت مساكنهم في أقاصي بلاد المشرق في جبال طخاج من حدود الصّين ، و بينهم و بين بلاد الاسلام الّتي ماوراء النّهر ما يزيد على مسير ستّة أشهر ، و كان عددهم في الكثرة متجاوزاً عن حدّ الاحصاء ، وكانوا من أصبر النّاس على القتال لا يعرفون الفرار ، و يعملون ما يحتاجون إليه من السّلاح بأيديهم و من أصبر خلق الله على الجوع والعطش والشّقاء ، يأكلون الميتة و الكلاب و الخنازير ، و كان ثيابهم من أخشن الثياب ، و منهم من يلبس جلود الكلاب و الدّواب الميتة ، و هم أشبه شيء بالوحش والسّباع ، وكان چنگيزخان رئيسهم وابن رئيسهم ، وما زال سلفه رؤساء تلك الجهة، وكان شجاعاً مدبّراً عاقلاً موفقاً منصوراً في الحرب فأحبّ الملك وطمع في البلاد فنهض بمن معه من أقاصي الصّين ، إلى حدود تركستان في سنة ستّ عشر

وستمأة ، وحارب الملوك ملوك الخطاء وقفجاق وماوراء النهر وخراسان والعراقين وآذربيجان وأرمنية والشام وغيرها ، وملك هذه البلاد ، وقتل من الذكران والاناث في كل ما مر عليه جيشه من البلدان مالا يحصى عددهم إلا الله سبحانه ، وقد نهبوا أكثر مامرّوا عليه من المدن والقرى ، وأحرقوه وخرّبوه واستأصلوا أهله ، وسبوا الحرم ، واسترقوا الغلمان ، وفعلوا كل قبيح منكر فيها ، ولم يتركوا من الظلم والجور على المسلمين والمعاهدين شيئاً على ماهو في كتب التواريخ والسير مسطور ، و في الألسنة إلى زماننا هذا وقد مضى من زمانه نحواً من سبعمأة سنة مشهور مأثور ، وكان ظهورهم في عصر الشارح المعتزلي ، فأورد طرفاً من حالهم ووقائعهم في الشرح من أراد الاطلاع فليراجع إليه .

إذا تمهد لك ذلك فأقول : إنه عليه السلام يخبر عن حالهم و يقول (كأنّي أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانّ المطرقة) تشبيهها بالمجان في الاستدارة والعظم والانبساط وتوصيفها بالمطرقة للخشونة والغلظة (يلبسون السّرق والدّيباج) ولا منافاة بين ذلك وبين ما قدّمنا من كون لباسهم أخشن اللّباس ، لأنّ ما قدّمناه كان في بدو حالهم و ذلك بعد ماظهر دولتهم وعلا أمرهم ، أوأنّ ذلك وصف حال الرؤساء ، وما قدّمنا وصف ثياب الأتباع مع أنّه لا داعي إلى الجمع لأنّ ماتقدّم من نقل أرباب التواريخ و كلام الامام هو الصّحيح الأحقّ بالاتباع .

(و يعتقبون الخيل العتاق) أي يحتبسونها لينتقلوا من غيرها إليها عند مسيس الحاجة ومقام الضّرورة (ويكون هناك استحرار قتل) وشدته (حتّى) ينتهي الأمر إلى أن (يمشي المجروح) منهم (على المقتول) منهم لعدم مبالاة الجرحى بقتل القتلى أومن مقاتليهم فيكون إشارة إلى كونهم مجروحين و كون مقابليهم مقتولين (ويكون المفلت) النّاجي من أيديهم (أقلّ من المأسور فقال له بعض أصحابه لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام)

قال الشّارح المعتزلي : و سرّ هذا الضّحك أنّ النّبي والوليّ إن تجدّدت عنده نعمة لله سبحانه أوعرف النّاس وجاهته عندالله فلابدّ أن يسرّ بذلك ، و قد

يحدث الضحك من السّرور و ليس ذلك بمذموم إذا خلا من التّيه والعجب و كان محض السّرور وقد قال سبحانه :

فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ .

أقول : و في هذا المعنى قوله سبحانه : وأمّا بنعمة ربّك فحدّث ، فانّ التحدّث بالنّعمة أعنى إظهارها وإشاعتها قد يكون الدّاعي إليه هو العجب والشّهرة وإظهار الكبر والنّخوة به على الخلق فهو قبيح محرّم مذموم ، و قد يكون السّبب له محض إظهار أنها ممّا منّ الله سبحانه بها عليه فيشكر عليه و يحمد له ، و هذا حسن ممدوح مأمور به في الآية و إليه الاشارة في الحديث بقوله : والتحديث بنعمة الله شكر وتركه كفر.

وقال الصّادق عليه السلام في رواية الكافي : إذا أنعم الله بعبده بنعمة فظهرت عليه سمّى حبيب الله محدّثا بنعمة الله ، و إذا أنعم الله على عبده بنعمة فلم تظهر عليه سمّى بغيض الله مكذّبا بنعمة الله .

(وقال عليه السلام للرّجل وكان كلبيّا : يا أخا كلب ليس هو) أى ما أخبرت به من خبر الأتراك (بعلم غيب و إنّما هو تعلّم من ذى علم) أراد به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيصرّح به (وإنّما علم الغيب) هو العلم بأمور خمسة أشار إليها سبحانه في سورة لقمان وهو (علم السّاعة وما عدّده الله سبحانه بقوله :

« إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) وَ يُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما فِي الْأَرْحامِ وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذا تَكْسِبُ غَداً وَما تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ».

يعني عنده سبحانه علم وقت قيامها واستأثر به ولم يطلّع عليه أحد من خلقه، ويعلم نزول الغيث في مكانه وزمانه ، و يعلم ما تحمله الحوامل (فيعلم سبحانه ما في الأرحام من ذكر أو انثى وقبيح أو جميل وسخىّ أو بخيل وشقىّ أوسعيد ومن

يكون في النّار حطبا أو في الجنان للنّبييّن مرافقا) و ما تدري نفس ماذا تكسب غداً من خير أو شرور بما تعزم على شيء فتفعل خلافه وقيل مايعلم بقآئه غداً فكيف يعلم تصرّفه ، وما تدري نفس في أيّ أرض تموت وقيل انّه إذ ارفع خطوة لم يدر انّه يموت قبل أن يضع الخطوة أم لا .

(فهذا) أى ما ذكر من العلم بالأمور الخمسة المعدودة (علم الغيب الذي لايعلمه أحد إلاّ الله سبحانه وما سوى ذلك فعلم علّمه سبحانه نبيّه صلى الله عليه وآله فعلّمنيه) رسول الله باذن من الله (ودعا لى بأن يعيه) أى يحفظه (صدري وتضطم عليه جوانحي) أى تضبطه قلبي ويشتمل عليه ، وكنّى بالجوانح عن القلب لاشتمالها عليه .

أقول: ومحصّل ما استفيد من كلامه أنّ ما أخبر به من خبر الأتراك ونحوه ممّا يكون ويحدث به في غابر الزّمان فليس هو من علم الغيب وإنّما علم الغيب هو العلم بالامور الخمسة المعدودة في الآية الشّريفة إلاّ أنه يشكل بوجهين .

أحدهما انّه كيف يمكن نفي علم الغيب عمّا أخبر به مع أنّك قد عرفت في شرح الفصل الثّاني من الخطبة التّسعين أنّ الغيب عبارة عمّا غاب عن الخلق علمه وخفى مأخذه ، ومن المعلوم أنّ الحوادث التي تحدث والملاحم التي تقع في غابر الزّمان ممّا هو غآئب عن نظر الخلق وحواسّهم .

وثانيهما أنّه كيف يصلح حصر علم الغيب في الأمور الخمسة فانّه بعد ما كان المدار على التعلّم من ذيعلم فلا تفاوت حينئذ بين تلك الأمور وغيرها ، لا مكان العلم بها بتعليم ذى العلم ، بل هو واقع ، وتحقيق المقام يحتاج إلى بسط في الكلام لكونه من مزالّ الأقدام .

فأقول بعد الاعتصام بالملك العلاّم والتمسّك بذيل أئمّة الأنام عليهم الصّلاة والسّلام : إنّ مقتضى بعض الأدلّة هو اختصاص علم الغيب بالله سبحانه ونفيه عمّن سواه تعالى ، و مقتضي البعض الآخر إثباته لغيره تعالى من الأنبيآء والأئمة والملائكة والرّسل عليهم السّلام ، ومفاد طآئفة ثالثة من الأدلّة هو التّفصيل .

أمّا الأدلّة الأول فمنها قوله تعالى في سورة الأنعام : و عنده مفاتح الغيب

لايعلمها إلاّ هو ، وفي سورة الأعراف:لو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسّني السّوء ، و في سورة يونس إنّما الغيب لله ، و في سورة هود والنّحل ، و لله غيب السّماوات والأرض ، وفي سورة النّمل قل لايعلم من في السماوات والأرض الغيب إلاّ الله ، وبمعناها آيات وأخبار اخر .

وأمّا الأدلّة الثّانية فمثل مادلّ بعلم المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث ، وما دلّ بعلم ملك الموت بأوقات الآجال ، و ما دلّ على اخبار الأنبياء بالمغيبات ، وما دلّ على علم النبيّ والأئمة بما كان وما يكون وما هو كآئن .

كما في البحار من بصآئر الدّرجات عن ابن معروف عن حمّاد عن حريز عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئل عليّ عليه السلام عن علم النبيّ فقال: علم النبيّ علم جميع النّبيّين وعلم ماكان وعلم ما هو كائن إلى قيام السّاعة ، ثم قال : والّذي نفسي بيده إنّي لأعلم علم النبيّ وعلم ماكان وعلم ماهو كآئن فيما بيني وبين قيام الساعة

وفيه أيضاً من البصآئر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن يونس عن الحرث بن مغيرة و عدّة من أصحابنا فيهم عبد الأعلى و عبيدة بن عبدالله بن بشر الخثعميّ وعبدالله بن بشير سمعوا أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّي لأعلم ما في السماوات وأعلم ما في الأرضين وأعلم ما في الجنة و أعلم ما في النّار و أعلم ماكان وما يكون ، ثمّ مكث هنيئة فرأى أنّ ذلك كبر على من سمعه فقال : علمت من كتاب الله إنّ الله يقول :فيه تبيان كلّ شيء .

وفيه من مصباح الأنوار باسناده إلى المفضّل قال : دخلت على الصّادق عليه السلام ذات يوم فقال لي يا مفضّل هل عرفت محمّداً وعليّاً و فاطمة والحسن والحسين عليهم السّلام كنه معرفتهم ؟ قال : يا مفضّل من عرفهم كنه معرفتهم كان مؤمنا في السّنام (١) الأعلى ، قال : قلت : عرّفني ذلك يا سيّدي ، قال : يا مفضّل تعلم أنّهم علموا ماخلق الله عزّ وجلّ ، وذرأه و برأه و أنّهم كلمة التّقوى و خزّان السماوات والأرضين والجبال والرّمال والبحار ، وعلموا كم في السّمآء من نجم

١ــ اى أعلى مدارج الايمان وسنام كل شى أعلاه .

وملك ووزن الجبال و كيل ماء البحار و أنهارها و عيونها ، و ما تسقط من ورقة إلاّ علموها ولا حبّة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلاّ في كتاب مبين ، و هو في علمهم ، و قد علموا ذلك ، فقلت : يا سيّدي قد علمت ذلك و أقررت به و آمنت ، قال : نعم يا مفضّل ، نعم يا مكرم ، نعم يا محبور (١) ، نعم يا طيّب طبت وطابت لك الجنّة ولكلّ مؤمن بها .

وفي الكافي عن محمّد بن يحيى ، عن أحمد بن محمّد ، عن عمر بن عبدالعزيز ، عن محمّد بن الفضيل ، عن أبي حمزة قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : لا والله لا يكون عالم جاهلا أبداً ، عالماً بشيء جاهلا بشيء ، ثمّ قال : الله أجلّ و أعزّ و أكرم من أن يفرض طاعة عبد يحجب عنه علم سمائه وأرضه ، ثمّ قال : لايحجب ذلك عنه .

إلى غيرذلك من الأخبار المتظافرة بل المتواترة الدّالة على عموم علمهم عليهم السلام بما في الآفاق و الأنفس ، و على كونهم أعرف بطرق السماء من طرق الأرض ، و كونهم شهداء على النّاس والشهادة فرع العلم ومعرفتهم على النّاس لحقيقة الايمان وحقيقة الكفر وعلمهم بعد دأهل الجنّة وأهل النّار ، وغير ذلك ممّا كان أويكون وقد مضى كثير من تلك الأخبار في شرح الخطب السّابقة ، ولا حاجة إلى الاعادة المفضية إلى التكرار والاطالة

و أمّا الطائفة الثّالثة من الأدلّة فيستفاد منها التفصيل و به يجمع بين الأدلّتين المتقدّمتين ويقيّد اطلاقهما أويخصّص عمومهما ووجه الجمع أمور ثلاثة:

الاول

أن يكون المراد بالأدلّة الأول الحاصرة للغيب في الله سبحانه النافية له عن غيره أنّه سبحانه عالم به بذاته لايعلمه غيره كذلك فيكون المراد بالأدلّة الأخر أنّ غيره يعلم الغيب بعلم مستفاد منه سبحانه بوحي أو إلهام أو نكت في القلوب ونقر في الأسماع أو غير ذلك من جهات العلم

ويدلّ على ذلك قوله سبحانه في سورة آل عمران : و ماكان الله ليطلعكم

---

(١) لعله من الحبرة قال في القاموس الحبرة بالضم نعمة حسنة والمبالغة في ماوصف بجميل.

على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء ، وفي سورة الجنّ : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول فانّه يسلك من بين يديه و من خلفه رصداً .

روى في الصّافي عن الخرائج عن الرّضا عليه السلام في هذه الآية قال : فرسول الله عند الله مرتضى ، و نحن ورثة ذلك الرّسول الذي اطّلعه الله على ما يشاء من غيبه ، فعلمنا ماكان ومايكون إلى يوم القيامة

ويأتي في رواية الكافي والبحار من البصائر عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال في هذه الآية ، وكان محمّد ممّن ارتضاه ، ومضى في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السّادسة و الثّمانين في رواية البحار قول أمير المؤمنين لسلمان : يا سلمان أمـا قرءت قول الله عزّ وجلّ حيث يقول : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول ، فقلت : بلى ياأمير المؤمنين ، فقال أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّ وجلّ على غيبه .

أقول : و المستفاد من هذه الرّواية كون لفظة من في قوله من رسول الله ابتدائية ، كما أنّ المستفاد من الروايتين السّابقتين كونها بيانيّة ولا منافاة لأنّ هذه تأويل للباطن وما تقدّم تفسير للظّاهر كما هوظاهر هذا .

و قال الطبرسيّ في تفسير هذه الآية : ثمّ استثنى فقال إلاّ من ارتضى من رسول ، يعني الرّسل ، فانّه يستدلّ على نبوّتهم بأن يخبروا بالغيب فيكون آية ومعجزة لهم ، ومعناه أنّ من ارتضاه واختاره للنبوّة والرسالة فانّه يطلعه على من شاء من غيبه على حسب مايراه من المصلحة وهوقوله :

« فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً » .

والرّصد الطريق أي يجعل له إلى علم ماكان من قبله من الأنبياء و السّلف و علم مايكون بعده طريقاً

وقال (ره) في قوله تعالى :ولله غيب السّموات والأرض : معناه ولله علم ماغاب

في السموات والأرض لايخفى عليه شيء منه ، ثم قال (ره) : وجدت بعض المشايخ ممن يتسم بالعدل والتشيع قد ظلم الشيعة الامامية في هذا الموضع من تفسيره فقال : هذا يدل على أن الله تعالى يختص بعلم الغيب خلافاً لما تقول الرافضة : إن الأئمة عليهم السلام يعلمون الغيب ، ولا شك أنه عنى بذلك من يقول بامامة الاثنى عشر و يدين بأنهم أفضل الأنام بعد النبي صلى الله عليه وآله ، فان هذا دأبه و ديدنه ، فهو يشنع في مواضع كثيرة من كتابه عليهم وينسب القبايح والفضائح اليهم ولانعلم أحداً منهم استجاز الوصف بعلم الغيب لأحد من الخلق ، و إنما يستحق الوصف بذلك من يعلم جميع المعلومات لا بعلم مستفاد ، و هذه صفة القديم سبحانه ، العالم لذاته لا يشركه فيه أحد من المخلوقين ، و من اعتقد أن غير الله سبحانه يشركه في هذه الصفة فهو خارج عن ملة الاسلام

و أما ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام و رواه عنه الخاص والعام من الاخبار بالغائبات في خطب الملاحم و غيرهما كاخباره عن صاحب الزنج و عن ولاية مروان الحكم وأولاده وما نقل من هذا الفن عن أئمة الهدى عليهم السلام ، فان جميع ذلك ملقى من النبي مما اطلعه الله عليه ، فلا معنى لنسبة ماروى عنهم هذه الأخبار المشهورة إلى أنه يعتقد كونهم عالمين بالغيب ، وهل هذا إلا سب قبيح وتضليل لهم بل تكفير ولا يرتضيه من هو بالمذهب خبير ، والله يحكم بينه وبينهم وإليه المصير .

وفي البحار من بصائر الدرجات باسناده عن عبدالأعلى وعبيدة بن بشير قال : قال أبوعبدالله ابتداء منه : والله إني لأعلم غيب السموات و الأرض ومافي الجنة وما في النار وماكان ومايكون إلى أن تقوم الساعة ، ثم قال : اعلمه من كتاب الله أنظر إليه هكذا ثم بسط كفيه ثم قال :إن الله يقول :

« وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الْكِتابَ فِيهِ تِبْيانُ كُلِّ شَيْءٍ »

وفيه من مجالس المفيد باسناده عن أبي المغيرة قال : كنت أنا و يحيى بن عبدالله بن الحسين عند أبي الحسن عليه السلام فقال له يحيى جعلت فداك إنهم يزعمون

أنـك تعلم الغيب ؟ قال : سبحان الله ضع يدك على رأسي فوالله ما بقيت شعرة فيه ولا جسدي إلاّ قامت ، ثمّ قال : لا والله ماهى إلاّ وراثة عن رسول الله

و في الكافي عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن معمّر بن خلاّد قال : سأل أباالحسن عليه السلام رجل من أهل فارس فقال له : أتعلمون علم الغيب فقال قال أبوجعفر : يبسط لناالعلم فنعلم ويقبض عنّافلانعلم ، وقال : سرّ الله عزّ وجلّ أسرّه إلى جبرئيل وأسرّه جبرئيل إلى محمّد صلّى الله عليه وآله ، وأسرّه محمّد إلى من شاءالله .

قال المفيد (ره) في محكيّ كلامه من كتاب المسائل : أقول : إنّ الأئمة من آل محمّد عليهم السلام قد كانوا يعرفون ضمائر بعض عبادهم ، ويعرفون مايكون قبل كونه وليس ذلك بواجب في صفاتهم ، و لاشرط في إمامتهم ، وإنّما أكرمهم الله تعالى به وعلّمهم إيّاه للطف في طاعتهم والتبجيل بامامتهم ، وليس ذلك بواجب عقلا ، ولكنّه وجب لهم من جهة السّماع ، فأما اطلاق القول عليهم بأنّهم يعلمون الغيب فهو منكر بيّن الفساد ، لأنّ الوصف بذلك إنّمايستحقّه من علم الأشياء بنفسه ، لابعلم مستفاد وهذالايكون إلاّ لله عزّ وجلّ ، وعلى قولي هذا جماعة أهل الدهامة إلاّ من شذّ عنهم من المفوّضة ومن انتمى إليهم من الغلاة ، هذا .

وأنت بعد ما أحطت خبراً بما ذكرنا تقدر على دفع ما استشكلناه في كلامه عليه السلام من نفيه علم الغيب عمّا أخبر به عن خبر الأتراك ، و محصّل دفعه أنّ قوله : يا أخاكلب إنّه ليس هو بعلم غيب ، لم يرد به نفى علم الغيب عنه رأساً أراد به سلب علم الغيب على زعم الكلبي السّائل فانه عليه السلام لما أخبر بما أخبر من الغيب توهّم السّائل أنه عليه السلام علمه من تلقاء نفسه بدون توسّط معلم كما هو زعم الغلاة فردّه عليه السلام بقوله : ليس هو بعلم غيب وانّما هو تعلّم من ذي علم

فان قلت : قول السّائل لقد اعطيت يا أمير المؤمنين علم الغيب ينافي ذلك ، لظهوره في أنّ اعتقاده أنّ الله أعطاه العلم بذلك ، لا أنّـه علمه بنفسه

قلنا : لفظ الاعطاء لاينافيه ، لامكان أن يكون مراده منه أنّـه عليه السلام آتاه الله قوّة يقتدر بها على علم الغيب من غير حاجة إلى وساطة النّبي صلّى الله عليه وآله أو إلهام إلهى

أو توسّط الملائكة النّازلين في ليلة القدر ونحو ذلك وبالجملة من دون حاجة إلى تعليم معلّم فافهم وتأمّل

والحاصل أنّهم عليهم السلام لايعلمون إلاّ ما علّمهم الله سبحانه ، وتعليمه في كلّ آن فلولم يعلمهم في آن ما كان عندهم شيء ولايعلمهم الله إلاّ بواسطة محمّد وهو قولهم الحقّ كما في الكافي عن زرارة قال سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : لولا أنّا نزاد لأنفدنا ، قال : قلت : تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : أما انّه إذا كان ذلك عرض على رسول الله ثمّ على الأئمة ثمّ انتهى الأمر إلينا .

وعن يونس بن عبدالرّحمن عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ليس شيء يخرج من عندالله عزّ وجلّ حتّى يبدء برسول الله ، ثمّ بأمير المؤمنين ، ثمّ بواحد بعد واحد لكيلا يكون آخرنا أعلم من أوّلنا

فملخّص الكلام وفذلكة المرام ما ورد في الأخبار وذكره علمائنا الأخيار من أنّهم لايعلمون الغيب لاينافي باخبارهم بأشياء كثيرة من الغيب ، لأنّ ذلك كلّه من الوحي الذي نزل على رسول الله فعلّمهم رسول الله ذلك بأمر من الله ، ولأنّ عندهم علم القرآن كلّه وفيه تبيان كلّ شيء ، وتفصيل كلّ شيء وهو مستور محجوب عن الأغيار وقد كشفه الله سبحانه لمحمّد وآله الأطهار الأبرار ، وما أخبروا به من ذلك المستور عن غيرهم ، وأيضاً عندهم الاسم الأكبر وبه يعلمون ماشاؤا كما ورد في أحاديثهم فعلى ما ذكر لوقيل انّهم لايعلمون الغيب بمعنى من ذاتهم فهو حقّ ، وأمّا لوقيل إنهم لايعلمونه أصلا فلا ، بل قد علموا كثيراً منه بتعليم الرّسول وعلموا بعضه بما عندهم من الاسم الأكبر وبعضه بما كتب في القرآن ومصحف فاطمة والجامعة والجفر ، وبعضه بالملائكة الذين ينزلون إليهم ليلة القدر و بغيرهم من الملائكة المسخّرين لهم ، والجانّ الذين يخدمونهم وينقلون إليهم علوم ماغاب عنهم ومالم يكن مشاهدا و على هذه كلّها دلّت أخبارهم وهذه العلوم الغائبة هي المشار إليها في قوله : فلا يظهر على غيبه أحداً إلاّ من ارتضى من رسول ، و في قوله ولكنّ الله يجتبي من رسله من يشاء هي المراد بقوله في الزّيارة الجامعة : و اصطفاكم بعلمه وارتضاكم

لغيبه واختاركم لسره

الوجه الثاني

أن يقال : إن الغيب على قسمين : قسم هو غيب عند الكل ، وقسم هو غيب عند بعض شهادة عند آخر ، والأول قد يعبر عنه بالعلم المكفوف وهو مختص بالله سبحانه وعليه يحمل الأدلة الدالة على أن الغيب لله ، والثاني هو المعبر عنه بالعلم المبذول وعليه يحمل الأدلة المثبتة لعلمهم بالغيب وهذه القسمة مستفادة من أخبار كثيرة

مثل مافي البحار من بصائر الدرجات باسناده عن بشير الدهان قال سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إن لله علماً لايعلمه أحد غيره ، وعلماً قد علمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه .

وعن سماعة عن أبي عبدالله عليه السلام قال إن لله علماً علمه ملائكته وأنبيائه ورسله فنحن نعلمه ، وعلماً لم يطلع عليه أحد من خلق الله

و عن سدير قال : سمعت حمران بن أعين يسأل أباجعفر عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى : بديع السموات و الأرض ، قال أبوجعفر عليه السلام إن الله ابتدع الأشياء كلها على غير مثال كان ، و ابتدع السموات و الأرض ولم يكن قبلهن سموات ولاأرضون ، أما تسمع لقوله تعالى : وكان عرشه على الماء ، فقال حمران : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ، فقال له أبوجعفر عليه السلام : إلا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً ، وكان والله محمد ممن ارتضاه ، وأما قوله عالم الغيب فان الله تبارك و تعالى عالم بماغاب عن خلقه مما يقدر من شيء ويقضيه في علمه ، فذلك ياحمران علم موقوف عنده إليه فيه المشية فيقضيه إذا أراد ويبدو له فلا يمضيه ، فأما العلم الذي يقدره الله ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله ثم إلينا

ورواه في الكافي عن سدير نحوه إلا أن فيه بعد قوله : ويقضيه في علمه ، قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه إلى الملائكة

و في البحار من البصائر أيضاً عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إن لله

علمين : علم مكنون مخزون لا يعلمه إلاّ هو من ذلك يكون البداء ، و علم علّمه ملائكته ورسله وأنبيائه ونحن نعلمه

قال العلامة المجلسيّ : قوله : من ذلك يكون البداء أى إنّما يكون البداء فيما لم يطّلع الله عليه الأنبياء والرّسل حتماً لئلاّ يخبروا فيكذبوا هذا .

وربما يظهر من بعض الأخبار أنّه قد يخرج من العلم المخزون إليهم عليهم السلام مالا يخرج إلى غيرهم ، وهو مارواه في البحار من البصائر عن ابن هاشم عن البرقي رفعه قال : قال أبوعبدالله عليه السلام إنّ لله علمين ، علم تعلمه ملائكته و رسله ، و علم لايعلمه غيره ، فماكان ممّا يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه ، وما خرج من العلم الذى لايعلم غيره فالينا يخرج

و يدلّ على ذلك ما قدّمناه في تحقيق معنى السرّ في شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبة الثانية فليراجع إليه

وقال بعض الأعلام في توضيح المرام: اعلم أنّ المراد بالغيب ماغاب عن الحسّ ، فاذا قيل غيب الله يراد به ماغاب عن بعض خلقه أوعن كلّهم ، لأنّ الله سبحانه لم يغب عنه غائبة فلايكون عنده غيب ، وأمّا خلقه فلهم غيب وشهادة ، وقد يكون غيب في امكان عند بعض شهادة عند بعض آخر ، وقد يكون غيب عند الكلّ

أمّا الأوّل هو الغيب الذي ارتضاهم عليهم السلام لـه ، و هو غيب عند غيرهم و شهادة عندهم

وأمّا الثّاني وهو ماكان غيباً عند كلّ الخلق فهو مادخل في الامكان وأحاطت به المشية إلاّ أنّه لم تتعلّق به تعلّق التكوين ، وهذا لايتناهي ولا ينفد أبداً لآ بدين و ذلك هو خزائنه التى لاتفنى ولا يتصوّر فيها نقص بكثرة الانفاق ، فهو عزّ وجلّ ينفق منها كيف يشاء ، والذي ينفق منه في أوقات الانفاق وأمكنته ينزل من الغيب إلى البيوت التي ارتضاهم لغيبه وينزّل من أبوابها مايشاء .

وذلك المخزون منه محتوم ، و منه موقوف فالمحتوم منه مالا يمكن تغييره وهو كون ماكان فانّه لايمكن بعد أن كان ألاّ يكون ، و منه مايمكن تغييره ولكنّه

وعد ألاّ يغيّره وهو لايخلف الميعاد وقال تعالى في محتوم الخير : فلا كفران لسعيه و إنّا له لكاتبون ، وفي محتوم الشرّ : ولكن حقّ القول منّي لأملئنّ جهنّم من الجنّة والنّاس أجمعين ، وهذا المحتوم لوشاء غيّره ومحاه.

والموقوف مشروط فيكون كذا إن حصل كذا وإن لم يحصل كذا لكان كذا و كذا ، و الشّرط هوالسّبب و أما المانع فقد يكون في الغيب و الشّهادة ، و قد يكون في الغيب ولايكون في الشهادة ، لأنّه إذا وجد في الشهادة وجد في الغيب ولا يلزم العكس .

فاذا وجد المقتضي فان وجد المانع منه فان اعتدلا فهوالموقوف كما ذكر وإن رجّح أحدهما فالحكم له

فاذا وجد المقتضي و فقد المانع فان فقد في الغيب و الشّهادة حتم وجوده ، فان تمّت قوابله وجد ووصل إليهم علمه لأنّه ممّاشاء ، وإن انتظرت جازفي الحكمة الاخبار به فيخبربه على جهة الحتم ولابدّ أن يكون إلاّ أنّه قبل كونه في الصّفحة الثّانية من اللّوح ، و هذا عندهم عليهم السلام و منه ماكان و منه مايكون ، وإلى هذاالقسم أشاروا في أخبارهم أنّ عندنا ماكان ومايكون إلى يوم القيامة

و إن فقد المانع في الغيب خاصّة جاز في الحكمة الاخبار به فيخبر به من غيرحتم ، وهذا قد يكون وقد لايكون ، و الفائدة في الاخبار به مع أنّه سبحانه لا يكذّب نفسه ولايكذّب أنبيائه ورسله وحججه هي اظهار التّوحيد بالخلق والأمر والاستقلال بالملك وإرشاد الخلق إلى اعتقاد البداء ، لأنّه ماعبدالله شيء أفضل من البداء أى إثبات البداءلله تعالى ، و هذا يجوز للحجج الاخباربه لاعلى سبيل الحتم بل عليهم أن يعرفوا من لايعرفوا إنّ الله يفعل مايشآء و إنّه يمحو مايشاء و يثبت وعنده أمّ الكتاب

ولهذا قالوا عليهم السّلام مامعناه إذا أخبرناكم بأمر فكان كما قلنا فقولوا : صدق الله ورسوله ، وإن كان بخلاف ذلك فقولوا : صدق الله ورسوله توجروا مرّتين و ليس عليهم أن يعرفوا من لا يعرف هذا في خصوص الواقعة ، لأنّ ذلك

يوجب الشك في تصديقهم عند أكثر النّاس ، وقد يلزمهم من ذلك التقول على الله لانه سبحانه لم يأمر بذلك في كل واقعة ، وانكان قد يأمر بذلك كما في وعد موسى بين ثلاثين وأربعين في معرض التقرير والهداية والبيان وقد يلزم من البيان خلاف المقصود من الاخبار ، وهذا القسم قد يكون يوجد مانعة في الشهادة كالصدقة في دفع البلاء المبرم يعني الذي ابرم في الغيب لعدم المانع هناك والدّعاء في ردّ البلاء وقد ابرم ابراما كذلك ، وكبعض الأفعال بل وكلّ الطّاعات وتفصيل ذلك يطول .

الوجه الثالث

أن يحمل الأدلّة الحاصرة لعلم الغيب في الله سبحانه على الخمسة المذكورة في الآية ، والأدلّة المثبتة له على غيره تعالى على ماسوى الخمسة ويدل على هذا الجمع هذا الكلام لأمير المؤمنين عليه السلام الذي نحن في شرحه

ويدلّ عليه أيضاً ما في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي (ره) بعد ذكر الآية قال الصّادق عليه السلام : هذه الخمسة أشياء لم يطّلع عليها ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل وهي من صفات الله عزّ وجلّ

و من الخصال عن ابن الوليد عن الصّفار عن ابن هاشم عن عبدالرحمن بن حمّاد عن إبراهيم بن عبدالحميد عن أبي اُسامة عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال لي أبي : ألا اخبرك بخمسة لم يطلع الله عليها أحداً من خلقه ؟ قلت : بلى قال عليه السلام : إنّ الله عنده علم السّاعة ، الآية .

و من البصائر عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن سنان عن أبي الجارود عن الاصبغ ابن نباتة قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : إنّ لله علمين : علم استأثر به في غيبه فلم يطلع عليه نبيّاً من أنبيائه و لا ملكا من ملائكته وذلك قول الله تعالى إنّ الله عنده علم السّاعة وينزّل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأيّ أرض تموت ، وله علم قد اطلع عليه ملائكته فما اطلع عليه ملائكته فقد اطلع عليه محمّداً وآله ، وما اطلع عليه محمّداً وآله فقد اطلعني عليه بعلمه الكبير منّا والصّغير.

وبمعناها أخبار اخرمفيدة لتفرّدالله سبحانه بهذه الأمور الخمسة إلاّ أنّ هذا الجمع يشكل من وجهين :

احدهما أنّ أشياء كثيرة أخبروا عليهم السلام بأنّهم لا يعلمونها ، و ليست من هذه الخمسة .

وثانيهما أنّهم عليهم السلام كثيراً ما أخبروا بكثير من هذه الأمورالخمسة كماهو غيرخفيّ على من تتبّع الأخبار والآثار

منها إخبار أميرالمؤمنين بحمل الجارية التي اختصم فيها قومه وإعلامه بأنّ الجنين في بطنها علقة وزنها سبعماة و خمسون درهما ودانقان ، فوجدوها كما قال عليه السلام حتى قال أبوها أشهد أنّك تعلم ما في الأرحام والضمائر ، وأنت بابالدّين وعموده في قصّة بيتالطست المعروفة

ومنها إخباره بوقت قتله ومقتله وقاتله وكذلك الحسين عليه السلام

و منها إخبارهم بآجال النّاس مثل ما في الكافي عن أحمد بن مهران عن محمّد بن عليّ عن سيف بن عميرة عن إسحاق بن عمّار قال : سمعت العبد الصّالح ينعى إلىالرّجل نفسه ، فقلت فينفسي : وإنّه ليعلم متى يموت الرّجل من شيعته فالتفت إليّ شبه المغضب وقال : يا اسحاق قد كان رشيد الهجرى يعلم علم المنايا والبلايا و الامام أولى بعلم ذلك ، ثمّ قال : يا اسحاق اصنع ماأنت صانع فانّ عمرك قد فنا وانّك تموت إلىسنتين وإخوتك وأهل بيتك لايلبثون إلاّ يسيراً حتّىيتفرّق كلمتهم ويخون بعضهم بعضاًحتّىيشمت بهم عدوّهم ، فكان هذا فينفسك ، فقلت فانّي استغفرالله ممّا عرض في صدري ، فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلاّيسيراً حتى مات ، فما أتى عليهم إلاّ قليل حتّى قام بنوعمّار بأموال النّاس فافلسوا

وفيه عن إسحاق قال حدّثني محمّد بن الحسن بن شمّون قال حدّثني أحمد بن محمّد قال كتبت إلى أبي محمّد عليه السلام حين أخذ المهتدي في قتل الموالى : يا سيّدي الحمدلله الذي شغله عنّا ، فقد بلغني أنّه يهدّدك ويقول والله لاجلينّهم عن جديد

الأرض فوقّع أبو محمد بخطه عليه السلام : ذاك أقصر لعمره ، عد من يومك هذا خمسة أيّام ويقتل في اليوم السّادس بعد هوان واستخفاف يمرّ به، فكان كما قال عليه السلام

و في العيون عن سعد بن سعد عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام أنّه نظر إلى رجل فقال له ياعبدالله أوص بما تريد و استعدّ لما لابدّ منه فكان فمات بعد ذلك بثلاثه أيّام .

وفي الاحتجاج فيما خرج من التّوقيع إلى أبي الحسن السّمرى رابع الوكلاء الأربعة : بسم الله الرّحمن الرحيم يا عليّ بن محمد السّمري أعظم الله أجر إخوانك فيك ، فانّك ميّت ما بينك وبين ستّة أيام ، فاجمع أمرك و لا توص إلى أحد يقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التّامة ، فلا ظهور إلاّ بعد إذن الله تعالى ذكره وذلك بعد طول الأمد وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً ، وسيأتي من شيعتي من يدّعى المشاهدة ، ألا فمن ادّعى المشاهدة قبل خروج السّفياني و الصّيحة فهو كاذب مفترى و لا حول و لاقوّة إلاّ بالله العليّ العظيم . فنسخوا هذا التّوقيع وخرجوا من عنده فلمّا كان اليوم السّادس عادوا إليه وهو يجود بنفسه ، فقال له بعض النّاس : من وصيّك بعدك، فقال: لله أمرهو بالغه وقضى ' فهذا آخر كلام سمع منه رضى الله عنه وأرضاه ، هذا .

والاخبار الدّالّة على علمهم (١) عليهم السلام بالمنايا والبلايا والانساب ، و بعلمهم بأنّهم متى يموتون ، و بعلمهم بما في الأرحام ، وبمايصيبون ويكتسبون ، و بنزول المطر فوق حدّ الاحصاء متجاوزة عن حدّ الاستقصاء

روى أبو بصير عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال : إنّ الامام لو لم يعلم مايصيبه وإلى مايصير فليس ذلك بحجّة الله على خلقه

وإذا عرفت ذلك فأقول : ويمكن التفصّى عن هذين الاشكالين

اما عن الاول فيحمل مااخبروا بأنّهم لايعلمونه على أنهم عليهم السلام لايعلمونه

---

(١) يعنى علمهم بامور المعدودة فى الآية الشريفة أعنى قوله: إن الله عنده علم الساعة و ينزّل الغيث الآية م

من تلقاء أنفسهم على ماتقدّم تفصيلا في أوّل وجوه الجمع .

و أما عن الثاني فبما في المجلد السّابع من البحار قال (ره) بعد ما عقد باباً على أنّ الأئمة عليهم السلام لايعلمون الغيب وأورد الآيات والأخبار الدالّة لذلك :

تذكرة

قد عرفت مراراً أنّ نفى علم الغيب عنهم معناه أنّهم لايعلمون ذلك من أنفسهم بغير تعليمه تعالي بوحى أو إلهام وإلاّ فظاهر أنّ عمدة معجزات الأنبياء والأوصياء عليهم السّلام من هذا القبيل و أحد وجوه إعجاز القرآن أيضاً اشتماله على الاخبار بالمغيبات ونحن نعلم أيضاً كثيراً من المغيبات باخبار الله تعالى ورسوله والأئمة صلوات الله عليهم كالقيامة وأحوالها والجنّة والنّار والرجعة و قيام القائم ونزول عيسى عليه السلام وغير ذلك من أشراط السّاعة والكرسي والملائكة

وأمّا الخمسة التي وردت في الآية فتحتمل وجوهاً

الأوّل أن يكون المراد أنّ تلك الأمور لايعلمها على التعيين والخصوص إلاّ الله تعالى ، فانّهم إذا أخبروا بموت شخص في اليوم الفلاني فيمكن أن لا يعلموا خصوص الدقيقة التي تفارق الرّوح الجسد فيها مثلا ، ويحتمل أن يكون ملك الموت لا يعلم ذلك .

الثاني أن يكون العلم الحتمى بها مختصّاً به تعالى و كلّ ما أخبر الله به من ذلك محتمل للبداء

الثالث أن يكون المراد عدم علم غيره تعالى إلاّ من قبله فيكون كسائر الغيوب ، ويكون التخصيص بها لظهور الأمر فيها أولغيره

أقول : ويؤيّد ذلك مارواه سدير قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : إنّ أبي مرض مرضاً شديداً حتّى خفنا عليه ، فبكى بعض أهله عند رأسه ، فنظر إليه فقال عليه السلام إنّي لست بميّت من وجعى هذا إنّه أتاني اثنان فأخبرانى أنّي لست بميّت من وجعي هذا قال : فبرء و مكث ماشاء الله أن يمكث فبينما هوصحيح ليس

به بأس قال عليه السلام : يابنيّ إنّ الذين أتياني من وجعي ذاك أتياني فأخبراني أنّي ميّت يوم كذا و كذا ، قال : فمات في ذلك اليوم.

الرّابع ما أومأنا إليه سابقاً ، وهو أنّ الله تعالى لم يطّلع على تلك الأُمور كلّيّة أحداً من الخلق على وجه لابداء فيه ، بل يرسل علمها على وجه الحتم في زمان قريب من حصولها ، كليلة القدر أو أقرب من هذا ، و هذا وجه قريب تدلّ عليه أخبار كثيرة ، إذ لابدّ من علم ملك الموت بخصوص الوقت كما ورد في الأخبار وكذا ملائكة السّحاب والمطر بوقت نزول المطر ، وكذا المدبّرات من الملائكة بأوقات وقوع الحوادث ، هذا

و قد أطنبنا الكلام في هذا المقام لكونه من مزالّ الأقدام ، وقد أتينا فيه ما يقتضيه التأمّل و يسوق إليه النّظر والتدبّر في أخبار الأئمة عليهم السّلام ، و الأمر بعد ذلك موكول إليهم ، فانّ أهل البيت أدرى بمافيه و سرّ الحبيب مع الحبيب ليس قلم يحكيه ، وما التوفيق إلاّ بالله ، والحمدلله على ذلك

الترجمة

بعض ديگر از اين خطبه است ، واشاره ميفرمايد بآن بسوى وصف تركان وبيان حال ايشان

گويا من مى‌بينم ايشانرا گروهى گويا روهاى ايشان سپرهائيست كه پوست برپوست دوخته شده باشند دراستداره وغلظت درحالتيكه مى‌پوشند جامهاى حرير وديبا ، وجنيه مى كشند اسبهاى خوب ونجيب ، وباشد درآن مكان شدت قتل و قتال تا اينكه راه ميرود مرد زخم دار برمرد كشته شده ، و باشد نجات يابنده كمتر از اسير و دستگير .

پس گفت مرآن حضرت را بعض أصحاب او: هرآينه بتحقيق عطا شدۀ يا أميرالمؤمنين علم غيب را ، پس تبسّم فرمود آن حضرت و فرمود بآن مرد و بود او ازقبيلۀ كلب

أی برادر کلب نیست آن چه که خبر دادم من از آن علم غیب ، وجزازاین نیست که آن آموختنی است ازصاحب علم یعنی حضرت رسالتمآب صلى الله عليه وآله ، وغیراز این است که علم غیب علم بوقت قیامت است و بآنچه که خداوند تبارك و تعالی تعداد فرمود آنرا با کلام معجز نظام خود که فرموده : إنّ الله عنده علم السّاعة و ینزّل الغیث و یعلم ما في الأرحام تا آخر آیه، یعنی بدرستی خداوند عالم درنزد اوست علم قیامت ،وفرو میفرستد باران را ، و میداند آن چه که در رحم مادران است ، پس میداند حقتعالی آنچه که در رحمها است از مذکّر یا مؤنّث و زشت یاخوب وصاحب سخاوت وبخیل وصاحب شقاوت یا سعادت را ، وآنکسی را که باشد درآتش دوزخ سوزان ، ودربهشت عنبر سرشت رفیق پیغمبران ، پس این است علم غیب که نمیداند اورا هیچکس جز خدا وآنچه که غیراز این است پس علمی‌است که تعلیم‌فرموده آنرا خداوند متعال بپیغمبر خود ، پس‌تعلیم فرمود پیغمبرسلام‌الله علیه بمن‌آنرا ، ودعا کرده درحقّ من باینکه نگهدارد آن علمرا سینهٔ من ، وضبط کند آنرا قلب من ، والله أعلم بالصّواب .

و من خطبة له عليه السلام فی ذکر المکائیل و الموازین وهی المأة والتاسعة و العشرون من المختار فی باب الخطب

عِبادَاللهِ إِنَّكُمْ وَما تَأْمَلُونَ مِنْ هٰذِهِ الدُّنياأَثْوِ ياءُمُؤَجَّلُونَ،وَمَدِينُونَ مُقْتَضُونَ ، أَجَلٌ مَنْقُوصٌ ، وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ ، فَرُبَّ دائِبٍ مُضَيَّعٍ ، وَرُبَّ كادِحٍ خاسِرٍ ، وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ في زَمَنٍ لاَ يَزْدادُ الْخَيْرُ فيهِ إِلاّ إِدْباراً ، وَالشَّرُّ فيهِ إِلاّ إِقْبالاً ، وَالشَّيْطانُ في هَلاكِ النّاسِ إِلاّ طَمَعاً ، فَهٰذا أَوانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ ، اِضْرِبْ

بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النّاسِ ، فَهَلْ تُبصِرُ إلاّ فَقيراً يُكابِدُ فَقْراً ، أَوْ غَنِيّاً بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْراً ، أَوْ بَخِيلاً اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْراً ، أَوْ مُتَمَرِّداً كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَواعِظِ وَقْراً ، أَيْنَ خِيارُكُمْ وَصُلَحائُكُمْ وَأَحْرارُكُمْ وَسُمَحائُكُمْ ، وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ في مَكاسِبِهِمْ ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ في مَذاهِبِهِمْ ؟ أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَميعاً عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَ الْعاجِلَةِ الْمُنَغَّصَةِ ، وَهَلْ خُلِّفْتُمْ إلاّ في حُثالَةٍ لا تَلْتَقي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتانِ اسْتِصْغاراً لِقَدْرِهِمْ ، وَذِهاباً عَنْ ذِكْرِهِمْ ، فَإِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، ظَهَرَ الْفَسادُ فَلا مُنْكِرٌ مُتَغَيِّرٌ ، وَلا زاجِرٌ مُزْدَجِرٌ ، أَفَبِهٰذا تُريدُونَ أَنْ تُجاوِرُوا اللهَ في دارِ قُدْسِهِ ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيائِهِ عِنْدَهُ ، هَيْهاتَ لا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ ، وَلا تُنالُ مَرْضاتُهُ إِلاّ بِطاعَتِهِ ، لَعَنَ اللهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التّارِكِينَ لَهُ ، وَالنّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعامِلِينَ بِهِ .

اللغة

(المكائيل) جمع المكيال وهومايكال به الطعام كالكيل والمكيل والمكيلة و (أثوياء) جمع ثوى كأغنياء وغنيّ وهو الضّيف والأسير والمجاور بأحدالحرمين من ثوى المكان وبه يثوى ثواء أطال الاقامة به و (دنت) الرّجل أقرضته وهومدين ومديون ودنت أيضاً استقرضت وصار عليّ دين فأناداين يعدّى ولايعدّى و (مقتضون) جمع مقتضى كمرتضون جمع مرتضى و (مضيّع) يروى بالتّشديد و التخفيف و (زادالله خيراً) وزيدة ، فزاد وازداد و (الفرس) القتل والفريس القتيل وفرس الأسد فريسته دقّ عنقها ، و الأسد فرّاس وفارس ومفترس وفروس و (المنغّصة)

بتشديد الغين و تخفيفها و كسرها وفتحها و (الحثالة) السّاقط الرّدى من كلّ شيء (فلا منكر متغيّر) كلاهما بصيغة المفعول والأوّل من باب الأفعال والثاني من باب التفعيل و في بعض النّسخ كلاهما بصيغة الفاعل إلاّ أنّ الأوّل من باب الافعال والثّاني من باب التفعيل مغيّر بدل متغيّر

الاعراب

أجل وعمل خبر ان محذوف المبتداء ، و قوله : أين خياركم ، استفهام على سبيل التّحسر و التحزّن ، و قوله : أليس قد ظعنوا ، استفهام على سبيل الابطال و الانكار أو التّقرير لما بعد النّفى ، و قوله :أفبهذا ، استفهام على سبيل التوبيخ و التّقريع .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة كما ذكره السّيد خطبها في ذكر المكائيل والموازين قال الشّارح المعتزلي : ولست أرى في هذه الخطبة ذكراً للمكائيل والموازين الّتي أشار إليه الرّضي (ره) اللّهم إلاّ أن يكون قوله : و اين المتورّعون فى مكاسبهم ، أو قوله ظهر الفساد ، ودلالتهما على المكائيل والموازين بعيدة انتهى

و قد يقال إنّ ذلك ابتناء على ما هودأب السّيد (ره) وعادته في الكتاب من التقطيع والالتقاط ، فلعلّه أسقط ما اشتمل على ذكر الموازين والمكائيل ، و لايبعد أن يكون ذكر عنده تطفيف النّاس في المكائيل و الموازين و اشتهار ذلك بينهم فخطب بهذه الخطبة نهياً لهم عن ذلك المنكر على سبيل الاجمال ووبّخهم على فعلهم بقوله أين المتورّعون ونحو ذلك ، فالمراد بقوله : في ذكر المكائيل : عند ذكرها وفي وقته لا أنّها مذكورة في الخطبة صريحاً

و كيف كان فقد نبّه عليه السلام أوّلا على فناء الدّنيا وزوالها وزهادة قدرها إزعاجا للمخاطبين عن الركون إليها و الاعتماد عليها والشّغف بها فقال : (عباد الله إنّكم و ماتأملون من هذه الدّنيا أثوياء مؤجّلون) أى أنتم ما ترجونه من هذه الدّنيا الدّنيّة من البقاء و التّعيش فيها بمنزلة أضياف منزلين في منزل مقترين إلى أجل

معلوم ووقت معدود (ومدينون مقتضون) أي ما أوتيتم فيها من زبرجها و زخارفها مطالبون بها و محاسبون عليها كالمديون المطالب بدينه ، وقيل استعار لفظ المدين لهم باعتبار وجوب التكاليف المطلوبة منهم وليس بشيء.

(أجل منقوص وعمل محفوظ) أي آجالكم منقوصة بمضيّ اللّيالي و الأيّام وانقضاء الشهور والسّنين ، وأعمالكم محفوظة بأيدي الكرام الكاتبين .

ثمّ أشار عليه السلام إلى عدم جواز الاغترار بالأعمال والابتهاج بها بقوله : (فربّ دائب مضيّع و ربّ كادح خاسر) يعني كم من مجدّ في العبادة متعب نفسه في الاتيان بها مضيّع لها بما يلحقها من العجب والرّياء ونحو ذلك ممّا يبطلها ويضيّعها ، كابطاله صدقاته بالمنّ و الأذى ، و كم من ساع خاسر وهم الأخسرون أعمالاً الّذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا و هم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا ، الّذين يأتون بالطاعات فاقدة لشرايطها المعتبرة في القبول كطاعة الخوارج والنّواصب و الغلاة و من يحذو حذوهم .

(و قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلاّ إدباراً و الشرّ إلاّ إقبالا) لغلبة اتّباع الهوى والنكوب عن سمت الرشاد والهدى (والشيطان في هلاك النّاس إلاّ طمعاً) لأنّه بعد ماضعف جانب الحقّ وقوى جانب الباطل فهنالك يطمع إبليس في اغواء النّاس وإهلاكهم ويستولى على أوليائه (فهذا أوان قويت عدّته) استعارة للشّرور والمفاسد الّتي هي زاد الشيطان وذخيرته (وعمّت مكيدته) للناس إلاّ الّذين سبقت لهم من الله الحسنى (وأمكنت فريسته) أي أمكنته فريسته من نفسها حتّى سهل عليه افتراسها ، وهى استعارة لأهل الضّلال باعتبار هلاكهم في يده واستيلائه عليهم وتمكّنه من إغوائهم وإضلالهم

ثمّ شرح عليه السلام أنواع الشّرور الّتي لاتزيد إلاّ إقبالا بقوله : (اضرب بطرفك) أي أمعن النّظر (حيث شئت من النّاس فهل تبصر إلاّ فقيراً يكابد فقراً) أي يتحمّل مشاقته و يقاسي مرارته ومتاعبه ، وهو إشارة إلى استكراه الفقير لفقره واستنكافه منه ، ولاشكّ أنّ ذلك محبط لأجره واضع لقدره

و لذلك قال عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله الرّضا من قلوبكم تظفروا بثواب فقركم .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام إنّ لله عقوبات ومثوبات بالفقر ، فمن علامة الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن إليه خلقه ويطيع ربّه ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره و من علامته إن يكون عقوبة أن يسوء إليه خلقه و يعصى ربّه و يكثر الشّكاية ويتسخّط القضاء

(أوغنيّاً بدّل نعمة الله كفراً) لأنّ الانسان ليطغى أن رآه استغنى فيلهيه غناه عن ذكر الله تعالى كما قال سبحانه : ألهيكم التّكاثر ، و قال :إنّما أموالكم و أولادكم فتنة .

بيان ذلك أنّ ذكر الله سبحانه وشكره والثناء عليه والتفكّر في جلاله يستدعى قلباً فارغا ، والغنىّ لا فراغ له ، وإنّما يصبح ويمسى وهو متفكّر في إصلاح ماله ، مصروف الحواسّ إلى حفظه

قال عيسى عليه السلام : في المال ثلاث آفات :أن يأخذه من غير حلّه، فقيل: إن أخذه من حلّه،فقال: يضعه في غير حقّه،فقيل: إن وضعه في حقّه،فقال : يشغله إصلاحه عن الله تعالى

وفي إحياء العلوم عن النّبيّ صلّى الله عليه وآله قال : سيأتي بعدكم قوم يأكلون أطائب الدّنيا وألوانها ، ويركبون فره الخيل وألوانها ، وينكحون أجمل النّساء وألوانها ويلبسون أجمل الثّياب وألوانها ، لهم بطون من القليل لا تشبع ، وأنفس بالكثير لا تقنع ، عاكفين على الدّنيا ، يغدون و يروحون اليها ، اتخذوها آلهة من دون إلههم ، وربّا دون ربّهم ، إلى أمرها ينتهون ، ولهواهم يتّبعون ، فعزيمة من محمّد بن عبدالله لمن أدرك ذلك الزّمان من عقب عقبكم وخلف خلفكم أن لا يسلّم عليهم ولا يعود مرضاهم ، ولا يتّبع جنائزهم ، ولا يوقّر كبيرهم ، فمن فعل ذلك فقد أعان على هدم الاسلام

(أو بخيلا اتّخذ البخل بحقّ الله وفراً) أى ثروة و كثرة في المال ، ولمّا كان البخيل هو الذي لا يطيب قلبه بالعطاء و هذا على اطلاقه ليس حراماً و لا من

أفراد الشرّ الذي أشار عليه السلام إلى اقباله و ازدياده ولاجرم خصّه بالبخيل في عرف الشرع و هو الّذي يمنع من أداء الواجب عليه ، و البخل في غير الواجب مكروه مذموم وفاعله ملوم ، وفي الواجب موجب للعقاب والعتاب مبعّد لفاعله من حظيرة القدس وحضرة ربّ الأرباب كما قال الله سبحانه : ولاتحسبنّ الّذين يبخلون بما آتيهم الله من فضله هوخيرلهم بل هوشرّ لهم سيطوّقون مابخلوا به يوم القيامة .

(أو متمرّداً كان بأذنه عن سمع المواعظ) والنّصايح (وقراً) وثقلا فلهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم قلوب لايفقهون بها ، ولهم آذان لايسمعون بها ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم

ثمّ تحسّر و تأسّف على فوت الخيار و موت الصلحاء الأخيار فقال (أين خياركم و صلحائكم و أحراركم و سمحائكم) أى أخياركم و أسخيائكم (و أين المتورّعون في مكاسبهم) المراقبون لشرايط التجارات و المواظبون لرسوم المعاملات الآخذون بوظائف العدل والانصاف ، والمجانبون عن التطفيف والبخس والاعتساف (والمتنزّهون في مذاهبهم) أى المتباعدون عن الأخذ بالمقاييس والارادة الفاسدة وبالاستحسانات العقليّة والعقايد الكاسدة (أليس قد ظعنوا) وارتحلوا (جميعا عن هذه الدّنيا الدّنيّة و العاجلة المنغّصة) المكدّرة فلم يبق منهم من تأخذون منه مكارم الآداب والأخلاق ، وترجعون إليه في صالح الأعمال والأفعال لعلّكم تقتبسون آثارهم وتتّبعون أفعالهم

ثمّ نبّه على حقارة الباقين ورذالتهم فقال (وهل خلفتم إلاّ في حثالة لا تلتقى بذمّهم الشفتان) أى مابقيتم إلاّ في أوغاد النّاس وأراذلهم وطغاتهم وحمقائهم يأنف الانسان أن يذمّهم ولايطبق إحدى الشّفتين منه على الأخرى ليتكلّم فيهم (استصغاراً لقدرهم وذهابا) أى ترفّعا (عن ذكرهم) واحتقاراً لهم (فانّا لله وإنّا إليه راجعون) من اصابة هذه المصائب وابتلاء تلك البليّة ، فانّ المبتلى والمصاب إنّمايسترجع إذا وقع في بليّة أو ابتلى بمصيبة (ظهرالفساد) في النّاس بارتفاع المعروف واشتهار المنكر (فلا منكرمتغيّر) أى لايتغيّر فعل منكر لعدم وجود المغيّر والمنكر

أولعدم تأثير انكاره لعدم تاثّره في نفسه عن قبيح فعله ، ويؤيّده مافي بعض النّسخ من قوله فلا منكر مغيّر بدله أى ليس منكر يغيّر سوء فعله (ولازاجر مزدجر) عن قبيح عمله فيكون القرينة الثّانية تفسيراً للأولى ، والمقصود أنّه لاينتهى النّاهى عن المنكر عمّا ينهى عنه ، ولا زاجر يزدجر ويتّعظ

(أفبهذا) الحال (تريدون أن تجاوروا الله في دارقدسه) و تسكنوا جنّته (وتكونوا أعزّ أوليائه عنده) وتلقوا النّضرة والسّرور ، وتنزلوا الغرف والقصور و تشربوا الشّراب الطهور و تلبسوا الدّيباج والحرير ، و تزوّجوا بالحورالعين ، وتخدموا الولدان المخلّدين (هيهات لايخدع الله عن جنّته و لا تنال مرضاته إلاّ بطاعته) لأنّ الخديعة إنّماتجوزعلى من لايعلم السرّ دون من هوعالم بالسّروأخفى يعلم ما في السّموات و مافي الأرض و ما بينهما و ما تحت الثّرى ، فالطّمع في نزول الجنان و الدّرجات ونيل الرّضوان و المرضاة ليس إلاّ من اغترار الأنفس وأماني إبليس ، فلا يغرّنكم الحيوة الدّنيا ولايغرّنكم بالله الغرور

(لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له ، والنّاهين عن المنكرالعاملين به) لأنّ الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر إنّما هوبعد الاتيان بالأوّل و الانتهاء عن الثاني ، قال الله تعالى :ياأيّها الذين آمنوالم تقولون مالا تفعلون كبرمقتاعندالله أن تقولوا مالا تفعلون ، وقد مضى أخبار كثيرة في هذا المعنى فى شرح الفصل الثاني من فصول الخطبة المأة والرّابعة

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام مبين و سيّد وصيّين است در ذكر پيمانها وترازوها

بندگان خدا بدرستى كه شما وآنچه اميد ميداريد بآن دراين دنيا مهمانانيد مهلت داده شده تا مدّت معيّن ، وقرض دارانيد طلبكارى شده أجل شما أجلى است نقصان يافته ، وعمل شما عملى است نگهداشته شده ، پس بسا جهد كنندۀ در عبادت كه ضايع كنندۀ اوست ، وبساسعي كنندۀ كه زيان كاراست ، وبتحقيق صباح كرديد

درزمانیکه زیاده نمی‌شود نیکوئی در آن مگر إدبار او ، ونه بدی مگر إقبال آن ، ونه شیطان لعین درهلاك مردمان مگرطمع او ، پس این زمان زمانی است که قوّت یافته ذخیرهٔ مهیا شدهٔ آن لعین ، وفرا گرفته است کید ومکر او غالب خلق را ، ودست داده است شکار او

بگردان نظرخودرا هرجا که میخواهی ازمردمان ، پس نمی‌بینی مگرفقیر که می کشد رنج و تعب فقر را ، یا غنیّ که بدل نموده نعمت خدارا بکفران ، یا بخیلی که أخذ نموده بخل بحقّ خدا را از کثرت مال ، یا گردنکشی که گویا در گوش اوازشنیدن موعظها سنگینی و گره است ، کجایند أخیار شما وصالحین شما وآزادمردان شما وسخیان شما ؟ وکجایند کسانیکه پرهیزکار بودند در کسبهای خودشان ، ودوروی می‌جستند ازشبه‌باطله درمذهبهای خودشان؟ آیا رحلت نکردند همگی ایشان از این دنیای پست وبی‌مقدار ، و ازاین شتاب کنندهٔ کدورت آمیز واپس گذاشته نشده‌اید مگر درپست وبد مردمان که بهم نمی‌آید بمذمت ایشان لبها بجهت حقیر شمردن قدر ایشان ، وبجهت اظهار رفعت ازذکر ایشان

پس بدرستی که مابندگانیم خداوند تعالی‌را وبتحقیق که مابسوی اورجوع خواهیم کرد ، ظاهر گردید فساد درمیان عباد ، پس نیست انکار کنندهٔ معاصی تغیر دهنده عمل قبیح خودرا ، ونه منع کنندهٔ ازقبایح باز دارندهٔ خود از معصیت ، آیا پس باین حال میخواهید مجاور باشید خدارا در سرای پاکیزهٔ او ، و بشوید عزیزترین دوستان اودرنزد او ، چه دوراست این آرزو ، فریب داده نمیشود خدای متعال ازبهشت خود ، ودرك نمیشود خوشنودی اومگر بطاعت او ، لعنت کند خدا امر بمعروف کنندگانی که ترك کننده آن‌معروف باشند ، ونهی کنندگان ازمنکر که عمل کننده باشند بآن منکر .

و من كلام له عليه السلام لابى ذر (ره) لما اخرج الى الربذة و هو المأة و الثلاثون من المختار فى باب الخطب.

وهومروى فى روضة الكافى بتفصيل تطلع عليه انشاءالله

يا أباذَرٍّ إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلّهِ سُبْحانَهُ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ، إِنَّ الْقَوْمَ خافُوكَ عَلى دُنْياهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلى دِينِكَ، فَاتْرُكْ في أَيْدِيهِمْ ما خافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ مِنْهُمْ بِما خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ، فَما أَحْوَجَهُمْ إِلى ما مَنَعْتَهُمْ، وَأَغْناكَ عَمّا مَنَعُوكَ، وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرّابِحُ غَداً، وَالْأَكْثَرُ حُسَّداً، وَلَوْ أَنَّ السَّمٰواتِ وَالْأَرَضِينَ كانَتا عَلى عَبْدٍ رَتْقاً ثُمَّ اتَّقَى اللّهَ لَجَعَلَ اللّهُ لَهُ مِنْهُما مَخْرَجاً، لا يُونِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ، وَلا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْباطِلُ، فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْياهُمْ لَأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْها لَأَمِنُوكَ.

اللغة

قال الطريحى (الرّبذة) بالتّحريك قرية معروفة قرب المدينة نحواً من ثلاثة أميال كانت عامرة في صدر الاسلام فيها قبر أبي ذر الغفارى وجماعة من الصّحابة وهى في هذا الوقت دارسة لايعرف لها أثر ولا رسم و (الرّتق) ضدّ الفتق قال الله تعالى: أولم يرالّذين كفروا أنّ السّموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما، ورتقت المرأة رتقا من باب تعب إذا انسدّ مدخل الذّكر من فرجها فلا يستطاع جماعها فهى رتقاء واسع (القرض) القطع و منه الحديث كان بني إسرائيل إذا أصاب أحداً قطرة من بول قرضوا لحومهم بالمقاريض أي قطعوها، وسمّى القرض المصطلح وهو ماتعطيه لتقضاه بـه لأنّـه قطيعة من مالك (الأمن) ضدّ الخوف وأمن كفرح أمناً وأمانا بفتحهما.

الاعراب

قد مضى تحقيق الكلام فيما في مثل قوله فما أحوجهم في شرح الخطبة المأة و الثّامنة ، وما في مامنعتهم يحتمل المصدر والموصول فالعايد محذوف ومثله على الاحتمال الثاني مافي عمّا منعوك ، فافهم

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام حسبما أشار إليه السيّد (ره) قاله لأبي ذرّ لما أُخرج إلى الرّبذة بأمر عثمان اللّعين ، و ستعلم نبأه بعد حين (يا أباذر إنّك غضبت) القوم (لله سبحانه فارج من غضبت له) و إنّما أتى بالموصول ولم يقل فارج الله لما فيه من تقرير الغرض المسوق له الكلام ، فانّ المقصود بهذا الكلام تسلية همّ أبي ذرّ رحمه الله وسلب وحشته و كآبته ، فانّه إذا كان غضبه لله سبحانه و في الله سبحانه خالصاً مخلصاً فلابدّ أن يكون رجاه بالله وحريّ حينئذ عليه سبحانه الذي كان غضبه له أن لا يخيّب رجاه و لا يقطع أمله بل يكون مونسه في الوحشة و أنيسه في الوحدة ، و ناصره ومعينه و حافظه على كلّ حالة ، ففي التّعبير بالموصول زيادة تقرير لعدم تخيّب رجاه ، وفيه من التّسلية له مالا يخفى

(إنّ القوم) أراد به عثمان ومعاوية وأمثالهما (خافوك على دنياهم و خفتهم على دينك) يعني أنّهم خافوا منك أن تفسد دنياهم كما أنّك خفت أن تفسدوا دينك (فاترك في أيديهم ما خافوك عليه واهرب منهم بما خفتهم عليه فما أحوجهم إلى ما منعتهم) أيما أعظم احتياجهم إلى منعك إيّاهم لأنّك إنّما تمنعهم من المنكرات وفي هذا المنع لهم من الفوائد مالا تحصى وفي تركه من المضارّ ما لا تستقصى ، أو ما أكثر حاجتهم إلى الذي منعته منهم بخروجك من بين أظهرهم وهو دينك الذي خفتهم عليه (و) ما (أغناك عمّا منعوك) أي ما أكثر غنائك عن الّذي منعوك منه وهو دنياهم الّتي خافوك عليها (وستعلم من الرّابح غداً) أي في الآخرة (والأكثر حسّداً)

ثمّ أراد زيادة ترغيبه في الثّقة و الاعتماد على الله سبحانه فقال (ولو أنّ

السّموات و الأرضين كانتا على عبد رتقا) أى مرتقين منسدّين وهو كناية عن شدّة الضّيق أى لوكان العبد في غاية الشدّة و نهاية الضّنك و الضيق بحيث ضاقت عليه السّموات والأرض بما رحبت (ثمّ اتقى الله) سبحانه (لجعل الله له منهما مخرجا) حسبما وعده في الكتاب العزيز بقوله : و من يتّق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لايحتسب ومن يتوكّل على الله فهوحسبه .

(لا يونسنّك إلاّ الحقّ و لا يوحشنّك إلاّ الباطل فلوقبلت دنياهم) و لم تمنعهم من زبرجها وزخارفها وقيناتها (لأحبّوك ولو قرضت منها) و قطعت قطيعة لنفسك من مالها و قبلت ما يعطونك منها إليك (لأمنوك) أى كنت في أمن من شرورهم ، ولم يصل إليك أذاهم

تنبيه

فى ذكر نبذ من أحوال أبىذر و فضائله و كيفية اسلامه و اخراجه الى الربذة

فأقول : أبوذر اسمه جندب (١) ابن السّكن كما قاله الطريحى ، أو جندب ابن جنادة كما قاله المجلسيّ وهوالأشهر فسمّاه رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عبدالله ، وهومن بني غفار وزان كتاب

أمّا كيفيّة اسلامه ففى الروضة من الكافي عن أبي عليّ الأشعريّ عن محمّد ابن عبدالجبّار عن عبدالله بن محمّد عن سلمة اللّؤلؤى عن رجل عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ألا أُخبركم كيف كان إسلام سلمان وأبي ذر ؟ فقال الرّجل وأخطأ : أمّا إسلام سلمان فقد عرفته فأخبرني باسلام أبي ذر ، فقال : إنّ أباذر كان في بطن مرّ يرعى غنماً فأتى ذئب عن يمين غنمه فهشّ (٢) بعصاه على الذئب فجاء الذّئب عن شماله فهشّ عليه أبوذر فقال له أبوذر ما رأيت ذئبا أخبث منك ولا شرّاً ، فقال الذّئب : والله شرّ منّي أهل مكّة بعث الله عزّوجلّ نبيّاً فكذّبوه و شتموه ، فوقع في أُذن

(١) جندب وزان درهم كما فى القاموس

(٢) اى صال م

أبي ذرفقال لامرءته هلمّي مزودي وإداوتي وعصاي ، ثمّ خرج على رجليه يريد مكّة ليعلم خبر الذئب و ماأتاه به حتى بلغ مكّة ، فدخلها في ساعة حارّة وقد تعب ونصب وأتازمزم وقد عطش فاغترف دلواً فخرج لبناً ، فقال في نفسه : هذا دالّة يدلّني على أنّ خبر الذئب وما جئت له حقّ فشرب وجاء إلى جانب من جوانب المسجد فاذا حلقة من قريش فجلس إليهم فرآهم يشتمون النبيّ ﷺ كما قال الذئب ، فما زالوا في ذلك من ذكر النبيّ والشتم له حتى جاء أبوطالب من آخر النهار ، فلمارأوه قال بعضهم لبعض : كفّوا فقد جاء عمّه ، قال : فكفّوا ، فما زال يحدّثهم ويكلّمهم حتى كان آخر النهار ، ثمّ قام وقمت على اثره فالتفت إليّ فقال : اذكرحاجتك ، فقلت هذا النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : وما تصنع به ؟ قلت : اؤمن به و اُصدّقه وأعرض عليه نفسى ولا يأمرني بشيء إلاّ أطعته ، فقال : وتفعل ؟ فقلت : نعم ، قال: فقال : غداً في هذا الوقت إليّ حتى أدفعك إليه ، قال : فبتّ تلك اللّيلة في المسجد حتى إذا كان الغد جلست معهم ، فمازالوا في ذكر النبيّ وشتمه حتّى طلع أبوطالب فلما رأوه قال بعضهم لبعض امسكوا فقد جاء عمّه فأمسكوا فمازال يحدّثهم حتى قام فتبعته فسلّمت عليه فقال : اذكرحاجتك ، فقلت : النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : و ما تصنع به ؟ قلت : اؤمن به واُصدّقه وأعرض عليه نفسى ولا يأمرنى بشيء إلاّ أطعته قال : وتفعل ؟ قلت : نعم ، قال : قم معى ، فتبعته فدفعني إلى بيت فيه حمزة عليه السلام فسلّمت عليه و جلست فقال لي : ما حاجتك ؟ فقلت : هذا النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : وماحاجتك إليه ؟ قلت : اؤمن به واُصدّقه وأعرض عليه نفسى ولايأمرني بشيء إلاّ أطعته ، فقال : تشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله ، قال : فشهدت قال : فدفعني حمزة إلى بيت فيه جعفر فسلّمت عليه وجلست ، فقال لي جعفر : ماحاجتك ؟ فقلت : هذا النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : وماحاجتك إليه ؟ قلت : اُؤمن به واُصدّقه و أعرض عليه نفسي و لا يأمرني بشيء إلاّ أطعته ، فقال : تشهد أن لاإله إلاّ الله وحده لاشريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله ، قال : فشهدت ، فدفعني إلى بيت فيه علي عليه السلام فسلّمت و جلست فقال : ما حاجتك ؟ قلت : هذا النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : و ما

حاجتك إليه ؟ قلت : اُومن به و اُصدّقه و أعرض عليه نفسي، و لايأمرني بشيء إلاّ أطعته ، قال : تشهد أن لاإله إلاّالله و أنّ محمّداً رسول الله ، قال : فشهدت فدفعني إلى بيت فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسلّمتُ وجلست فقال لي رسول الله : ما حاجتك ؟ قلت : النبيّ المبعوث فيكم ؟ قال : وما حاجتك إليه ؟ قلت : اُؤمن به واُصدّقه و لايأمرني بشيء إلاّأطعته ، فقال : تشهدأن لا إله إلاّالله وأنّ محمّداً رسول الله ، فقلت : أشهد أن لاإله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال لي : ياباذر انطلق إلى أهلك فانّك تجد ابن عمّ لك قد مات و ليس له وارث غيرك ، فخذ ما له وأقم عند اُهلك حتّى يظهرأمرنا ، قال : فرجع أبوذر وأخذ وأقام عند أهله حتّى ظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال أبوعبدالله عليه السلام : هذا حديث أبيذر وإسلامه «رض»

وأما مناقبه الجميلة وخصاله الحميدة وكراماته البديعة

فأكثر من أن تحصى ، وكفى في فضله اختصاصه برسول الله و كونه من خيارصحابته وتالي مرتبة سلمان وأنّه ارتدّ النّاس بعد رسول الله إلى أعقابهم القهقرى ولم يبق غيرهما و غير عمّار والمقداد وقد قال فيه رسول الله ما أقلّت الغبراء و لا أظلّت الخضراء على ذى لهجة أصدق من أبيذر ، قيل بماذا فضّله الله بهذا وشرّفه ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :لأنّه كان بفضل عليّ أخي رسول الله قوّالا ، وله في كلّ الأحوال مدّاحا ، ولشانئه و أعدائه شانئا ، ولأوليائه و أحبّائه مواليا ، سوف يجعله الله في الجنان من أفضل سكانها ، يخدمه ما لايعرف عدده إلاّ الله من وصايفها و غلمانها و ولدانها .

وعن عليّ بن إبراهيم عن الصّادق عليه السلام قال : نزل قوله تعالى : إنّ الذين آمنوا و عملوا الصالحات كانت لهم جنّات الفردوس نزلا ، في أبيذر و المقداد و سلمان وعمّار .

و في الكافي عن سهل عن محمّد بن عبدالحميد عن يونس عن شعيب العقرقوفي

قال : قلت لأبي عبدالله عليه السلام شيء يروى عن أبي ذر رضي الله عنه أنّه كان يقول ثلاث يبغضها النّاس وأنا أحبّها : أُحبّ الموت ، وأُحبّ الفقر ، وأُحبّ البلاء ، فقال : إنّ هذا ليس على ما تروون إنّما عنى الموت في طاعة الله أحبّ إليّ من الحياة في معصية الله والبلاء في طاعة الله أحبّ إليّ من الصحّة في معصية الله ، والفقر في طاعة الله أحبّ إليّ من الغنى في معصية الله

وفي تفسير الامام عند تفسير قوله : الّذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصّلاة ، قال : وحدّثني أبي عن أبيه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم كان من خيار أصحابه أبوذر الغفاري فجاء ذات يوم فقال : يا رسول الله إنّ لي غنيمات قدر ستّين شاة أكره أن ابدئه فيها وأُفارق حضرتك وخدمتك ، وأكره أن أكلها إلى راع فيظلمها ويسيء رعيها ، فكيف أصنع ؟ فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ابدء فيها فبدء فيها ، فلمّا كان في اليوم السّابع جاء إلى رسول الله فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : يا أباذرّ ، فقال لبّيك يا رسول الله ، قال : ما فعلت غنيماتك ؟ فقال: يارسول الله إن لها قصّة عجيبة ، قال : وماهي ؟ قال يارسول الله بينا أنا في صلاتي إذ عدا الذّئب على غنمي فقلت : يا ربّ صلاتي يا ربّ غنمي فآثرت صلاتي فأحضر الشيطان ببالي يا أباذر أين أنت إن عدت الذّئاب على غنمك وأنت تصلّي فأكلها كلّها وما بقي لك في الدّنيا ماتتعيّش به ؟ فقلت للشيطان: يبقى لي توحيد الله والايمان بمحمّد رسول الله صلّى الله عليه وآله وموالاة أخيه سيّد الخلق بعده علي ابن أبيطالب عليه السلام وموالاة الأئمة الهادين الطّاهرين من ولده عليهم السلام ومعاداة أعدائهم وكلّما فات من الدّنيا بعد ذلك سهل وأقبلت على صلاتي ، فجاء ذئب فأخذ حملا وذهب به وأنا أحسّ به إذ أقبل على الذّئب أسد قطعه نصفين واستنقذ الحمل وردّه إلى القطيع ثمّ نادى يا أباذر اقبل على صلاتك فانّ الله قد وكلني بغنمك إلى أن تصلّي، فأقبلت على صلاتي وقد غشيني التّعجب مالا يعلمه إلاّ الله تعالى حتّى فرغت منها ،فجائني الأسد وقال لي امض إلى محمّد فأخبره إنّ الله تعالى قد أكرم صاحبك الحافظ شريعتك ووكل أسداً بغنمه يحفظها ، فتعجّب من كان حول رسول الله صلّى الله عليه وآله فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله صدقت ياأباذر ولقد آمنت به أنا وعليّ وفاطمة والحسن والحسين ، فقال بعض المنافقين:

هذا بمواطاة بين محمد وأبي ذر يريد أن يخدعنا بغروره واتفق منهم عشرون رجلا وقالوا نذهب إلى غنمه فننظر إليها وننظر إلى أبي ذر إذا صلّى هل يأتى الأسد ويحفظ غنمه فنبيّن بذلك كذبه ، فذهبوا و نظروا وأبوذر قائم يصلّى والأسد يطوف حول غنمه و يرعيها و يردّ إلى القطيع مايشذّ عنه منها جتى إذا فرغ من صلاته ناداه الأسد هات قطيعك مسلّما وافرا لعدونسالما ، ثمّ ناداهم الأسد معاشر المنافقين أنكرتم تولّى محمّد و عليّ و الطّيبين من آلهما و المتوسّل إلى الله تعالى بهما أن يسخّرني ربى لحفظ غنمه ، و الّذي أكرم محمداً و آله الطيّبين ، لقد جعلنى الله طوع يدى أبي ذر حتّى لوأمرني بافتراسكم وإهلاككم لأهلككم، والّذى لايحلف بأعظم منه لوسئل الله بمحمّد وآله الطّيبين أن يحول البحار دهن زنبق وبان والجبل مسكاً وعنبراً وكافوراً وقضبان الأشجار قضب الزّمرد والزّبرجد لمامنعه الله ذلك ، فلمّا جاء أبوذر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال : يا أباذر إنّك أحسنت طاعة الله فسخّر الله لك من يطيعك في كفّ العوادي عنك ، فأنت من أفضل من مدحه الله عزّ وجلّ بأنّهم يقيمون الصّلاة

وأما كيفية اخراجه الى الربذة وماجرى بينه وبين عثمان

فقد رواه العامّة و الخاصّة قال الشّارح المعتزلى وعلم الهدى في محكيّ الشافي واللّفظ للثّاني : إنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم ما أعطاه و أعطى الحرث بن الحكم بن أبي العاص ثلاثمأة ألف درهم ، و أعطى زيد بن ثابت مأة ألف درهم جعل أبوذر يقول : بشّر الكافرين بعذاب أليم ، ويتلوقول الله عزّ وجلّ الذين يكنزون الذّهب و الفضّة و لا ينفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذاب أليم ، فرفع ذلك مروان إلى عثمان،فأرسل إلى أبي ذر رحمه الله نائلا مولاه أن انته عمّا يبلغني عنك ، فقال: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله عزّ وجلّ وعيب من ترك أمر الله فوالله لأن أرضى الله بسخط عثمان أحبّ إليّ وخير لي من أن أرضى عثمان بسخط الله ، فأغضب عثمان ذلك فأحفظه وتصابر،وقال عثمان يوماً: أيجوز للامام أن يأخذ من المال فاذا أيسر قضاه ؟ فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك ، فقال أبوذر رحمه الله : يابن اليهوديّين أتعلّمنا ديننا ؟ فقال عثمان : قد كثر أذاك لي و تولعك بأصحابي الحق بالشّام ،

فأخرجه اليها ، فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها ، فبعث إليه معاوية ثلاثمأة دينار فقال أبوذر : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا قبلتها ، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها وردّها عليه ، وبنى معاوية الخضراء بدمشق فقال أبوذر : يا معاوية إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة ، وإن كانت من مالك فهو الاسراف ، فكان أبوذر يقول : والله لقد حدثت أعمالا ما أعرفها والله ماهي في كتاب الله ولا في سنّة نبيّه ، والله إنّي لأرى حقّا يطفأ وباطلاً يحيى وصادقاً مكذّباً واثرة بغير تقى وصالحا مستأثراً عليه

وقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : إنّ أباذر لمعضد عليكم الشام فتدارك أهله إن كان لكم فيه حاجة ، فكتب معاوية إلى عثمان فيه ، فكتب عثمان إلى معاوية أما بعد فاحمل جنيدبا إليّ على أغلظ مركب وأوعره ، فوجّه به مع من سار به اللّيل والنّهار ، و حمله على شارف ليس عليها إلاّ قتب حتّى قدم بالمدينة وقد سقط لحم فخذيه من الجهد .

أقول : وعن المسعودي في مروج الذّهب أنّه ردّ الى المدينة على بعير عليه قتب يابس معه خمسمأة من الصّقالية يطردون به حتّى أتوا به المدينة وقد تسلّخت بواطن أفخاذه و كاد يتلف ، فقيل له : إنّك تموت ، قال : هيهات لن أموت حتّى اُنفى

قال السيّد (١) ره وفي رواية الواقدي إنّ أباذر لما دخل على عثمان قال : لا أنعم الله بك عينا ياجنيدب ، فقال أبوذر رحمه الله : أنا جندب و سمّاني رسول الله عبدالله فاخترت اسم رسول الله الذي سمّاني به على اسمي ، فقال عثمان : أنت الذي تزعم أنّا نقول إنّ يدالله مغلولة وإنّ الله فقير ونحن أغنياء ؟ فقال أبوذر : لو كنتم لاتزعمون لأنفقتم مال الله على عباده ، ولكن اشهد أنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : إذا بلغ ابن أبي العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا ، وعبادالله خولا (٢) ، ودين الله دخلاً ثمّ يريح عبادالله منهم ، فقال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول الله ؟

---

(١) أي علم الهدى م

(٢) أي عبيدا وخدما يستعبدونهم ويستخدمونهم ، منه

فقالوا: ماسمعناه ، فقال عثمان: ويلك ياأباذر أتكذب على رسول‌الله؟ فقال أبوذرلمن حضر: أماتظنّون أني صدقت؟ قالوا : لاوالله ماندرى ، فقال‌عثمان: ادعوالى‌علياً فدعي فلمّا جاء قال عثمان لأبي‌ذر : اقصص عليه حديثك في بني أبي‌العاص ، فحدّثه ، فقال عثمان لعليّ : هل سمعت هذا من رسول الله ؟ فقال : لا وصدق أبوذر ، فقال : كيف عرفت صدقه؟ فقال: لأنّي سمعت رسول‌الله صلى الله عليه وآله يقول : ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على‌ذي لهجة أصدق من أبي‌ذر ، فقال من حضر (١) من أصحاب النبيّ جميعاً : لقد صدق أبوذر ، فقال أبوذر : اُحدّثكم أنّي سمعت هذا من رسول الله ثمّ تتّهموني ما كنت أظنّ أن أعيش حتّى أسمع من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله .

قال السيّد (ره) : و روى الواقدي في خبر آخر باسناده عن صهبان مولى الأسلميّين قال : رأيت أباذر يوماً دخل به على عثمان فقال له : أنت الذي فعلت وفعلت ؟ فقال له أبوذر : قد نصحتك فاستغششتني ونصحت صاحبك فاستغشّني ، فقال عثمان : كذبت ولكنّك تريدالفتنة وتحبّها قد قلبت الشّام علينا ، فقال له أبوذر : اتّبع سنّة صاحبيك لايكون لأحد عليك كلام ، فقال‌له عثمان : ما لك و ذلك لا اُمّ لك ، فقال أبوذر والله ما وجدت لي‌عذراً إلاّ الأمر بالمعروف والنّهي عن‌المنكر ، فغضب عثمان فقال : أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب إمّا أن أضربه أو أحبسه أو أقتله فانّه قد فرّق جماعة المسلمين أو أنفيه من الأرض ، فتكلّم عليّ عليه السلام وكان حاضراً فقال : أشيرعليك بماقال مؤمن آل فرعون‌قال : إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض‌الّذي يعدكم‌إنّ الله لايهدى من هومسرف كذّاب فأجابه‌عثمان بجواب غليظ لم اُحبّ أن أذكره وأجابه عليّ عليه السلام بمثله

أقول هذا الجواب‌الذي‌لم‌يحبّ ذكره هوقوله‌لعنه‌الله : بفيك‌التّراب ، فأجابه عليه السلام بقوله : بل بفيك التّراب كمايأتي في رواية تقريب‌المعارف

قال الواقدي : ثمّ إنّ عثمان حظرعلى النّاس أن يقاعدوا أباذر و يكلّموه ، فمكث كذلك أيّاماً ثمّ أمرأن يؤتى به ، فلمّا أتى‌به ووقف بين يديه قال : ويحك يا عثمان أما رأيت رسول الله ورأيت أبابكروعمرهل رأيت هديك هديهم إنّك‌لتبطش

(١) « أما هذا فسمعناه كلّنا من رسول‌الله خ »

في بطش جبّار ، فقال : اخرج عنّا من بلادنا ، فقال أبوذر : فما أبغض إليّ جوارك فالى أين أخرج ؟ قال : حيث شئت ، قال : فأخرج إلى الشّام أرض الجهاد ، فقال : إنما أجلبتك من الشّام لما قد أفسدتها أفأردّك إليها ؟ قال : إذا أخرج إلى العراق قال : لا ، قال : ولم ؟ قال : تقدم على قوم أهل شبهة وطعن على الأئمة ، قال: فأخرج إلى مصر ، قال : لا ، قال : فالى أين أخرج قال:حيث شئت فقال هو إذا التعرّب بعد الهجرة أخرج إلى نجد ، قال عثمان : الشّرف الشّرف الابعد أقصى فأقصى ، فقال أبوذر : قدأبيت ذلك عليّ ، قال : امض على وجهك هذا ولاتعودنّ الرّبذة

و في البحار من تقريب المعارف لأبي الصّلاح عن الثّقفي في تاريخه عن عبدالملك ابن أخى أبي‌ذر قال : كتب معاويـة إلى عثمان : إنّ أباذر قد حرّف قلوب أهل الشّام وبغّضك إليهم فما يستفتون غيره و لا يقضى بينهم إلاّ هو ، فكتب عثمان إلى معاوية أن احمل أباذر على ناب صعب وقتب ثمّ ابعث معه من يبخش به بخشا (١) عنيفا حتّى يقدم به عليّ ، قال : فحمله معاوية على ناقة صعبة عليها قتب ما على القتب إلاّ مسح ثمّ بعث معه من يسيره سيراً عنيفاًوخرجت معه فمالبث الشّيخ إلاّ قليلا حتّى سقط مايلى القتب من لحم فخذيه وقرح ، فكنت إذا كان اللّيل أخذت ملائى فالقيتهما تحته فاذا كان السّحر نزعتهما مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك حتّى قدمنا المدينة ، وبلغ عثمان مالقى أبوذر من الوجع والجهد فحجبه جمعة وجمعة حتّى مضت عشرون ليلة أو نحوها وأفاق أبوذر ثمّ أرسل اليه وهو معتمد على يدي فدخلنا عليه وهو متّكى ، فاستوى قاعداً فلمّا دنى أبوذر منه قال عثمان :

لا أنعم الله بعمرو عينا تحيّة السّخط إذا التقينا

فقال له أبوذر : فوالله ماسمّاني الله عمراً و لا سمّاني أبواى عمراً و إنّى على العهد الذي فارقت عليه رسول الله صلى الله عليه وآله ما غيّرت ولا بدّلت ، فقال له عثمان : كذبت لقد كذبت على نبيّنا وطعنت في ديننا وفارقت رأينا وضغنت قلوب المسلمين علينا ، ثمّ قال لبعض غلمانـه : ادع لي قريشاً ، فانطلق رسوله فما لبثنا أن امتلاء البيت من

(١) البخش بالجيم الاسراع وبالخاء المعجمة الحثّ والسوق الشديد والتحريك للايذاء ، منه

رجال قريش ، فقال لهم عثمان إنّا أرسلنا إليكم في هذا الشّيخ الكذّاب الذي كذب على نبيّنا و طعن في ديننا وضغن قلوب المسلمين علينا ، وإنّي قد رأيت أن أقتله أو أصلبه أو أنفيه من الأرض ، فقال بعضهم : رأينا لرأيك تبع ، وقال بعضهم : لاتفعل فانّه صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وله حقّ فما منهم أحد أدّى الذي عليه فبيناهم كذلك إذا جاء عليّ بن أبيطالب يتوكّأ على عصا سرّاً ، فسلّم عليه ونظر ولم يجد مقعداً فاعتمد على عصاه فما أدري أتخلّف عهد أم يظنّ به غير ذلك ، ثمّ قال عليّ فيما أرسلتم إلينا ؟ قال عثمان : أرسلنا إليكم في أمر قد فرّق لنا فيه الرّأي فأجمع رأينا ورأى المسلمين فيه على أمر ، قال عليّ عليه السلام : ولله الحمد أما أنّكم لو أشرتمونا لم نألكم نصيحة ، فقال عثمان : إنّا أرسلنا إليكم في هذا الشيخ الذي قد كذب على نبيّنا وطعن في ديننا وخالف رأينا وضغن قلوب المسلمين علينا، وقد رأينا أن نقتله أو نصلبه أو ننفيه من الأرض، قال عليّ عليه السلام أفلا أدلّكم على خير من ذلكم وأقرب رشداً تتركونه بمنزلة آل فرعون «إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إنّ الله لايهدى من هو مسرف كذّاب» فقال عثمان لعنه الله: بفيك التّراب ، فقال له عليّ عليه السلام بل بفيك التراب ، وسيكون به فأمر بالنّاس فأُخرجوا

و في تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي في قوله تعالى : و إذ أخذنا ميثاقكم لاتسفكون دمائكم الآية ، أنّها نزلت في أبي ذر رحمه الله وعثمان بن عفّان ، و كان سبب ذلك لمّا أمر عثمان بن عفّان بنفى أباذر إلى الرّبذة ، دخل عليه أبوذر و كان عليلاً متوكّئا على عصاه وبين يدي عثمان مأة ألف درهم قد حملت إليه من بعض النّواحى وأصحابه حوله ينظرون إليه ويطمعون أن يقسّمها فيهم ، فقال أبوذر لعثمان : ماهذا المال ؟ فقال له عثمان : مأة ألف درهم حملت إليّ من بعض النواحي أُريد أن أضمّ إليها مثله وأرى فيه رأيى ، فقال أبوذر : ياعثمان أيّما أكثر مأة ألف درهم أو أربعة دنانير ؟ فقال : بل مأة ألف درهم ، فقال : أما تذكر أنا وأنت وقد دخلنا على رسول الله عشيّا فرأيناه كئيباً حزيناً فسلّمنا عليه فلم يردّ علينا السّلام ، فلمّا أصبحنا أتيناه فرأيناه ضاحكا مستبشراً فقلنا له : بآبائنا وامّهاتنا دخلنا عليك البارحة فرأيناك

كئيباً حزيناً ، ثمّ عدنا إليك اليوم فرأيناك ضاحكاً مستبشراً ، فقال عليه السلام : نعم كان قد بقي عندي من فيء المسلمين أربعة دنانير لم أكن قسّمتها وخفت أن يدركني الموت وهي عندي وقد قسّمتها اليوم واسترحت منها ، فنظر عثمان إلى كعب الأخبار فقال له : ياأباإسحاق ماتقول في رجل أدّى زكاة ماله المفروضة هل يجب عليه فيما بعد ذلك شيء ؟ فقال : لا ولواتّخذ لبنة من ذهب ولبنة من فضّة ماوجب عليه شيء ، فرفع أبوذر عصاه وضرب به رأس كعب ثمّ قال له : يابن اليهوديّة الكافرة ماأنت والنّظر في أحكام المسلمين قول‌الله أصدق من قولك حيث قال :

« اَلّذينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَها في سَبيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أليمٍ يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوى بِها جِباهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هذا ما كَنَزْتُمْ لِأنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ » .

فقال عثمان : ياأباذر إنّك شيخ قد خرفت وذهب عقلك ولولا صحبتك لرسول الله لقتلتك ، فقال : كذبت يا عثمان أخبرني حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال : إنّهم لايفتنونك ولايقتلونك وأمّا عقلي فقد بقي منه ما أحفظ حديثاً سمعته من رسول‌الله صلى الله عليه وآله فيك وفي قومك ، فقال : ما سمعت فيّ وفي قومي ؟ قال : سمعته يقول : إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلا صيّروا مال‌الله دولا ، و كتاب الله دخلا ، وعباده خولا والفاسقين حزباً و الصّالحين حرباً ، فقال عثمان : يا معشر أصحاب محمّد هل سمع أحد منكم هذا من رسول‌الله ؟ قالوا : لا ماسمعنا هذا من رسول الله ، فقال عثمان : ادع لي عليّاً فجآء أمير المؤمنين عليه السلام فقال‌له عثمان : يا أباالحسن انظر مايقول هذا الشّيخ الكذّاب ، فقال عليه السلام : مه ياعثمان لاتقل كذّاب فانّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : ما أظلّت الخضراء و لا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي‌ذرّ فقال

أصحاب رسول الله : صدق أبوذرفقد سمعناهذا من رسول الله ، فبكى أبوذر عند ذلك فقال : ويلكم كلّكم قد مدّ عنقه إلى هذا المال ظننتم أنّني أكذب على رسول الله ، ثمّ نظر إليهم فقال : من خير كم ؟ فقالوا أنت تقول إنّك خير ناقال : نعم خلفت حبيبي رسول الله على هذه الجبّة وهوعليّ بعد وأنتم قد أحدثتم أحداثاً كثيرة والله سائلكم عن ذلك ولا يسألني ، فقال عثمان : ياأباذر أسألك بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلّا ماأخبرتني عن شيء أسألك عنه، فقال أبوذر: والله لولم تسألني بحقّ رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً لأخبرتك فقال : أيّ البلاد أحبّ إليك أن تكون فيها ؟ قال : مكّة حرم الله وحرم رسوله أعبدالله فيها حتّى يأتيني الموت ، فقال : لا ولا كرامة ، قال: المدينة حرم رسول الله قال : لاولا كرامة لك ، قال : فسكت أبوذر ، فقال عثمان : أيّ البلاد أبغض إليك أن تكون فيها ؟ قال : الرّبذة التى كنت فيها على غير دين الاسلام ، فقال عثمان : سر إليها ، قال أبوذر : قد سألتني فصدقتك وأناأسألك فاصدقنى ، قال : نعم فقال: أخبرني لو بعثتني فيمن بعثت من أصحابك إلى المشركين فأسروني فقالوا لانفديه إلّا بثلث ماتملك ، قال : كنت أفديك ، قال : فان قالوا لا نفديه إلّا بنصف ما تملك ، قال : كنت أفديك ، قال فان قالوا لا نفديه إلّا بكلّ ماتملك قال كنت أفديك ، قال أبوذر رحمه الله : الله أكبر قال لي حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوماً : يا أباذر كيف أنت إذا قيل لك : أيّ البلاد أحبّ اليك فتقول : مكّة حرم الله وحرم رسوله أعبدالله فيها حتى يأتيني الموت ، فيقال لك لا ولا كرامة لك ، فتقول : فالمدينة حرم رسول الله ، فيقال لك لا و لا كرامة لك ثمّ يقال لك أيّ البلاد أبغض اليك أن تكون فيها ، فتقول : الرّبذة الّتي كنت فيها على غيردين الاسلام ، فيقال لك سر اليها ، فقلت : إنّ هذا لكائن يارسول الله ؟ فقال: إى والذي نفسى بيده إنّه لكائن فقلت : يارسول الله أفلا أضع سيفي هذا على عاتقى فأضرب به قدما قدماً ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا، اسمع واسكت ولولعبد حبشيّ وقد أنزل الله تعالى فيك وفي عثمان آية ، فقلت : وماهي يارسول الله فقال : قوله تبارك وتعالى : « وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دمائكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثمّ أقررتم وأنتم تشهدون ثمّ أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون

فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم أسارى تفادوهم وهو محرّم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الاّ خزى في الحيوة الدّنيا ويوم القيامة يردّون إلى أشدّ العذاب وما الله بغافل عمّا تعملون »

وفي الرّوضة من الكافي عن سهل عن محمّد بن الحسن عن محمّد بن حفص التميمي قال حدّثني أبو جعفر الخثعمي قال :

لمّا سيّر عثمان أباذرّ إلى الرّبذة شيّعه أمير المؤمنين وعقيل والحسن والحسين عليهم السلام وعمّار بن ياسر رضي الله عنه ، فلمّا كان عند الوداع قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أباذر إنّما غضبت لله عزّ وجلّ فارج من غضبت له إنّ القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فارحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء ، لو كانت السّماوات والأرض على عبد رتقا ثم اتّقى الله جعل له مخرجا ، لا يؤنسنّك إلاّ الحقّ ولا يوحشنّك إلاّ الباطل

ثمّ تكلّم عقيل وقال : ياأباذر أنت تعلم أنّا نحبّك ونحن نعلم أنّك تحبّنا وأنت قد حفظت فينا ماضيّع النّاس إلاّ القليل ، فثوابك على الله عزّ وجلّ ، ولذلك أخرجك المخرجون وسيّرك المسيّرون ، فثوابك على الله عزّ وجلّ فاتّق الله واعلم أنّ استعفاؤك البلاء من الجزع واستبطاؤك العافية من الأياس فدع الأياس والجزع فقل : حسبي الله ونعم الوكيل .

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام وقال : يا عمّاه إنّ القوم قد أتوا إليك ما قد ترى وأنّ الله بالمنظر الأعلى ، فدع عنك ذكر الدّنيا بذكر فراقها ، وشدّة ما يرد عليك لرخاء مابعدها ، واصبر حتّى تلقى نبيّك صلّى الله عليه وآله وهو عنك راض إن شاء الله.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال : ياعمّاه إنّ الله تبارك وتعالى قادر أن يغيّر ماترى وهو كلّ يوم في شأن ، القوم منعوك دنياهم ومنعتهم دينك فما أغناك عمّا منعوك وأحوجهم إلى مامنعتهم فعليك بالصّبر ، وإنّ الخير في الصّبر والصّبر من الكرم ودع الجزع فانّ الجزع لايغنيك

ثمّ تكلّم عمّار رضي الله عنه فقال : ياأباذرّ أوحش الله من أوحشك وأخاف من أخافك ، إنّه والله مامنع النّاس أن يقولوا الحقّ إلاّ الرّكون إلى الدّنيا والحبّ لها ، ألا إنّما الطاعة على الجماعة والملك لمن غلب عليه ، وإنّ هؤلاء القوم دعوا النّاس إلى دنياهم فأجابوهم إليها و وهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين .

ثمّ تكلّم أبوذر رحمه الله فقال : عليكم السّلام ورحمة الله وبركاته بأبي وأمّي هذه الوجوه ، فانّي إذا رأيتكم ذكرت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكم ومالى بالمدينة شجن ولاسكن غيركم و إنّه ثقل على عثمان جوارى بالمدينة كما ثقل على معاوية فآلى أن يسيّرني إلى بلدة وطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة ، فزعم أنّه يخاف أن أفسد على أخيه النّاس بالكوفة و آلى بالله ليسيّرنى إلى بلدة لا أرى بها أنيسا ولا أسمع بها حسيساً وإنّى والله ماأُريد إلاّ الله عزّ وجلّ صاحبا ومالى مع الله وحشة حسبى الله لا إله إلاّ هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين

و في البحار عن المسعودى في مروج الذّهب بعد أن أورد كيفيّة ردّ عثمان له رحمه الله إلى المدينة وساق الحديث إلى نفيه له منها قال :

فقال له عثمان : واروجهك عنّى قال : أسير إلى مكّة ، قال : لاوالله ، قال فإلى الشّام ، قال: لاوالله ، قال: فإلى البصرة قال: لاوالله فاختر غيرهذه البلدان ، قال لاوالله لا أختار غيرما ذكرت لك ولوتركتني في دارهجرتي ما أردت شيئاً من البلدان فسيّرني حيث شئت من البلاد ، قال إنّي أُسيّرك إلى الرّبذة ، قال : الله أكبر صدق رسول الله قد أخبرني بكلّ ما أنالاقٍ قال : و ما قال لك ؟ قال : أخبرني أنّي أُمنع من مكّة والمدينة وأموت بالرّبذة ويتولّى دفني نفر يريدون العراق إلى نحو الحجاز وبعث أبوذر إلى جمل فحمل عليه أمرأته وقيل ابنته ، وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الرّبذة

ولمّا طلع عن المدينة ومروان يسيّره عنها طلع عليّ بن ابيطالب عليه السلام ومعه الحسن و الحسين عليهما السلام و عقيل أخوه و عبدالله بن جعفر و عمّار بن ياسر فاعترض

مروان وقال : ياعلي إنّ أمير المؤمنين نهى الناس أن يمنحوا أباذر أويشيّعوه ، فان كنت لم تعلم بذلك فقد أعلمتك ، فحمل عليه السلام عليه بالسّوط وضرب بين أُذني ناقة مروان وقال تنح نحّاك الله إلى النّار ، ومضى مع أبي‌ذر فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف فلمّا أراد عليه السلام الانصراف بكى أبوذر و قال : رحمكم‌الله أهل البيت إذا رأيتك يا أباالحسن وولدك ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله.

فشكى مروان إلى عثمان ما فعل به علي عليه السلام ، فقال عثمان : يا معشر المسلمين من يعذرني من عليّ ردّ رسولي عمّا وجّهته له وفعل وفعل والله لنعطينّه حقّه ، فلمّا رجع عليّ عليه السلام استقبله النّاس وقالوا : إنّ أمير المؤمنين عليك غضبان لتشييعك أباذر ، فقال عليّ عليه السلام : غضب الخيل على اللّجم ، فلمّا كان بالعشيّ وجاء عثمان قال: ماحملك على ماصنعت بمروان ولم اجترأت عليّ ورددت رسولي وأمري ؟ فقال : أمّا مروان فاستقبلني بردّي فرددته عن ردّي ، وأما أمرك لم أردّه ، فقال: ألم يبلغك أنّي قد نهيت النّاس عن أبي‌ذرّ وتشييعه ؟ فقال عليّ عليه السلام أو كلّما أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحقّ في خلافه اتبعنا فيه أمرك لعمر الله ما نفعل ، فقال عثمان : أقد مروان ، قال: وممّ أقيد قال: ضربت بين أُذني راحلته وشتمته فهوشاتمك وضارب بين أُذني راحلتك،قال عليّ أمّا راحلتي فهي تلك فان أراد أن يضربها كما ضربت راحلته فعل ، وأمّا أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنّك بمثله لا كذب فيه ولاأقول إلاّ حقا،قال عثمان:ولم لايشتمك إذا شتمته فوالله ماأنت بأفضل عندي منه،فغضب عليّ عليه السلام وقال: لي تقول هذاالقول أمر وان يعدل بي فلا والله أنا أفضل منك، وأبي أفضل من أبيك وأُمّي أفضل من أُمّك وهذه نبلي قد نثلتها فانثل نبلك ، فغضب عثمان واحمرّ وجهه و قام و دخل،وانصرف عليّ فاجتمع إليه أهل بيته ورجال المهاجرين والأنصار

فلمّا كان من الغد واجتمع النّاس شكى إليهم عليّاً ، و قال إنّه يغشّني ويظاهر من يغشّني يريد بذلك أباذرّ و عمّاراً وغيرهما ، فدخل النّاس بينهما حتّى اصطلحا وقال عليّ :والله ما أردت بتشييعي أباذر إلاّ الله تعالى، هذا .

و قد روى الشّارح المعتزلي أكثر ما أوردناه من الأخبار في تلك القصّة

بطرق آخر نحو ما رويناه وهي كافية في الطعن على عثمـان والقدح فيه لأنّ أيذائـه لأبي ذر رحمه الله وإهانته به في حكم المعاداة لله ولرسوله ، وقد قال الله تعالى : من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، و شهادته على أبي ذرّ بالكذب بعد مـا سمع من أمير المؤمنين شهادة النّبيّ عليه بالصّدق و كونه أصدق النّاس لهجة تكون في الحقيقة راجعة إلى تكذيب رسول الله و ردّاً لقولـه ، وأعظم ذلك منازعته في تلك القضيّة مع أمير المؤمنين وإسائته الأدب في حقّه وهي كافية في وجوب طعنه ولعنه

والعجب أنّ الشّارح المعتزلي بعد ما أورد الأخبار الدّالة على إخراجه من المدينة بالاجبار اتبعه بقوله : واعلم أنّ أصحابنا قد رووا أخبـاراً كثيرة معناهـا أنّه أُخرج إلى الرّبذة باختياره « إلى أن قال » ونحن نقول : هذه الأخبار وإن كانت قد رويت لكنّها ليست في الاشتهار و الكثرة كتلك الأخبار و الوجه أن يقال في الاعتذار عن عثمان و حسن الظنّ بفعله أنّه خاف الفتنة و اختلاف كلمة المسلمين فيغلب على ظنّه أنّ إخراج أبي ذرّ (ره) إلى الرّبذة أحسم للشّغب وأقطع للأطماع من أن يشرئب إلى شقّ العصا ، فأخرجه مراعاة للمصلحة ، ومثل ذلك يجوز للامام هكذا يقول أصحابنا المعتزلة وهو الأليق بمكارم الأخلاق فقد قال الشّاعر :

إذا ما أتت من صاحب لك زلّة   فكن أنت محتالاً لزلّته عذراً

وإنّما يتأوّل أصحابنا حال من يحتمل حاله التّأويل كعثمان ، فأمّا من لا يحتمل حاله التّأويل و إن كانت له صحبة سالفة كمعاية و أضرابه فانّهم لا يتأوّلون لهم إذ كانت أفعالهم و أقوالهم لاوجه لتأويلها و لا يقبل العلاج ، والاصلاح انتهى كلامـه هبط مقامه .

اقول: أمّا ما حكاه عن أصحابه من روايتهم الأخبار الدّالـة على إخراجه بالاختيار، ففيه أنّ هذه الأخبار ممّا تفرّد بروايته أولياء عثمان المتعصّبون له دفعاً للعار و الشّنار عنه ، و هي لاتكافؤ أخبار الاجبار عدداً وسنداً و شهرة بين المؤالف و المخالف ، مضافاً إلى مافيها من مخايل الصّدق ودلائل الصّواب و الصّحة ، و هل تظنّ في حقّ مثل أبي ذر أو يحكم عقلك بأنّه ترك إقامة حرم الله وحرم رسول الله

ومجاورة قبره ومصاحبة أمير المؤمنين وآله المعصومين واختار المهاجرة إلى الفلاة و الأرض القفر بالطّوع والاختيار والرّغبة و الرّضاء كلاّ ثمّ كلاّ و كيف يرضى من له أدنى عقل و كياسة من المسلمين أن يموت في أرض اليهود و يكون فيها ويرجّحها على الدّفن في حرم الرّسول فضلا عن أبي ذرّ وأمثاله، إن هذا إلاّ مفترى .

و أمّا ما اعتذر به الشارح عنه ففيه أنّ حمل فعل المسلم على الصّحة إنما هو اذا لم يكن الغالب على حاله الفساد ، و أمّا اذا كان الغالب على حاله ذلك فلا ، وحال عثمان وسابقه في السّوء والفساد معلوم ، و كفى بذلك اغتصابهم الخلافة لأمير المؤمنين عليه السلام وتغييرهم شريعة سيّد المرسلين وإحراقهم باب بضعة خاتم النبيّين و جعلهم القرآن عضين ، و اعتياضهم الدّنيا بالدّين ، مضافة إلى مطاعنهم الدّثرة وفضائحهم الجمّة الّتي تقدّمت في مقامه وتأتي أيضاً

ومع ذلك فأىّ شيء أوجب حسن الظنّ بفعل عثمان حتّى تأوّل الأخبار الناصّة بسوء فعله .

ثمّ أقول : هب أنّ الدّاعي على إخراجه كان خوف الفتنة وشقّ العصا على زعمك ، ولكن أيّ شيء كان الدّاعي على حمله من الشّام إلى المدينة على جمل صعب ليس عليها إلاّ قتب يابس حتّى سقط لحم فخذيه من الجهد ، وما كان السّبب لهذه الأذيّة ؟

فان قلت : إنّ معاوية فعل ذلك في حقّه

قلت : عثمان كتب إلى معاوية بأن يحمله على أغلظ مركب وأوعره مع من ساربه اللّيل والنّهار .

وأما تفرقة الشّارح بين عثمان ومعاوية فهو أعجب ثمّ أعجب ، لأنّ كليهما من فروع الشّجرة الملعونة ، وكلّ منهما في مقام المحادّة و المعاداة و الظّلم لأمير المؤمنين و لعترة سيّد النّبيّين و لرؤساء الدّين ، فلايمكن إصلاح حالهما و علاج قبايح أعمالهما و فضائح أفعالهما بعد العين بالأثر و لابعد الدّراية بالخبر ، وسيعلم الّذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون .

الترجمة

ازجمله كلام آن بزرگوار است مر أبي‌ذر غفاري را درحینی که اخراج شد ازمدینهٔ طیّبه بسوی ربذه فرمود :

ای أبوذر بدرستی که توغضب کردی ازبرای رضای خدای تبارك وتعالی‌پس امیدوار باش بکسی که ازبرای اوغضب نمودی ، بدرستی که این قوم ترسیدند ازتو بردنیای خودشان وترسیدی تو ازایشان بردین‌خود ، پس ترك کن در دست ایشان آنچه را که ترسیدند از تو بر آن ، و بگریز ازایشان بآنچه که ترسیدی از ایشان براو ، پس چه بسیار احتیاج دارند بآنچه که منع کردی تو ایشانرا یعنی از دین خود ، وچه قدر بي‌نیازی تو ازآنچه که منع کردند تورا یعنی دنیایشان وزود باشد که بدانی که کیست صاحب ربح ومنفعت فردای‌قیامت وبیشترمردمان درحالتیکه حسد برند اورا .

واگر آسمانهاوزمینها باشندبربندهٔ بسته شده پس‌بپرهیزد آن بنده ازخدای تعالی هرآینه بگرداند پروردگارمتعال ازبرای آن بنده محلّ خروجی‌ازآنهایعنی أبواب‌فرج بروی اومفتوح میشود ، ونباید مونس‌بشود ترا مگرخدا ، نباید وحشت آورد ترا غیراز باطل ، پس اگرقبول کرده بودی دنیای ایشان را هرآینه دوست میداشتند ترا ، و اگر قطع کرده بودی و اخذ نمودی از دنیا یعني قبول هدایای ایشانرا میکردی هرآینه درأمان بودی ازشرّ ایشان .

و من كلام له عليه السلام و هو المأة والاحد و الثلاثون من المختار في باب الخطب .

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ، وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ ، الشَّاهِدَةُ أَبْدانُهُمْ ،

وَ الْغائِبَةُ عَنهُمْ عُقُولُهُمْ، أظأرُكُمْ عَلَى الحَقّ وَأَنتُمْ تَنفِرُونَ عَنهُ نُفُور الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الأسَدِ، هَيْهاتَ أنْ أطلِعَ بِكُمْ سِرارَ الْعَدْلِ، أوْ أُقِيمَ إعوِجاجَ الحَقّ، اللّهُمّ إنّكَ قَدْ تَعْلَمُ إنّهُ لَمْ يَكُنِ الّذي كانَ مِنّا مُنافَسَةً في سُلْطانٍ، وَلاَ الْتِماسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطامِ، وَلٰكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعالِمَ مِنْ دِينِكَ، وَ نُظْهِرَ الإصْلاحَ في بِلادِكَ، فَيَأمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبادِكَ وَ تُقامَ الْمُعَطّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ، اللّهُمّ إنّي أوّلُ مَنْ أنابَ، وَسَمِعَ وَأجابَ لَمْ يَسْبِقْني إلّا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِالصّلاةِ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أنّهُ لا يَنْبَغي أنْ يَكُونَ الْوالِي عَلَى الْفُرُوجِ وَ الدِّماءِ وَ الْمَغانِمِ وَ الأحْكامِ وَ إمامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْبَخِيلُ، فَتَكُونَ في أمْوالِهِمْ نَهْمَتُهُ، وَلاَ الْجاهِلُ فَيُضِلّهُمْ بِجَهْلِهِ، وَلاَ الْجافي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفائِهِ، وَلاَ الْحائِفُ لِلدّوَلِ، فَيَتّخِذَ قَوْماً دُونَ قَوْمٍ، وَلاَ الْمُرْتَشي في الْحُكْمِ، فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِها دُونَ الْمَقاطِعِ، وَلاَ الْمُعَطِّلُ لِلسُّنّةِ، فَيُهْلِكَ الأُمّةَ.

اللغة

(ظارت) النّاقة إذا عطفت على ولد غيرها وظأرتها أيضاً أى عطفتها يتعدّى ولا يتعدّي و (المعز) من الغنم خلاف الضّأن و هو اسم جنس و كذلك المعزى و (سرار) العدل قال الفيروزآبادي: السّرار كسحاب من الشّهر آخر ليلة كسراره و سرره و قال أيضاً: سرارة الوادى أفضل مواضعه كسرّته وسرّه و سراره، و قال

الكندري في محكيّ كلامه : سرار الشهر وسرره آخر ليلة منه ، والسّرار المسارة من السرّ وجمع سرر الكفّ والجبهة.

و (المنافسة) المغالبة في الشيء النّفيس و (الحطام) ما تكسّر من اليبس و (النّهمة) بلوغ الهمّة والشّهوة في الشيء وهومنهوم بكذا مولع به ، وروى نهمته محرّكة وهي إفراط الشّهوة في الطّعام و (الجفاء) خلاف البرّ و الصّلة و رجل جافي الخلق والخلقة أي غليظ منقبض و(الحائف) بالحاء المهملة من الحيف وهو الظلم والجور و (الدُّول) بضمّ الدّال المهملة جمع الدّولة اسم للمال المتداول به قال تعالى : كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم ، وروى الخائف للدّول بالخاء المعجمة وكسر الدّال جمع دولة بالفتح وهي الغلبة

الاعراب

الباء في قوله اطلع بكم إمّا تعدية أو سببيّة ، وسرار العدل إمّا منصوب على الظّرف أو مفعول به حسبما تعرف في بيان المعنى

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام توبيخ أصحابه وذمّهم على التّقصير في اتّباع الحق والاعراض عن متابعة الامام العدل ، وأشار الى بعض مناقبه المستلزمة لوجوب اتّباعه و عقّبه بالتّعريض على المنتحلين للخلافة الغاصبين لها فقال (أيّتها النّفوس المختلفة) الأهواء (و القلوب المتشتّتة) الآراء (١) و(أظأركم) وأعطفكم (على الحقّ وأنتم تنفرون عنه نفور المعزى من وعوعة الأسد) وصوته (هيهات أن اطلع بكم سرار العدل) أي بعد أن أظهر كم وأبيّن لكم ماخفى من العدل و استسرّ لتخاذلكم وتفرّق أهوائكم .

و قال الشّارح المعتزلي : يفسّره النّاس بمعنى هيهات ان اطلعكم مضيئين و منوّرين سرار العدل ، والسّرار آخر ليلة من الشهر وتكون مظلمة ويمكن أن يفسّر عندي على وجه آخر ، وهو أن يكون السّرار ههنا بمعنى السّرر وهي خطوط

---

(١) هكذا في النسخة المصحّحة ، والظاهر أنّ فيه سقطا «المصحّح»

مضيئة في الجبهة فيكون معنى كلامه عليه السلام هيهات أن تلمع بكم لوامع العدل وإشراق وجهه ، و يمكن فيه أيضاً وجه آخر و هو أن ينصب سرار على الظّرفية ويكون التقدير هيهات أن اطلع بكم الحق زمان استسرار العدل واستخفائه ، فيكون حذف المفعول وحذفه كثير، انتهى

وعن الكندري قال في محكيّ كلامه وسرار العدل أى في سرار فحذف حرف الجرّ ووصل الفعل ، وقيل أى هيهات أن اظهر بمعونتكم ماخفى واستسرّ من اقمار العدل وأنواره، انتهى

وهو أولى ممّا ذكره الشارح المعتزلي والأظهر ماذكرناه (أو أُقيم اعوجاج الحقّ) أي ما اعوجّ منه بسبب غلبة الضّلال والجهّال عليه .

ثمّ نبّه على برائة ساحته و تزكية نفسه في أمر الخلافة فقال (اللّهمّ انّك تعلم انّه لم يكن الذى كان) وقع (منّا) وهو الرّغبة في الخلافة أو الحروب أو الجميع (منافسة في سلطان) وحرصاً عليه (والتماس شيء من فضول الحطام) أى طلبا لشيء من زخارف الدّنيا وزينتها السّاقطة عن درجة الاعتبار الغير المحتاج إليها (ولكن لنردّ المعالم من دينك) أى الآثار الّتي يهتدى بها فيه (و نظهر الاصلاح في بلادك) ونرفع الفساد عنها (فيأمن المظلومون من عبادك وتقام المعطّلة من حدودك)

ولا يخفى مافي هذه الجمل من التّعريض على المتقدّمين المنتحلين للخلافة والاشارة إلى أنّ طلبهم لها إنّما كان تنافسا في الملك والسّلطنة ، ورغبة في القنيات الدّنيويّة ، وإلى أنّ أنوار الدّين في زمانهم قد انطمست ، وآثار الشّرع المبين قد اندرست ، وأنّه شاع الفساد في البلاد وغلب الجور والظّلم على العباد وتعطّل الحدود والأحكام وتغيّر الحلال والحرام .

ثمّ انّه لمّا بيّن أنّ طلبه للخلافة لم يكن للدّنيا أكّد هذا المعنى بقوله (اللّهمّ إنّي أوّل من أناب) ورجع إليك (وسمع) دعوة الرّسول صلّى الله عليه وآله (وأجاب) إليه (لم يسبقني إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وآله بالصّلاة) أمّا كون هذه الجملة تأكيداً لما سبق فلأنه إذا كان أوّل النّاس اسلاما مع عدم كون الاسلام معروفاً حينئذ متوقّعاً به الانتفاع في الدّنيا لابدّ وأن يكون إسلامه لله سبحانه وابتغاء لرضاه، ومن كان هذا حاله

في بداية أمره كيف يخطر ببال عاقل أنّه يطلب الدّنيا وحطامها ، و يجرّد عليها السّيف في آخر عمره .

و أمّا كونه عليه السلام أوّل من أناب وأجاب إلى الايمان والاسلام فهوالمتّفق عليه بين الشّيعة والمشهور بين الجمهور لم يخالف في ذلك إلاّ شرذمة منهم لايعتدّ بخلافهم وستعرف تفصيل ذلك في التنبيه الآتي.

وأمّا أنّه سبق النّاس بالصّلاة ولم يسبقه غيره فيدلّ على ذلك مارواه في المجلّد التّاسع من البحار من كتاب المناقب للشّيخ الفقيه رشيد الدّين أبي جعفر محمّد ابن عليّ بن شهر آشوب المازندراني تغمّده الله برحمته ، قال ماهذا لفظه :

أبوعبدالله المرزباني وأبونعيم الاصبهاني في كتابيهما فيما نزل من القرآن في عليّ عليه السلام والنطنزى في الخصائص عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس ، وروى أصحابنا عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : واركعوا مع الرّاكعين ، نزلت في رسول الله وعليّ بن أبي طالب وهما أوّل من صلّى وركع .

المرزباني عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : إنّ الذين آمنوا و عملوا الصّالحات اولئك أصحاب الجنّة هم فيها خالدون ، نزلت في عليّ خاصّة وهوأوّل مؤمن وأوّل مصلّ بعدالنّبيّ .

تفسير السّدي عن قتادة عن عطاء عن ابن عبّاس في قوله : إنّ ربّك يعلم أنّك تقوم أدنى من ثلثي اللّيل و نصفه وثلثه وطائفة من الّذين معك ، فأوّل من صلّى مع رسول الله عليّ بن أبيطالب .

تفسير القطان عن وكيع عن سفيان عن السّدي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى : يا أيّها المدثّر ، يعني محمّداً ادّثّر بثيابه ، قم فأنذر ، أى فصلّ ادع عليّ بن أبيطالب إلى الصّلاة معك ، وربّك فكبّر ، ممّا تقول عبدة الأوثان

تفسير يعقوب بن سفيان قال : حدّثنا أبوبكر الحميدى عن سفيان بن عيينة عن ابن أبي النجيح عن مجاهد عن ابن عباس في خبر يذكر فيه كيفية بعثة النبيّ ثمّ قال : بينا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم قائم يصلّي مع خديجة إذ طلع عليه عليّ بن ابيطالب

فقال له : ماهذا يامحمد ؟ قال : هذا دين الله فآمن به وصدقه ، ثم كانا يصليان ويركعان و يسجدان فأبصرهما أهل مكة ففشا الخبر فيهم أن محمداً قد جن ، فنزل : ن والقلم ومايسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون .

شرف النبي عن الخركوشي قال : وجاء جبرئيل بأعلى مكة وعلمه الصلاة فانفجرت من الوادي عين حتى توضأ جبرئيل بين يدي رسول الله ، وتعلم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منه الطهارة ثم أمر به علياً عليه السلام .

تاريخي الطبري والبلاذري ، وجامع الترمذي ، وأبانة العكبري ، وفردوس الديلمي ، وأحاديث أبي بكر بن مالك ، وفضائل الصحابة عن الزعفراني عن يزيد ابن هارون عن شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم ، ومسند أحمد عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قالا قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أول من صلى معي علي .

تاريخ النسوي قال زيد بن أرقم : أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله علي .

جامع الترمذي ومسند أبي يعلي الموصلي عن أنس ، وتاريخ الطبري عن جابر قالا : بعث النبي يوم الاثنين وصلى علي يوم الثلثاء

أبو يوسف النسوي في المعرفة و أبو القسم عبدالعزيز بن إسحاق في أخبار أبي رافع عن عشرين طريقاً عن أبي رافع قال : صلى النبي أول يوم الاثنين ، وصلت خديجة آخر يوم الاثنين ، وصلى علي يوم الثلثاء من الغد .

أحمد بن حنبل في مسند العشرة وفي الفضائل أيضاً ، والنسوي في المعرفة ، والترمذي في الجامع ، وابن بطة في الابانة روى علي بن الجعد عن شعبة عن سلمة ابن كهيل عن حبة العرني قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وآله .

ابن حنبل في مسند العشرة وفي فضائل الصحابة أيضاً عن سلمة بن كهيل عن حبة العرني في خبر طويل أنه قال علي عليه السلام : اللهم لا أعرف أن عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيك ثلاث مرات ، الخبر .

وفي مسند أبي يعلي ما أعلم أحداً من هذه الأمة بعد نبيها عبدالله غيري ، الخبر .

الحسين بن علي عليهما السلام في قوله تعالى : تريهم ركعا سجداً ، نزلت في علي بن أبيطالب .

و روى جماعة أنه نزل فيه : الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .

تفسير القطان قال ابن مسعود : قال علي عليه السلام : يارسول الله ما أقول في السجود في الصلاة ؟ فنزل سبح اسم ربك الأعلى، قال: فماأقول في الركوع ؟ فنزل فسبح باسم ربك العظيم ، فكان أول من قال ذلك وأنه صلى قبل الناس كلهم سبع سنين و أشهراً مع النبي صلى الله عليه وآله ، و صلى مع المسلمين أربع عشرة سنة و بعد النبي ثلاثين سنة .

ابن فياض في شرح الأخبار عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول : لقد صلت الملائكة علي وعلى علي بن أبيطالب سبع سنين، وذلك أنه لم يؤمن بي ذكر قبله ، وذلك قول الله سبحانه : الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض .

وفي رواية زياد بن المنذر عن محمد بن علي عن أمير المؤمنين عليه السلام لقد مكثت الملائكة سنين لاتستغفر إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله ولي وفينا نزلت والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا إلى قوله: الحكيم.

وروى جماعة عن أنس وأبي أيوب ، وروى شيرويه في الفردوس عن جابر قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : لقد صلت الملائكة علي وعلى علي بن أبيطالب سبع سنين قبل الناس ، و ذلك أنه كان يصلي و لا يصلي معنا غيرنا ، و في رواية لم يصل فيها غيري وغيره ، وفي رواية لم يصل معي رجل غيره

سنن ابن ماجه وتفسير الثعلبي عن عبدالله ابن أبي رافع عن أبيه أن علياً عليه السلام صلى مستخفياً مع النبي صلى الله عليه وآله سبع سنين وأشهراً

تاريخ الطبري و ابن ماجه قال عباد بن عبدالله : سمعت علياً عليه السلام يقول : أنا عبدالله و أخو رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب

مفتر ، صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله سبع سنين .

مسندى أحمد وأبي يعلي قال حبة العرني : قال عليّ عليه السلام: صلّيت قبل أن يصلّي النّاس سبعاً .

الحميرى

ألم يصلّ عليّ قبله حججاً ووحّد الله ربّ الشّمس والقمر
و هؤلاء و من في حزب دينهم قوم صلاتهم للعود و الحجر

وله

و كفاه بأنّه سبق النّاس بفضل الصّلاة و التوحيد
حججاً قبلهم كوامل سبعاً بركوع لديه أو بسجود

وله

أليس عليّ كان أوّل مؤمن وأوّل من صلّى غلاماً و وحّدا
فمازال في سرّ يروح ويغتدى فيرقى بثيراء أوبحراء مصعداً
يصلّي ويدعو ربّه فيهما مع المصطفى مثنى وإن كان أوحداً
سنين ثلاثاً بعد خمس وأشهر كوامل سبعاً قبل أن يتمرّدا

و هو أوّل من صلّى القبلتين صلّى إلى بيت المقدس أربع عشرة سنة ، و المحراب الذى كان النبيّ صلى الله عليه وآله يصلّي ومعه عليّ وخديجة معروف ، وهوعلى باب مولدالنبيّ في شعب بني هاشم ، و قد روينا عن الشيرازى ما رواه عن ابن عباس في قوله : والسّابقون الأوّلون ، نزلت في أميرالمؤمنين سبق النّاس كلّهم بالايمان وصلّى القبلتين و بايع البيعتين .

الحميرى

و صلّى القبلتين و آل تيم و اخوتها عديّ جاحدونا
وصلّي إلى الكعبة تسعاً وثلاثين سنة

تاريخ الطّبرى بثلاثة طرق ، و إبانة العكبرى من أربعة طرق ، و كتاب المبعث عن محمّد بن إسحاق ، والتاريخ النّسوى ، و كتاب الثعلبي ، و كتاب المادرى

و مسند أبي يعلى الموصلي ، و يحيى بن معين ، و كتاب أبي عبدالله محمد بن زياد النيسابوري عن عبدالله بن أحمد بن حنبل بأسانيدهم عن ابن مسعود ، وعلقمة البجلي و إسماعيل بن أياس بن عفيف عن أبيه عن جده أن كل واحد منهم قال : رأى عفيف أخو الأشعث بن قيس الكندي شاباً يصلي ، ثم جاء غلام فقام عن يمينه ، ثم جائت امرئة فقامت خلفها ، فقال للعباس : هذا أمر عظيم ، قال : ويحك هذا محمد ، وهذا علي ، وهذه خديجة إن ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السماوات و الأرض أمر بهذا الدين ، والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة .

وفي كتاب النسوي أنه كان يقول بعد إسلامه : لو كنت أسلمت يومئذ كنت ثانياً مع علي بن أبيطالب .

وفي رواية محمد بن إسحاق عن عفيف قال : فلما خرجت من مكة إذا أنا بشاب جميل على فرس فقال : يا عفيف ما رأيت في سفرك هذا ؟ فقصصت عليه ، فقال لقد صدقك العباس والله إن دينه لخير الأديان وإن أمته أفضل الأمم ، قلت : فلمن الأمر من بعده ؟ قال : لابن عمه وختنه على بنته ، يا عفيف الويل كل الويل لمن يمنعه حقه .

ابن فياض في شرح الأخبار عن ابن أبي الحجاف عن رجل أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في خبر: هجم على رسول الله صلى الله عليه وآله - يعني أبا طالب - و نحن ساجدان قال: أفعلتماها ثم أخذ بيدي فقال: انظر كيف تنصره وجعل يرغبني في ذلك ويحضني عليه الخبر.

وفي كتاب الشيرازي أن النبي صلى الله عليه وآله لما نزل الوحي عليه أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه ، فاجتاز به علي عليه السلام وكان ابن تسع سنين فناداه يا علي إلي اقبل ، فأقبل إليه ملبياً ، قال : أتى رسول الله إليك خاصة وإلى الخلق عامة ، فقال : يا علي فقف عن يميني وصل معي ، فقال : يا رسول الله حتى أمضي وأستأذن أباطالب والدي قال : اذهب فانه سيأذن لك ، فانطلق يستأذن في اتباعه فقال : يا ولدي تعلم أن محمداً والله أمين منذ كان ، امض واتبعه ترشد وتفلح وتشهد فأتى علي عليه السلام ورسول الله قائم يصلي في المسجد ، فقام عن يمينه يصلي معه ، فاجتاز بهما أبوطالب وهما يصليان

فقال : يا محمد ماتصنع ؟ قال : أعبد إله السماوات والأرض ومعي علي يعبد ماأعبد ، و أنا أدعوك إلى عبادة الله الواحد القهار ، فضحك أبوطالب حتى بدت نواجذه وأنشأ يقول :

والله لن يصلوا إليك بجمعهم حتى أغيب في التراب دفيناً

تاريخ الطبري و كتاب محمد بن إسحاق أن النبي كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبيطالب مستخفيامن قومه فيصليان الصلاة فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك زماناً .

ثم روى الثعلبي معهما أن أباطالب رأى النبي و علياً يصليان فسأل عن ذلك فأخبره النبي أن هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله و دين أبينا إبراهيم في كلام له ، فقال علي : يا أبه آمنت بالله ورسوله وصدقته بماجاء به وصليت معه لله فقال له : أما انه لايدعو إلا إلى خيرفألزمه .

ثم إنه عليه السلام لما نبه على أن طلبه للخلافة إنما كان لله سبحانه و تعالى لا تنافساً في زخارف الدنيا و التماساً لحطامها وعقبه بالاشارة إلى سبقه في الاسلام و الصلاة مع النبي المقتضي لتقدمه على غيره أردفه بالاشارة إلى موانع الامامة تنبيها على أنه هوالامام دون غيره لوجود المقتضي وانتفاء الموانع فيه مع عدمه ووجودهافي غيره فقال (وقدعلمتم) وحصول ذلك العلم لهم إما من الكتاب كقوله تعالى : لاينال عهدى الظالمين ، وقوله : أفمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أمن لايهدى إلا أن يهدى ، وقوله : قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون ، وما يضاهي ذلك ممايستنبط منه شروط الولاية وأحكامها ، وإما بنص من رسول الله صلى الله عليه وآله أو باعلام سابق منه عليه السلام

و على أى تقدير فالمقصود به الاشارة إلى استحقاقهم للتوبيخ و التقريع لكون تقصيرهم في حق الامام عن علم منهم لا عن جهل فيعذرون ويعتذرون

و قوله (انه لاينبغى) أى لايجوز (أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل) الشحيح وهوفي لسان الشرع من يمنع

الواجب (فتكون في أموالهم نهمته) أى حرصه وجشعه أوفرط شهوته (ولا الجاهل فيضلّهم بجهله) و إضلاله معلوم (و لا الجافي) سيّء الخلق (فيقطعهم بجفائه) وانقباضه عن الوصول إليه أوعن حاجاتهم أو بعضهم عن بعض لتفرّقهم (ولا الحائف للدّول) أى الجائر للأموال والظالم في تقسيمها بأن لايقسّمها بالسّوية بل يرجّح بعضهم على بعض (فيتّخذ قوماً) ويخصّهم بالعطاء (دون قوم) وعلى رواية الخائف للدّول بالخاء المعجمة و كسر الدّال فالمراد به من يخاف دول الأيّام وتقلّبات الدّهور و غلبة الأعداء فيتّخذ قوماً يرجو نفعهم و نصرهم في دنياه ، ويقويهم على غيرهم ويفضّلهم في العطاء وسائر جهات الاكرام على الآخرين

(ولا المرتشي في الحكم) أى آخذ الرّشوة وهو بالكسر مايعطيه الشّخص الحاكم و غيره ليحكم أو يحمله على مايريد ، وفي الحديث لعن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم الرّاشي والمرتشي والرايش يعنى المعطى للرّشوة والآخذ لها والسّاعي بينهما يزيد لهذا وينقص لهذا ، والحاصل أنّه لا يجوز أن يكون آخذ الرّشوة حاكماً (فيذهب بالحقوق) أى حقوق النّاس ويبطلها ويخرجها من يد صاحبها (ويقف بها دون المقاطع) أى يقف عند مقطع الحكم فلا يقطعه بأن يحكم بالحقّ بل يحكم بالجور أو يسوّف الحكم حتّى يضطرّ المحقّ ويرضى بالصّلح ويذهب بعض حقّه

قال العلاّمة المجلسيّ (قد) : ويحتمل أن يكون دون بمعنى غير أى يقف في غير مقطعه (ولا المعطل للسنّة) و الطريقة الشّرعيّة النّبويّة (فيهلك الأُمّة) في الدّنيا أو الآخرة أو كليهما

تبصرة

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الكلام له عليه السلام في ابداء المناسبة والارتباط بين ما ذكره من سبقه عليه السلام إلى التّوحيد والمعرفة والصّلاة وماعقّبه به من تقرير قاعدة الامامة والتعرّض لموانعها مامحصّله :

إنّه عليه السلام إذا كان أوّل السّابقين وجب أن يكون أقرب المقرّبين ، لأنّه تعالى قال : والسّابقون السّابقون أُولئك المقرّبون، وإذا كان أقرب المقرّبين وجب

أن ينتفي عنه الموانع السّتة التي جعل كلّ واحد منها صادّاً عن الامامة وقاطعاً عن استحقاقها وهي البخل، والجهل ، والجفاء ، والعصبيّة في دولته ، أي تقديم قوم على قوم ، والارتشاء في الحكم ، والتعطيل للسنّة ، وإذا انتفت عنه هذه الموانع السّتة تعيّن أن يكون هو الامام ، لأنّ شروط الامامة موجودة فيه بالاتّفاق ، فاذا كانت موانعها عنه منتفية ولم يحصل لغيره اجتماع الشّروط وارتفاع الموانع وجب أن يكون هو الامام ، لأنّه لايجوز خلوّ العصر من امام سواء كانت هذه القضيّة عقليّة أو سمعيّة .

اقول : بعد هذا التحقيق هل بقي للشارح عذر في اعتقاده بامامة الثّلاثة وخلافتهم وجعله عليه السلام رابعهم ؟ والعجب كلّ العجب أنّه ينطق بالحقّ ولا يذعن به كمثل المنافقين يقولون بأفواهم ما ليس في قلوبهم و من لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ، ثمّ قال الشّارح :

فان قلت : أفتراه عنى بهذا قوما بأعيانهم ؟

قلت : الاماميّة تزعم أنّه رمز بالجفاء والعصبية لقوم دون قوم إلى عمر ورمز بالجهل إلى من كان قبله ، ورمز بتعطيل السّنة إلى عثمان و معاوية ، وأمّا نحن فنقول : إنّه عليه السلام لم يعن ذلك وإنّما قال قولا كلّيا غير مخصوص ، و هذا هو اللّائق بشرفه، وقول الاماميّة دعوى لا دليل عليها ولا يعدم كلّ أحد أن يستنبط من كلّ كلام ما يوافق غرضه و إن غمض ، و لا يجوز أن تبنى العقائد على مثل هذه الاستنباطات الدقيقة .

أقول : أمّا أنّ في كلامه رمزاً وإشارة إلى من ذكر فهو ممّا لاغبار عليه ، و أمّا أنّ فيه دلالة عليه فلم تدّعه الاماميّة حتّى يناقش فيه أو يعترض عليهم ، والاشارة غير الدّلالة ، وأمّا استبعاد ذلك بعدم لياقته بشرفه عليه السلام ومنافاته لسودده ففيه أنّ شرافته مقتضية للارشاد على الهدى والتّنبيه على ضلال قادة الرّدى وهفوة من اتّبعهم وأذعن بخلافتهم من أهل العصبيّة والهوى ، لأنّه من باب الأمر بالمعروف والنّهى عن المنكر المناسب لشأن الامام ووظيفته

وقد مرّ في فقرات الخطبة الشقشقيّة ما هو نصّ في هذا المعنى ، و أبلغ في الدّلالة على هذا الغرض ، مثل تنبيهه على جفاوة عمر و غلظته بقوله : فصيّرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها و يخشن مسّها ، وعلى جهله بقوله : و يكثر العثار فيها والاعتذار منها ، وعلى بخل عثمان بقوله : وقام معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الابل نبتة الرّبيع آه ونحو هذه الألفاظ في تضاعيف كلماته كثير كما هو غير خفيّ على الخبير البصير .

و بعد الغضّ عن ذلك كلّه فأقول : إنّ عمدة غرض الاماميّة التّنبيه على اتّصاف الخلفاء بتلك الأوصاف الرّذيلة ، و بعد تسليم الشارح و إذعانه باتّصافهم بها لا ضرورة في النّقض والابرام في دلالة كلامه عليه السلام على هذا المرام .

ثم أقول : الأظهر على تقدير كون كلامه عليه السلام رمزاً إليهم أن يشار بالبخيل إلى عثمان لما هو المعلوم من حاله من أكله أموال المسلمين ، ولما مرّ منه في الخطبة الشّقشقية ، وبالجاهل إلى جميعهم ، وبالجافي إلى عمر ، وبالحائف للدّول إلى عمر وعثمان كما هو المعلوم من سيرتهما ، وبالمعطل للسنّة إلى الجميع .

تنبيه

لا خلاف بين المسلمين إلّا من شرذمة من العامة العثمانيّة في أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سبق النّاس كلاّ إلى الاسلام والتّوحيد ، كما صرّح به عليه السلام في هذا الكلام بقوله: اللّهمّ إنّي أوّل من أناب وسمع وأجاب ، وفي الكلام السّادس والخمسين بقوله : فانّي ولدت على الفطرة و سبقت إلى الايمان و الهجرة ، ونحو ذلك في كلماته واحتجاجاته كثير ، والأخبار في هذا المعنى من طرق العامّة والخاصّة بالغة حدّ التّواتر ، واستقصائها غير ممكن ولا حاجة إلى إيرادها مع وضوح المطلب وظهوره ظهور الشّمس الضّحى .

و إنّما نورد على وجه التّأييد و على رغم أنوف المخالفين ما أورده شيخ المحدّثين **العلامة المجلسي** قدّس الله روحه، وشيخ الأمّة **الشيخ المفيد** نوّر الله

ضريحه ؛ ومن المخالفين **الشارح المعتزلى** أهبط الله قدره .

فأما العلامة المجلسى

فقد قال في المجلّد التاسع من بحار الأنوار بعد ما أورد في هذا الباب كثيراً من الأخبار ما لفظه :

لا يخفى على من شمّ رائحة الانسانيّة وترقّى عن دركات البهيميّة والعصبيّة أنّ سبق إسلامه صلوات الله عليه مع ورود تلك الأخبار المتواترة من طرق الخاصّة والعامّة من أوضح الواضحات ، و الشاكّ فيه كالمنكر لأجلى البديهيّات ، وأنّ من تمسّك بأنّ ايمانه كان في طفوليّته ، و لم يكن معتبراً فقد نسب الجهل إلى سيّد المرسلين ، حيث كلّفه ذلك ومدحه به في كلّ موطن ، وبه أظهر فضله على العالمين ، وإلى أشرف الوصيّين حيث تمدّح وافتخر واحتجّ به في مجامع المسلمين و إلى الصّحابة والتّابعين حيث لم ينكروا عليه ذلك مع كون أكثرهم من المنافقين والمعاندين .

ثمّ اعلم أنّا قد تركنا كثيراً من الرّوايات وما يمكن ذكره من التأييدات في هذا المطلب حذراً من التكرار والاسهاب والاطالة والاطناب .

فقد روى ابن بطريق رحمه الله في كتاب العمدة في سبق اسلامه و صلاته من مسند أحمد بن حنبل ثلاثة عشر حديثاً ، ومن تفسير الثعلبى أربعة ، ومن مناقب ابن المغازلي سبعة ، وروى في المستدرك أيضا أخباراً كثيرة في ذلك ، ورواه صاحب الصّراط المستقيم بأسانيد من طرقهم ، و العلاّمة في كشف الحقّ و كشف اليقين و غيرهما بأسانيد من كتبهم ، و قد تركنا إيرادها مع كثير ممّا أورده المفيد في الارشاد ، والنيسابوري في روضة الواعظين ، و الطّبرسي في اعلام الورى ، و ابن الصّباغ في الفصول المهمّة ، و غيرها من الأصول والكتب الّتي عندنا ، انتهى كلامه رفع مقامه .

وأما الشيخ المفيد قدس الله روحه

فقد قال في محكي كلامه من كتاب الفصول :

أجمعت الأمّة على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أول ذكر أجاب رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يختلف في ذلك أحد ، من أهل العلم إلاّ أنّ العثمانية طعنت في ايمان أمير المؤمنين عليه السلام بصغر سنّه في حال الاجابة ، قالوا : إنّه عليه السلام لم يك في تلك الحال بالغاً فيقع ايمانه على وجه المعرفة ، و إنّ ايمان أبي بكر حصل منه مع الكمال ، فكان على اليقين ، و المعرفة والاقرار من جهة التقليد و التلقين غير مساو للاقرار بالمعلوم المعروف بالدّلالة ، فلم يحصل خلاف من القوم في تقدّم الاقرار من أمير المؤمنين للجماعة والاجابة منه للرّسول عليه وآله السّلام ، وانّما خالفوا فيما ذكرناه .

وأنا أبيّن غلطهم فيما ذهبوا إليه من توهين إقرار أمير المؤمنين وحملهم إيّاه على وجه التلقين دون المعرفة واليقين بعد أن أذكر خلافاً حدث بعد الاجماع من بعض المتكلّمين والناصبة من أصحاب الحديث ، وذلك أنّ ههنا طائفة تنسب إلى العثمانيّة تزعم أنّ أبابكر سبق أمير المؤمنين إلى الاقرار وتعتلّ في ذلك بأحاديث مولّدة باضعاف .

منها أنّهم رووا عن أبي نضرة « نضيرة خ » قال: أبطأ عليّ والزّبير عن بيعة أبي بكر قال : فلقى أبو بكر علياً فقال له : أبطأت عن بيعتي و أنا أسلمت قبلك ولقى الزبير فقال له : أبطأت عن بيعتي وأنا أسلمت قبلك .

ومنها حديث أبي امامة عن عمرو بن عنبسة قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله أوّل مابعث وهو بمكة وهو حينئذ مستخف فقلت : من أنت ؟ فقال : أنا نبيّ ، قلت : وما النبيّ ؟ قال : رسول الله ، قلت : الله أرسلك ؟ قال : نعم ، قلت : بما أرسلك ؟ قال : بأن نعبدالله عزّ وجلّ ونكسر الأصنام ونوصل الأرحام ، قلت : نعم ما أرسلك به من تبعك على هذا الأمر ؟ قال : حرّ وعبد يعني أبابكر وبلالاً ، وكان عمر يقول : لقد رأيتني وأنا رابع الاسلام ، قال : فأسلمت وقلت : أبايعك يا رسول الله

ومنها حديث الشّعبي قال : سألت ابن عبّاس عن أوّل من أسلم فقال : أبو بكر

ثمّ قال : أما سمعت قول حسّان :

إذا تذكّرت شجواً من أخي ثقة فاذكر أخاك أبابكر بما فعلا
خير البريّة أعطاها و أعدلها بعد النّبي و أرفاها بما حملا
الثّاني التّالي المحمود مشهده وأوّل النّاس منهم صدّق الرّسلا

ومنها حديث رووه عن منصور عن مجاهد أنّ أوّل من أظهر الاسلام سبعة رسول الله و أبوبكروخباب وصهيب وبلال وعمار وسميّة .

ومنها حديث رووه عن عمر بن مرّة قال : ذكرت لإبراهيم النخعي حديثاً فأنكره وقال أبوبكر أوّل من أسلم

قال الشيخ قدس الله روحه فيقال لهم:

أما الحديث الاول فانّه رواه أبو نضرة ، وهذا أبو نضرة مشهور بعداوة أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد ضمنه ما ينقض اضلالهم في الامامة ، ولو ثبت لكان أرجح من تقدّم اسلام أبي بكر و هو أنّ أمير المؤمنين والزّبير أبطئا عن بيعة أبي بكر ، وإذا ثبت أنّهما أبطئا عن بيعته وتأخّرا نقض ذلك قولهم أنّ الامّة اجتمعت عليه ولم يكن من أمير المؤمنين عليه السلام كراهيّة لأمره ، وإذا ثبت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد كان متأخّراً عن بيعته على وجه الكراهة لها بدلالة ما رووه من قول أبي بكر له أبطأت عن بيعتي و أنا أسلمت قبلك على وجه الحجّة عليه في كونه أولى بالامامة منه ، ثبت بطلان إمامة أبي بكر ، لأنّ أمير المؤمنين عليه السلام لا يجوز أن يكره الحقّ و لا أن يتأخّر عن الهدى ، و قد أجمعت الأمّة على أنه عليه السلام لم يوقع خطأ بعد الرّسول صلى الله عليه وآله يعثر عليه طول مدّة أبي بكر وعمر وعثمان ، وإنّما ادّعت الخوارج الخطاء منه في آخر أيّامه بالتحكيم وذهبت عن وجه الحقّ في ذلك وإذا لم يجز من الأمير المؤمنين التّأخّر عن الهدى والكراهة للحقّ والجهل بموضع الأفضل ، بطل هذا الحديث ، ومازلنا نجتهد في اثبات الخلاف لأمره والنّاصبة تحيد عن قبول ذلك وتدفعه أشدّ دفع حتى صاروا يسلمونه طوعاً واختياراً ، وينظمونه في احتجاجهم بفضل صاحبهم ، وهكذا يفعل الله تعالى بأهل الباطل لحينهم ، ويسلبهم التوفيق حتّى

يدخلوا فيما يكرهون من حيث لايشعرون .

على أنّ بازاء هذا الحديث عن أبي بكر حديثا ينقضه من طريق أوضح من طريق أبي نضرة ، وهوما رواه عليّ بن مسلم الطوسي عن زافربن سليمان عن الصلت ابن بهرام عن الشّعبي قال : مرّ عليّ بن أبي طالب ومعه أصحابه على أبي بكر فسلّم ومضى ، فقال أبوبكر : من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس في الاسلام سبقا ، وأقرب النّاس من نبيّنا رحماً ، و أعظمهم دلالة عليه و أفضلهم فداء عنه بنفسه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب .

وهذا يبطل ما ادّعوه على أبي بكر وأضافه أبونضرة إليه .

وأما حديث عمروبن عنبسة فانّه من طريق أبي امامة ولاخلاف أنّ أباامامة كان من المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام والمتحرين عنه، وأنّه كان في جيش معاوية ثمّ فيه عن عمر بأنه شهد لنفسه أنّه كان رابع الاسلام ، وشهادة المرء لنفسه غير مقبولة إلاّ أن يكون معصوما أو يدلّ دليل على صدقه ، و إذا لم يثبت شهادته لنفسه بطل الحديث بأسره .

مع أنّ الرّواية قد اختلفت عن عمر من طريق أبي أمامة ، فروى عنه في حديث آخر أنّه قال : أتيت النّبي صلى الله عليه وآله بماء يقال له عكاظ ، فقلت له : يارسول الله من تابعك على هذا الأمر ؟ فقال : من بين حرّ وعبد ، فاقيمت الصّلاة فصلّيت خلفه أنا وأبوبكر وبلال ، وأنا يومئذ رابع الاسلام.

فاختلف اللفظ والمعنى في هذين الحديثين والواسطة واحد فتارة يذكر مكة وتارة يذكر عكاظاً ، وتارة يذكر أنّه وجده مستخفيا بمكّة ، وتارة يذكر أنّه كان ظاهراً يقيم الصّلاة ويصلّي بالنّاس معه ، والحديث واحد من طريق واحد ، وهذا أدلّ دليل على فساده .

وأما حديث الشعبى فقد قابله الحديث عنه من طريق الصّلت بن بهرام المتضمّن لضدّه وفي ذلك إسقاطه، مع أنّه قد عزاه إلى ابن عبّاس والمشهور عن ابن عبّاس ضدّ ذلك وخلافه ، ألا ترى إلى مارواه أبوصالح عن عكرمة عن ابن عبّاس

وهذان أصدق على ابن عبّاس من الشّعبي ، لأنّ أباصالح معروف بعكرمة وعكرمة معروف بابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبيطالب سبع سنين ، قالوا : ولم ذلك يارسول الله ؟ قال : لم يكن من الرّجال غيره، ومن طريق عمرو بن ميمون عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوّل من أسلم بعد خديجة بنت خويلد عليّ بن أبيطالب صلوات الله عليه

وأما قول حسان فانّه ليس بحجّة من قبل أنّ حسّان كان شاعراً وقصد الدّولة والسّلطان، وقد كان منه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله انحراف شديد عن أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان عثمانيّاً و حرّض النّاس على عليّ بن أبيطالب عليه السلام ، وكان يدعو إلى نصرة معاوية وذلك مشهور عنه في نظمه ، ألاترى إلى قوله :

يا ليت شعري وليت الطّير يخبرني ... ما كان بين عليّ و ابن عفّاناً
ضحوا بأشمط عنوان السّجود به ... يقطع اللّيل تسبيحاً و فرقاناً
لتسمعنّ و شيكاً في ديارهم ... الله أكبر يا ثارات عثماناً

فان جعلت النّاصبة شعر حسّان حجّة في تقديم ايمان أبي بكر فلتجعله حجّة في قتل أمير المؤمنين عثمان والقطع على أنّه اخصّ النّاس بقتله ، وأنّ ثاراته يجب أن يطلب منه ، فان قالوا : إنّ حسّان غلط في ذلك ، قلنا لهم و كذلك غلط في قوله في أبي بكر ، وان قالوا لايجوز غلطه في باب أبي بكر لأنّه شهد به بحضرة الصّحابة فلم يردّوا عليه ، قيل لهم ليس عدم اظهارهم الرّد عليه دليلا على رضاهم به لأنّ الجمهور كانوا شيعة أبي بكر وكان المخالفون له في تقيّة من الجهر بالتنكير عليه في ذلك مخافة الفرقة والفتنة

مع أنّ قول حسان يحتمل أن يكون أبو بكر من المتقدّمين في الاسلام والأوّلين دون أن يكون أوّل الأوّلين ، ولسنا ندفع أن أبا بكر ممّن يعدّ في المظهرين للاسلام أوّلا، وإنّما ننكر أن يكون أوّل الأوّلين فلمّا احتمل قول حسّان ماوصفناه لم ينكر المسلمون عليه ذلك .

مع أنّ حسّان قد حرض على أمير المؤمنين ظاهراً ودعا إلى مطالبته بثارات عثمان جهراً فلم ينكر عليه في الحال منكر، فيجب أن يكون مصيباً في ذلك، فان قالوا: هذا شيء قاله في مكان دون مكان فلما ظهر عنه أنكره جماعة من الصّحابة، قيل لهم: فان قنعتم بذلك، و اقترحتم في الدّعوى فاقنعوا منّا بمثله فيما اعتقدتموه في شعره في أبي بكر، وهذا ما لافضل فيه على أنّ حسان بن ثابت قد شهد في شعره بامامة أمير المؤمنين عليه السلام نصّاً وذكر ذلك بحضرة النّبي صلى الله عليه وآله فجزاه خيراً في قوله:

يناديهم يوم الغدير نبيّهم بخمّ وأسمع بالرّسول منادياً

في أبيات تقدّم ذكره منّا في مقدّمات الخطبة الثّالثة المعروفة بالشّقشقيّة وشهد أيضاً لأمير المؤمنين عليه السلام بسبق قريش إلى الايمان حيث يقول:

جزى الله خيراً و الجزاء بكفّه أبا حسن عنّا و من كأبي حسن

سبقت قريشاً بالّذي أنت أهله فصدرك مشروح و قلبك ممتحن

فشهد بتقديم ايمان أمير المؤمنين عليه السلام الجماعة، وهذا مقابل لما تقدّم ومسقط له فان زعموا أنّ هذا محتمل، فكذلك ما ذكرتموه عنه أيضاً محتمل.

و أما روايتهم عن مجاهد فانّها مقصورة على مذهبه ورأيه ومقاله، وبازاء مجاهد عالم من التّابعين ينكرون عليه و يذهبون إلى خلافه في ذلك و أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أوّل النّاس ايماناً، وهذا القدر كاف في ابطال قول مجاهد، على أنّ الثابت عن مجاهد خلاف ما ادّعاه هؤلاء القوم وأضافوه إليه، وضدّه ونقيضه روى ذلك منهم من لا يتّهم عليه سفيان بن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واثره عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله السبّاق أربعة: يوشع بن نون إلى موسى بن عمران. وصاحب يس إلى عيسى بن مريم، وسبق عليّ بن ابيطالب عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و نسي النّاقل عن سفيان الآخر، و قد ذكرت في حديث غير هذا أنّه مؤمن آل فرعون وهذا يسقط تعلّقهم بما ادّعوه من مجاهد.

وأما حديث عمرو بن مرة عن إبراهيم فهو أيضاً نظير قول مجاهد، و إنما

اخبر عمرو عن مذهب إبراهيم ، والغلط جائز على إبراهيم ومن فوقه ، وبازاء إبراهيم من هو فوقه وأجلّ قدراً منه يدفع قوله ويكذّبه في دعواه كأبي جعفر وأبي عبدالله الصّادق عليهما السلام ومن غير أهل البيت قتادة والحسن وغيرهما مما لايحصى كثرة وفي هذا غني عن غيره

قال الشيخ قدس الله روحه فهذه جملة ما اعتمد القوم فيما ادّعوه من خلافنا في تقديم إيمان أمير المؤمنين عليه السلام وتعلّقوا به ، وقد بيّنت عوارها وأوضحت حالها ، وأنا أذكر طرفاً من أسماء من روى أنّ أمير المؤمنين كان أسبق الخلق إلى رسول الله وأوّل من الذكور إجابة له وايماناً به

فمن ذلك الرّواية عن أمير المؤمنين عليه السلام نفسه من طريق سلمة بن كهيل عن حبّة العرني قال : سمعت علياً يقول : اللهمّ لا أعرف عبداً لك عبدك من هذه الأمّة قبلي غير نبيّها عليه و آله السّلام ، قال ذلك ثلاث مرّات ، ثمّ قال : لقد صلّيت قبل أن يصلّي أحد سبعاً

و من طريق المنهال عن عبايـة الأسدى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لقد أسلمت قبل الناس بسبع سنين

ومن طريق جابر عن عبدالله بن يحيى الحضرمي عن عليّ عليه السلام قال : صلّيت مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث سنين ولم يصلّ أحد غيري .

ومن طريق نوح بن قيس الطّاخى عن سليمان أبي فاطمة عن معاذة العدوية قال : سمعت عليّاً يخطب على منبر البصرة فسمعته يقول : أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر ، وأسلمت قبل أن يسلم .

ومن طريق عمرو بن مرّة عن أبي البخترى عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : صلّيت قبل النّاس سبع سنين

ومن طريق نوح بن دراج عن خالد الخفاف قال : أدركت النّاس وهم يقولون: وقع بين عليّ وعثمان كلام فقال عثمان والله أبو بكر وعمر خير منك ، فقال عليّ عليه السلام كذبت والله لأنا خير منك و منهما ، عبدت الله قبلهما وعبدت الله بعدهما

و من طريق الحارث الأعور قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : اللّهمّ إنّي لا أعرف عبداً من عبادك عبدك قبلي .

وقال عليه السلام قبل ليلة الهرير بيوم ويحرّض النّاس على أهل الشّام : أنا أوّل ذكر صلّى مع رسول الله صلى الله عليه وآله ولقد رأيتني أضرب بسيفي قدامه وهو يقول لا سيف إلاّ ذوالفقار ولافتى إلاّ عليّ حياتك حياتي وموتك موتي .

وقال عليه السلام وقد بلغه أنّ قوما يطعنون عليه في الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وآله بعد كلام خطبه (١) : بلغني أنكم تقولون إنّ علياً يكذب ، فعلى من أكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به وعبده ووحّده ، أم على رسول الله صلى الله عليه وآله فأنا أوّل من آمن به وصدّقه ونصره .

وقال عليه السلام لمّا بلغه افتخار معاوية عند أهل الشّام شعره المشهور الذي يقول فيه:

سبقتكم إلى الاسلام طرّاً صغيراً ما بلغت أوان حلمي

و أنا أذكر الشعر بأسره في موضع غير هذا عند الحاجة إليه إنشاء الله تعالى .

ومن ذلك ما رواه أبو أيّوب خالد بن زيد الأنصاري صاحب رسول الله من طريق عبدالرحمن معمّر عن أبيه عن أبي أيّوب رحمه الله ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : صلّت الملائكة عليّ وعلى علي بن أبي طالب عليه السلام سبع سنين ، وذلك أنّه لم يصلّ معي رجل غيره .

و من ذلك ما رواه سلمان الفارسي رحمة الله عليه من طريق عليم الكندي عن سلمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : أوّلكم وروداً عليّ الحوض أوّلكم اسلاماً عليّ بن أبيطالب .

ومن ذلك ما رواه أبوذر الغفاري رحمة الله عليه من طريق محمّد بن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه عن أبي ذر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ بن أبيطالب: أنت أوّل من آمن بي ، في حديث طويل .

و روى أبوسخيلة عن أبي ذر أيضا قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام يقول : أنت أوّل من آمن بي و أوّل من يصافحني يوم القيامة .

(١) وقد مضى هذا الكلام برواية السيد ره في الكتاب وهو المختار السبعون ، منه

و قد رواه ابن أبي رافع عن أبيه أيضاً عن أبيذر قال: أتيته أودّعه فقال: ستكون فتنة فعليك بالشيخ عليّ بن أبيطالب صلوات الله عليه وتسليمه فاني سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول أنت أوّل من آمن بي.

و من ذلك ما رواه حذيفة اليمان رحمة الله عليه عن طريق قيس بن مسلم عن ربعي بن خراش قال: سألت حذيفة اليمان عن عليّ بن أبيطالب صلوات الله عليه فقال: ذاك أقدم النّاس سلما وأرجح النّاس حلما.

و من ذلك ما رواه جابر بن عبدالله الأنصاري رحمة الله عليه من طريق شريك عن عبدالله بن محمّد بن عقيل عن جابر قال: بعث رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم يوم الاثنين وأسلم عليٌّ عليه السلام يوم الثّلثاء.

و من ذلك ما رواه زيد بن أرقم من طريق عمرو بن مرّة عن أبي حمزة مولى الأنصار قال: سمعت زيد بن أرقم يقول: أوّل من صلّى مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله عليّ بن أبيطالب

ومن ذلك ما رواه زيد بن صوحان العبدي من طريق عبدالله بن هشام عن أبيه عن طريف بن عيسى الغنوى أنّ زيد بن صوحان خطب في مسجد الكوفة فقال: سيروا إلى أمير المؤمنين وسيّد المسلمين وأوّل المؤمنين إيمانا.

و من ذلك ما روته أُمّ سلمة زوج النّبيّ من طريق مساور الحميري عن امّه قالت: قالت أُمّ سلمة: والله لقد أسلم عليّ بن أبيطالب أوّل النّاس و ما كان كافراً، في حديث طويل.

و من ذلك ما رواه عبدالله بن عبّاس بن عبدالمطلب رحمة الله عليه من طريق أبيصالح عن عكرمة عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وآله: صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبيطالب سبع سنين، قالوا ولم ذاك يا رسول الله؟ قال: لم يكن معي من الرّجال غيره، ومن طريق عمرو بن ميمون عنه ماتقدّم ذكره، وروى مجاهد عنه أيضاً مثل ذلك وقد سلف لنا فيمامضى.

ومن ذلك ما رواه قثم بن العبّاس بن عبدالمطّلب عن طريق قيس بن أبي حازم عن أبي إسحاق قال: دخلت على قثم بن العبّاس فسألته عن عليّ فقال: كان أوّلنا

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لحوقاً وأشدّنا به لصوقاً .

و من ذلك ما رواه مالك الأشتر رحمة الله عليه من طريق الفضل بن أدهم المدني قال : سمعت مالك بن الحارث الأشتر يقول في خطبة خطبها بصفّين : معنا ابن عمّ نبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم وسيف من سيوف الله عليّ بن أبيطالب صلّى مع رسول الله صغيراً ولم يسبقه بالصّلاة ذكر ، وجاهد حتّى صار شيخا كبيراً .

ومن ذلك ما رواه سعيد بن قيس من طريق مالك بن قدّامة الارحبى أنّ سعيد ابن قيس خطب النّاس بصفّين فقال : معنا ابن عمّ نبيّنا صدق وصلّى صغيراً وجاهد مع نبيّكم كبيراً .

و من ذلك مـا رواه عمرو بن الحمق الخزاعي من طريق عبدالله بن شريك العامري قال: قام عمروبن الحمق يوم صفين فقال: يا أميرالمؤمنين أنت ابن عمّ نبيّنا وأوّل المسلمين إيمانا بالله عزّ وجلّ .

ومن ذلك مارواه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص من طريق جندب قال: قال هاشم يوم صفّين: نجاهد في طاعة الله مع ابن عمّ رسول الله وأوّل من آمن بالله وأفقه النّاس في دين الله.

ومن ذلك ما رواه محمّد بن كعب من طريق عمر مولا غفرة عن محمّد بن كعب قال : أوّل من أسلم عليّ بن أبيطالب عليه السلام .

ومن ذلك ما رواه مالك بن الحويرث من طريق مالك بن الحسن بن مالك قال : أخبرني أبي عن جدّي مالك بن الحويرث قال : أوّل من أسلم من الرّجال عليّ بن أبيطالب .

و من ذلك ما رواه **أبوبكر** عتيق بن أبي قحافة و **عمر** بن الخطاب **وأنس** ابن مالك **وعمرو** بن العاص و **أبوموسى** الأشعري .

و الذي رواه أبو بكر من طريق زافر بن سليمان عن الصّلت بن بهرام عن الشّعبي قال : مرّ عليّ بن أبيطالب على أبي بكر و معه أصحابه فسلّم عليهم و مضى فقال أبوبكر : من سرّه أن ينظر إلى أوّل النّاس في الاسلام سبقا وأقرب النّاس برسول الله قرابة ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ، الحديث و قدّمناه

فيما مضي .

وأما عمر فانّ أباحازم مولى ابن عباس قال : سمعت عبدالله بن عباس يقول قال عمربن الخطّاب : كفّوا عن عليّ بن أبيطالب فانّي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله فيه خصالا قال : إنّك أوّل المؤمنين بعدي ايمانا ، وساق الحديث .

وأماعمروبن العاص فان تميم بن جذيم النّاحى قال : إنّا لمع أمير المؤمنين عليه السلام بصفّين إذخرج إليه عمروبن العاص فأراد أن يكلّمه فقال عمرو: تكلّم فانّك أوّل من أسلم فاهتدى ووحّد فصلّى .

ومن ذلك مارواه أبوموسى الأشعري عن طريق يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه سلمة عن أبي جعفر عن ابن عباس قال أبوموسى الأشعري : عليّ أوّل من أسلم .

ومن ذلك ما رواه أنس بن مالك من طريق عباد بن عبدالصّمد قال : سمعت أنس بن مالك يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبيطالب سبع سنين ، وذلك أنّه لم يرفع إلى السّماء شهادة أن لاإله إلاّالله وأنّي محمّداً رسول الله إلاّ منّي ومن عليّ صلوات الله عليه .

و من ذلك ما روى عن الحسن بن أبي الحسن البصري من طريق قتادة بن دعامة السّدوسي قال : سمعت الحسن يقول : إنّ عليّا عليه السلام صلّى مع النّبي أوّل النّاس فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ سبع سنين .

و من ذلك ماروى عن قتادة من طريق سعيد بن أبي عروبة قال: سمعت قتادة يقول : أوّل من صلّى من الرّجال عليّ بن أبيطالب .

ومن ذلك ماروى عن أبي إسحاق من طريق يونس بن بكير عن محمّد بن إسحاق قال : كان أوّل ذكر آمن وصدّق عليّ بن أبي طالب وهوابن عشرسنين ، ثمّ أسلم بعده زيد بن حارثة .

و من ذلك ما روى عن الحسن بن زيد من طريق إسماعيل بن عبدالله بن أبي يونس قال : أخبرني أبي عن الحسن بن زيد أنّ عليا كان أوّل ذكر أسلم .

فاما الرواية عن آل أبيطالب في ذلك فانّها أكثرمن أن تحصى ، وقدأجمع بنوهاشم وخاصّة آل عليّ لا تنازع بينهم على أنّ أوّل من أجاب رسول الله ﷺ من الذّكور علي بن أبيطالب ونحن أغنياء بشهرة ذلك عن ذكرطرقه ووجوهه .

فأما الاشعار التي تؤثر عن الصحابة في الشهادة لـه عليه السلام بتقديم الايمان و أنّه أسبق الخلق إليه فقد وردت عن جماعة منهم و ظهرت عنهم على وجه يوجب العلم ويزيل الارتياب ولم يختلف فيها من أهل العلم بالنقل والارتياب إثنان .

فمن ذلك قول خزيمة بن ثابت ذى الشهادتين رحمةالله عليه :

إذا نحن بايعنا عليّا فحسبنا ... أبو حسن ممّا يخاف من الفتن
وجدناه أولى النّاس بالنّاس أنّه ... أطبّ قريش بالكتاب وبالسّنن
و إنّ قريشاً لا يشقّ غباره ... إذاماجرى يوماعلى الضمر البدن
ففيه الذي فيه من الخير كلّه ... ومافيهم مثل الذي فيه من حسن
وصيّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه قد كان في سالف الزمن
وأوّل من صلّى من النّاس كلّهم ... سوى خيرة النسوان والله ذومنن
وصاحب كبش القوم في كلّ وقعة ... يكون لها نفس الشّجاع لدى الذقن
فذاك الذي تثني الخناصر باسمه ... إمامهم حتّى أغيّب في الكفن

ومنه قول كعب بن زهير :

صهر النّبيّ و خير النّاس كلّهم ... فكلّ من رامه بالفخر مفخور
صلّى الصّلاة مع الأميّ أوّلهم ... قبل العباد وربّ النّاس مكفور

ومنه قول حسان بن ثابت :

جزى الله خيراً و الجزاء بكفّه ... « وقدّمنا البيتين فيما سلف »

ومنه قول ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب حيث يقول عند بيعة أبى بكر:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منتقل عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم و أعلم النّاس بالآثار و السّنن
و آخر النّاس عهداً بالنّبي و من جبريل عون له في الغسل والكفن
من فيه ما فيهم لا يمترون بـه وليس في القوم ما فيه من الحسن
ما ذا الذى ردّكم عنه فنعلمه ها إنّ بيعتكم من أوّل الفتن

و في هذا الشّعر قطع من قائله على إبطال إمامة أبي بكر و إثبات الامامة لأمير المؤمنين عليه السلام .

و منه قول فضل بن عتبة بن أبى لهب فيما ردّ به على الوليد بن عقبة فى مديحه لعثمان و مرثيته له و تحريضه على أمير المؤمنين (ع) فى قصيدته التى يقول فى أولها :

ألا إنّ خير النّاس بعد ثلاثـة قتيل التجوبي الّذى جاء من مصر

فقال الفضل رحمة الله عليه:

ألا إنّ خير النّاس بعد محمّد مهيمنه التاليه في العرف والنكر
وخيرته في خيبر و رسولـه بنبذ عهود الشرك فوق أبي بكر
و أوّل من صلّى وصنو نبيّه وأوّل من أردى الغواة لدى بدر
فذاك عليّ الخير من ذا يفوقه أبو حسن حلف القرابة والصهر

وفي هذا الشعر دليل على تقدّم ايمان أمير المؤمنين عليه السلام و على أنّه كان الأمير في سنة تسع على الجماعة و كان في جملة رعيّته أبو بكر على خلاف ما ادّعته النّاصبة من قولهم إنّ أبابكر كان الأمير على الجماعة و إنّ أمير المؤمنين كان تابعاً له .

ومنه قول مالك بن عبادة الغافقي حليف حمزة بن عبدالمطلب رحمة الله عليه:

رأيت عليّا لا يلبث قرنه إذا ما دعاه حاسراً أو مسربلا
فهذا وفي الاسلام أوّل مسلم وأوّل من صلّى وصام وهلّلا

ومنه قول عبدالله بن ابى سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب :

وكان وليّ الأمر بعد محمّد عليّ وفي كلّ المواطن صاحبه
وصيّ رسول الله حقاً وجاره وأوّل من صلّى ومن لان جانبه

وفي هذا الشعر أيضاً دليل على اعتقاد هذا الرّجل في أمير المؤمنين عليه السلام أنّه كان الخليفة لرسول الله صلّى الله عليه وآله بلافصل .

ومنه قول النجاشي بن الحارث بن كعب :

فقل للمضلّل من وائل ومن جعل الغثّ يوماً سمينا
جعلت ابن هند وأشياعه نظير عليّ أما تستحونا
إلى أوّل النّاس بعد الرّسول أجاب الرّسول من العالمينا

ومنه قول جرير بن عبدالله البجلي:

فصلّى الإله على أحمد رسول المليك تمام النعم
وصلّى على الطّهر من بعده خليفتنا القائم المدّعم
عليّا عنيت وصيّ النّبيّ يجالد عنه غواة الأُمم
له الفضل والسبق والمكرمات وبيت النّبوّة لا المهتضم

وفي هذا الشّعر أيضا تصريح من قائله بامامة أمير المؤمنين عليه السلام بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنّه كان الخليفة على من تقدّم .

ومنه قول عبدالله بن حكيم التميمي:

دعانا الزبير إلى بيعة وطلحة بعد ما أثقلا

فقلنا صفقنا بأيمـانـنـا و إن شئتما فخذا الأشملا
نكثتم عليّاً على بيعته و إسلامـه فيـكم أوّلا

ومنه قول عبدالله بن جبل حليف بني جمح :

لعمري لئن بايعتم ذا حفيظة على الدّين معروف العفاف موفّقا
عفيفا عن الفحشاء أبيض ماجد صدوقا و للجبّار قدما مصدّقا
أبا حسن فارضوا به و تبايعوا فليس كمن فيه لذي العيب منطقا
عليّ وصيّ المصطفى و وزيره وأوّل من صلّى لذي العرش واتّقى

و منه قول ابي الاسود الدئلي :

و انّ عليّا لكم مفخر يشبه بالأسد الأسود
أما إنّـه سيّد العابدين بمكّة و الله لم يعبد

ومنه قول زفر بن زيد بن حذيفة الاسدي :

فحوطوا عليّا واحفظوه فانّه وصيّ وفي الاسلام أوّل أوّل

ومنه قول قيس بن سعد بن عبادة بصفين :

هذا عليّ وابن عمّ المصطفى أوّل من أجابـه ممّن دعـا
هذا إمام لا نبالي من غوى

ومنه قول هاشم بن عتبة بن أبي وقاص بصفين :

أشلّهم بذي الكعوب شلاّ مع ابن عمّ أحمد تجلاّ
أوّل من صدّقه وصلّى

قال الشيخ قدّس الله روحه : وأمّا قول النّاصبة إنّ ايمان أمير المؤمنين صلوات الله عليه لم يقع على وجه المعرفة وإنّما كان على وجه التقليد و التلقين و ما كان بهذه المنزلة لم يستحقّ صاحبه المدحة و لم يجب بـه الثّواب ، وادّعائهم أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان في تلك الحال ابن سبع سنين ومن كان هذه سنّه لم يكن كامل العقل ولا مكلّفاً ، فانّه يقال لهم : إنكم قد جهلتم في ادّعائكم أنّه كان وقت مبعث النّبي صلّى الله عليه وآله ابن سبع سنين و قلتم قولاً لا برهان عليه يخالف المشهور و يضادّ المعروف ، و ذلك انّ جمهور الرّوايات جائت بأنّه عليه السلام قبض وله خمس و ستّون سنة و جاء في بعضها أنّ سنه كانت عند وفاته ثلاثاً وستّين فأمّا ماسوى هاتين الرّوايتين فشاذّ مطروح و قد يعرف في صحيح النّقل ولا يقبله أحد من أهل الرّواية والعقل .

و قد علمنا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صحب رسول الله صلّى الله عليه وآله ثلاثا وعشرين سنة منها ثلاث عشرة قبل الهجرة ، وعشر بعدها ، وعاش بعده ثلاثين سنة ، و كانت وفاته في أربعين من الهجرة ، فاذا حكمنا في سنّه على خمس وستّين كما تواترت به الأخبار كانت سنّه عند مبعث النّبي صلّى الله عليه وآله اثنتي عشرة سنة ، وإن حكمنا على ثلاث وستّين كانت سنّه عند المبعث عشر سنين، و كيف يخرج من هذا الحساب أن يكون سنّه عند المبعث سبع سنين .

اللّهمّ إلاّ أن يقول قائل إنّ سنّه كانت عند وفاته ستّين سنة فيصحّ ذلك له إلاّ أنه يكون دافعا للمتواتر من الأخبار ، منكراً للمشهور من الآثار ، معتمداً على الشّاذ من الرّوايات ، ومن صار إلى ذلك كان الأولى في مناظرته البيان لـه على وجـه الكلام في الأخبار ، و التّوقيف على طرق الفاسد من الصّحيح فيها دون المجازفة في المقالة ، و كيف يمكن عاقلا سمع الأخبار أونظر في شيء من الآثار أن يدّعي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام توفّي وله ستّون سنة مع قوله عليه السلام الشايع عنه الذايع في الخاص والعام عند مابلغه من ارجاف أعدائه في التدبير والرّأي :

بلغني أنّ قوماً يقولون إنّ عليّ بن أبيطالب شجاع لكن لا بصيرة له بالحرب

لله أبوهم وهل فيهم أحد أبصربها منّي لقد قمت فيها وما بلغت العشرين وها أنا قد ذرفت على الستّين،ولكن لا رأى لمن لايطاع .

فخبرّ عليه السلام بأنّه نيف على الستّين في وقت عاش بعده دهراً طويلا ، وذلك في أيّام صفين و هكذا يكذب قول من زعم أنه صلوات الله عليه توفّى و له ستّون سنة مع أنّ الرّوايات قد جائت مستفيضة ظاهرة بأنّ سنّه كانت عند وفاته بضعاً وستّين سنة وفي مجيها بذلك على الانتشار دليل على بطلان مقال من أنكرذلك .

فمن ذلك ما ذكره عليّ بن عمرو بن أبي سيرة عن عبدالله بن محمّد بن عقيل قال : سمعت محمّد بن الحنفية يقول في سنة الجحاف حين دخلت سنة إحدى و ثمانين هذه لي خمس وستّون سنة و قد جاوزت من أبي قلت : وكم كان سنّه يوم قتل ؟ قال : ثلاثاً وستّين سنة .

و منهم أبوالقاسم نعيم قال : حدّثنا شريك عن أبي إسحاق قال توفّى عليّ صلوة الله عليه وهوابن ثلاث وستّين سنة .

ومنهم يحيى بن أبي كثيرعن سلمة قال : سمعت أباسعيدالخدري يقول : وقد سئل عن سنّ أميرالمؤمنين صلوات الله عليه يوم قبض قال : قد كان نيف على الستّين .

و منهم ابن عايشة من طريق أحمد بن زكريّا قال : سمعته يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليّ ابن عشر سنين وقتل عليّ وله ثلاث وستّون سنة

ومنهم الوليد بن هاشم الفخذي «الفحدمي خ» من طريق أبي عبدالله الكواسجى «شحي خ» قال:أخبرنا الوليد بأسانيد مختلفة أنّ عليّاً صلوات الله عليه قتل بالكوفة يوم الجمعة لتسع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان سنة أربعين وهوابن خمس وستّين سنة .

فأما من روى أنّ سنه كانت عند البعثة أكثر من عشرسنين فغيرواحد .

منهم عبدالله بن مسعود من طريق عثمان بن المغيرة عن وهب عنه قال : إنّ أوّل شيء علمته من أمررسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنّى قدمت مكّة فأرشدونا إلى العباس ابن عبد المطّلب فانتهينا إليه و هوجالس إلى زمزم فبينا نحن جلوس إذأقبل رجل

من باب الصفا عليه ثوبان أبيضان على يمينه غلام مراهق أو محتلم تتبعه امرأة قد سترت محاسنها حتّى قصدوا الحجر ، فاستلمه والغلام والمرأة ثمّ طاف بالبيت سبعاً والغلام والمرأة يطوفان معه ، ثمّ استقبل الكعبة فقام فرفع يديه وكبّر فقام الغلام عن يمينه وكبّر وقامت المرأة خلفهما فرفعت يديها فكبّرت ؛ فأطال القنوت ثمّ ركع فركع الغلام والمرأة معه ، ثمّ رفع رأسه فأطال القنوت ، ثمّ سجد ويصنعان ما صنع فلمّا رأينا شيئاً ننكره ولا نعرفه بمكّة أقبلنا على العباس فقلنا : يا أبا الفضل إنّ هذا الدّين ما كنّا نعرفه ، قال : أجل والله ماتعرفون هذا ، قلنا : ما تعرفه قال : هذا ابن أخي محمّد بن عبدالله ، و هذا عليّ بن أبيطالب ، و هذه المرأة خديجة بنت خويلد ، والله ماعلى وجه الأرض أحد يعبدالله بهذا الدّين إلاّ هؤلاء الثلاثة .

و روى قتادة عن الحسن وغيره قال : كان أوّل من آمن عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن خمس عشرة سنة أوستّ عشرة سنة .

وروى شدّاد بن أوس قال : سألت خباب بن الأرتّ عن إسلام عليّ بن أبيطالب عليه السلام قال : أسلم و هو ابن خمس عشرة سنة ، و لقد رأيته يصلّي مع النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم وهو مستحكم البلوغ.

و روى عليّ بن زيد عن أبي نضرة قال : أسلم عليّ وهو ابن أربع عشرة سنة ، و كان له يومئذ ذؤابة يختلف إلى الكتاف .

وروى عبدالله بن زياد عن محمّد بن عليّ قال: أوّل من آمن بالله عليّ بن أبيطالب عليه السلام وهو ابن إحدى عشرة سنة .

وروى الحسن بن زيد قال : أوّل من أسلم عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو ابن خمسة عشرة ، وقد قال عبدالله بن الحارث بن أبي سفيان بن عبدالمطلب .

و صلّى عليّ مخلصاً بصلاته لخمس وعشر من سنيه كوامل
وخلّى أناسا بعده يتبعونه له عمل أفضل به صنع حامل

و روى سلمة بن كهيل عن أبيه عن حبة بن جوين العرني قال : أسلم عليّ صلوات الله عليه وآله و كان له ذؤابة يختلف إلى الاكتاف .

على أنّا لو سلّمنا لخصومنا ماادّعوه من أنه كان له عند المبعث سبع سنين لم يدلّ ذلك على صحّة ماذهبوا إليه من أنّ ايمانه كان على وجه التّلقين دون المعرفة و اليقين ، و ذلك أنّ صغر السنّ لا ينافي كمال العقل وليس دليل وجوب التكليف بلوغ الحلم فيراعى ذلك هذا باتّفاق أهل النّظر و العقول ، و إنّما يراعى بلوغ الحلم في الأحكام الشّرعية دون العقلية ، فقد قال سبحانه في قصّة يحيى: وآتيناه الحكم صبيّاً ، وقال في قصّة عيسى : فأشارت إليه قالوا كيف نكلّم من كان في المهد صبيّا ، قال إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلنى نبيّاوجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصّلوة والزّكاة ما دمت حيّاً ، فلم ينف صغر سنّ هذين النّبيّين عليهما السلام كمال عقلهما أوالحكمة الّتي آتاهماالله سبحانه ، ولو كانت العقول تحيل ذلك لاحالته فيكلّ أحد وعلى كلّ حال .

و قد أجمع أهل التفسير إلاّ من شذّ عنهم في قوله تعالى : وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهومن الكاذبين وإن كان قميصه قدّ من دبر فكذبت وهومن الصّادقين ، أنّه كان طفلا صغيراً في المهدأنطقهالله عزّ وجلّ حتّى برء يوسف من الفحشاء وأزال عنه التّهمة .

والنّاصبة إذا سمعت هذاالاحتجاج قالت: إنّ هذا الذي ذكرتموه فيمن عددتموه كان معجزاً لخرق العادة و دلالة لنبيّ من أنبياء الله ، فلوكان أميرالمؤمنين مشاركاً لمن وصفتموه في خرق العادة لكان معجزاً له أو للنبيّ وليس يجوز أن يكون معجزاً له ولوكان معجزاً للنّبيّ لجعله في معجزاته واحتجّ به في جملة بيّناته ولجعله المسلمون في آياته ، فلمّا لم يجعله رسول الله لنفسه علماً ولا عدّه المسلمون في معجزاته علمنا أنّه لم يجرفيه الأمر على ما ذكرتموه .

فيقال لهم : ليس كلّ ماخرق الله به العادة وجب أن يكون علماً و لا لزم أن يكون معجزاً ولا شاع علمه في العام ولا عرف من جهة الاضطرار ، وإنّما المعجز العلم هو خرق العادة عند دعوة داع أوبرائة معروف يجرى برائته مجرى التّصديق له في مقاله ، بل هى تصديق في المعنى و إن لم يك تصديقا بنفس اللّفظ و القول ،

و كلام عيسى إنّما كان معجزاً لتصديقه له في قوله : إنّي عبدالله آتاني الكتاب وجعلني نبيّاً ، مع كونه خرقاً للعادة و شاهداً لبرائة أمّه من الفاحشة . و لصدقها فيما ادّعته من الطهارة ، وكان حكمة يحيى في حال صغره تصديقا له في دعوته في الحال ولدعوة أبيه زكريّا فصارت مع كونها خرق العادة دليلاً ومعجزاً ، و كلام الطّفل في برائة يوسف إنّما كان معجزاً لخرق العادة بشهادته ليوسف عليه السلام للصّدق في برائة ساحته ويوسف نبيّ مرسل فثبت أنّ الأمر ماذكرنا ولم يكن كمال عقل أمير المؤمنين شاهداً في شيء ممّن ادّعاه ولا استشهد هو عليه السلام به فيكون مع كونه خرقاً للعادة معجزاً ولواستشهد به أوشهد على حدّ ما شهدالطفل ليوسف و كلام عيسى له ولأمّه و كلام يحيى لأبيه بمايكون في المستقبل و الحال لكان لخصومنا وجه للمطالبة بأن يذكر ذلك في المعجزات لكن لا وجه له على ما بيّناه .

على أنّ كمال عقل أمير المؤمنين عليه السلام لم يكن ظاهراً للحواسّ ، ولا معلوماً بالاضطرار فيجرى مجرى كلام المسيح ، و حكمة يحيى ، و كلام شاهد يوسف ، فيمكن الاعتماد عليه في المعجزات ، و إنّما كان طريق العلم مقال الرّسول و الاستدلال الشّاق بالنظر الثاقب و السرّ لحاله عليه السلام وعلى مرور الأوقات بسماع كلامه والتأمل لاستدلالاته والنظر فيما تؤدّي إلى معرفته وفطنته ثمّ لايحصل ذلك إلاّ لخاص من النّاس و من عرف وجوه الاستنباطات و ماجرى هذا المجرى فارق حكمه حكم ماسلف للأنبياء من المعجزات وما كان لنبيّنا صلى الله عليه وآله وسلم من الاعلام إذاتلك بظواهرها فقدح في القلوب أسباب اليقين وتشرك الجميع في الحال الظاهرة منها المنبئة عن خرق العادات دون أن تكون مقصورة على ما ذكرناه من البحث الطويل والاستقرار للأحوال على مرور الأوقات أوالرّجوع فيه إلى نفس قول الرّسول صلى الله عليه وآله الذي يحتاج في العلم به إلى النّظر في معجز غيره والاعتماد على ماسواه من البيّنات فلا ينكر أن يكون الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إنّما عدل عن ذكر ذلك واحتجاجه به في جملة آياته لما وصفناه .

وشيء آخروهوأنّه لاينكرأن يكون الله سبحانه علم من مصلحة خلقه الكفّ من رسول الله عن الاحتجاج بذلك والدّعاء إلى النظرفيه وأنّ اعتماده على ماظاهره خرق العادة أولى في مصلحة الدّين .

وشيء آخروهو أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وإن لم يحتجّ به على التفصيل والتعيين فقد فعل مايقوم مقام الاحتجاج به على البصيرة واليقين ، فابتدء علياً عليه السلام بالدعوة قبل الذّكور كلّهم ممّن ظاهره البلوغ و افتتح بدعوته قبل أداء رسالته ، و اعقد عليه في ايداعه سرّه و أودعه ما كان خائفاً من ظهوره عنه ، فدلّ باختصاصه بذلك على مايقوم مقام قوله إنّه معجزله و إنّ بلوغ عقله علم على صدقه ، ثمّ جعل ذلك من مفاخره وجليل مناقبه وعظيم فضايله ، ونوّه بذكره وشهره بين أصحابه فاحتجّ له به في اختصاصه ، وكذلك فعل أمير المؤمنين صلوات الله عليه في ادّعائه له ، فاحتجّ به على خصومه وتمدّح به بين أوليائه و فخربه على جميع أهل زمانه ، و ذلك هو معنى النطق بالشّهادة بالمعجزله بل هوالحجّة في كونه نائبا في القوم بماخصّه الله تعالى منه ونفس الاحتجاج لعلمه ودليل الله وبرهانه وهذا يسقط ما اعتمدوه .

وممّا يدلّ على أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان عند بعثة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم بالغاً مكلّفا وأنّ إيمانه به كان بالمعرفة والاستدلال وأنّه وقع على أفضل الوجوه و آكدها في استحقاق عظيم الثّواب أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله مدحه بـه و جعله من فضائله و ذكره في مناقبه ، ولم يك بالذي يفضل بما ليس يفضل ويجعل في المناقب مالا يدخل في جملتها ، ويمدح على مالايستحقّ عليه الثواب .

فلمامدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمير المؤمنين عليه السلام بتقدّمه الايمان فيماذكرناه آنفا : **من قوله** صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة عليها السّلام: أما ترضين أنّي زوّجتك أقدمهم سلماً : **وقوله** صلى الله عليه وآله في رواية سلمان: أوّلهذه الأمّة وروداً على نبيّها الحوض أوّلها إسلاما علي بن أبيطالب **و قوله** صلى الله عليه وآله وسلم: لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين، وذلك إنّه لم لم يكن من الرّجال أحد يصلّي غيري وغيره .

وإذا كان الأمر على ما وصفناه فقد ثبت أنّ إيمانه وقع بالمعرفة و اليقين

دون التقليد والتلقين لاسيّما وقد سمّاه رسول الله إيماناً وإسلاماً ومايقع من الصبيان على وجه التلقين لايسمّى على الاطلاق الدّيني إيمانا وإسلاماً .

و يدلّ على ذلك أيضاً أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه قد تمدّح به وجعله من مفاخره و احتجّ به على أعدائه و كرّره في غير مقام من مقاماته حيث يقول : اللّهمّ إنّي لاأعرف عبداً لك عبدك من هذه الاُمة قبلي ، **وقوله** أنا الصّديق الأكبر آمنت قبل أن يؤمن أبوبكر وأسلمت قبل أن يسلم **وقوله** صلوات الله عليه لعثمان أنا خير منك ومنهما عبدت الله قبلهما و عبدت الله بعدهما **وقوله** عليه السلام أنا أوّل ذكر صلّى ، **وقوله** عليه السلام على من اكذب أعلى الله فأنا أوّل من آمن به وعبده.

فلو كان إيمانه على ماذهبت إليه النّاصبة من جهة التّلقين ولم يكن له معرفة ولا علم بالتّوحيد لماجازمنه أن يتمدّح بذلك ، ولا أن يسمّيه عبادة ولا أن يفخر به على القوم ، ولا أن يجعله تفضيلا له على أبي بكر وعمر ، ولو أنه فعل من ذلك مالا يجوز لردّه عليه مخالفوه و اعترضه فيه مضادّوه وحاجّه في بطلانه مخاصموه، و في عدول القوم عن الاعتراض عليه في ذلك و تسليم الجماعة له ذلك دليل على ما ذكرناه وبرهان على فساد قول النّاصبة الذي حكيناه .

وليس يمكن أن يدفع مارويناه في هذا الباب من الأخبار لشهرتها و اجماع الفريقين من النّاصبة والشّيعة على روايتها ، ومن تعرّض للطعن فيها مع ما شرحناه لم يمكنه الاعتماد على تصحيح خبر وقع في تأويله الاختلاف ، و في ذلك ابطال جمهور الأخبار ، وإفساد عامة الآثار وهب أنّ من لايعرف الحديث ولا خالط أهل العلم يقدم على انكار بعض ما رويناه أو يعاند فيه بعض العارفين به ويغتنم الفرصة بكونه خاصّا في أهل العلم كيف يمكن دفع شعر أمير المؤمنين في ذلك و قد شاع من شهرته على حدّ يرتفع فيه الخلاف وانتشر حتّى صار مسموعا من العامّة فضلا عن الخواص في قوله عليه السلام :

محمّد النّبيّ أخي وصنوي ‏ ‏ ‏ ‏ وحمزة سيّد الشّهداء عمّي

و جعفر الذي يضحى و يمسى يطير مع الملائكة ابن أُمّي
و بنت محمّد سكني و عرسى مساط لحمها بدمى و لحمي
و سبطا أحمد ولداى منها فمن فيكم له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الاسلام طرّاً على ما كان من فهمى و علمي
وأوجب لي الولاء معاً عليكم خليلي يوم دوح غدير خم

و في هذا الشعر كفاية في البيان عن تقدّم ايمانه وأنّه وقع مع المعرفة بالحجة والبيان، وفيه أيضاً أنّه كان الامام بعد الرسول بدليل المقال الظّاهر في يوم الغدير الموجب للاستخلاف .

و ممّا يؤيد ما ذكرناه ما رواه عبدالله بن الأسود البكرى عن عبيدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله صلّى يوم الاثنين و صلّت خديجة معه ودعا عليّا إلى الصّلاة معه يوم الثلثاء فقال له: أنظرني حتّى ألقى أباطالب فقال له النّبي صلّى الله عليه وآله: إنّها أمانة، فقال عليّ: فإن كانت أمانة فقد أسلمت لك فصلّى معه و هو ثاني يوم المبعث .

و روى الكلينيّ عن أبي صالح عن ابن عبّاس مثله ، وقال في حديث إنّ هذا دين يخالف دين أبي حتّى أنظر فيه وأُشاور أباطالب فقال له النّبيّ صلّى الله عليه وآله: انظروا كتم ، قال : فمكث هنيئة ثمّ قال بل أجبتك وأُصدّق بك فصدّقه وصلّى معه .

وروى هذا المعنى بعينه وهذا المقال من أمير المؤمنين على اختلاف في اللفظ و اتفاق في المعنى كثير من حملة الآثار ، و هو يدلّ على أنّ أمير المؤمنين كان مكلّفاً عارفا في تلك الحال بتوقفه واستدلاله وتمييزه بين مشورة أبيه وبين الاقدام على القبول والطاعة للرّسول من غير فكرة ولا تأمل ، ثمّ خوفه أن القى ذلك إلى أبيه أن يمنعه منه مع أنّه حقّ فيكون قد صدّ عن الحقّ فعدل عن ذلك إلى القبول وعدل من النّبيّ مع أمانته وماكان يعرفه من صدقه من مقاله وما سمعه من القرآن الذي نزل عليه و أراد الله من برهانه أنّه رسول محقّ فآمن به وصدّقه ، وهذا بعد أن ميّز بين الامانة وغيرها وعرف حقّها وكره أن يفشى سرّ الرسول وقد ائتمنه عليه

وهذا لايقع باتفاق من صبيّ لاعقل له ولايحصل ممّن لاتميزمعه .

ويؤيده أيضاً ما ذكرناه أنّ النبيّ بدء به في الدّعوة قبل الذكوركلّهم وإنّما أرسله الله تعالى إلى المكلّفين فلولم يعلم أنه عاقل مكلّف لما افتتح به أداء رسالته و قدّمه في الدعوة على جميع من بعث الله إليه ، لأنه لوكان الأمر على ما ادّعته الناصبة لكان عليه السلام قد عدل عن الأولى وتشاغل بما لم يكلّفه عن أداء ماكلّفه ووضع فعله في غير موضعه،ورسول الله صلى الله عليه وآله يجلّ عن ذلك .

و شيء آخر وهو أنه صلى الله عليه وآله دعا عليّاً في حال كان مستتراً فيها بدينه كاتماً لأمره خائفا ان شاع من عدوّه فلا يخلو أن يكون قد كان واثقا من أمير المؤمنين بكتم سرّه وحفظ وصيّته وامتثال أمره وحمله من الدّين ماحمله ، أولم يكن واثقاً بذلك فان كان واثقاً و لم يثق به عليه السلام إلاّ وهو في نهاية كمال العقل وعلى غاية الأمانة وصلاح السريرة و العصمة و الحكمة وحسن التّدبير ، لأنّ الثقة بما وصفناه دليل جميع ماشرحناه على الحال الّتي قدّمناوصفها ، وإن كان غير واثق من أمير المؤمنين بحفظ سرّه وغير آمن من تضييعه وإذاعة أمره فوضعه عنده من التفريط وضدّ الحزم والحكمة والتدبير ، حاشا الرّسول صلى الله عليه وآله من ذلك ومن كلّ صفة نقص وقد أعلى الله عزّ وجلّ رتبته وأكذب مقال من ادّعا ذلك فيه .

وإذا كان الأمر على ما بيّناه فما ترى النّاصبة قصدت بالطّعن في ايمان أمير المؤمنين إلاّ عيب الرّسول صلى الله عليه وآله والزم لافعاله ووصفه بالعبث والتفريط ووضع الأشياء غير موضعها والازراء عليه في تدبيراته وما أراد مشايخ القوم ومن ألقى هذا المذهب اليهم إلاّ ما ذكرناه والله متمّ نوره ولو كره الكافرون .

و انما أوردت هذا الكلام بطوله مع كثرة فوائده و مزيد عوائده و وثاقة مبانيه و لطافة معانيه و إنبائه عن علوّ شأن قائله ورفعة مقامه وطول باعه في باب المناظرة والجدال وقوّة ذراعه في إبطال مقال أهل العصبيّة والضّلال ، فحرىّ له أن يلقّب بالمفيد وهنيئاً له أن يخرج باسمه التّوقيع الشريف من الامام الرّشيد ، جزاه الله عن مذهب الحقّ وأهله خير الجزاء .

وأما الشارح المعتزلى

فقد قال في شرح الكلام السّادس والخمسين إنّ أكثر أهل الحديث وأكثر المحقّقين من أهل السّيرة رووا أنّه أوّل من أسلم ، ثمّ روى من كتاب الاستيعاب لأبي عمرو يوسف بن عبدالبرّ روايات كثيرة دالّة على سبق إسلامه عليه السلام .

وقال بعدها : واعلم أنّ شيوخنا المتكلّمين لايكادون يختلفون في أنّ أوّل النّاس إسلاماً عليّ بن أبيطالب إلاّ من عساه خالف في ذلك من أوائل البصريّين ، فأمّا الذي تقرّرت المقالة عليه الآن فهو القول بأنّه سبق الناس إلى الايمان لا تكاد تجد اليوم في تصانيفهم وعند متكلّميهم والمحقّقين منهم خلافاً في ذلك .

قال : و اعلم أنّ أمير المؤمنين ما زال يدّعى ذلك لنفسه ويفتخر به و يجعله في أفضليّته على غيره ويصرّح بذلك ، وقد قال غير مرّة : أنا الصدّيق الأكبر ، وأنا الفاروق الأوّل أسلمت قبل اسلام أبي بكر وصلّيت قبل صلاته .

وروى عنه هذا الكلام بعينه أبومحمّد بن قتيبة في كتاب المعارف وهوغير متّهم في أمره ومن الشّعر المرويّ عنه في هذا المعنى الأبيات التي أوّلها :

محمّد النبيّ أخي و صنوي   وحمزة سيّدالشهداء عمّي

ومن جملتها :

سبقتكم إلى الاسلام طرّاً   غلاما ما بلغت أوان حلمي

و الأخبار الواردة في هذا الباب كثيرة جدّاً لايتّسع هذا الكتاب لذكرها فليطلب من مظانّها ، ومن تأمّل كتب السّير والتّواريخ عرف من ذلك ماقلناه .

ثمّ قال : فأمّا الذّاهبون إلى أنّ أبابكر أقدمها إسلاماً فنفر قليلون ، و نحن نذكر ما أورده ابن عبدالبرّ أيضاً في كتاب الاستيعاب في ترجمة أبي بكر و ذكر الأخبار الواردة في سبق إسلامه ، ثمّ قال ومعلوم أنّه لانسبة لهذه الرّوايات التي ذكرناها في ترجمة عليّ الدّالة على سبقه ، و لا ريب أنّ الصّحيح ما ذكره أبوعمرو أنّ عليّا كان هو السابق و أنّ أبابكر هو أوّل من أظهر الاسلام فظنّ أنّ السّبق له .

فدلّ مجموع ماذكرناه أنّ عليّا هو أوّل النّاس إسلاما وأنّ المخالف في ذلك شاذّ ، والشاذّ لايعتدّبه .

الترجمة

از جمله کلام بلاغت نظام آن امام أنام است در توبیخ و مذمت أصحاب خود که فرمود :

أی نفسهای متخلف وأی قلبهای پراکنده و متفرّق که حاضراست بدنهای ایشان وغایب است از ایشان عقلهای ایشان ، برمیگردانم شما را برحق وشما رم می‌کنید ازآن مثل رم کردن بز از آواز مهیب شیر ، چه دور است که اظهاربکنم بشما نهان عدل را یا این که راست بکنم کجی حقرا .

بار پروردگارا البته تو میداني که نبود آنچه که واقع شد ازما یعنی طلب خلافت ومحاربه ازبرای رغبت کردن در سلطنت دنیا ، ونه أزجهة خواهش چیزی از متاع بی‌قدرو بها ، ولیکن این طلب و حرب بجهة این بود که برگردانیم آثار دین تورا ، و اظهار اصلاح نمائیم درشهرهای تو تا اینکه ایمن شوند ستم رسیده از بندگان تو ، وبرپا شود آنچه که تعطیل افتاد ازحدود تو .

بار پروردگارا بتحقیق من أوّل کسی هستم که بازگشت نمود بسوی تو وشنید دعوت پیغمبررا وقبول نمود آن‌را ، سبقت نکردبمن‌مگرحضرت رسول صلى الله عليه وآله بنماز ، و بتحقیق که شما دانسته‌اید آنکه جائز و سزاوار نیست که باشد حاکم والی برفرجها وبرخونها وغنیمتها وحکمها وأمانت مسلمانان شخص بخیل تا شود در مالهای ایشان حرص و رغبت او ، ونه شخص نادان تا بضلالت اندازد ایشان را بجهالت خود ، ونه شخص کج خلق تا ببرد ایشان را از یکدیگر بجهة کج خلقي خود ، ونه شخص ظلم کننده در دولتها تافرا گیرد قوم دون قوم را وترجیح بدهد بعض ایشان را به‌بعضی ، ونه شخص رشوت گیر نده درحکم‌تاببردحقوق‌مسلمانان‌را

ونگه بدارد آن حقوق را در مقام قطع کردن وقطع وفصل ننماید ، ونه شخصی که تعطیل کننده است سنّت وشریعت مطهره را تا این که بهلاکت اندازد اُمت را .

ومن خطبة له عليه السلام وهی المأة والثانی والثلاثون من المختار فی باب الخطب

نَحْمَدُهُ عَلىٰ ما أَخَذَ وَأَعْطىٰ ، وَعَلىٰ ما أَبْلىٰ وَابْتَلىٰ ، اَلْباطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ ، وَالْحاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، اَلْعالِمُ بِما تُكِنُّ الصُّدُورُ ، وَما تَخُونُ الْعُيُونُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ ، شَهادَةً يُوافِقُ فِيها السِّرُّ الإِعْلانَ ، وَالْقَلْبُ اللِّسانَ .

منها :

فَإِنَّهُ وَاللهِ الْجِدُّ لا اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لا الْكَذِبُ ، وَما هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ داعِيهِ ، وَأَعْجَلَ حادِيهِ ، فَلا يَغُرَّنَّكَ سَوادُ النّاسِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ كانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمالَ ، وَحَذِرَ الإِقْلالَ ، وَأَمِنَ الْعَواقِبَ طُولَ أَمَلٍ ، وَاسْتِبْعادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ مَأْمَنِهِ مَحْمُولاً عَلىٰ أَعْوادِ الْمَنايا ، يَتَعاطىٰ بِهِ الرِّجالُ الرِّجالَ ، حَمْلاً عَلَى الْمَناكِبِ ، وَإِمْساكاً بِالأَنامِلِ ، أَما رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ

بَعِيداً ، وَ يَبْنُونَ مَشِيداً ، وَيَجْمَعُونَ كَثِيراً ، كَيْفَ أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُوراً ، وَ مَاجَمَعُوا بُوراً ، وَصارَتْ أَمْوالُهُمْ لِلْوارِثِينَ ، وَأَزْواجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لا في حَسَنَةٍ يَزِيدُونَ ، وَلا مِنْ سَيِّئَةٍ يَسْتَعْتِبُونَ ، فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوى قَلْبَهُ بَرَزَ مَهَلُهُ ، وَفازَ عَمَلُهُ ، فَاهْتَبِلُوا هَبَلَها ، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَها ، فَإِنَّ الدُّنيا لَمْ تُخْلَقْ لَكُمْ دارَ مُقامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجازاً لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الأَعْمالَ إِلىٰ دارِ الْقَرارِ ، فَكُونُوا مِنْها عَلىٰ أَوْفازٍ ، وَ قَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيالِ .

اللغة

قال الشّارح المعتزلي (أبلى) أى أعطى يقال : قد أبلاه الله بلاءً حسناً أى أعطاه قال زهير :

جزى الله بالاحسان ما فعلا بكم و أبلاهما خيرالبلاء الذي يبلو

و أمّا قوله (و ابتلى) فالابتلاء إنزال مضرّة بالانسان على سبيل الاختبار كالمرض والفقر و المصيبة ، وقد يكون بمعنى الاختبار في الخير إلاّ أنّه كثيراً ما يستعمل في الشّر.

أقول : والظاهر أنّ استعمال البلاء في الاعطاء أيضاً على الغالب لادائماً ، وإلاّ فقد قال سبحانه : ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس و الثّمرات .

والتحقيق أنّ الا بلاء والابتلاء كلاهما من البلاء بمعنى الاختبار و الامتحان قال الفيروزآبادي : ابتليت الرّجل اختبرته وامتحنته كبلوته بلواً ، ثمّ قال : والبلاء

يكون منحة ويكون محنة ، وفي المصباح بلاه الله بخير أوشرّ يبلوه بلواً و أبلاه بالألف وابتلاه ابتلاء بمعنى امتحنه ، و الاسم بلاء مثل سلام ، والبلوى والبليّة مثله و (كننته) أكنه من باب قتل سترته ، و أكننته بالألف أخفيته ، وقال أبوزيد الثلاثي والرّباعي لغتان في السرّو في الاخفاء جميعاوتكنّ الصّدور في النّسخ من باب الافعال .

و (اللعب) في بعض النسخ بفتح اللاّم و كسرها وفي بعضها بتخفيف العين قال ابن قتيبة ولم يسمع في التخفيف فتح اللاّم مع السكون وهو الظاهر من الفيروز آبادي قال: لعب كسمع لعْباً ولعِبا ولعِباً وتلعابأضدّ جدّ وهو لعّب ولعِب و (الكذب) أيضاً في بعض النسخ بفتح الأوّل وكسر الثاني وفي بعضها بالسّكون و (دعا) المؤذّن الناس إلى الصّلاة فهو داعي الله و (حدوت) بالابل حثثتها على السّير بالحداء وحدوته على كذا بعثته عليه و (المشيد) من شدت البيت أشيده من باب باع بنيته بالشّيد وهو بالكسر الجصّ و (البور) الفاسد الهالك وقوم بور أي هلكى قال سبحانه : وكنتم قوماً بوراً ، وهو جمع باير كحول وحايل .

و (يستعتبون) في بعض النسخ على البناء للفاعل و في بعضها على البناء للمفعول ، و (برزمهله) أي فاق أو بمعنى أبرز أي أظهر ، و المهل شوط الفرس هكذا قال الشّارح المعتزلي ، و شوط الفرس جريه مرّة إلى غاية ، و الأظهر أنّ المهل بمعنى التقدّم في الخير كماقاله في القاموس و (اهتبل) فلان الصّيد بغاه وطلبه و اهتبل كلمة حكمة اغتنمها، والهبال وزان شداد الصيّاد ، و ذئب هبال أي محتال ، و اهتبل هبلك محرّكة عليك بشأنك و (الأوفاز) جمع و فز بسكون الفاء ويحرّك أيضاً وهو العجلة و (الظهور) كأظهر جمع ظهر الرّكاب وهم مظهرون أي لهم ظهور ينقلون عليها و (زايله) مزايلة وزيالا أي فارقه

الاعراب

قوله : فانّه والله آه الضّمير إمّا راجع إلى متقدّم ذكره لفظا في تضاعيف كلامه عليه السلام وأسقطه السيّد(ره) والتقطه غيره على ماهوعادته من التقطيع والالتقاط أو أنّه ضمير الشّان كما في قولك هو الأمير مقبل أي الشأن هذا .

قال نجم الأئمة : وهذا الضمير في الحقيقة كأنه راجع إلى المسئول عنه بسؤال

مقدّر كأنه سمع ضوضاة وجلبة فأستبهم الأمر فسأل بالشأن والقصة، فقلت هو الأمير مقبل، أى الشأن هذا، فلما كان المعود إليه الذى تضمنه السؤال غير ظاهر قبل اكتفى في التفسير بخبر هذا الضمير بتعقّبه بلافصل لأنه معين للمسؤل عنه ومبيّن له، فبان لك بهذا أنّ الجملة بعد الضمير لم يؤت بها لمجرّد التّفسير، بل هى كسائر اخبار المبتدات لكن سمّيت تفسيراً لما قرّرته، والقصد بهذا الابهام ثمّ التفسير تعظيم الأمر و تفخيم الشّأن، فعلى هذا لابدّ أن يكون مضمون الجملة المفسّرة شيئاً عظيماً يعتنى بـه فـلا يقال: هو الذّباب يطير، و قد يخبر عن ضمير الأمر المستفهم منه تقديراً بالمفرد تقول: هوالأمر حتّى لا تبقى على صرفه باقية.

و قال أيضاً في موضع آخر في شرح قول ابن الحاجب: المضمر ما وضع لمتكلّم أومخاطب أوغايب تقدّم ذكره لفظا أومعنى أوحكما: والتقدّم الحكمى أن يكون المفسّر مؤخّراً لفظا و ليس هناك مايقتضى تقدّمه على محلّ الضّمير إلاّ ذلك الضّمير، فنقول إنه و ان لم يكن متقدّماعلى الضمير لالفظاًولا معنى إلاأنّـه في حكم المتقدّم نظراً إلى وضع ضمير الغائب وإنّمايقتضى ضمير الغائب تقدّم المفسر لأنّـه وضعه الواضع معرفة لابنفسه بل بسبب ما يعود إليه، فان ذكرته و لم يتقدّم مفسّره بقى مبهمامنكراً لايعرف المراد به حتّى يأتي تفسيره بعده وتنكيره خلاف وضعه، فالشيء الحامل لهم على مخالفة مقتضى وضعه بتأخير مفسّره عنه قصد التفخيم و التعظيم في ذكر ذلك المفسّر بأن يذكروا أوّلا شيئاً مبهماً حتّى يتشوّق نفس السامع إلى العثور على المراد به ثمّ يفسّروه، فيكون أوقع في النفس وأيضاً يكون ذلك المفسّر مذكوراً مرّتين بالاجمال والتّفصيل ثانياً فيكون آكد انتهى.

وقوله: أسمع داعيه وأعجل حاديه، منصوبان على الحال أمّا لفظاً لو كان أفعل بصيغة التفضيل فيكون داعيه وحاديه مجرورين بإضافة افعل إليهما من باب إضافة الصّفة إلى مفعوله، ولو كان اسمع فعلا ماضيامن باب الافعال فداعيه منصوب بالمفعولية كذا في أكثر النّسخ و الجملة منصوبة المحلّ على الحال من الموت والعامل معنى الضمير أعنى هو لأنّـه للشّأن والشأن بمعنى المصدر كمافي قولك ماشأنك

واقفاً و المصدر في معنى الفعل مضافاً إلى تقويته معنى بشبه الفعل اخرى ، كأنّه قيل : ما الشّأن المسئول عنه إلاّ الموت فافهم جيّداً ، وإضافة داعيه إلى الضّمير من باب اضافة الصّفة إلى المفعول ، و كذلك الكلام في أعجل حاديه .

وقوله: فلايغرّنّك سواد النّاس من نفسك ، قال الشارح المعتزلي من ههنا إمّا بمعنى الباء أى لا يغرنّك النّاس بنفسك و صحّتك و شبابك فتستبعد الموت اغتراراً بذلك فتكون متعلّقة بالظاهر ، و إمّا أن تكون متعلّقة بمحذوف تقديره متمكناً من نفسك وراكنا إليها .

أقول : فعلى ماذكره تكون بمعنى الباء السببيّة ، ولكنّ الأظهر أن تكون بمعنى عند كما قاله أبو عبيدة في قوله تعالى : لن تغنى عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً ، فالمعنى لايغرّنّك سواد النّاس مجتمعين عندك ، ويحتمل أن يكون بمعناها الأصلى ، أى لا يغرنّك النّاس من إصلاح نفسك و لا يشغلونك عن التّوجه إلى ذاتك .

و طول أمل منصوب على المفعول له لأمن أوله وللأفعال السابقة أيضاً على سبيل التّنازع ، قال الشّارح المعتزلي : ويجوز أن ينصب على البدل من المفعول المنصوب برأيت وهو من و يكون التّقدير فقد رأيت طول أمل من كان ، وهذا بدل الاشتمال ، و قد حذف منه الضمير العائد كما حذف من قوله تعالى : قتل أصحاب الاخدود النار «انتهى» ولا بأس به والعايد المحذوف فى الآية لفظة منه أى النّار منه وقيل النّار مرفوع خبر لمبتدء محذوف أى هو النّار وقيل : التقدير ذى النّار ، هذا وروى في بعض النّسخ بطول أمل .

وحملا وامساكاً إمّا منصوبان على المصدر والعامل محذوف حال من فاعل يتعاطي ، أو مفعوله أى حالكونهم يحملونه حملاً فيكون حالا مقدّرة على حدّ : فادخلوها خالدين ، أومفعولان لأجله أى يتعاطونه للحمل والامساك ، ومشيداً صفة حذف موصوفه أى بناء مشيداً و قصراً مشيداً ، و مهله في بعض النّسخ بالرّفع

وبعضها بالنّصب .

المعنى

اعلم أنّ مدار هذه الخطبة على فصلين : أحدهما حمدالله المتعال و الاشارة إلى جملة من نعوت الكبرياء و الجمال ، و الثّاني التنفير من الدّنيا و الوصيّة بالزهد والتقوى .

اما الفصل الاول

فهو قوله (نحمده على ما أخذ وأعطى) أى على أخذه وإعطائه ، و المراد بالاعطاء واضح ، وأمّا الأخذ فيجوز أن يراد به أخذ الميثاق في عالم الذرّ بالتوحيد والنّبوة والولاية كما يشهد به قوله سبحانه : وإذ أخذ ربّك من بني آدم من ظهورهم ذرّيّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربّكم الآية ، أوأخذ عموم التكاليف أوخصوص الحقوق الماليّة كالخمس و الزّكاة والصّدقات ، أو أخذ ما أعطاه على بعض العباد وابتلائهم بالفقر والمسكنة بعدالغنى والثّروة ، فانّ أخذ ذلك كلّه من العباد لما كان فعلا جميلا منه سبحانه و تعالى عائداً منفعته إليهم ونعمة منه عزّ وجلّ عليهم استحقّ بذلك حمداً و شكراً و إن كان في بعضها ضرر دنيويّ إلّا أنّ ثمرتها الاُخرويّة أعظم وجزائها أدوم .

ويحتمل أن يكون المراد به أخذ المجرمين ، ومؤاخذة العاصين ، و إعطاء المحسنين ، وإنعام الصّالحين (و) نحمده (على ما أبلى و ابتلى) أى على اختباره وامتحانه بالخيروالشّر والنفع والضّرر ، لأنّ البلاء للأولياء كرامة ، والصّبرعلى المكاره و التحمل على المشاق من أفضل العبادات و أعظم القربات ، و إنّما يوفّى الصّابرون أجرهم بغير حساب ، وقد تقدّم تحقيقه في شرح الخطبة المأة و الثّالثة عشر فتذكّر .

(الباطن لكلّ خفيّة) أى الخبير البصير بكلّ مايبطن ويخفى (الحاضر لكلّ سريرة)أي العالم بكلّ ما يسرّ و يكتم ، و إن تجهر بالقول فانّه يعلم السّر

وأخفى (العالم بما تكنّ الصّدور) وتستره (وماتخون العيون) و تسترقه من الرّمزات و اللّحظات على وجه الخيانة و الخلاف كما قال عزّ من قائل : والله يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصّدور ، و قد مضى تحقيق الكلام في عموم علمه سبحانه بالجزئيات و الكلّيات و ما يتّضح به معنى هذه الفقرات في شرح الفصل السّادس و السّابع من الخطبة الأولى و شرح الخطبة الرّابعة و السّتينو الخامسة والثّمانين .

(و نشهد أن لا إله) إلاّ الله (غيره) متوحّداً في عزّ جلاله متفرّداً في قدس جماله ، متعاليا عن نقص كماله (وأنّ محمّداً صلّى الله عليه وآله نجيبه وبعيثه) أي عبده المنتجب المصطفى من بين كافّة الخلق و المرسل المبعوث إلى عامّتهم (شهادة يوافق فيها السّرّ الاعلان والقلب اللّسان) أي صادرة عن صميم القلب ووجه الخلوص وتوافق الباطن للظّاهر .

وأما الفصل الثاني (منها)

فهو قوله عليه السلام (فانّه والله الجدّ لا اللّعب و الحقّ لا الكذب و ما هو إلاّ الموت) لايخفى مافي هذا الكلام من التّهويل والتخويف والانذار بالموت لمافيه على وجازته من وجوه التّاكيد و ضروب التّفخيم البالغة إلى عشرة بعضها لفظيّة وبعضها معنويّة كما هو غير خفيّ على العارف بأسرار البلاغة وبدايعها .

أولها التأكيد بانّ **والثاني** الاتيان بضمير الشأن إبهاماً للمرام وقصداً للتّفخيم والاعظام وتشويقاً للسّامعين إلى ما يتلوه من النّبا العظيم **الثالث** اسميّة الجملة **الرابع** الاعتراض بين شطرى الكلام بقسم ، و إنّه لقسم لو تعلمون عظيم **الخامس** الاخبار بأنّه جدّ ليس بهزل **السادس** تعريف الجدّ باللّام قصداً للمبالغة من باب زيد الشّجاع أي الكامل في هذا الوصف **السابع** تعقيبه بانّه ليس بلعب **الثامن** إردافه بأنّه حقّ لا كذب و فيه من وجوه التّأكيد مافي قرنيه **التاسع** الاتيان بضمير الشّأن ثانيا قصداً لزيادة التمكن ما يعقبه في ذهن السّامعين لأنّ

المحصول بعد الطلب أعزّ من المنساق بلا تعب **العاشر** الاتيان بكلمة الحصر أعني ما وإلاّ .

واتبع ذلك كلّه بالوجه **الحاديعشر** فقال (أسمع داعيه) وبالوجه **الثانىعشر** فقال (وأعجل حاديه) أى أسمع من دعاه إلى الله سبحانه أى المدعوّ له و أسرع من ساقه إلى مكانه وحثّه إلى السّير اليه ونسبة الاسماع والاعجال إلى الموت من التوسّع والتوكيد بهذا كلّه لشدّة ما رآه من المخاطبين من الغفلة و نومة الجهالة و اشتغالهم عن ذكر الموت و مايحلّ عليهم من الفناء والفوت وعن أخذ الذّخيرة و الزّاد ليوم المعاد ، فأنزلهم منزلة المنكرين إيقاظا لهم عن رقدة الغافلين ، وأعلمهم أنّ الموت حقّ يقين ليس منه خلاص ولا مناص لا فرار ولا محار، وأنّه يدركهم و لو كانوا في بروج مشيّدة و إذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة و لا يستقدمون .

(فلا يغرنّك سواد النّاس) و كثرتهم و اجتماعهم حولك (من نفسك) ومن الاشتغال باصلاحها ، و قال الشّارح البحراني: أى فلايغرنّك من نفسك الأمّارة بالسّوء وسوستها واستغفالها لك عن ملاحظة الموت برؤية سواد النّاس أى كثرتهم إذ كثير أمّا يرى الانسان الميت محمولاً فيتدراكه من ذلك رقّة وروعة ، ثمّ يعاوده الوسواس الخنّاس ويأمره باعتبار كثرة المشيّعين له من النّاس . وأن يجعل نفسه من الاحياء الكثيرين بملاحظة شبابه وصحته ويأمره باعتبار أسباب موت ذلك الميّت من القتل وسائر الأمراض ، و باعتبار زوال تلك الأسباب في حقّ نفسه و بالجملة فيبعّد في اعتباره عندالموت بكلّ حيلة .

فنهى عليه السلام السّامعين عن الانخداع للنفّس بهذه الخديعة ، وأسند الغرور إلى سواد النّاس لأنّه مادّته ، ونبّه على فساد تلك الخديعة والاغترار بقوله (فقد رأيت من كان قبلك ممّن جمع المال وحذر الاقلال) أى خاف من الافتقار و مسائة الحال (وأمن العواقب) واطمئنّ بالأقارب (طول أمل واستبعاد أجل كيف نزل به الموت)

وحلّ بساحته الفناء و الفوت (فأزعجه) وأقلعه (عن وطنه) وسكنه (وأخذه عن مأمنه) ومسكنه ، وأرهقته منيّته دون الأمل ، وشذّ به عنه تخرّم الأجل (محمولا على أعواد المنايا) والنّعوش(يتعاطي به الرّجال الرّجال)ويتداولونه(خملاً له على المناكب وامساكاً بالأنامل) أى بالأيدى تسمية للكلّ باسم جزئه .

ثمّ أكّد فساد الاغترار بتقرير آخر فقال (أما رأيتم الذين يأملون) أملاً (بعيداً ويبنون) قصراً (مشيداً ويجمعون) مالا (كثيراً كيف أصبحت) أى صارت (بيوتهم قبوراً و ما جمعوا بوراً) أى فاسداً هالكاً (و صارت أموالهم للوارثين و أزواجهم لقوم آخرين) بلى وهومدرك بالعيان يشهد به التجربة والعيان (لا في حسنة يزيدون ولا من سيئة يستعتبون) أى لا يمكن لهم الزّيادة في الحسنات و لا طلب أن يعتب أى يرضى الله منهم في السّيئات ، وعلى البناء للمجهول فالمعنى أنّه لا يطلب منهم الاعتاب و الاعتذار بعد الانتقال إلى دار القرار ، و ذلك لأنّ استزادة الحسنات واستعتاب السّيئات إنّما هوفي دار التّكليف وحالة الحياة وأمّا الآخرة فهو دار الجزاء ، فيومئذ لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون ، فان يصبروا فالنّار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين ، وقد تقدّم توضيح ذلك في شرح الفصل الخامس من فصول الخطبة الثّانية والثّمانين

ولما نبّه على زوال الدّنيا وفنائها أردفه بما هو زاد الأخرى وذخيرتها فقال (فمن أشعر التقوى قلبه) أى لازمه لزوم الشعار بالجسد (برزمهله) أى فاق على أقرانه في جريه إلى مكانه أى تقدّمهم في السّير واكتساب الخير أو أنّه أبرز جريه وبان سبقه (وفاز عمله) أى نال إلى جزاء عمله وأدرك منتها أمله (فاهتبلوا هبلها) واغتنموا فرصتها و عليكم بشأنها (و اعملوا للجنّة عملها) الّذي به تدركونها و تستحقّونها .

(فانّ الدّنيا لم تخلق لكم دار مقام) لتنافسوا فيها (و انّما خلقت لكم مجازاً لتزوّدوا منها) صالح(الأعمال) و تتقوّوا للوصول بها (إلى دار القرار)

و مصاحبة الأبرار (فكونوا منها على أوفاز) وعجلة (وقربواالظهور) والركاب (للزيال) والمفارقة.

قال الشارح المعتزلي أمرهم أن يكونوا فيها على سرعة في قطع عقباتهـا و عجل في الارتحال عنها ، لأن التأني فيها يستلزم الالتفات إلى لذاتها و الغفلة عن المقصد الحق، واستعارله لفظ الظهور وهى الركاب مطايا الآخرة وهي الأعمال الصالحة و تقريبها للزيال هو العناية بالأعمال المقربة إلى الآخرة المستلزمة للبعد عن الدنيا والاعراض عنها ومفارقتها .

الترجمة

ازجمله خطب آن بزرگوار ومقتدای أخیار است :

حمد میکنم معبود بحق را بر اینکه أخذ فرمود و عطا نمود ، و بر اینکه امتحان کرد باخیر وشر خبیر است بهرأمر پنهان، وحاضر است مر هرسر نهانرا، عالم است بآنچه پوشیده است آن را سینها، وبر آنچه خیانت میکند در آن چشمها ، وشهادت می دهیم که نیست معبودی غیر از او ، واینکه محمّد بن عبدالله ﷺ بر گزیدهٔ اوست و فرستاده شدهٔ اوست ، چنان شهادتي که موافقت نماید در آن ظـاهر و باطن ، و قلب با زبان .

بعض دیگر از فقرات خطبه اینست که فرموده:

پس بدرستی که آن حقیقت است نه بازیچه ، وراست است نه دروغ ، ونیست آن مگر مرگ در حالتی که شنوانید خوانندهٔ خودرا ، و شتابانید رانندهٔ خودرا ، پس مغرور و فریفته ننماید ترا سیاهی مردمان و کثرت ایشان از اصلاح حال تو ، وحال آنکه بتحقیق دیدي تو کسیرا که بود پیش ازتو ازآنکسی که جمع کرد مال را وترسید از افتقار وپریشاني ، وایمن شد ازعواقب امور بجهة درازي آرزو ، وبعید شمردن أجل چگونه فرود آمد باو مرگ پس بر کند اورا از وطن مألوف خود و بگرفت او را از محل أمن خود در حالتیکه برداشته شده بود بر چوبهای

مركبها فرا میگرفتند اورا مردان ازمردان بنوبة بجهة برداشتن بردوشها ، ونگه داشتن با دستها ، آیا ندیدید کسانی را که آرزوی دور ودراز میکردند ، وقصرهای محکم میساختند ، وجمع می‌نمودند مالهای بسیار را گردید خانهای ایشان قبرها وآنچه که جمع می‌نمودند نیست و نابود ، و گشت مالهای ایشان مال وارثان ، وزنان ایشان أز برای دیگران ، نه در ثواب قدرت زیاده دارند ، ونه از گناه قدرت استرضاومعذرت .

پس کسی که شعارقلب خود نمود تقوی وپرهیزکاری‌را ظاهرشد پیش قدمی او ، وفائز شد بعمل خود ، پس‌اهتمام کنید اهتمامی که لایق آن‌تقوی باشد ، وعمل نمائید بجهت بهشت عملی که بآنجا برساند ، پس بدرستی که دنیای غدّار خلق نشده است ازبرای شما سرای اقامت و قرار ، وجزاین نیست خلق شده است برای شما راه گذرگاه تاتوشه بردارید ازآن عملهای شایسته را که برساند شمارابسوی سرای قرار ، پس باشیدازآن برشتاب ، ونزدیك گردانید پشتهای مرکبرا ازبرای رحلت ومفارقت نمودن‌ازاین دنیای‌فانی‌وبی‌وفا .

و من خطبة له عليه السلام و هى المأة و الثالثة و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين :

الفصل الاول

وَ انْقادَتْ لَهُ الدُّنْيا وَ الْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِها ، وَ قَذَفَتْ إِلَيْهِ السَّمٰوٰاتُ وَ الْأَرَضُونَ مَقالِيدَها ، وَ سَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَ الْآصالِ الْأَشْجارُ النّاضِرَةُ ، وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبانِها النِّيرانُ الْمُضِيئَةَ ، وَ آتَتْ أُكُلَها بِكَلِماتِهِ الثِّمارُ الْيانِعَةُ .

منها

وَ كِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، ناطِقٌ لاَ يَعْيا لِسانُهُ، وَ بَيْتٌ لاَ تُهْدَمُ أَرْكانُهُ، وَعِزٌّ لاَ تُهْزَمُ أَعْوانُهُ.

منها

أَرْسَلَهُ عَلى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَ تَنازُعٍ مِنَ الأَلْسُنِ، فَقَفّى بِهِ الرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ الْوَحْيَ، فَجاهَدَ فِي اللهِ الْمُدْبِرِينَ عَنْهُ، وَ الْعادِلِينَ بِهِ.

اللغة

(المقاليد) جمع المقلاد وهو كالمقلد بكسر الميم المفتاح، وفى المصباح المقاليد الخزائن و(قدح) بالزّند رام الايرآء(١) به والمقدح والمقداح والقداح حديدته و(القضبان) بالضمّ جمع القضيب وهو الغصن المقطوع ر (النّيران) جمع النّار و (الأُكل) بالضمّ وبضمّتين المأكول، و هو (بين أظهرهم) و ظهريهم و ظهرانيهم أى وسطهم و في معظمهم.

قال الشّارح المعتزلي: و إنّما قالت العرب: من بين أظهرهم و لم يقل بين صدورهم، لارادتهم بذلك الاشعار لشدّة المحامات عنه والمرامات من دونه، لأنّ الذيل (٢) إذا حامى القوم عنه استقبلوا الأسنة والسيوف عنه بصدورهم و كان هو محروساً مصوناً عن مباشرة ذلك ورآء ظهورهم و (تهدم) بالبناء على الفاعل و في بعض النسخ بالبناء على المفعول و (تهزم) بالعكس من هزمت الجيش هزماً من باب ضربته كسرته.

---

(١) الايراء الاستخراج بالنارقال تعالى أفرأيتم النار التى تورُون، منه.

(٢) أذيال الناس أواخرهم، منه.

الاعراب

الباء في قوله: بالغدوّ، بمعنى في، وفي قوله: بكلماته، للسّببيّة، و الثمار اليانعة، بدل من أكلها، أو عطف بيان، والواو في قوله: وكتاب الله، إمّا عاطفة لوكان لهامعطوف عليه أسقطه السّيد (ره) على عادته، أوللحال، أي تفعلون كذا و كتاب الله بينكم، و قوله: بين أظهركم، خبر لكتاب الله، فيكون ناطق خبراً لمبتداء محذوف، أي و هو ناطق، أو بدلا من بين أظهركم، و يجوز كونه خبراً لكتاب الله، فيكون بين أظهركم صفة لكتاب الله أوحالاً، والاوّل أظهر بل أقوى

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من الخطبة يدور على فصول ثلاثة على سبيل التّقطيع و الالتقاط.

الفصل الاول

في تمجيدالله سبحانه باعتبارعموم قدرته ونفاذ أمره وعظمة سلطانه وهوقوله (وانقادت له) أي لله تعالى السّابق ذكره في أوّل الخطبة أسقطه السّيد (ره) على عادته (الدّنيا و الآخرة بأزمّتها) أراد به نفوذ أمره سبحانه فيهما و كونه مالكا لأمرهماودخولهمافي ذلّ الامكان والافتقارإليه تعالى على سبيل الاستعارة بالكناية، تشبيهاً لهما بالحيوان السّلس المنقادلصاحبه الذي بيده زمامه المتمكّن من التّصرف فيه كيف شاء، وذكرالأزمّة تخييل والانقياد ترشيح.

(وقذفت) أي ألقت (إليه السّماوات والأرضون مقاليدها) وهو كناية عن قدرته وحفظه لها وأنّه لايملك أمرها ولا يتمكّن من التّصرف فيها غيره، و هو اقتباس من قوله سبحانه في سورة الزّمر: له مقاليد السّموات والأرض، قال الزّمخشري: أي هومالك أمرها وحافظها، وهي من باب الكناية (١) لأنّ حافظ

---

(١) يعني أنّ حافظ الخزائن يلزمه أن يكون مالك المقاليد فذكر اللاّزم أعني ملك المقاليد واريد الملزوم اعني حفظ الخزائن كما في زيد كثير الرماد، منه.

الخزائن و مدبّر أمرها هوالّذي يملك مقاليدها ، ومنه قولهم : فلان القيت إليه مقاليدالملك ، وهى المفاتيح ، وفي مجمع البيان يريد مفاتيح السّموات والأرض بالرّزق والرّحمة عن ابن عبّاس وقتادة ، وقيل خزائن السّموات والأرض يفتح الرّزق على من يشاء و يغلقه عمّن يشاء عن الضّحاك ، وقال في تفسير قوله : لـه مقاليدالسّموات والأرض يبسط الرّزق لمن يشاء ويقدر انّه بكلّ شيء عليـم في سورة الشورى: أى مفاتيح أرزاق السّماوات والأرض و أسبابها فتمطر السّماء بأمره وتنبت الأرض باذنه عن مجاهد ، وقيل معناه خزائن السّماوات والأرض عن السّدي يوسّع الرّزق لمن يشاء ويضيق على من يشاء على مايعلمه من المصالح .

قال الشّارح البحراني (ره) بعد ما حكى عن ابن عبّاس كون المقاليد بمعنى المفاتيح : وعن اللّيث كونه بمعنى الخزائن :

أقول : لفظ القذف مجاز (١) في تسليمها وانقيادها بزمام الحاجة و الامكان إلى قدرته مع جميع ماهى سبب في وجوده في هذا العالم ممّا هورزق ورحمة للخلق و كذلك لفظ المفاتيح على رأى ابن عبّاس استعارة للأسباب المعدّة للأرزاق والرّحمة ، وتلك الأسباب كحركات السّماوات واتّصالات بعض الكواكب ببعض و كاستعدادات الأرض للنّبات و غيره ، و وجه الاستعارة أنّ هذه الأسباب باعدادها الموادّ الأرضية يفتح بها خزائن الجود الالهي كما يفتح الأبواب المحسوسة بمفاتيحها و كلّها مسلّمة إلى حكمه و جريانهـا بمشيّته ، و على قول اللّيث فلفظ الخزائن استعارة في موادّها واستعداداتها ، و وجه الاستعارة أنّ تلك الموادّ و الاستعدادات يكون فيها بالقوّة و الفعل جميع المحدثات من الأرزاق و غيرها كما يكون في الخزائن مايحتاج إليه انتهى .

و هو تحقيق نفيس إلاّ أنّ الأظهر أنّ المقاليد إن جعلت بمعنى المفاتيح يكون كلامه من باب الاستعارة بالكناية ، حيث شبّه السّماوات والأرضون بخزائن الملك بجامع أن فيهما مايحتاج إليه الخلق كما يكون في الخزائن مايحتاج إليه، ويكون

---

(١) من باب مجاز المرسل للتلازم بين القذف والانقياد، منه.

ذكر مقاليدها تخييلا ، وذكر القذف ترشيحاً ، وفي نسبة القذف إليها نكتة خفيّة و هي الاشارة إلى أنّها لتمكينها التام لبارئها فكأنّها باختيارها ألقت و سلّمت مفاتيحها إليه سبحانه، وعلى هذا فالمقاليد بمعناها الأصلي وليس استعارة كما زعمه الشارح

و أمّا إن جعلت بمعنى الخزائن فهو كما قال الشّارح استعارة لما فيه من الموادّ والاستعدادات فافهم جيّداً .

(و سجدت له بالغدوّ و الآصال الأشجار النّاضرة) أراد به خضوع التكوين وذلّ الامكان كما قال سبحانه : ألم ترأنّ الله يسجد له من في السّموات و من في الأرض والشّمس والقمر والنجوم والجبال والشّجر والدّواب .

(و قدحت له من قضبانها النّيران المضيئة) نسبة القدح إلى الأشجار من باب التوسّع والمجاز العقلي ، لكون الأشجار سبباً ماديّاً ، والمراد أنّ تلك الأشجار أورت النّار واستخرجتها من أمر الله سبحانه واقتضاء مشيّته ، وفيه إشارة إلى كمال القدرة لأنّ إخراج النّار من الشّجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب كما قال تعالى في سورة يس : الّذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه تو قدون ، وفي سورة الواقعة : أفرأيتم النّار التى تورون ، أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤن نحن جعلناها تذكرة ومتاعاً للمقوين .

قال الفخر الرّازي : في شجرة النار وجوه:

أحدها أنّها الشّجرة التى تورى النّار منها بالزند والزّندة كالمرخ .

وثانيها الشجرة الّتي تصلح لايقاد النّار فانها لولم تكن لم يسهل إيقاد النار لأنّ النّار لاتتعلّق بكلّ شيء كما تتعلّق بالحطب .

و ثالثها اصول شعلها و وقود شجرتها ، و لولا كونها ذات شعل لما صلحت لانضاج الأشياء ، و في ذلك تذكرة و متاع للمقوين ، أي للّذين يوقدونه فيقوونه و يزيدونه .

(و آتت اُكلها بكلماته الثّمار اليانعة) النّاضجة ، والمراد بكلماته قدرته ومشيته المعبّر عنهما بلفظ كن ، قال الشّارح البحراني : وإطلاق الكلمات عليها

استعارة وجهها نفوذ تلك الأحكام في المحكومات كنفوذ الأوامر القوليّة في المأمورات وأراد بإيتاء الثّمار دخولها طوعا في الوجود المعبّر عنه بقوله تعالى فيكون .

الفصل الثاني منها

في ذكر كتاب الله وتعظيمه تنبيهاً على وجوب متابعته وهو قوله :

(و كتاب الله بين أظهر كم ناطق لايعيا لسانه) المراد بكتاب الله إما معناه الحقيقي أعني القرآن فيكون ناطق استعارة تبعيّة لأنّ من شأن الكتاب الدلالة لا النّطق إلاّ أنّه شبّه به في ايضاح المعنى و إيصاله إلى الذّهن فاستعيرله لفظ النّطق ، ويجوزأن يكون مجازاً مرسلا باعتبار أنّ الدلالة لازم للنطق فذكر الملزوم واريد اللاّزم ، وعلى هذا فيكون قوله : لايعيا لسانه ، ترشيحاً للاستعارة .

و المقصود أنّ كتاب الله الكريم بينكم لم يرتفع عنكم ، و هو كلام ربّكم ناطق بالسّداد ، كاشف عن المراد ، هاد إلى الرّشاد ، لايعجز لسانه ، ولا يقصر بيانه يؤدى مطوّى الكلمات إلى مقتبسيه على مرور الأوقات ، كيف لاوهو معجز النّبوّة ، و مستند الأمّة ، و قد أخرس الفصحاء عن مجازاته ، وقيّد البلغاء بالعيّ عن مباراته ، و عاد سحبان بيانهم باقلا ، و تناصروا فلم يجدوا إلاّ خاذلا ، و تعاهدوا و تقاعدوا فعدموا معيناً ونصيراً ، وعادوا بالخيبة والخذلان فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ، ومع ذلك كلّه كيف تجهلون برتبته ومقامه ، وترغبون عن حدوده وأحكامه وتخالفونه في حلاله وحرامه .

ويجوزأن يكون استعارة لنفسه الشريف ، فيكون من باب الاستعارة المجرّدة حيث قرن بمايلائم المستعار له وهو ناطق لايعيا لسانه ، وعلى هذا فالنطق واللسان مستعملان في معناهما الحقيقي .

ويحتمل أن يكون لايعيا لسانه كناية عن عدم قصوره في البيان وتبليغ الأحكام

قوله (وبيت لاتهدم أركانه) تشبيه كتاب الله بالبيت الوثيق غير الهادم أركانه سوآء اريد به معناه الحقيقي أو المجازي باعتبار أنّ البيت كما أنّه يحفظ أهله

فكذلك الكتاب الكريم يحفظ العامل بما فيه ، وهكذا أمير المؤمنين عليه السلام يحفظ من يأوى إليه ويذعن بولايته في الدّنيا والآخرة من العذاب الأليم والسخط العظيم و قوله : لا تهدم أركانه ، ترشيح للتّشبيه إن جعلنا كلامه من باب التشبيه البليغ كما عليه المحقّقون ، و إن جعلناه استعارة فيكون ذلك ترشيحاً للاستعارة وفي وصف البيت بذلك إشارة إلى استحكام قواعد كتاب الله وبراهينه النّاطقة .

وأمّا قوله (وعزّ لاتهزم أعوانه) فهو ليس على حذ وماسبق وإنّما اطلق عليه العزّ لكونه سبباً للعزّ الأبدي الدائم ، والمراد بأعوانه هو الله سبحانه الحافظ له كما قال تعالى : إنّا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون ، وكذلك الملائكة و الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فهم أيضاً حافظون له ذابّين عنه .

والفصل الثالث منها

في وصف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو قوله (أرسله على حين فترة من الرّسل) أى في زمان فتور منهم وانقطاع الوحي عنهم واندراس معالم دينهم على ما تقدّم تفصيلا في شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبة الأولى ، وفي شرح الخطبة الثامنة والثمانين أيضاً (وتنازع من الألسن) أى تشتّت الآرآء و الأهواء الموجب لاختلاف الكلمات ، فانّ النّاس في الجاهلية كان قوم منهم يعبدون الأصنام ، وقوم يعبدون الشيطان ، وطائفة تعبد الشّمس ، وطائفة تعبد المسيح عليه السلام على ماعرفت تفصيلا في شرح الفصل السّادس عشر من فصول الخطبة الأولى ، فكانت كلّ طائفة تحتجّ على مخالفيها وتجادلهم و تنازعهم بألسنتهم لتصرفهم إلى مذهبهم.

(فقفى به الرّسل) و اتبعهم به (وختم به الوحي)والرسالة (فجاهد في الله) سبحانه بالقول و العمل (المدبرين عنه و العادلين به) أي الجاعلين له سبحانه عديلا ونظيراً .

الترجمة

أزجملهٔ خطبهای آن إمام زمان وسرور عالميان است كه فرموده :

و گردن نهاد اورا دنيا و آخرت بأفسارهای خود ، وأنداخت بسوی او آسمانها و زمينها كليدها يا خزينهای خودرا ، و سجده نمود مر اورا در هنگام صبح و عصر

درختهای باطراوت و نضارت ، و بیرون آورد بجهة حکم او أز شاخهای خود آتشهای روشن ، و ببخشید خوردنی خودرا بحکم کلمات تامّه او میوهای رسیده .

أزجملهٔ آن خطبه اینست که فرموده :

و کتاب خداوند تبارك و تعالی درمیان شما است ، گوینده‌ایست که عاجز نمیشود زبان او ، وخانه‌ایست که خراب نمیشود ارکان او ، وعزّتیست که مغلوب نمیشود یاری کنندگان او .

وبعض دیگر أز آن خطبه اینست که فرمود: فرستاد پیغمبر را درزمان سستی از پیغمبران ، وهنگام اختلاف زبانها ، پس آورد اورا ازعقب پیغمبران وختم کرد با او وحی را ، پس جهاد نمود خاتم انبیاء در راه خدا باکسانیکه روگردان بودند از پروردگار ، ومثل وشبیه قرار داده بودند خدای را .

الفصل الثاني منها :

وإنّما الدُّنيا مُنتَهى بَصَرِ الأعمى لا يُبصِرُ مِمّا وَرآئها شَيئاً ، وَالبَصيرُ يَنفُذُها بَصرُهُ ، وَيَعلَمُ أنّ الدّارَ وَرآئها ، فَالبَصيرُ مِنها شاخِصٌ ، وَالأعمى إلَيها شاخِصٌ ، وَالبَصيرُ مِنها مُتَزَوِّدٌ ، وَالأعمى لَها مُتَزَوِّدٌ .

منها :

وَاعلَمُوا أنّهُ لَيسَ مِن شَيءٍ إلّا يَكادُ صاحِبُهُ أن يَشبَعَ مِنهُ أو يَمَلَّهُ إلّا الحَياةَ فَإنّهُ لا يَجِدُ لَهُ فِي المَوتِ راحَةً ، وَإنّما ذلكَ بِمَنزِلَةِ الحِكمَةِ الّتي هِيَ حَياةٌ لِلقَلبِ المَيِّتِ ، وَبَصَرٌ لِلعَينِ العَمياءِ ، وَسَمعٌ لِلأُذُنِ الصَّمّاءِ ، وَرِيٌّ لِلظَّمآنِ ، وَفيها الغِنى كُلُّهُ ، وَالسَّلامَةُ ، كِتابُ اللهِ تُبصِرُونَ بِهِ ، وَتَنطِقُونَ بِهِ ، وَتَسمَعُونَ بِهِ ، وَيَنطِقُ بَعضُهُ بِبَعضٍ ، وَيَشهَدُ بَعضُه

عَلىٰ بَعْضٍ ، وَلاَ يَخْتَلِفُ فِي اللهِ ، وَلاَ يُخَالِفُ لِصاحِبِهِ عَنِ اللهِ ، قَدْ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فيما بَيْنَكُمْ ، وَ نَبَتَ الْمَرْعىٰ عَلىٰ دِمَنِكُمْ ، وَ تَصافَيْتُمْ عَلىٰ حُبِّ الْآمالِ ، وَ تَعادَيْتُمْ في كَسْبِ الْأَمْوالِ ، لَقَدْ اسْتَهامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ ، وَتاهَ بِكُمُ الْغَرُورُ ، وَاللهُ الْمُسْتَعانُ عَلىٰ نَفْسي وَأَنْفُسِكُمْ .

اللغة

(شخص) يشخص من باب منع شخوصاً خرج من موضع إلى غيره ، ويتعدّي بالهمزة فيقول أشخصته وشخص شخوصاً أيضاً ارتفع ، وشخص البصر إذا ارتفع ويتعدّي بنفسه فيقال : شخص الرّجل بصره إذا فتح عينيه لا يطرف ، و ربّما يعدّى بالباء فيقال : شخص الرّجل ببصره فهو شاخص و أبصار شاخصة وشواخص و (مللت) من الشيء مللاً من باب تعب وملالة سئمت وضجرت و هو ملول و (الدّمن) بالكسر مايتلبّد من السّرجين ، والدّمنة موضعه والدّمنة آثار الدّار والنّاس وماسوّدوه ، والحقد القديم وجمع الكلّ دمن كسدر ودمن كعدد (الغرور) بالفتح الشّيطان

الاعراب

اللاّم في قوله : الدّار ، للجنس و ستعرف وجهه ، و قوله : ويكاد صاحبه أن تشبع ، الغالب في خبر كاد أن لايقترن بأن كما في قوله تعالى: وماكادوا يفعلون ، وهكذا في غير واحد من نسخ المتن ، واقترانه بها قليل ومنه قول الشاعر يرثى ميتاً:

كادت النّفس أن تفيض عليه إذ غدا بين ريطة (١) و برود

ومثل كاد في هذا الحكم كرب فيقلّ اقتران خبره بأن و علّله علماء الأدبيّة بأنّهما يدلاّن على شدّة مقارنة الفعل ومداومته وذلك يقرب من الشّروع في الفعل والأخذ فيه فلم يناسب خبرهما أن يقترن غالباً بأن المشعرة بالاستقبال ، و لذلك لا تقول كاد زيد يحجّ إلاّ وقد أشرف عليه ولاتقول ذلك وهو في بلده ، وقوله : استهام بكم

(١) بفتح الراء وسكون الياء المثناة والطاء المهملة الملأة اذاكانت شقة واحدة والبرود بضمّ الباء جمع برد نوع من الثياب و المراد بهما الكفن اى قرب النفس أن تقضي اذ صار ذلك الميت بين أثواب الكفن .

الخبيث ، الباء للتّعدية أى جعلكم هائمين كما تقول في استنفرت القوم إلي الحرب استنفرت لهم أى جعلتهم نافرين ، و يحتمل أن تكون بمعنى من ، أى طلب منكم أن تهيموا .

المعنى

اعلم أنّ الغرض بهذا الفصل التنفير عن الدّنيا وتوبيخ من قصر نظره اليها ، وذيّله بالموعظة الحسنة والنصيحة .

فقوله : (و إنّما الدّنيا منتهى بصر الأعمى) استعار لفظ الأعمى للجاهل والجامع قصور الجاهل عن إدراك الحقّ كقصور عادم البصر عن إدراك المبصرات ومثله قوله سبحانه : و من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى و أضلّ سبيلا ، ورشّح الاستعارة بقوله (لايبصر ممّاورائها شيئاً) لأنّ ذلك وصف المستعار له أعني الجاهل ، و أمّا المستعارمنه أعني عادم البصرفهولايبصر أصلاً وهو تذييل وتوضيح و تفسير لكون الدّنيا منتهى بصره ، و المقصود أنّ الجاهل لكون همّته مصروفة معطوفة إلى الدّنيامقصور نظره إليهاغافلعماعداهاغيرملتفت إلىأنّ ورائهاالآخرة وهى أولى بأن تصرف إليه الهمم بما فيها مما تشتهيه الأنفس و تلذّ الأعين من مزيد العوائد والفوائد والنّعم .

(و البصير ينفذها بصره) أى العارف العالم ينفذ بصره من الدّنيا (و يعلم أنّ الدّارورائها) يعني يعرف أنّ الدّار الحقيقي أى دارالقرار ورائها فيبلغ جهده في الوصول إليها (فالبصير)النافذالبصر(منهاشاخص)راحل لأنّهبعد ما عرف أنّ الدّار ورائها لا يقف دونها بل يجعلها بمنزله طريق سالك به إلى وطنه و مكانه (و الأعمى إليها شاخص) ناظر لأنّه بعد ما لم يعرف ورائها شيئاً يزعم أنّ هذه هى الدّار ، وأنّ له فيها القرار ، فيقصر نظره إليها .

و لا يخفى ما في هذه القرينة مع سابقتها من الجناس التّام و المطابقة بين الأعمىوالبصير ، ومثلهما في المطابقة قوله (والبصيرمنهامتزوّد والأعمىلهامتزوّد)

يعني أنّ البصير يتزوّد منها من الأعمال الصّالحة و التّقوى مايوصله إلى مقرّه و مقامه ، و الأعمى لتوهّمه أنّ وطنه ومسكنه هي الدّنيا و أنّ مقرّه تلك الدّار و ليس له و رآئها دار فيتزوّد لها و يتّخذ من زبرجها و زخارفها و قيناتها مايلتذّ ويتعيّش به فيها .

ولهذا المعنى أي لأجل اختلاف النّاس بالمعرفة والجهالة وافتراقهم بالعمى والبصيرة اختلفت الآراء والأهواء ، فبعضهم وهم أهل الدّنيا والرّاكنون إليها يحبّ الحياة ويغتنمها وينهمك في الشّهوات ، وينتهز الفرصة في طلب العيش واللّذات ، فيرجّح الحياة على الممات ويمدحها كما قال الشّاعر :

أو في يصفّق بالجناح مغلسا و يصيح من طرب إلى ندمان
يا طيب لذّة هذه دنيا كم لو أنّها بقيت على الانسان

والبعض الآخر وهم أهل الآخرة العارفون بأنّ الدّنيا دار الفناء وأنّ الدّار ورائها يرجّح الموت على الحياة ويتشوّق إليه كما قال :

جزى الله عنّا الموت خيراً فانّه أبرّ بنا من كلّ برّ و أرءف
يعجّل تخليص النّفوس من الأذى ويدني من الدّار الّتي هي أشرف

و قال آخر :

من كان يرجو أن يعيش فانّني أصبحت أرجو أن أموت لأعتقا
في الموت ألف فضيلة لو أنّها عرفت لكان سبيله أن يعشقا

فان قلت : إذا كان هوى أهل الآخرة و رغبتهم على ما ذكرت في الموت ، فكيف التّوفيق بينه وبين قوله عليه السلام : (واعلموا أنّه ليس من شيء إلاّ ويكاد صاحبه أن يشبع منه و يملّه إلاّ الحياة فانّه لا يجد له في الموت راحة) فانّ ظاهر هذا الكلام يفيد أنّ اللّذات كلّها لعموم النّاس مملول منها إلاّ الحياة معلّلا بأنّه لا استراحة في الممات ؟

قلت : ظاهر هذا الكلام وان كان يعطي العموم و كراهيّة الموت للكلّ إلاّ أنّه يحمل على الخصوص أعني كراهيّته لأهل الشقاوة جمعا بينه وبين الأخبار الدّالة

على محبوبيّته لأولياء الله سبحانـه كقولـه ﷺ : ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله .

و ربّما يوجّه بعدإ بقائه على العموم تارة بأنّ الموت يفوت متجر الآخرة وينقطع به الاستعداد لكمال أشرف مما حصل عليه الميّت وإن كان وليّا ، فلاجرم لا يجد الرّاحة التي يلحقه بما يفوته من ذلك الكمال ، و اُخرى بأنّ النفوس البشريّة لما لم يكن معارفها ضروريّة و لم يتمكّن مادامت في هذه الأبدان من الاطلاع على ما بعدالموت من سعادة أوشقاوة ، فبالحريّ أن لاتجد لها راحة يتصوّرها في الموت .

أقول : وأنت خبير بما فيه ، فانّ عدم التمكن من الاطلاع على مابعدالموت إنّما هو للمحجوبين دون العارفين من الأنبياء و المرسلين ، و أولياء الله المتّقين ، فانهم من سعادتهم على ثقة ويقين ، ألا ترى إلى قول عليّ المرتضى سلام الله عليه تترى : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا .

والأوجه ما قاله الشّارح البحراني (ره) حيث قال : إن كان مراده عليه السلام بقوله : لا يجد في الموت راحة ، أي في نفس الموت مع قطع النّظر عن غيره من أحوال الآخرة ، فالحقّ مع قول من عمّم فقدان الرّاحة في حقّ الجميع ، إذ الموت من حيث هو موت لا راحة فيه لأحد من النّاس كافّة، وإن كان مراده فقدان الرّاحة في الموت ومابعده ، فالحقّ التخصيص بأهل الشّقاوة الدّائمة ، فانّ شدّة محبّة الحياة و نقصانها متفاوتة بحسب تصوّر زيادة الرّاحة في الآخرة و نقصانها ، وذلك ظاهر عند اعتبار أهل الدّنيا المقبلين عليها بالكلّية .

ثمّ قال عليه السلام (و إنّما ذلك بمنزلة الحكمة) اختلف الشّارحان المعتزلي والبحراني في المشار إليه بذلك .

فقال الأوّل : إنّ هذا الكلام له عليه السلام إلى قوله والسّلامة فصل آخر غير ملتئم بماقبله ، وانّ الاشارة بذلك إلى كلام من كلام الرسول ﷺ رواه لهم و حضّهم على التمسّك به و الانتفاع بمواعظه ، ثمّ قال : والحكمة المشبّه كلام الرسول بها هي المذكورة في قوله تعالى : ومن يؤت الحكمة فقد اُوتي خيراً كثيراً .

وقال الثّاني : قوله عليه السلام : وإنّما ذلك ، أي الأمر الذي هو أحقّ بأن لا يملّ ولا يشبع منه ، بمنزلة الحكمة أي ما كان بمنزلة الحكمة.

أقول : أمّا قول الأوّل فهو رجم بالغيب و تأويل من غير دليل ، لعدم ثبوت التّقطيع والالتقاط بعد في هذه الفقرة و في الفقرات الآتية كما زعمه ، وعلى تقدير ثبوته فلا يتعيّن أن تكون الاشارة به إلى كلام رواه من الرّسول بل يحتمل أن يكون اشارة إلى ما وعظهم به و نصحهم من كلام نفسه .

وأمّا قول الثاني ففيه من التّعسف والخبط ما لا يخفى ، لعدم ارتباط هذا الكلام على ما ذكره بما تقدّمه من الكلام من حيث المعنى ، مضافا إلى منافرته بل منافاته للقواعد الأدبيّة والأصول العربيّة كما هو غير خفيّ على ذوى الأذهان المستقيمة ، و كيف كان فما قيل أو يمكن أن يقال في هذا المقام فانّما هو تخمين وحسبان لا يمكن أن يوجّه به كلام الامام حتّى يقوم عليه دليل بيّن .

ثمّ الحكمة عبارة عن معرفة الصّانع سبحانه والعلم النّافع في الآخرة ويأتي مزيد بيانها في شرح الفصل الثّالث من المختار المأة و الأحد و الثّمانين إنشاءالله تعالى .

وللاشارة إلى التّفخيم والتعظيم أتبعه بقوله (الّتي هي حياة للقلب الميّت) القلب الميّت هو القلب الجاهل القاصر عن إدراك وجوه المصالح وحياته عبارة عن اهتدائه إلى ما فيه صلاحه ورشده ، وجعل الحكمة حياة له لكونها سبباً للاهتداء ، فأطلق عليها لفظ الحياة مبالغة .

(و) قوله (بصر للعين العمياء) من باب التشبيه البليغ يعني أنها بمنزلة حسّ البصر لها ، وذلك لأنّ العين المتّصفة بالعمى كما أنّها عاجزة عن إدراك الألوان والأضواء ، فاذا كان لها الابصار وارتفع عنها العمى تمكّنت من إدراكها ، فكذلك الحكمة للجاهل تحصل له بها البصيرة ، فتمكّن بها و تقدر على إدراك المآرب الحقّة .

و كذلك قوله (و سمع للأذن الصّماء) فانّ الصّمم مانع عن إدراك الأذن

و بارتفاعه عنها و حصول حس السمع لها تقدر على إدراك الأصوات و الأقوال ، وكذلك بارتفاع الجهالة عن الجاهل وحصول الحكمة والبصيرة له يقدر على الاطلاع على ماهو خير في المآل.

و أمّا قوله (و ريّ للظمآن) فيحتمل أن يكون من باب التشبيه البليغ كسابقيه ، بأن يراد بالظمآن معناه الحقيقي ووجه الشبه أنّ العطشان كما يؤلمه دآء العطش و بارتوائه بالماء يرتفع عنه تلك الداء ، فكذلك الجاهل يؤذيه دآء الجهالة وبحصول الحكمة له يرتفع عنه هذا الداء.

و يحتمل أن يكون من باب الاستعارة بأن يستعار لفظ الظمآن للجاهل والجامع ما سبق من أنّ كلاّ منهما له دآء يتاذّى به ويحتاج إلى علاجه إلاّ أنّ ما للأوّل وجدانيّ ، وما للثاني عقلانيّ ،وعلى هذا الوجه فيكون ذكر الرّي ترشيحا

و قوله (و فيها الغنى كلّه و السّلامة) أمّا أنّ فيها الغنى فلأنّ من أُوتى الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً ، و بها يوصل إلى الحقّ المتعال ، و يسبح في بحار معرفة ذي الجلال ، وفي ذلك غنى العارفين عمّا سواه سبحانه من العالمين ، وهو تعالى غاية مراد المريدين ، ومنتهى رغبة الرّاغبين ، و كنز المساكين.

وأمّا أنّ فيها السّلامة فلأنّ بها يسلم من دآء الجهل في الدّنيا ، وينجى من سخط الجبّار وعذاب النّار في الأُخرى.

و أمّا قوله (كتاب الله) فيحتمل أن يكون كلاما منفصلا عمّا قبله أسقط السّيد(ره) ما بينهما فارتفع الارتباط بالتّقطيع والالتقاط ، أو أنّه خبر لمبتدء محذوف أي هذا كتاب الله ويظهر من الشّارح البحراني الاتّصال حيث قال : كتاب الله خبر مبتدء إمّا خبر ثان لذلك (١) و مـا كان بمنزلة الحكمة خبر أوّل ، أو لمبتدء محذوف تقديره : و هو كتاب الله و يحتمل أن يكون عطف بيان لمـا كان بمنزلة الحكمة .

---

(١) اى لفظة ذلك في قوله وذلك بمنزلة الحكمة ، منه.

أقول:لم يتقدّم في كلامه عليه السلام لفظ ماكان بمنزلةالحكمة حتّى يجعل خبراً أو ّلا أومعطوفاً عليه للكتاب ، و انّما قال عليه السلام : وإنّما ذلك بمنزلة الحكمة .

فان قلت : لعلّه مقدّر في ضمن الكلام .

قلت : لا دليل على تقديره ، مع أنّا لم نر بياناً حذف مبيّنه .

و كيف كان فقد وصف الكتاب بأوصاف :

الأوّل انكم (تبصرون به) لكونه سبباً لابصار طريق الحقّ بما فيه من الآيات البيّنات وأدلة الصّدق .

(و) الثّاني انكم (تنطقون به) في مقام الاحتجاج وترفعون من المعاندين الشّبه واللّجاج كماقال الله سبحانه وتعالى : فانّمايسّرناه بلسانك لتبشّر به المتّقين و تنذربهقوماً لدّا.

(و) الثالث انّكم (تسمعون به) الخطابات الالهيّة و التّكاليف الشّرعيّة تطيعونها و تؤمنون بها و تصلون إلى المراتب العالية العليّة تنزيل من الرّحمن الرّحيم كتاب فصّلت آياته قرآناً عربيّاً لقوم يعلمون ، بشيراً و نذيراً فأعرض أكثرهم فهم لايؤمنون .

(و) الرابع انّه (ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض) أى يفسّر بعضه بعضاً و يكشف بعضه عن بعض و يستشهد ببعضه على بعض فانّ فيه مطلقاً و مقيّداً ومجملاً ومبيّناً وعامّاً وخاصّاً ومحكماً ومتشابهاً ، بعضها يكشف القناع عن بعض ويستشهد ببعضهاعلى المراد ببعض آخر .

(و) الخامس أنّه (لا يختلف في الله) قال الشّارح البحراني : لما كان مدار الكتاب على بيان القواعد الكلّية الّتي بها يكون صلاح نوع الانسان في معاشه ومعاده ، و كانت غاية ذلك الجذب إلى الله سبحانه والوصول إلى جواره ، لم يكن فيه لفظ يختلف في الدّلالة على هذه المقاصد ، بل كلّه متطابق الألفاظ على مقصود واحد ، وهوالوصول إلى الحقّ سبحانه بصفة الطهارة عن نجاساتهذه الدّار

و إن تعددت الأسباب الموصلة إلى ذلك المقصود انتهى .

و محصّله أنّه لا يختلف في الدّلالة على المقاصد الموصلة إلى الله سبحانه و الأظهر أنّ المراد به أنّه لا يختلف في الجذب إلى الله ، لأنّه معجز النّبوة المقصود بها الايصال إلى الله سبحانه كما قال تعالى : أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ، أي لكان الكثير منه مختلفاً متناقضاً قد تفاوت نظمه و بلاغته و معانيه كما في الكشّاف ، فكان بعضه بالغاً حدّ الاعجاز ، وبعضه قاصراً عنه يمكن معارضته ، وبعضه إخباراً بغيب قد وافق المخبر عنه ، وبعضه اخباراً مخالفاً للمخبر عنه ، وبعضه دالاّ على معنى صحيح عند علماء المعاني ، وبعضه دالاّ على معنى فاسد غير ملتئم ، فلمّا تجارب كلّه بلاغة معجزة فائتة «فائقة ظ» لقوى البلغاء وتناصر صحّة معان وصدق اخبار علم أنّه ليس إلاّ من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره ، وعالم بما لا يعلمه أحد سواه .

السّادس أنّه (ولا يخالف بصاحبه عن الله) أي لا يسدّه عنه سبحانه ولا يضلّه عن سبيله فانّه يهدى للّتي هي أقوم ، ومن اعتصم به فقد هدى إلى صراط مستقيم .

قال الشارح المعتزلي إنّ هذا الكلام فصل آخر مقطوع عما قبله ومتّصل بما لم يذكره جامع نهج البلاغة ، و كذلك قال في قوله (قد اصطلحتم على الغلّ فيما بينكم) أنّه إلى آخر الفصل كلام مقطوع أيضاً .

أقول : إن ثبت التقطيع فهو وإلاّ فجهة ارتباط هذا الكلام بما قبله هو أنّه لما وصف كتاب الله سبحانه بأوصاف الكمال تنبيها على وجوب اتباعه والاعتصام به للاشارة إلى الحقّ وهدايته إلى مكارم الأخلاق ، أردفه بتوبيخ السّامعين وتقريعهم على ارتكاب رذائل الأخلاق واتّباع الشيطان ، والمراد أنّكم اتّفقتم على الحقد والحسد بحيث لم ينكره منكم أحد .

(ونبت المرعى على دمنكم) يحتمل أن يكون المراد بالدّمن الحسد فيكون قوله : نبت المرعى جارياً مجرى المثل اشارة إلى طول الزّمان أي طال حقدكم

وحسدكم ودام حتّى صار بمنزلة الأرض الجامدة التي ينبت عليها النّبات ، ويجوز أن يكون المراد بها المزابل ومواضع البعرة فاستعير للقلوب باكتنافها بالخباثة الباطنيّة و تضمّنها الضغائن والأحقاد كما يكتنف المزابل بالكثافات والخباثات الظاهرة فيكون قوله : نبت المرعى ، أيضاً مثلا لأنّ المقصود به الاشارة إلى عدم الانتفاع بذلك المرعى لأنّه لا وقع له ولا يرغب إليه كما قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم : إيّاكم وخضرآء الدّمن .

وقال الشّارح البحراني:قوله:نبت المرعى آه،يضرب مثلاللمتصالحين في الظاهر مع غلّ القلوب فيما بينهم ، ووجه مطابقة الممثّل أنّ ذلك الصّلح سريع الزّوال لاأصل له كمايسرع جفاف النّبات في الدّمن ، والأظهر ماقلناه .

(و تصافيتم على حبّ الآمال) أى كنتم في مقام الصّفا ظاهراً على محبّة مايأمل ويرجو كلّ منكم من صاحبه من جلب نفع أو دفع ضرّ (وتعاديتم في كسب الأموال) لأنّ عمدة الخصومات والعداوات إنّما تكون في مال الدّنيا ومتاعهافكلّ من أهلها يجذبه إلى نفسه ويضنّ به على غيره .

(لقد استهام بكم الخبيث) أى طلب منكم أن تهيموا وتتحيّروا أوجعلكم هائمين متحيّرين أواشتدّ عشقه ومحبّته لكم (وتاه بكم الغرور) أى أضلّكم الشّيطان اللّعين وجعلكم تائهين ضالّين (والله المستعان) في كلّ حال (على نفسي وأنفسكم) من سوء الأعمال .

التّرجمة

بعضى ديگر از آن خطبه است كه فرمود :

و بدرستى دنيا منتهاى نظر جاهل است ، نمى‌بيند چيزيرا كه از پس دنيا است وشخص با بصيرت ميگذرد ازدنيانظر او ، وميداند كه‌سراى حقيقي درپس‌اين دار فنا است ، پس صاحب بصيرت رحلت كننده است از دنيا ، و بى‌بصيرت نظرش مصروف بدنيا است وعاقل توشه گيرنده است از دنيا ، و جاهل توشه گيرنده است

از برای دنیا .

و بدانید که نیست هیچ چیزی مگر اینکه صاحب آن نزدیك است که سیر شود از آن وملال آورد از او مگر زندگانی دنیا بجهة آنکه نمی‌یابد ازبرای خود درمرگ آسایشی ، وجزاین نیست که آن بمنزلهٔ حکمت‌است چنان حکمتی که آن زندگی قلب مرده است ، و بینائی چشم کور ، و شنوائی گوش کر ، وسیرابی تشنگانست ، و در اوست بینیازی تمام ، وسلامتی از أسقام .

او کتاب پروردگار است که می‌بینید بأو ، و گویا می‌شوید و می‌شنوید بأو و ناطق و مصدّق است بعضی از او ببعضی ، و اختلاف ندارد در جذب نمودن خلق بسوی خدا ، و خلاف نمیکند با صاحب خود از خدا ، و بضلالت نمی‌اندازد او را بتحقیق که متفق شده‌اید برحقد وحسد که در ما بین شما است ، ورسته است گیاه برروی حسد شما ، و با صفا میباشد در محبت امیدهائی که از یکدیگر دارید ، و با عداوت میباشید در کسب نمودن مالها ، بتحقیق که شما را متحیّر کرده‌است إبلیس خبیث ، و بضلالت افکنده است شما را شیطان لعین ، وخداوند تعالی یاری خواسته شده است از او برنفس من وبرنفسهای شما درجمیع کارها .

و من كلام له عليه السلام و قد شاوره عمر بن الخطاب فى الخروج الى غزو الروم بنفسه و هو المأة و الرابع والثلاثون من المختار فى باب الخطب

وَ قَدْ تَوَكَّلَ اللهُ لِأَهْلِ هٰذَا الدِّينِ بِإِعْزَازِ الْحَوْزَةِ ، وَسَتْرِ الْعَوْرَةِ وَالَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا

يَمْتَنِعُونَ، حَيٌّ لا يَمُوتُ إِنَّكَ مَتى تَسِرْ إِلى هٰذَا الْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ، فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ لا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلادِهِمْ وَ لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ، فَابْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلاً مِحْرَباً، وَ احْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ الْبَلاءِ وَ النَّصِيحَةِ، فَإِنْ أَظْهَرَ اللهُ فَذاكَ ما تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ الأُخْرى كُنْتَ رِدْءً لِلنَّاسِ وَمَثابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

اللغة

قوله (و قد توكّل الله) و عن بعض النّسخ بدله كفل الله أى صار كفيلا و (الحوزة) النّاحية وحوزة الاسلام حدوده ونواحيه و (كانفة) أى عاصمة حافظة من كنفه أى حفظه و آواه، و يروى كهفة بدل كانفة وهى ما يلجأ إليه و (المحرب) بكسر الأوّل وسكون الثاني وفتح الثّالث صاحب الحرب وفي بعض النسخ مجرّباً بضم الأوّل و الجيم المعجمة و فتح الراء المشدّدة و (الرّدء) العون قال الله تعالى: فأرسله معى ردءاً.

الاعراب

الذي نصرهم مبتدءٌ و خبره حىّ، وجملة وهم قليل آه حاليّة معترضة بين المبتدء و الخبر، و تنكب بالجزم معطوف على تسر، و الفاء في قوله: فابعث، فصيحة، والباقى واضح.

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام قاله عليه السلام لعمر بن الخطّاب كما أشار إليه السّيد (ره) ارشاداً له إلى وجه المصلحة و تعليماً له ما فيه صلاح الأمّة، وكان ذلك في غزاة

فلسطين التى فتح فيها بيت المقدس فأراد عمر أن يشخص بنفسه لما طال الحرب على المسلمين وضاق الأمر عليهم و كتبوا إليه : إن لم تحضر بنفسك لم يفتح علينا فاستشار أمير المؤمنين عليه السلام فى الشخوص إلى العدوّ فلم يره صلاحاً لما فيه من الخوف على بيضة الاسلام بالنكتة التي أشار إليها في ضمن هذا الكلام بعد تقديم مقدّمة مهّدها بقوله عليه السلام :

(وقد توكّل الله لأهل هذا الدّين) أى صار وكيلا لهم قائماً عليهم (باعزاز الحوزة) والبيضة والجمعيّة (وستر العورة) وممّا لاينبغي اطّلاع العدوّ عليه من الفضائح والقبائح (والذى نصرهم وهم قليل لاينتصرون ومنعهم وهم قليل لايمتنعون حىّ لايموت)لايخفى ماهذه الجملة من حسن الخطابة حيث أورد المسند إليه موصولا لزيادة التّقرير أعنى تقرير الغرض المسوق له الكلام، وهو الحثّ على التوكّل على الله والاعتماد عليه ومزيد الثقة به ثمّ أكّد ذلك المعنى بالجملة الحاليّة وباتيان المسند بما يجرى مجرى المثل السّائر والمراد أنّ من نصرهم فى حال قلّتهم وعدم تمكّنهم من انتقام الأعداء و منعهم في حال ضعفهم و عدم قدرتهم على الامتناع من سيف المعاندين حىّ لايموت فهو أولى في حال كثرتهم بالحفظ والحماية والاعزاز والنصرة .

ثمّ أشار إلى وجه المصلحة والنّكتة في المنع عن الخروج فقال (انّك متى تسر إلى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم فتنكب لاتكن للمسلمين كانفة دون أقصى بلادهم) يعنى أنّ الجهاد على وجهين فيمكن إدالة الكفّار من المسلمين و يمكن إدالة المسلمين من الكفّار فلو خرجت بنفسك ولا قيت العدوّ وأصابتك النكبة لم تبق للمسلمين جهة عاصمة يعتصمون بها و لا ملجأ يستندون إليه (و ليس بعدك مرجع يرجعون إليه) وفي ذلك خوف على بيضه الاسلام .

ثمّ أشار إلى ماهو الأصلح وأقرب إلى الحزم بقوله (فابعث إليهم) أى إلى الأعداء (رجلا محربا) إى ذاخبرة وبصيرة بالحروب أو رجلا جرّب بكثرة الوقايع والحروب وحصل الوثوق والاعتماد عليه (واحفز) أى ادفع معه (أهل) النّجدة و (البلاء والنّصيحة) أى المختبرين المجرّبين بالنّصح (فان أظهر) ك (الله) ونصرك

(فذاك ما تحبّ و إن تكن الأخرى) أى النّكبة والانكسار (كنت رداءاً للناس) وعونا لهم (ومثابة) أى مرجعاً (للمسلمين) ومأ منا يأوون إليه .

الترجمة

از جملهٔ کلام آن امام أنام است در آن حال که مشورت نمود باو عمر بن خطّاب در باب بیرون رفتن بسوی غزوهٔ روم بنفس خود پس فرمود آن بزرگوار:

بتحقیق که وکیل شده است خدای تبارك وتعالی از برای أهل این دین با عزیز نمودن و غالب گردانیدن ناحیهٔ مسلمین و پوشانیدن عورت مؤمنین ، و آن پروردگاری که یاری کرد مسلمانانرا در آن حال که أندك بودند وقدرت نداشتند بر انتقام و حفظ نمود ایشانرا درحالتي که أندك بودند و تمکّن نداشتند از دفع دشمنان ازخودشان زنده‌ایست که هرگز نمیمیرد ، بدرستی که هرگاه روانه شوی تو بسوی این دشمن بنفس خود پس برسی بایشان ومصیبتي بتو وارد بیاید ومغلوب شوی نمیباشد ازبرای مسلمانان پناهی نزد منتهای ولایتهای ایشان ، ونباشد بعداز تو مرجعی که بازگشت نمایند بسوی او ، پس برانگیزان بسوی دشمنان مردی جنگ دیدهٔ کاردان، و دفع کن باواهل آزمایش ونصیحت را، پس اگر غالب گرداند تو را خداوند تعالی پس اینست آن چیزی که میخواهی ، و اگر باشد امر بطور دیگر باشي تویاور ومدد مردمان ومرجع وپناه برای مسلمانان وپناه گاه ایشان.

و من كلام له عليه السلام و هو المأة و الخامس و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

و رواه الشّارح المعتزلي باختلاف يسير تطلع عليه .

قال السيد (ره) وقدوقعت مشاجرة بينه وبين عثمان ، فقال المغيرة بن الأخنس

أنا أكفيكه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة:

يَابْنَ اللَّعِينِ الأَبْتَرِ وَ الشَّجَرَةِ الَّتِي لاَ أَصْلَ لَهَا وَلاَ فَرْعَ أَنْتَ تَكْفِينِي فَوَاللهِ مَا أَعَزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَلاَقَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ، اخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ، ثُمَّ ابْلُغْ جَهْدَكَ فَلاَ أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ.

اللغة

(الأبتر) المنقطع عن الخير و قيل الأبتر الّذي لا عقب له و منه الحمار الأبتر الّذي لا ذنب له، قوله: (ولاقام) في بعض النسخ ولأقام بالهمزة و (النّوى) القصد الّذي ينويه المسافر من قرب أو بعد هكذا في شرح البحراني، و قال الطريحي: النّوى بالفتح البعد ومنه حديث عليّ للمغيرة بن الأخنس أبعدالله نواك من قولهم بعدت نواهم إذا بعدوا بعداً شديداً، وفي بعض النسخ أبعدالله نوأك بفتح النّون وسكون الواو وبعدها همزة وهو النّجم وجمعه أنواء وهى النّجوم الّتي كانت العرب تنسب اليها و كانوا إذا دعوا على إنسان قالوا أبعدالله نوأك، أى خيرك.

قال أبوعبيدة في محكيّ كلامه: هى أى الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السّنة يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر ويطلع الآخر مقابله من ساعته، وانقضاء هذه الثمانية و العشرين مع انقضاء السّنة و كانت العرب في الجاهليّة إذا سقط منها نجم و طلع الآخر قالوا لابدّ أن يكون عند ذلك مطر فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى النّجم و يقولون و مطرنا بنوء كذا قال: ويسمّى نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب نآء الطالع بالمشرق، وذلك النهوض هوالنّوء فسمّى النّجم به.

وقوله: (ثمّ ابلغ جهدك) أمر من افعل أوفعل و كلاهما مرويّ، والجهد بالضمّ الطّاقة وبالفتح المشقّة وهما مرويّان أيضاً و (أبقيت) على فلان أى راعيته ورحمته

الاعراب

قوله أنت تكفيني، جملة استفهاميّة محذوفة الأداة، وجملة ماأعزّالله آه تحتمل الخبر والدّعاء، وقوله إن أبقيت متعلّقه محذوف بقرينة سابقةأى إن أبقيت عليّ.

المعنى

قال الشّارح المعتزلي : اعلم أنّ هذا الكلام لم يكن بحضرة عثمان ولكن أعوانه روى عن إسماعيل بن خالد عن الشّعبي أنّ عثمان لمّا كثرت شكايته من عليّ عليه السلام أقبل لايدخل إليه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله إلاّ شكا إليه عليّاً ، فقال زيد بن ثابت الانصارى وكان من شيعته وخاصّته، أفلا أمشي إليه فاخبره بموجدتك فيما يأتي إليك ؟ قال : بلى ، فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي وعداده في بني زهرة و أُمه عمّة عثمان بن عفّان في جماعة ، فدخلوا فحمد زيدالله وأثنى عليه ثمّ قال :

أمّابعد فانّ الله قدّم لك سلفاًصالحاً في الاسلام وجعلك من الرّسول بالمكان الّذى أنت به فأنت للخير كلّ الخير أهل ، وأمير المؤمنين عثمان ابن عمّك وولي هذه الامّة فله عليك حقّان : حقّ الولاية ، وحقّ القرابة ، وقد شكاك إلينا أنّ عليّاً يعرض ويردّ أمرى عليّ ، وقد مشينا إليك نصيحة لك و كراهيّة أن يقع بينك وبين ابن عمّك أمر نكرهه لكما، قال: فحمدعلي عليه السلام وأثنى عليه وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله ثمّ قال :

أمّا بعد فوالله ما أُحبّ الاعتراض ولا الرّدّ عليه إلاّ أن يأبي حقّاًلله لا يسعنى أن أقول فيه إلاّ بالحقّ ، ووالله لأكفّن فيه ما وسعنى الكفّ

فقال المغيرة بن الأخنس وكان رجلا وقاحا وكان من شيعة عثمان و خلصائه إنّك والله لتكفنّ عنه أولتكفّن عنه فانّه أقدرعليك منك عليه و إنّما أُرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعذاراً ليكون الحجّة عندهم عليك .

فقال له عليّ عليه السلام يابن اللّعين الأبتر و الشجرة التي لا أصل لها و لا فرع

أنت تكفني فوالله ما أعزّ الله امرءاً من أنت ناصره ، اخرج أبعدالله نواك ثمّ اجهد جهدك فلا أبقى الله عليك ولا على أصحابك إن ابقيتم .

فقال له زيد : إنّا والله ما جئناك لتكون عليك شهوداً ولا ليكون مشينا إليك حجّة ، ولكن مشينا فيما بينكما التماس الأجر وأن يصلح الله ذات بينكما ويجمع كلمتكما ، ثمّ دعاله و لعثمان وقام فقاموا معه . إذا عرفت هذا فلنرجع إلى شرح ما أورده السيّد (ره)

فأقول: قوله عليه السلام للمغيرة : (يابن اللّعين الأبتر) لأجل أنّ أباه و هو الأخنس بن شريق كان من أكابر المنافقين ذكره أصحاب الحديث كلّهم في المؤلّفة قلوبهم الّذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم وأعطاه رسول الله صلّى الله عليه وآله مأة من الابل من غنائم حنين يتألّف بها قلبه ، وابنه أبو الحكم بن الأخنس قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم اُحد كافراً في الحرب ، وهو أخو المغيرة والحقد الذي كان في قلب المغيرة إنّما كان من هذه الجهة .

وأمّا وصفه بالأبتر كوصف العاص بن وائل به في قوله سبحانه : انّ شانئك هو الأبتر ، فلانقطاعه عن الخير كلّه فيكون إطلاقه عليه حقيقة ، أو لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثاً فهو كمن لا عقب له بل من لا عقب له خير منه فيكون اطلاقه عليه على سبيل الاستعارة .

وكذلك قوله (و الشجرة الّتي لا أصل لها ولا فرع) استعارله لفظ الشجرة الموصوفة بما ذكر إشارة إلى حقارته ودنائته ، لأنّ الشّجرة الّتي ليس لها فرع و لا قرار ساقطة عن درجة الاعتبار حقيرة في الأنظار ، و لذلك ضربت مثلا للكلمة الخبيثة في الآية الشّريفة : و مثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثّت من فوق الأرض مالها من قرار .

ويحتمل أن يكون المراد بالوصفين نفي صفة الكمال ، بمعنى أنّها ليس لها أصل ثابت و لا فرع مثمر فيلا حظ ذلك في المستعار له و يكون عدم ثبوت أصله اشارة إلى الطعن في نسبه ، فقد قال جمع من النّسابين إنّ في نسب ثقيف طعناً ،

وقد فصّله الشّارح المعتزلي في الشّرح ويكون عدم ثبوت فرعه إشارة إلى أنّ عقبه ضالّ خبيث عادم الخير والنّفع .

ثمّ استفهم على سبيل الانكار والاستحقار فقال (أنت تكفيني) قال الشارح المعتزلي بعد ما أورد الرواية المتقدّمة : و هذا الخبر يدلّ على أنّ اللّفظة أنت تكفّني و ليست كما ذكره الرّضي أنت تكفيني ، لكن الرّضي طبق هذه اللّفظة على ماقبلها وهو قوله : أنا أكفيكه ، ولا شبهة أنّها رواية اخرى (فو الله ما أعزّ الله من أنت ناصره و لا قام من أنت منهضه) أى مقيمه و ذلك لأنّ العزّة و القوّة لله سبحانه و النّصرة و الخذلان بيدالله ، فمن أعزّه الله فهو المنصور . ومن أذلّه فهو المقهور ، و إن ينصركم الله فلا غالب لكم و إن يخذلكم فمن ذاالّذى ينصركم من بعده .

ثمّ طرده وأبعده و دعا عليه بقوله : (اخرج عنّا أبعدالله نواك) أى مقصدك أو خيرك أوطالعك (ثمّ ابلغ جهدك) أى غايتك وطاقتك في الأذى (فلا أبقى الله عليك إن أبقيت) عليّ أى لا رعاك ولا رحمك إن أشفقت عليّ .

تنبيه

ينبغي أن نذكر ههنا طرفاً من مشاجرة أمير المؤمنين عليه السلام مع عثمان اللّعين ممّا أورده المخالف والمؤالف :

فأقول : روى المحدّث العلاّمة المجلسي (ره) في البحار من الامالي باسناده عن عبدالله بن أسعد بن زرارة عن عبدالله بن أبي عمرة الأنصاري قال : لمّا قدم أبوذر على عثمان قال : أخبرني أيّ البلاد أحبّ إليك ؟ قال : مهاجرى ، قال : لست بمجاورى ، قال : فالحق بحرم الله فأكون فيه ، قال : لا ، قال : فالكوفة أرض بها أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله ، قال: لا ، قال: فلست بمختار غيرهنّ ، فأمره بالمسير إلى الرّبذة فقال : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قال لي اسمع وأطع وانفذ حيث قادوك ولو لعبد حبشي

مجدع ، فخرج إلى الربذة فأقام هناك مدة . ثم دخل المدينة فدخل على عثمان و الناس عنده سماطين فقال : إنك أخرجتني من أرض إلى أرض ليس بها زرع و لا ضرع إلا شويهات وليس لي خادم إلا محررة ولا ظل إلا ظل شجرة ، فأعطني خادماً وغنيمات أعيش فيها ، فتحول وجهه عنه إلى السماط الآخر فقال مثل ذلك فقال له حبيب بن سلمة : لك عندي يا أباذر ألف درهم و خادم و خمسمأة شاة ، قال أبوذر : أعط خادمك وألفك و شويهاتك من هو أحوج إلى ذلك مني ، فاني إنما أسأل حقي في كتاب الله ، فجاء علي عليه السلام فقال له عثمان : ألا تغني عنا سفيهك هذا قال : أي سفيه ؟ قال : أبوذر، قال علي عليه السلام : ليس بسفيه سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ما أظلت الخضراء و لا أقلت الغبراء على أصدق لهجة من أبي ذر ، أنزله بمنزلة مؤمن آل فرعون إن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم قال عثمان : التراب في فيك ، قال علي عليه السلام : بل التراب في فيك، انشد بالله من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول ذلك لأبي ذر، فقام أبو هريرة وعشرة فشهدوا بذلك قول علي عليه السلام

قال ابن عباس : كنت عند أبي على العشاء بعد المغرب إذ جاء الخادم فقال : هذا أمير المؤمنين بالباب ، فدخل عثمان فجلس فقال له العباس تعش ، قال: تعشيت فوضع يده فلما فرغنا من العشاء قام من كان عنده وجلست و تكلم عثمان فقال : يا خال أشكو اليك ابن أخيك يعني علياً فانه أكثر في شتمي و نطق في عرضي و أنا أعوذ بالله في ظلمكم بني عبد المطلب إن يكن هذا الأمر لكم فقد سلمتموه إلى من هو أبعد مني و إن لا يكن لكم فحقي أخذت ، فتكلم العباس فحمدالله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله و ذكر ماخص الله به قريشاً منه و ما خص به بني عبدالمطلب خاصة ثم قال : أما بعد فما حمدتك لابن أخي ولاحمدت ابن أخي فيك ، وما هو وحده فقد نطق غيره فلو أنك هبطت مما صعدت وصعدوا مما هبطوا لكان ذلك أقرب ، فقال : أنت ذلك يا خال ، فقال : أتكلم بذلك عنك ؟ قال : نعم أعطهم عني ما شئت ، وقام عثمان فخرج ، فلم يلبث أن رجع فسلم وهو قائم ثم قال: ياخال لاتعجل بشيء حتى أعود إليك ، فرفع العباس يديه واستقبل القبلة فقال :

اللّهم اسبق لي مالا خير لي في إدراكه، فما مضت الجمعة حتّى مات.

وروى الشّارح المعتزلي نحوه عن الزّبير بن بكار في الموفّقيات وزاد فيه بعد قوله لاتعجل يا خال حتّى اوذنك، فنظرنا فاذا مروان بن الحكم جالساً بالباب ينتظره حتّى خرج فهو الذي فشاه عن رأيه الأوّل فأقبل على أبي فقال يابنيّ ما إلى هذه من أمره شيء ثمّ قال يا بنيّ أمسك عليك لسانك حتّى نرى مالابدّمنه.

وروى الشّارح أيضاً عن الموفّقيات عن رجال أسند بعضهم عن بعض عن عليّ ابن أبيطالب عليه السلام قال: أرسل إليّ عثمان في الهاجرة فتقنّعت بثوبي و أتيته فدخلته وهو على سريره وفي يده قضيب وبين يديه مال دثر صبرتان من ورق وذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتّى تملأ بطنك فقد أحرقتني، فقلت وصلتك رحم إن كان هذا المال ورثته، أوأعطاكه معط، أواكتسبته من تجارة كنت أحد رجلين: إمّا أخذ وشكر، أو أوفر و أجهد، و إن كان من مال الله وفيه حقّ المسلمين واليتيم وابن السّبيل فوالله مالك أن تعطيه ولالي أن آخذه، فقال: أبيت والله، إلاّ ماأبيت ثمّ قال: إليّ بالقضيب، فضربني فوالله ما ارّد يده حتّى قضى حاجته، فتقنّعت بثوبي و رجعت إلى منزلي و قلت: الله بيني و بينك إنكنت أمرتك بمعروف ونهيتك عن منكر.

اقول: و الأخبار في هذا المعنى كثيرة و دلالتها على معاداة عثمان لأمير المؤمنين عليه السلام وإنزاله له منزلة العدوّ صريحة جليّة، و كفى بذلك له أليم العقاب وسوء المآب.

الترجمة

ازجمله كلام آن امام أنام است وبتحقيق كه واقع شده بود منازعه ميان او وميان عثمان پس گفت مغيرة بن اخنس عثمان را من كفاية ميكنم ازتو اورا يعنى نميگذارم از أمير المؤمنين صدمه و آسيبي بتو برسد پس فرمود أمير المؤمنين بمغيرة:

اى پسر ملعون بى منفعت و درختيكه نه ريشه دارد مراورا و نه شاخ، تو

كفايت ميكنى مرا ، پس قسم بخدا كه عزيز و غالب نگردانيد خدا كسى را كه تو يارى دهندۀ اوئى ، و برنخواست كسى كه تو برخيزاننده اوئى ، بيرون برو از خانه ما دور گرداند خداوند تعالى مقصد تورا ، پس ازآن برس بنهايت سعى خود ، پس رحمت نكند و رعايت نكند تورا خدا اگرمهرباني كنى تو بامن .

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والسادس والثلاثون من المختار فى باب الخطب .

قاله(ع)لماتخلف عن بيعته عبداللهبن عمروسعدبنأبى وقاص وجماعة اخرى ورواه فى الارشاد باختلاف تطلع عليه .

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إيّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أمْري وَ أمْرُكُمْ واحِداً ، إنّي أُريدُكُمْ لِلّهِ وَأنْتُمْ تُريدُونَني لِأنْفُسِكُمْ ، أيُّها النّاسُ أعينُوني عَلىٰ أنْفُسِكُمْ وَأيْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظالِمِهِ ، وَلَأَقُودَنَّ الظّالِمَ بِخِزامَتِهِ حَتّىٰ أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإنْ كانَ كارِهاً .

اللغة

(الفلتة) الأمر يقع من غير تدبّر ولا رويّة و (خزمت) البعير بالخزامة و هى حلقة من شعر تجعل في وترة انف البعير ليشدّ فيها الزّمام و يسهل قياده و (الورد) حضور المآء للشّرب و الايراد الاحضار و (المنهل) المشرب من نهل الماء كفرح شربه .

الاعراب

قوله :وأيمالله لفظة أيم من كلمات القسم ، وقد مضى بعض الكلام فيها فيشرح

الخطبة الخامسة وشرح الفصل الثاني من الخطبة الثمانية والتسعين .

وأقول هنا : إنّ فيها اثنتين وعشرين لغة قال في القاموس : واليمين القسم مؤنّث لأنّهم كانوا يتماسحون بأيمانهم فيتحالفون ، الجمع ايمن وايمان وأيمن الله وأيم الله ويكسر أوّلهما وأيمن الله بفتح الميم والهمزة ويكسر وأيم الله بكسر الهمزة والميم ، و قيل ألفه ألف وصل و هيم الله بفتح الهاء وضمّ الميم و أم الله مثلّثة الميم وإم الله بكسر الهمزة وضمّ الميم وفتحها ومن الله بضمّ الميم و كسر النّون ومن الله مثلّثه الميم و النّون وم الله مثلّثة و ليم الله و ليمن الله اسم وضع للقسم و التّقدير ايمن الله قسمي .

وقال ابن هشام في المغنى : أيمن المختصّ بالقسم اسم لاحرف خلافاً للزجاج و الرّماني مفرد مشتقّ من اليمن و همزته وصل لاجمع يمين وهمزته قطع خلافاً للكوفيّين ويردّه جواز كسر همزته وفتح ميمه ، ولايجوز مثل ذلك فى الجمع من نحو أفلس واكلب وقول نصيب :

فقال فريق القوم لما نشدتهم نعم و فريق ليمن الله ماندرى

فخذف ألفها في الدّرج و يلزمه الرّفع بالابتداء وحذف الخبر واضافته إلى اسم الله سبحانه خلافاً لابن درستويه في إجازة جرّه بحرف القسم و لابن مالك في إجازته إضافته إلى الكعبة و كاف الضّمير ، و جوّز ابن عصفور كونه خبراً و المحذوف مبتدءاً أى قسمي ايمن الله .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام لجمهور أصحابه الذين كان غرضهم في بيعته واتّباعه عليه السلام حطام الدّنيا لا لإحياء شرائع الدّين و إقامة معالم الشرع المبين كما يرشد إليه ما سيأتي من قوله : أنتم تريدونني لأنفسكم، إذا عرفت ذلك فأقول :

قوله (لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة) فيه تعريض ببيعة أبي بكر و إشارة إلى قول عمر فيها ، فقد روت العامة والخاصة عن عمر أنّه قال : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرّها ومن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، و في بعض الرّوايات فمن دعاكم

إلى مثلها فاقتلوه ، وقد رواه الشّارح المعتزلي في شرح الخطبة السّادسة والعشرين بعدّة طرق وأطنب الكلام في بيان معنى الفلتة ولا حاجة بنا إلى إيراد ما أورده .

ومقصود أمير المؤمنين عليه السلام أنّ بيعتكم إيّاي لم تكن بغتة ومن غير تدبّر ورويّة وإنّما كانت عن تدبّر واجتماع رأى منكم فليس لأحد كم بعدها أن ينكث ويندم (و ليس أمري و أمر كم واحدا) إشارة إلى اختلاف مقاصده و مقاصدهم و تفريق بينهما ، و جهة التّفريق ما أشار إليها بقوله : (إنّي أُريد كم لله و أنتم تريدونني لأنفسكم) يعني إنّما أُريد كم لاقامة أمر الله و إعلاء كلمة الله وتأسيس أساس الدّين وانتظام قوانين الشّرع المبين وانتم تريدونني لحظوظ أنفسكم من العطاء والتقريب وساير المنافع الدّنيوية .

(أيّها النّاس أعينوني على أنفسكم) لمّا كان وظيفته الدّعوة إلى الله والدلالة إلى سبيل الله و الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر جعل طاعتهم لـه و امتثالهم لأوامره وانتهائهم عن المنكرات إعانة منهم له لحصول غرضه وفراغه عن تعب الطلب .

ثمّ أشار إلى قيامه بوظائف العدل فقال (و أيم الله لأنصفنّ المظلوم) أى أحكم في ظلامته بالعدل والانصاف و آخذ حقّه (من ظالمه ولأقودنّ الظّالم بخزامته حتّى أُورده منهل الحقّ و إن كان كارها) جعل الظالم بمنزلة الابل الصّعب التي لاتنقاد إلاّ بالخزامة على سبيل الاستعارة بالكناية و ذكر الخزامة تخييل و القود ترشيح . أى لأذللنّ الظالم وأقودنّه بالمقود حتّى يخرج من حقّ المظلوم ويردّ عليه مظلمته وان كان كارهاً له

تكملة

هذا الكلام رواه المفيد في الارشاد قال : و من كلامه عليه السلام حين تخلّف عن بيعته عبدالله بن عمر بن الخطّاب وسعد بن أبي وقاص و محمّد بن مسلمة و حسّان بن ثابت واسامة بن زيد مارواه الشعبي قال: لما اعتزل سعد ومن سمّيناه أمير المؤمنين عليه السلام وتوقّفوا عن بيعته حمد الله وأثنى عليه ثمّ قال :

أيّها النّاس إنكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي وإنما الخيار للنّاس قبل أن يبايعوا فاذا بايعوا فلا خيار لهم ، و إنّ على الامام الاستقامة و على الرّعيّة التسليم ، وهذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الاسلام واتّبع غير سبيل أهله ، و لم تكن بيعتكم إيّاى فلتة و ليس أمرى و أمركم واحداً ، و انّى اريدكم لله وأُنتم تريدونني لأنفسكم وأيم الله لأنصحنّ للخصم ولأنصفنّ للمظلوم ، وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة و اسامة وعبدالله و حسّان بن ثابت أُمور كرهتها والحقّ بيني وبينهم .

الترجمة

ازجملۀ کلام آن امام انام است که فرموده : نبود بیعت شما با من چیزیکه بدون تروى و تدبّر واقع شده باشد ، ونیست کارمن وکار شما یکی ، بدرستي من میخواهم شمارا ازبرای خدا ، وشما میخواهید مرا ازبرای حظهای نفوس خودتان أی مردمان إعانت نمائید مرا برقهروغلبۀ نفسهای خود ، وقسم بذات پاك خداوند هرآینه البته حکم انصاف میکنمدرحقّ مظلوم ازظالم او ، و هرآینه البته میکشم ظالم را بحلقۀ بیني او تا اینکه وارد نمایم اورا بآبشخور حق واگرچه باشد آن ظالم کراهت دارنده .

و من كلام له عليه السلام فيمعنى طلحة و الزبير و هو المأة والسابع والثلاثون من المختار في باب الخطب

والأشبه انّه ملتقط من خطبة طويلة قدّمنا روايتها في شرح الخطبة الثانية والعشرين بطرق عديدة فليتذكّر

وَاللهِ ما أنكَرُوا عَلَىَّ مُنكَراً ، وَلاَ جَعَلُوا بَيْني وَ بَيْنَهُمْ نِصفاً ، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ ، فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ

فيهِ فإنّ لهمْ نصيبَهمْ منهُ، وإنْ كانوا وَلوْهُ دوني فما الطّلبةُ إلاّ قبلهمْ وإنّ أوّلَ عدلِهمْ للحُكمُ على أنفسِهمْ، وإنّ معي لبصيرتي ما لَبستُ ولا لُبِس عليّ وإنّها للفئةُ الباغيةُ فيها الحمأُ والحُمةُ والشُّبهةُ المُغدفةُ، وإنّ الأمرَ لواضحٌ، وقدْ راحَ الباطلُ عنْ نصابه، وانقطعَ لسانُهُ عنْ شَغبهِ، وأيمُ اللهِ لأُفرِطنّ لهمْ حوضاً أنا ماتِحُهُ، لا يَصْدُرونَ عنهُ بريّ، ولا يَعبُّونَ بعدَهُ في حِسْيٍ.

منها:

فأقبلتمْ إليّ إقبالَ العوذِ المطافيلِ على أولادِها تقولونَ البيْعةَ البيْعةَ، قبضتُ كفّي فبسطتُموها، ونازعتُكمْ يدي فجاذبتُموها، أللّهمّ إنّهما قطعاني، وظلماني، ونكثا بيعتي، وألّبا النّاسَ عليّ فاحلُلْ ماعقدا، ولا تُحكِمْ لهما ما أبرما، وأرِهما المساءةَ فيما أمّلا وعمِلا، ولقدِ استثبتُّهما قبلَ القتالِ، واستأنيتُ بهما قبلَ الوقاعِ، فغمطا النّعمةَ، وردّا العافيةَ.

اللغة

(النّصف) محرّكة اسم من الانصاف وهو العدل و (الطّلبة) بكسر اللّام المطلوب و (لبَست) بالبناء للفاعل و (لبّس) بالبناء للمفعول، قال الشّارح المعتزلي، و لبَست على فلان الأمر و لبس عليه الأمر كلاهما بالتخفيف ولكن

الموجود في مارأيته من النسخ بالتشديد قال الفيروزآبادي : لبس عليه الأمر يلبسه خلطه و ألبسه غطّاه ، و أمر ملبس وملتبس بالأمر مشتبه التّلبيس و التّخليط والتدليس ، وقال بعض الشّارحين : التّشديد للتكثير .

و (الحماء) بالتّحريك كالحماة بالتآء الأسود المنتن ، قال سبحانه : من صلصال من حماء مسنون ، ويروى حما مقصورة ، و (الحمة) بضمّ الحاء و فتح الميم و تخفيفها العقرب وكلّ شيء يلسع أو يلدغ و (المغدفة) بفتح الدّال الخفيفة من اغدفت المرئة قناعها أرسلته على وجهها ، وعن بعض النّسخ بكسر الدال من أغدف اللّيل إذا أظلم و (النّصاب) الأصل والمرجع .

(والشّغب) بسكون الغين المعجمة تهييج الشرّ من شغب الحقد شغباً من باب منع و في لغة ضعيفة بالتحريك و ماضيها شغب بالكسر كفرح و (أُفرطَنّ) بضم الهمزة من باب الافعال من أفرطت المزادة أى ملاتها ، و يروى بفتح الهمزة وضمّ الرّاء من فرط زيد القوم أى سبقهم فهوفرط بالتحريك و (الماتح) المستقى من فوق و (العبّ) شرب الماء من غيرمصّ أوتتابع الجرع .

(الحسى) في النّسخ بكسر الحاء وسكون السّين قال الشّارح المعتزلي : ماء كامن في رمل يحفر عنه فليستخرج و جمعه أحساء و في القاموس الحسى كالى سهل من الأرض يستنقع فيه الماء أوغلظ فوقه رمل يجمع ماء المطر وكلّما نزحت دلواً جمت اخرى جمعه احساء و حساء و (العوذ) بالضمّ الحديثات النّتاج من النوق و الظباء و كلّ انثى كالعوذ ان جمعا عائذ كحائل و حول و راع و رعيان و (المطافيل) كالمطافل جمع المطفل و زان محسن ذات الطّفل من الانس والوحش و (التّأليب) التحريض والافساد و (أحكم) الشيء أتقنه و (أبرم) الحبل جعله طاقين ثمّ فتله وأبرم الأمر أحكمه .

و (استتبتهما) في بعض النّسخ بالثاء المثلّثة من ثاب يثوب أى رجع و منه المثابة للمنزل ، لأنّ النّاس يرجعون إليه في أسفارهم و في بعضها استتبتهما بالتاء المثناة من تاب يتوب أى طلبت منهما أن يتوبا و (استأنيت) من الاناة و استانى

بفلان انتظر به و (غمط) فلان بالنّعمة إذا لم يشكرها وحقّرها من باب ضرب وسمع

الاعراب

قال الشّارح المعتزلي : نصفاً على حذف المضاف أى ذا نصف أى حكماً منصفاً عادلا يحكم بيني وبينهم .

أقول : والأولى أن يقدّر المضاف المحذوف لفظ الحكم أى حكم نصف وعدل إذ على ماذكره الشّارح يحتاج إلى حذف موصوف ذا وهو تكلف مستغني عنه فتأمل

وعن في قوله : عن نصابه ، إمّا بمعناها الأصليّ أو بمعنى بعد كما في قوله تعالى : عمّا قليل لتصبحنّ نادمين ، وقوله : ولأ فرطنّ لهم حوضا ، قد مضى اعرابه في شرح الخطبة العاشرة ، و جملة أنا ماتحه ، في محلّ النّصب صفة لحوضا ، وجملة لايصدرون عنه حال من الضمير في ماتحه ، والبيعة البيعة ، منصوبان على الاغراء

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام كما نبّه عليه السّيد (ره) وارد فى معنى طلحة والزّبير أى القصد فيه متوجّه إليهما والغرض منه تقريعهما وتوبيخهما وتوبيخ سائر أصحاب الجمل و ابطال ما نقموه عليه و ردّ ما تشبّثوا به في خروجهم عن ربقة طاعته .

و أشار عليه السلام إلى وجه البطلان بقوله (والله ماأنكروا عليّ منكراً) قبيحاً يعنى أنّ ما زعموه منكراً من قتل عثمان والتّسوية في العطاء فليس هو بمنكر في الواقع حتّى يرد عليّ إنكارهم ، وإنّما حملهم على الانكار الحسد وحبّ الاستيثار بالدّنيا والتفضيل في العطاء (ولاجعلوا بيني وبينهم نصفاً) أى حكما عدلا (وانهم ليطلبون حقّاً هم تركوه) قال الشّارح المعتزلي : أى يظهرون أنّهم يطلبون حقّا بخروجهم إلى البصرة وقد تركوا الحقّ بالمدينة ، وقيل : المراد بالحقّ نصرة عثمان وإعانته

أقول : والظاهر أنه أراد بالحقّ حقّ القصاص ، يعني أنّهم يطلبون حقّ القود من قاتلي عثمان ولكنّهم هم الذين تركوه حيث أمسكوا النكير على قاتليه ، فتقديم المسند إليه للتخصيص ردّاً عليهم إلى زعمهم انفراد أميرالمؤمنين عليه السلام وأصحابه بترك الحقّ .

ومثله قوله (ودماً هم سفكوه) أى لا غيرهم وأراد به دم عثمان ، و يدلّ على سفكهم دمه و كونهم أشدّ النّاس تحريضاً عليه ما قدّمناه في شرح الخطبة الثانية والعشرين والكلام الثلاثين .

و يدلّ عليه أيضاً ما رواه في شرح المعتزلي و غيره أنّ عثمان قال : ويلي على ابن الخضرميّة ، يعني طلحة أعطينه كذا و كذا ذهباً و هو يروم دمي يحرض على نفسي اللّهم لاتمتّعه به .

قال الشّارح وروى النّاس الذين صنفوا في واقعة الدّار أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنّعاً بثوب قد استتر به عن أعين النّاس يرمى الدّار (١) السّهام ، وأنّه لمّا امتنع على الّذين حصروه الدّخول من باب الدّار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار فأصعدهم إلى سطحها وتسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه .

ورووا أيضاً أنّ الزّبير كان يقول : اقتلوه فقد بدّل دينكم ، فقالوا : إنّ ابنك يحامي عنه بالباب ، فقال : ما أكره أن يقتل عثمان ولو بدء بابني إنّ عثمان لجيفة على الصّراط غداً ، وقال مروان بن الحكم يوم الجمل : والله لاأترك ثارى وأنا أراه ولأقتلنّ طلحة بعثمان فانّه قتله ثمّ رماه بسهم فأصاب مأبضه (٢) فنزف الدّم (٣) حتّى مات .

فقد ظهر من ذلك أنّه لاريب في إغرائهم وتحريضهم ودخولهم في دم عثمان فلا يجوز لهم المطالبة بدمه منه ، لأنّ دخولهم فيه إمّا أن يكون بالاشتراك ؛ او

١- أى دار عثمان التى حصروه فيه ، منه

٢- المأبض كمجلس باطن الركبة ومن البعير باطن المرفق ، ق

٣- نزف فلان دمه اذا سال حتى يفرط ، لغة

يكون بالاستقلال ، وعلى التقديرين فيبطل المطالبة .

أمّا على التقدير الأول فلما أشار إليه بقوله (فان كنت شريكهم فيه فانّ لهم نصيبهم منه) و ليس لأحد الشريكين أن يطالب الشريك الآخر بل اللازم له أن يبدء بنفسه ويسلّمها إلى أولياء المقتول ثمّ بالشريك الآخر.

وأمّا على التقدير الثاني فلما أشار إليه بقوله (وإن كانوا ولوه) وباشروه (دوني فما الطّلبة) أى المطلوب (إلاّ قبلهم) فاللازم عليهم أن يخصّوا أنفسهم بالمطالبة وحدهم (وإنّ أوّل عدلهم) الّذى جعلوه عذراً في نقض البيعة والخروج إلى البصرة حيث قالوا إنّما خرجنا للأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر و إقامة العدل وإماتة الباطل وإحياء الحقّ (للحكم على أنفسهم) والانكار للمنكر الذي أتوابه واقتصاص الدّم الذي هجموا عليه قبل الانكار، والحكم على غيرهم لأنّ النّهى عن المنكر إنّما هو بعد التّناهى (وانّ معى لبصيرتي) وعقلى (ما لبّست ولا البّس علىّ) وقد مضى معنى هذه الفقرة في شرح الخطبة العاشرة .

ويحتمل احتمالا قويّا أن يكون المراد أنّه ما لبّست على نفسى ولا على النّاس أمرى وأمورهم ولم يلبس أيضاً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الأمر علىّ بل ما أقدم عليه في أمرى وأمر النّاس وما أخبرني به النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم هو الحقّ وبالاتباع أحقّ ، وفي هذا الكلام تعريض عليهم بأنّهم غابت عنهم عقولهم وتاهت حلومهم ، وأنّ ما أقدموا عليه أمر ملتبس ، وأنّ خروجهم إنّما هو بهوى النّفس والنّاس مدلّسون ملبّسون

ثمّ قال : (و إنّها للفئة الباغية) يعنى أنّ هذه الفئة للفئة الّتي أخبرني رسول الله ببغيها و خروجها علىّ حيث قال صلى الله عليه وآله وسلم لا تذهب اللّيالي و الأيام حتّى تتنابح كلاب مآء بالعراق يقال له الحوأب امرأة من نسائى في فئة باغية ، على ماتقدّم في رواية الاحتجاج في التّنبيه الثاني من شرح الكلام الثّالث عشر ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم : له عليه السلام غير مرّة أنّك ستقاتل النّاكثين والقاسطين و المارقين ، أوما هذا معناه .

و تقدّم في شرح الفصل الخامس من الخطبة الثّالثة في رواية غاية المرام

أنّ امّ سلمة قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله : يا رسول الله من النّاكثون ؟ قال : الذين يبايعونه بالمدينة و ينكثون بالبصرة ، و لسبق عهد هذه الفئة أتى بها معرّفة بلام العهد .

و قوله : (فيها الحماء و الحمة) قال الشارح البحراني : استعارة للغلّ و الفساد الذي كان في صدور هذه الفئة ، و وجه الاستعارة استلزامه لتكدير الاسلام و إثارة الفتنة بين المسلمين كما تكدّر الحماة الماء وتخبثه واستلزامه للأذى والقتل كما يستلزم ذلك سمّ العقرب .

وقال الشّارح المعتزلي : أى في هذه الفئة الفساد والضّلال و الضّرر ، و إذا أرادت العرب أن تعبّر عن الضّلال والفساد قالت الحماء مثل الحماة بالتاء ويروى فيها الحما بألف مقصورة وهو كناية عن الزّبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرّجل فهم الأحماء واحدهم حما مثل قفا وأقفاء ، وماكان بسبب المرأة فهم الأحمات ، وقد كان الزّبير من عمّة رسول الله وقد كان النّبي صلى الله عليه وآله أعلم عليّاً بأنّ فئة من المسلمين تبغى عليه أيّام خلافته فيها بعض زوجاته و بعض أحمائه فكنّى عليّ عليه السلام عن الزّوجة بالحمة ، وهي سمّ العقرب وظهر أنّ الحماء الذي أخبر النّبي صلى الله عليه وآله بخروجه مع هؤلاء البغاة هوالزّبير ابن عمّته .

أقول : وهذا ألطف ممّا ذكره البحراني ، ويؤيد ما قاله من أنّه كنّى عن الزّوجة بالحمة ما يرويه السيّد (ره) عنه في أواخر الكتاب من قوله : المرئة عقرب حلوة اللّبسة ، أى حلوة اللّسعة .

وقوله : (والشبهة المغدفة) أى الشّبهة الخفية المستورة التي لبّسوا بها على أكثر النّاس من طلب دم عثمان و من روى بكسر الدّال فالمراد الشّبهة المظلمة اى الموقعة في ظلمة الجهالة التي لم يهتد فيها أكثر الخلق حتّى قتلوا بسببها كما لا يهتدى في ظلمة اللّيل .

ثمّ قال (و انّ الأمر لواضح) أى عند ذوى العقول لعلمهم بأنّي على الحقّ و أنّ الباغين عليّ على الباطل و أنّ خروجهم بعد بيعتهم إنّما هو لمحض الغلّ

والحسد والاستيثار بالدّنيا عن اتّباع الهوى (وقد راح) أى تنحّى وبعد (الباطل) أى باطلهم (عن نصابه) وأصله يعني ما أتوابه من الباطل لا أصل له (وانقطع لسانه عن شغبه) استعارة بالكناية حيث شبّه الباطل بحيوان ذى لسان فأثبت له اللّسان تخييلا وذكر الشّغب ترشيح .

ومحصّل المراد أنّه بعد وضوح الأمرفيّ وفي أنّي على الحقّ لم يبق للباطل أصل وقد خرس واعتقل لسانه عن تهيّج شرّه ، ويحتمل أن يكون المرد بالباطل الباطل الّذى كان له رواج في زمن المتخلّفين الثلاثة ، أى قد زال الباطل بعد موتهم وبيعة النّاس إلىّ عن أصله و تزعزعت أركانه وانهدم بنيانه وانقطع لسانه بعد ما هيّج شرّه فلا اعتداد بنكث هؤلاء القوم وبغى هذه الباغية .

ثمّ هدّدهم بقوله (وأيمالله لأ فرطنّ لهم حوضا أنا ماتحه) و قد سبق شرح هذه الفقرة في شرح الخطبة العاشرة و قوله (لا يصدرون عنه برىّ) يعني أنّ هذا الحوض ليس كسائر الحياض الحقيقية التي يردها الظّمان فيصدر عنها برىّ ويروى غلّته ، بل الواردون إليه أن لايعود (ولايعبّون بعده في حسى) أى لايشربون بعده بارد الماء أبداً لهلاكهم وغرقهم في ذلك الحوض .

وقال السيد (ره) (منها) هكذا في أكثر ما عندنا من النّسخ ، و الأولى منه بدله كما في بعضها ولعلّ الأوّل من تحريف النّساخ لأنّ العنوان بقوله : و من كلام ، فلا وجه لتأنيث الضّمير الرّاجع إليه و الغرض بهذا الفصل تأكيد الاحتجاج على الفئة الباغية بنحو آخر وهوقوله : (فأقبلتم إلىّ) للبيعة مزدحمين منثالين (إقبال العوذ المطافيل) أى الوالدات الحديثات النتاج و ذات الطّفل على أولادها وتشبيهه إقبالهم باقبالها لأنّها أكثر إقبالا وأشدّ عطفاً وحنّة على أولادها.

(تقولون البيعة البيعة) أى هلمّ البيعة أقبل إليها و فائدة التكرار شدّة حرصهم إليها وفرط رغبتهم فيها (قبضت كفّى) و امتنعت (فبسطتموها و نازعتكم يدى) من التّوسع في الاسناد أى نازعتكم بيدى وتمنّعت (فجاذبتموها) فبايعتم عن جدّ وطوع منكم و كره وزهد منّى

ثمّ شكا إلى الله سبحانه من طلحة والزّبير بقوله (اللّهمّ إنّهما قطعاني) أى قطعا رحمي لأنّهما كانت لهما رحم ماسة به عليه السلام لكونهم جميعاً من قريش مضافا إلى ما للزّبير من القرابة القريبة فانّه كان ابن عمّة أمير المؤمنين و امّه صفية بنت عبدالمطّلب عليه السلام (و ظلماني) في خروجهما إليّ و مطالبة ما ليس لهما بحقّ (ونكثا بيعتي) ونقضاها (وألبا النّاس) وأفسداهم (عليّ).

ثمّ دعا عليهما بقوله (فاحلل ما عقدا) من العزوم الفاسدة الّتي أضمراها في نفوسهم (و لا تحكم لهما ما أبرما) أى لاتجعل ما أبرماه و أحكماه في أمر الحرب محكما مبرما (وأرهما المسائة فيما أمّلا وعملا) أى أرهما المسائة في الدّنيا والآخرة ولاتنلهما آمالهما واجزهما السّوءى بأعمالهما وأفعالهما.

ثمّ اعتذر من قتاله معهما بانّه انّما قام بالقتال بعد اكمال النّصح والموعظة و اتمام الحجّة قاصراً على البغى فيكون اللاّئمة في ذلك راجعة اليهما لا إليه والذّنب عليهما لاعليه و هو معنى قوله (و لقد استثبتهما قبل القتال) أى طلبت منهما أن يرجعا عن البغى أو يتوبا عن ذنبهما استعطافاً لهما (و استأنيت بهما قبل الوقاع) أى تأنّيت وتثبّت بهما قبل وقاع الحرب لعلّهما يرجعا إلى الحقّ (ف) لم يقبلا نصحى ولم يسمعا قولى بل أصرّا على البغى والمخالفة و(غمطا النّعمة) اى استحقرا ما أنعم الله عليهما وهو قسمتهما من بيت المال وطلبا الزّيادة والتّوفير (وردّا العافية) أى السّلامة في الدّنيا والدّين فكان عاقبتهما أنّهما في النّار خالدين .

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي في شرح قوله عليه السلام : اللّهم إنّهما قطعاني إلى قوله وعملا امّا وصفهما بما وصف به من القطع والظلم والنّكث والتأليب فقد صدق عليه السلام فيه ، وأمّا دعاؤه فاستجيبت له والمسائة التي دعا بهما مسائة الدّنيا لامسائة الآخرة، فانّ الله قد وعدهما على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بالجنّة وإنّما استوجبا بالتوبة التي ينقلها أصحابنا عنهما في كتبهم ولولاها لكانا من الهالكين .

أقول : ظاهر قول الامام عليه السلام وأرهما المسائة هو الاطلاق و تقييدها بمسائة الدنيا لادليل عليه ، وأمّا و عدالله لهما بالجنّة فغير ثابت ومدّعيه كاذب لأنّ المدّعى إنّما استند فيه إلى حديث العشرة الذي قدّمنا في التذييل الثّاني من شرح الكلام الثالث والأربعين ضعفه و بطلانه وأنّه ممّا تفرّد المخالفون بروايته .

و نزيد على ما قدّمنا ما قاله الشّيخ (ره) في محكيّ كلامه من تلخيص الشافي عند الكلام على بطلان هذا الخبر إنّه لايجوز أن يعلم الله مكلّفاً ليس بمعصوم من الذّنوب بأنّ عاقبته الجنّة ، لأنّ ذلك يغريه بالقبيح وليس يمكن أحداً ادّعاء عصمة التّسعة ولولم يكن إلاّ ما وقع من طلحة والزّبير من الكبيرة لكفى ، وقد ذكرنا أنّ هذا الخبر لو كان صحيحاً لاحتجّ به أبوبكر لنفسه واحتجّ بـه له في السقيفة وغيرها ، وكذلك عمر وعثمان .

و ممّا يبيّن أيضاً بطلانه إمساك طلحة والزبير عن الاحتجاج به لما دعوا النّاس إلى نصرتهما واستنفار هم إلى الحرب معهما ، وأيّ فضيلة أعظم و أفخم من الشّهادة لهما بالجنّة ، و كيف يعدلان مع العلم والحاجة عن ذكره إلاّ لأنّه باطل ، و يمكن أن يسلّم مسلّم هذا الخبر و يحمله على الاستحقاق في الحال لا العاقبة فكانّه صلّى الله عليه وآله أراد أنّهم يدخلون الجنّة إن وافوا بماهم عليه ، و يكون الفائدة في الخبر إعلامنا بأنّهم يستحقّون الثواب في هذا الحال ، هذا

وأمّا قول الشّارح إنّهما استوجبا الجنّة بالتّوبة الّتي ينقلها أصحابنا عنهما ففيه إنّا قدّمنا في شرح الكلام الثامن بطلان توبة الزّبير ، وفي شرح الكلام الثاني عشر بطلان توبة طلحة ، وأقول هنا : قال الشّيخ (ره) في محكيّ كلامه من تلخيص الشافي بعد كلام طويل له على بطلان توبتهما تركناه حذرا من الاطالة و الاطناب ما لفظه :

وروى الشّعبي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : ألا إنّ ائمة الكفر في الاسلام خمسة : طلحة ، والزّبير ، ومعاوية ، وعمرو بن العاص ، وأبوموسى الأشعري و قد روى مثل ذلك عن عبدالله بن مسعود .

وروى نوح بن درّاج عن محمّد بن مسلم عن حبّة العرني قال : سمعت عليّاً عليه السلام حين برز أهل الجمل يقول : والله لقد علمت صاحبة الهودج أنّ أهل الجمل ملعونون على لسان النبيّ الأُمّي وقد خاب من افترى ، وقد روى هذا المعنى بهذا اللّفظة أو بقريب منه من طرق مختلفة .

و روى البلاذري في تاريخه باسناده عن جويرية بن أسماء أنّه قال : بلغني أنّ الزبير حين ولي ولم يكن بسط يده بسيفه اعترضه عمّار بن ياسر بالرّمح وقال أين ياأباعبدالله وأنت ما كنت بجبان ولكني احسبك شككت ؟ قال : وهو ذاك ومضى حتّى نزل بوادي السّباع فقتله ابن جرموز ، واعترافه بالشكّ يدلّ على خلاف التوبة لأنّه لو كان تائبا لقال له في الجواب ما شككت بل تحقّقت انّك وصاحبك إلى الحقّ وأنا على الباطل وقد ندمت على ما كان منّي وأيّ توبة لشاكّ غير متحقّق.

فهذه الأخبار وماشاكلها تعارض أخبارهم لو كان لها ظاهر يشهد بالتوبة ، وإذا تعارضت الأخبار في التوبة والاصرار سقط الجميع وتمسكنا بما كنّا عليه من أحكام فسقهم وعظيم ذنبهم ، و ليس لهم أن يقولوا إنّ كلّ ما رويتموه من طريق الآحاد وذلك إنّ جميع أخبارهم بهذه المثابة ، و كثير ممّا رويناه أظهر ممّا رووه وأفشى وإن كان من طريق الآحاد فالأمر ان سيّان .

و أمّا توبة طلحة فالأمر فيها أضيق على المخالف من توبة الزّبير ، لأنّ طلحة قتل بين الصّفين مباشراً للحرب مجتهداً فيها ولم يرجع عنها حتّى أصابه السّهم فأتى على نفسه ، وادّعاء توبة مثل هذا مكابرة ، و ليس لأحد أن يقول إنّه قال بعد ماأصابه السهم :

ندمت ندامة الكسعي لمّا رأت عيناه ماصنعت يداه

لأنّ هذا بعيد عن الصّواب والبيت المرويّ بأن يدلّ على خلاف التّوبة أولى لأنّه جعل ندامته ندامة الكسعي و خبر الكسعي معروف لأنّه ندم بحيث لا ينفعه النّدم وحيث فاته الأمر وخرج عن يده ، ولو كان ندم طلحة واقعاً على وجه التوبة

الصحيحة لم يكن مثل ندامة الكسعي ، بل كان شبيها لندامة من تلافي ما فرط فيه على وجه ينتفع به .

و روى حسين الأشقر عن يوسف البزاز عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال أمير المؤمنين عليه السلام لطلحة وهو صريع فقال : اقعدوه ، فأقعد ، فقال عليه السلام : قد كان لك سابقة لكن دخل الشيطان في منخريك فأدخلك النار ، انتهى كلامه رفع مقامه

وقد ظهر بذلك بطلان توبتهما كما توهمه الشارح المعتزلي وفاقاً لأصحابه المعتزلة وتبين أنهما في النار خالدين ببغيهم على الامام المبين ، هذا .

وندامة الكسعي يضرب بها المثل فيقال : أندم من الكسعي ، وهو محارب بن قيس من بني كسع حي من اليمن كان يرعى إبلا بواد معشب فرأى نبقة على صخرة فأعجبته فقطعها و اتخذ منها قوسا ، فمرت به قطعان من حمر الوحش ليلا فرمى عشراً فأنفذها وأخرج السهم فأصاب الجبل فارى ناراً فظن أنه أخطأ ، ثم مر قطيع آخر فرماه كالأول وفعل ذلك مراراً فعمد إلى قوسه فكسره من حنقه، فلما أصبح رأى الحمر قتلن مضرجة بالدم فندم وعض إبهامه فقطعها

الترجمة

ازجمله كلام آن امام أنام است عليه الصلاة والسلام در معنى و مقصوديكه متعلق است بطلحه و زبير و وارد است در مذمت وتوبيخ ايشان و ابطال دعويشان درمطالبه خون عثمان ميفرمايد :

قسم بخدا انكار نكردند برمن فعل منكر قبيح را ، وقرار ندادند درميان من وميان خودشان حكم عدلى را ، وبدرستي كه ايشان طلب ميكنند حقى را كه خود آنها ترك كرده اند ، و خوني را كه خود آنها ريخته اند آنرا ، پس اگر باشم من شريك ايشان در آن خون پس بدرستى كه مر ايشانراست نصيبشان از آن خون ، واگر مباشر شدند آنرا بدون من پس نيست مطلوب ايشان مگر پيش خودشان ، وبدرستي كه اول عدالت ايشان حكم كردن است برخودشان ، وبدرستى كه بامن است بصيرت

من تلبیس نکرده‌ام و تلبیس کرده نشده برمن ، و بدرستی که این جماعت همان جماعت طاغیهٔ باغیه است که پیغمبرخدا ﷺ خبرداده بود ، دراین جماعت‌است گل‌سیاه متغیر وزهرعقرب‌وشبههٔ صاحب‌ظلمت ، وبدرستی که امردراین شبهه واضح است ، وبتحقیق که کنار شده است باطل از أصل خود ، وبریده شده زبان آن از برانگیختن شر وفساد خود ، وسوگند بخدا هرآینه پرمیسازم بجهت ایشان حوض جنگیرا که منم کشندهٔ آب‌آن درحالتیکه برنگردند ازآن حوض‌سیراب‌ونیاشامند بعداز آن آب خوشگوار .

بعضی از این کلام در ردّ ایشانست بطرز آخر که میفرماید :

پس اقبال کردید بطرف من مثل اقبــال شتران نوزایندگان صاحبان طفل براولاد خود در حالتیکه میگفتید بیا ببیعت اقبال کن ببیعت ، بهم گرفتم و قبض نمودم کف خودرا پس بسط کردید شما آنرا ، و منازعه کرد با شما دست من پس کشیدید دست مرا ، پروردگارا بدرستي که طلحه وزبیرقطع رحم کردند از من و ظلم کردند بر من وشکستند بیعت مرا و تحریص وتحریك کردنـد خلـق را برمحاربهٔ من ، پس بگشای آنچه که بسته‌اند آن را از عزمهای فاسده ، ومحکم نساز از برای ایشان آنچه که استوار کرده‌اند آن را از رأیهاي باطله ، و بنمای بـایشان پریشاني را درآنچه که امید دارند ودرآنچه که عمل میآرند ، وبتحقیق که طلب کردم از ایشان بـاز گشتن ایشان را از بغی و ظلم پیش از مقاتلـه ، و منتظر شدم و توقّف نمودم بایشان پیش از محاربه ، پس حقیر شمردند نعمت را و کفران نمودند و رد کردند سلامتی را و خودرا بورطهٔ هلاکت أفکندند .

ومن خطبة له عليه السّلام فى ذكر الملاحم وهى المأة والثامنة والثلاثون من المختار فى باب الخطب

وشرحها فى فصلين: الفصل الاول

يَعطِفُ الهَوى عَلَى الهُدى إذا عَطَفُوا الهُدى عَلَى الهَوى، وَيَعطِفُ الرَّأيَ عَلَى القُرآنِ إذا عَطَفُوا القُرآنَ عَلَى الرَّأيِ.

منها:

حَتّى تَقُومَ الحَربُ بِكُم عَلى ساقٍ بادِياً نَواجِذُها، مَملُوَّةً أخلافُها، حُلواً رَضاعُها، عَلقَماً عاقِبَتُها، ألا وَفي غَدٍ وَسَيَأتي غَدٌ بِما لا تَعرِفُونَ، يَأخُذُ الوالي مِن غَيرِها عُمّالَها عَلى مَساوي أعمالِها، وَتُخرِجُ لَهُ الأرضُ أفاليذَ كَبِدِها، وَتُلقي إلَيهِ سِلماً مَقالِيدَها، فَيُريكُم كَيفَ عَدلُ السّيرَةِ، وَيُحيِي مَيِّتَ الكِتابِ وَالسُّنَّةِ.

اللغة

(السّاق) مابين الركبة و القدم و الجمع سوق قال سبحانه: فطفق مسحا بالسّوق والأعناق، و السّاق أيضاً الشدّة ومنه قوله تعالى: ويوم يكشف عن ساق، أى عن شدّة، قال الفيروز آبادى: والتفّت السّاق بالسّاق آخرشدّة الدّنيا بأوّل شدّة الآخرة و (النّواجذ) أقصى الأضراس و (الأخلاف) جمع الخلف بالكسر

كحمل وأحمال وهومن ذوات الخف والظلف كالثدى للانسان و (العلقم) الحنظل وقيل قثاء الحمار ويقال لكل شيء مر .

و (الأفاليذ) جمع أفلاذ وأفلاذ جمع فلذ وهي القطعة من الكبد ، هكذا في شرح المعتزلي ، و في المصباح للفيومي : الفلذة القطعة من الشيء والجمع فلذ كسدرة وسدر ، و قال الفيروز آبادى : الفلذ بالكسر كبد البعير وبهاء القطعة من الكبد ومن الذهب والفضة واللحم والأفلاذ جمعها كالفلذ كعنب ومن الأرض كنوزها و (الكبد) بفتح الكاف و كسرها و ككتف معروف و (المقاليد) المفاتيح

الاعراب

إذا ظرف للزمان المستقبل و الناصب فيها شرطها على مذهب المحققين فتكون بمنزلة متى و حيثما وايان و جزائها على قول الأكثرين كما عزاه إليهم ابن هشام والأظهر هنا أن يكون ناصبها يعطف لحق التقدم ولما حققه نجم الأئمة حيث قال : العامل في متى و كل ظرف فيه معنى الشرط شرطه على ما قال الأكثرون ولا يجوز أن يكون جزاؤه على ما قال بعضهم كما لا يجوز في غير الظروف ألا ترى انك لا تقول أيهم جائك فاضرب ، بنصب أيهم ، وأما العامل في إذا فالأكثرون على أنه جزاءه ، و قال بعضهم : هو الشرط كما في متى و اخواتها ، و الأولى أن نفصل ونقول : إن تضمن إذا معنى الشرط فحكمه حكم اخواته في متى ونحوها و إن لم يتضمن نحو إذا غربت الشمس جئتك بمعنى أجيئك وقت غروب الشمس فالعامل هو الفعل الذي في محل الجزاء وان لم يكن جزاء في الحقيقة دون الذي في محل الشرط وهومخصص للظروف انتهى .

ومن المعلوم أن إذا في هذا المقام من قبيل إذا في قوله : إذا غربت الشمس جئتك ، وليس فيها معنى الشرط ، والباء في قوله : حتى تقوم الحرب بكم بمعنى في بدليل قوله تعالى لاتقم فيه أبداً لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فتكون للظرفية المجازية .

وبادياً ومملوّة وحلواً وعلقماً منصوبات على الحال والعامل تقوم ، والمرفوعات بعدها فواعل و رفع علقماً لما بعده مع كونه اسما جامداً لأنّه بمعنى المشتق ، أى مريرة عاقبتها .

و قوله : في غد متعلّق بقوله يأخذ ، وتقدّمه للتوسّع ، وجملة وسيأتي غدٌ بما لاتعرفون معترضة بين الظرف والمظروف ، وسلماً منصوب على الحال من فاعل تلقى ولا بأس بجموده لعدم شرطيّة الاشتقاق في الحال أو لتأويله بالمشتق أى تلقى مستسلماً منقاداً كما في قوله اجتهد و حدك أى متوحّداً ، وقوله فيريكم كيف عدل السّيرة ، الفاء فصيحة و كيف خبر مقدّم و هو ظرف عند سيبويه و موضعها نصب و مابعدها مبتدءٌ و الجملة في محلّ النّصب مفعول ثان ليريكم ، و علق عنها العامل لأجل الاستفهام ، والمعنى يريكم عدل السّيرة على أى نحو .

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة حسبما ذكره السّيد (ره) واردة في ذكر الملاحم أى الوقايع العظيمة المتضمّنة للقتل والاستيصال ، واتّفق الشراح على أنّ هذا الفصل منها اشارة إلى ظهور القائم المنتظر عجّل الله فرجه وسهل الله مخرجه وجعلنا الله فداه ومنحنا اتّباع آثاره وهداه .

فقوله (يعطف الهوى على الهدى) يريد به أنه عليه السلام إذا ظهر يردّ النفوس الهائرة عن سبيل الله التابعة لظلمات أهوائها عن طرقها الفاسدة ومذاهبها المختلفة إلى سلوك النّهج القويم و الصّراط المستقيم ، فنهدى الأمم بظهوره و تسفر الظّلم بنوره و ذلك (إذا عطفوا الهدى على الهوى) أى إذا ارتدّت تلك النّفوس عن اتّباع أنوار هدى الله تعالى في سبيله الواضح إلى اتّباع أهوائها فيجدّد الشّريعة المحمّديّة بعد اندحاضها ، و يبرم عقدها بعد انتقاضها ، و يعيدها بعد ذهابها و انقراضها .

(و يعطف الرّأى على القرآن) أى يردّ الآراء الفاسدة المخالفة للقرآن

عليه و يأمر بالرّجوع إليه ، ويأخذ ما وافق الكتاب وطرح ما خالفه في كلّ باب وذلك (إذا عطفوا القرآن على الرّأى) وتأوّلوه على ما يطابق مذاهبهم المختلفة و آرائهم المتشتّتة فانّ فرق الاسلام من المرجية والمشبّهة والكراميّة والقدريـة والمعتزلة وغيرها قد تمسّك كلّ على مذهبه الفاسد واستشهد على رأيـه الكاسد بآيات الكتاب وزعم أنّ ما رآه ودان به إنّما هو الحقّ والصّواب مع أن كلاًّ منهم قد حاد عن سوى الصّراط ، و اعتسف في طرفي التّفريط والافراط ، لعدو لهم عن قيّم القرآن ، و استغنائهم عن خليفة الرّحمن ، وتركهم السؤال عن أهل الذّكر والرجوع إلى وليّ الأمر ، وإنّما يعرف القرآن من خوطب به ومن نزل ببيته ، وهم أهل بيت النّبوّة و معدن الوحي و الرّسالة ، فمن رجع في تفسيره إليهم كالشّيعة الاماميّة فقد اهتدى ، ومن استغنى برأيه عنهم فقد ضلّ وغوى ، و من فسّره برأيه فليتبوّء مقعده النار ، وليتهيأ غضب الجبار

والفصل الثّاني منها اشارة إلى الفتن التي تظهر عند ظهور القائم عليه السلام و هو قوله عليه السلام (حتّى تقوم الحرب بكم على ساق) أراد به اشتدادها و التحامها ، قال الشّارح البحراني والعلاّمة المجلسي : وقيامها على ساق كناية عن بلوغها غايتهـا في الشدّة .

و أقول : و التّحقيق أنّـه اريد بالسّاق الشدّة فيكون تقوم بمعنى تثبت فيكون مجازاً في المفرد و يكون المجموع كناية عن اشتدادها ، وان اُريد بالسّاق مابين القدم والرّكبة فيكون الكلام من باب الاستعارة التّمثيليّة حيث شبّه حال الحرب بحال من يقوم ولايقعد ، على حدّ قولهم للمتردّد : أراك تقدّم رجلا وتؤخّر اُخرى ، ولا تجوّز على ذلك في شيء من مفرداته .

و كذا لو قلنا إنّ المجموع مركّب من تلك المفردات موضوع للافادة المركّب من معانيها ، ولم يستعمل فيه واستعمل في مشابهه على طريق التّمثيل بأن شبّه ثبات الحرب و استقرارها بصورة موهومة و هي قيامها على ساق ، فعبّر عن المعنى

الأوّل بالمركّب الموضوع للمعنى الثّاني ، كما ذهب عليه جماعة من الأُصوليين من أنّ المركّبات موضوعة بازاء معانيها التركيبيّة كما أنّ المفردات موضوعة بازاء معانيها الافراديّة .

ويمكن أن يقال : إنّ الحرب نزلت منزلة انسان ذى ساق على سبيل الاستعارة بالكناية ، ويكون ذكر السّاق تخييلا والقيام ترشيحاً وكيف كان فالمراد الاشارة إلى شدّتها .

وهو المراد أيضاً بقوله (بادياً نواجذها) لأنّ بدو النّواجذ و ظهورها من أوصاف الأسد عند غضبه وافتراسه ، فأثبته للحرب على سبيل التخييل بعد تنزيلها منزلة الأسد المغضب باعتبار الشدّة والأذى على الاستعارة بالكناية .

و قال الشّارح المعتزلي : والكلام كناية عن بلوغ الحرب غايتها كما أنّ غاية الضّحك أن تبدو النّواجذ ، واعترض عليه البحراني بأنّ هذا وإن كان محتملا إلاّ أنّ الحرب مظنّة إقبال الغضب لا إقبال الضّحك فكان الأوّل أنسب ، أقول : ويستظهر الثاني بجعله من باب التّهكم .

وقوله (مملوّة أخلافها) تأكيد ثالث لشدّتها نزّلها منزلة الناقة ذات اللّبن في استعدادها و استكمالها عدّتها و رحالها كما تستكمل النّاقة باللّبن و تهيّئوه لولدها ، وذكر الأخلاف تخييل والمملوّة ترشيح .

وأراد بقوله : (حلواً رضاعها وعلقماً عاقبتها) أنّها عند اقبالها تستلذّ وتستحلي بطمع الظّفر على الأقران والغلبة على الشجعان ، ويكون آخرها مرّاً لأنّه القتل والهلاك ، ومصير الاكثر إلى النّار ، وبئس القرار وفي هذا المعنى قال الشّاعر :

الحرب أوّل ما تكون فتية تسعى بزينتها لكلّ جهول
حتّى إذا اشتعلت وشبّ ضرامها عادت عجوزاً غير ذات خليل
شمطاء جزّت رأسها وتنكّرت مكروهة للشمّ و التقبيل

ثمّ أشار إلى بعض سيرة القائم فقال (ألا وفي غد وسيأتي غد بما لاتعرفون)

تنبيه على عظم شأن الغد الموعود بمجيئه وعلى معرفته بما لايعرفون (يأخذ) أى يؤاخذ (الوالى من غيرها عمالها على مساوى أعمالها) قال الشّارح المعتزلي هذا الكلام منقطع عمّا قبله ، و قدكان تقدّم ذكر طائفة من النّاس ذات ملك و امرة فذكر عليه السلام أنّ الوالي من غيرتلك الطائفة يعني الامام الذى يخلفه في آخرالزمان يأخذ عمّال هذه الطائفة بسوء أعمالهم أى يؤاخذهم بذنوبهم .

أقول : ومن هذهالمؤاخذة ما ورد في رواية أبيبصير ومن غيره من أنّه عليه السلام إذا ظهرأخذ مفتاح الكعبة من بنيشيبة وقطع أيديهم وعلّقها بالكعبة و كتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة .

وورد الأخبارأيضاً بملك الجبابرة والولاة السّوء عند ظهوره عليه السلام في النبوي الذي رواه كاشف الغمّة من كتاب كفاية الطّالب عن الحافظ أبينعيم في فوائده والطّبراني فى معجمه الأكبرعن جابربن عبدالله أنّ رسولالله صلى الله عليه وآله قال : سيكون بعدى خلفاء و من بعد الخلفاء أمراء و من بعد الأمراء ملوك جبابرة ، ثمّ يخرج المهديمنأهل بيتي يملأها عدلا كما ملئت جوراً .

(وتخرج لهالأرض أفاليذ كبدها) استعار لفظ الكبد لكنوزالأرض وخزائنها و الجامع مشابهة الكنوز للكبد في الخفاء و بذلك الاخراج فسّر قولـه تعالى : وأخرجت الأرضأثقالها ، في بعض التّفاسير (وتلقى إليه سلما) أىمنقاداً (مقاليدها) ومفاتيحها قال الشّارح البحراني : أسندلفظ الالقاء إلى الأرض مجازاً لأنّ الملقى للمقاليد مسالماً هوأهل الأرض و كنّى بذلك عنطاعتهم وانقيادهم أجمعين لأوامره و تحت حكمه .

أقول : والأقرب أن يراد بالقاء المقاليد فتح المداين والأمصار .

وقد أشير إليهما أعني إخراج الكنوز و إلقاء المقاليد في رواية نبويّة عاميّة و هى ما رواه في كشف الغمّة عن الحافظ أبينعيم أحمد بن أبيعبدالله باسناده عن أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : بينكم و بين الروم أربع هدن يوم

الرّابعة على يد رجل من آل هرقل يدوم سبع سنين فقال له رجل من عبد القيس يقال له المستورد بن غيلان : يا رسول الله من إمام النّاس يومئذ ؟ قال : المهدي من ولدي ابن أربعين سنة كان وجهه كوكب درّي في خدّه الأيمن خال أسود عليه عباءتان قطوانيّتان كأنّه رجال من بني إسرائيل يستخرج الكنوز و يفتح مدائن الشّرك .

(فيريكم كيف عدل السيرة) أي العدل في السيرة أو السيرة العادلة (ويحيى ميّت الكتاب و السّنة) أي يعمل بهما و يحمل النّاس على أحكامهما بعد اندراس أثرهما وهو إشارة إلى بعض سيرته عليه السلام عند قيامه وطريقة أحكامه .

و قد أشير إلى نبذ منها و من علامات ظهورها فيما رواه كاشف الغمّة عن الشّيخ المفيد (ره) في كتاب الارشاد قال : قال : فأمّا سيرته عليه السلام عند قيامه و طريقة أحكامه و ما يبيّنه الله تعالى من آياته فقد جاءت الآثار به حسب ما قدّمناه .

فروى المفضّل بن عمر الجعفي قال : سمعت أباعبدالله جعفر بن محمّد عليهما السلام يقول : إذا أذن الله تعالى للقائم في الخروج صعد المنبر فدعى النّاس إلى نفسه وناشدهم الله ودعاهم إلى حقّه و أن يسير فيهم بسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله ويعمل فيهم بعمله ، فيبعث الله تعالى جبرئيل حتّى يأتيه فنزل على الحطيم و يقول له : إلى أيّ شيء تدعو؟ فيخبره القائم عليه السلام، فيقول جبرئيل أنا أوّل من يبايعك وابسط يدك فيمسح على يده وقد وافاه ثلاثمأة وسبعة عشر رجلا فيبايعونه ويقيم بمكّة حتّى يتمّ أصحابه عشرة آلاف

وروى محمّد بن عجلان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا قام القائم عليه السلام دعى النّاس إلى الاسلام جديداً ، وهديهم إلى أمر قد دثر فضلّ عنه الجمهور، وإنّما سمّى القائم مهديّاً لأنّه هدى إلى أمر مضلول عنه ، وسمّى بالقائم لقيامه بالحقّ .

وروى أبو بصير قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا قام القائم هدم المسجد الحرام

حتّى يردّه إلى أساسه، وحوّل المقام إلى الموضع الذي كان فيه، وقطع أيدي بني شيبة وعلّقها بالكعبة، وكتب عليها هؤلاء سرّاق الكعبة

و روى أبو الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنّه إذا قام القائم فيخرج منها بضعة عشر ألف أنفس يدعون التبرية، عليهم السّلاح، فيقولون له: ارجع من حيث جئت فلا حاجة بنا إلى بني فاطمة، فيضع عليهم السّيف حتّى يأتي إلى آخرهم ثمّ يدخل الكوفة فيقتل فيها كلّ منافق مرتاب، ويهدم قصورها ويقتل مقتاتلها حتّى يرضى الله عزّ وجلّ.

و روى أبو خديجة عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: إذا قام القائم جاء بأمر جديد كما دعى رسول الله في بدو الاسلام إلى أمر جديد.

وروى عليّ بن عقبة عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيّامه الجور وامنت به السبل واخرجت الأرض بركاتها وردّ كلّ حقّ إلى أهله ولم يبق أهل دين حتّى يظهروا الاسلام ويعترفوا بالايمان أما سمعت الله عزّ وجلّ يقول: وله أسلم من في السّموات والأرض طوعاً و كرها وإليه يرجعون، و حكم في النّاس بحكم داود وحكم محمّد صلّى الله عليهما فحينئذ يظهر الأرض كنوزها وتبدى بركاتها فلا يجد الرّجل منكم يومئذ موضعاً لصدقته ولا لبرّه، لشمول الغنى جميع المؤمنين ثمّ قال عليه السلام إنّ دولتنا آخر الدّول ولم يبق أهل بيت لهم دولة إلاّ ملكوا قبلنا لئلاّ يقولوا إذا رأوسيرتنا إذا ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء، وهو قول الله عزّ وجلّ: والعاقبة للمتّقين.

وروى كاشف الغمّة أيضاً عن الشّيخ الطبرسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: المنصور القائم منّا منصور بالرّعب، مؤيّد بالنّصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله دينه على الدّين كلّه ولو كره المشركون فلا يبقى على وجه الأرض خراب إلاّ عمّر، و ينزل روح الله عيسى بن مريم فيصلّي خلفه.

قال الرّاوي: فقلت يابن رسول الله و متى يخرج قائمكم؟ قال: إذا تشبّه

الرّجال بالنّساء و النّساء بالرجال و اكتفى الرّجال بالرجال و النّساء بالنساء، ورکب ذوات الفروج السّروج، وقبلت شهادة الزّور وردّت شهادات العدل، واستخفّ الناس بالرّياء وارتكاب الزّناء وأكل الرّبا، واتقى الأشرار مخافة ألسنتهم، وخرج السّفياني من الشّام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، و قتل غلام من آل محمّد بين الرّكن و المقام و اسمه محمّد بن الحسن النّفس الزكيّة، و جائت صيحة من السّماء بأنّ الحقّ معه ومع شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فاذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة واجتمع عليه ثلاثمأة وثلاثة عشر رجلا، فأوّل ماينطق به هذه الآية: بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين، ثمّ يقول: أنا بقية الله وخليفته وحجّته عليكم فلا يسلّم عليه مسلّم إلاّ قال: السّلام عليك يابقيّة الله في الأرض، فاذا اجتمع له العدّة عشرة آلاف رجل فلا يبقى في الأرض معبود من دون الله من صنم إلاّ وقعت فيه نار فاحترق، وذلك بعد غيبة طويلة ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به.

تنبيه

قال الشّارح المعتزلي في شرح هذا الفصل من الخطبة: هذا اشارة إلى إمام يخلقه الله تعالى في آخر الزّمان وهو الموعود به في الأخبار والآثار انتهى.

أقول: لا خلاف بين العامّة و الخاصّة في أنّ الله يبعث في آخر الزّمان حجّة يملأ الأرض قسطا وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وأنّه المهدي من أولاد فاطمة سلام الله عليها، وإنّما وقع الخلاف في وقت ولادته وتعيين أمّه وأبيه.

فذهب العامة إلى أنّه يخلقه الله في مستقبل الزّمان وأنّه غير موجود الآن استنادا إلى حجج ضعيفة ووجوه سخيفة مذكورة في محالّها، وعمدة أدلّتهم استبعاد طول عمره الشّريف، فانّ بنية الانسان على ماهو المشاهد بالعيان يأخذها السّن ويهدمها طول العمر والعناصر لايبقى تركيبها أزيد من العمر المتعارف.

و ذهبت الخاصّة إلى أنّه الامام الثاني عشر صاحب الزّمان محمّد بن الامام حسن العسكري ابن الامام على الهادي ابن الامام محمّد الجواد ابن علي الرّضا ابن

الامام موسى الكاظم ابن الامام جعفر الصادق ابن الامام محمد الباقر ابن الامام علي زين العابدين ابن الامام الحسين الشهيد ابن الامام علي بن أبيطالب عليهم السلام، و اُمّه نرجس أمّ ولد و أنّه حيّ موجود الآن غائب عن أعين النّاس لمصالح اقتضت غيبته.

فإمامته و غيبته من ضروريّات مذهب الاماميّة وعليه دلّت الأخبار المتواترة من طرقهم ومن طرق العامّة، وقد دوّنوا فيها أى في الغيبة الكتب، وصنّفوا فيها التصانيف مثل كتاب محمد بن إبراهيم النعماني الشهير بالغيبة، و كتاب الغيبة للشيخ أبي جعفر الطوسي و كتاب إكمال الدّين وإتمام النّعمة للشّيخ الصّدوق، ، والمجلّد الثالث عشر من بحار الأنوار للمحدّث العلاّمة المجلسي وغيرها.

بل من العامة من صرّح بتواتر الأخبار عندهم بذلك و استدلّ على إمامته بروايات كثيرة و براهين محكمة: مثل الشّيخ أبي عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشّافعي في كتاب البيان في أخبار صاحب الزّمان في الجواب عن الاعتراض في الغيبة، و كمال الدّين أبوعبدالله محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن النصيبي الشافعي في كتاب مطالب السؤول في مناقب الرّسول، وإبراهيم بن محمد الحمويني في كتاب فرايد السّمطين في فضل المرتضى والبتول والسّبطين.

وقد أورد المحدّث العلامة السّيد هاشم البحراني أكثر ما أورده في كتاب غاية المرام و كذلك علي بن عيسى الأربلي في كشف الغمّة، وقد كفانا سلفنا الصّالحون ومشايخنا الماضون مؤنة الاستدلال في هذا المقال، وقد أوردوا في كتبهم شبه العامّة وأجابوا عنها بوجوه شافية وافية، ولا حاجة بنا إلى ايرادها إلاّ الجواب عن قولهم: إنّه لا يمكن أن يكون في العالم بشر له من السّنّ ما تصفونه لامامكم و هو مع ذلك كامل العقل صحيح الحسّ.

و محصّل الجواب أنّ من لزم طريق النّظر و فرّق بين المقدور و المحال لم ينكر ذلك إلاّ أن يعدل عن الانصاف إلى العناد والخلاف، لأنّ تطاول الزّمان للدنيا في وجود الحياة و مرور الأوقات لا تأثير له في القدرة، و من قرء الأخبار و نظر في كتاب المعمّرين علم أنّ ذلك ممّا جرت العادة به ؛ و قد نطق الكتاب

الكريم بذكر نوح وأنّه لبث في قومه ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، و قد تظافرت الأخبار بأنّ أطول بني آدم عمراً الخضر عليه السلام، وأجمعت الشّيعة وأصحاب الحديث بل الامّة بأسرها ماخلا المعتزلة والخوارج على أنّه موجود في هذا الزّمان كامل العقل صحيح الحسّ معتدل المزاج، ووافقهم على ذلك أكثر أهل الكتاب.

و في حديث الصّدوق باسناده عن الصّادق عليه السلام و أمّا العبد الصّالح أعنى الخضر عليه السلام فانّ الله ماطوّل عمره لنبوّة قدّرهاله، ولا كتاب نزّله عليه، ولالشريعة ينسخ بهاشريعة منكان قبله من الأنبياء، ولالامامة يلزم عباده الاقتداء بها، ولالطاعة يفرضها له، بل إنّ الله تبارك وتعالى لما كان في سابق علمه أن يقدّر من عمر القائم ما يقدّر من عمر الخضر، و ما قدّر في أيّام غيبته ما قدّروعلم مايكون من انكار عباده بمقدار ذلك العمر في الطّول، قدّر عمر العبد الصّالح في غير سبب يوجب ذلك إلاّ لعلّة الاستدلال به على عمر القائم، وليقطع بذلك حجّة المعاندين، لئلاّ يكون للنّاس على الله حجّة.

ولاخلاف أيضاً أنّ سلمان الفارسي أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله وقد قارب أربعمأة سنة، فهب أنّ المعتزلة والخوارج يحملون أنفسهم على دفع الأخبار فكيف يمكنهم دفع القرآن في عمر نوح و في دوام أهل الجنّة والنّار، ولو كان ذلك منكراً من جهة العقول لما جاء به القرآن، فمن اعترف بالخضر عليه السلام لم يصحّ منه هذا الاستبعاد، ومن أنكره فحجّته الأخبار والآثار المنبئة عن طول عمر المعمّرين زائداً على قدر المعتاد المتعارف.

و قال محمّد بن يوسف بن محمّد الكنجي الشافعي: و أمّا بقاء المهديّ عليه السلام فقد جاء في الكتاب والسّنة، أمّا الكتاب فقد قال سعيد بن جبير في تفسير قوله عزّ وجل: ليظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون، قال: هو المهدي عليه السلام من عترة فاطمة، و قد قال مقاتل بن سليمان في تفسير قوله عزّ وجل: و إنّه لعلم للسّاعة، قال هو المهديّ يكون في آخر الزّمان ويكون بعد خروجه قيام السّاعة واماراتها وأمّا السّنة فقد تقدّم فى كتابنا هذا من الأحاديث الصحيحة الصّريحة انتهى.

ولاحاجة بنا إلى اطالة الكلام في هذا المقام وذكر وجوه النقض والابرام ، لأنّ في كتب علمائنا الصّالحين هداية للمسترشد، وغنية للطالب ، وإبطالا لقول المنكر المجاحد ، ولنعم ماقيل فيه عليه السلام :

بهم عرف النّاس الهدى فهداهم يضلّ الّذي يقلي ويهدى الذي يهوى
موالاتهم فرض و حبّهم هدى و طاعتهم قربى و ودّهم تقوى

الترجمة

ازجمله خطب شريفه آن امام عاليمقام است درذكر واقعات عظيمه وفتن كثيره كه واقع ميشود در زمان آينده در وقت ظهور امام زمان و وليّ حضرت سبحان عجّل الله فرجه ميفرمايد كه :

برميگرداند صاحب الزّمان عليه السلام هواى نفس مردمانرا برهدايت درزمانيكه برگردانندهدايترا برهوى، و برميگرداند رأى خلقرا برطبق قرآن در وقتى كه برگردانند قرآن را برطبق رأى .

بعضى از اين خطبهٔ اشارتست بشدّة أيام ظهور آن بزرگوار ميفرمايد :

تااينكه قائم شود محاربه بشما برساق خود در حالتيكه كه ظاهرشده باشد دندانهاى آن حرب چون شير غضبناك ، ودر حالتيكه پرشده باشد پستانهاى آن وشيرين باشد شيردادن آن وتلخ باشد عاقبت آن ، آگاه باشيد در فردا وزود باشد بيايد فردا بحيثيتي كه نميشناسيد شما مؤاخذه ميكند والى كه از غير آن طائفه است كه درروى زمين سلطنت مينمايند عمّال و امراء ايشان را بربديهاى عملهاى ايشان ، وخارج ميكند ازبراى آن بزرگوار زمين جگرپارها يعني خزائن ودفائن خودرا ، وبيندازد بسوى او درحالتي كه اطاعت كنندهٔ است كليدهاى خودرا ، پس بنمايد بشما كه چگونه است عدالت در روش مملكت دارى و رعيّت پرورى ، وزنده كند مردهٔ كتاب خدا وسنت خاتم الأنبيارا، يعني أحكام متروكهٔ قرآن وسنّت نبويرا احيا مينمايد ، و رواج ميدهد وبرپاميدارد .

الفصل الثاني منها

كَأَنِّي قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ، وَ فَرَشَ الْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَ ثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ، بَعِيدُ الْجَوْلَةِ، عَظِيمُ الصَّوْلَةِ، وَاللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي الْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَلِكَ حَتَّى تَؤُبَ إِلَى الْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا، فَالْزَمُوا السُّنَنَ الْقَائِمَةَ، وَالْآثَارَ الْبَيِّنَةَ، وَالْعَهْدَ الْقَرِيبَ الَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي النُّبُوَّةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ.

اللغة

(نعق) الرّاعي ينعق من باب ضرب نعيقا صاح بغنمه وزجرها و (فحصت) عن الشّيء وتفحّصت استقصيت في البحث عنه، وفحص المطر التّراب قلبه وفحص فلان أسرع و (ضواحى) البلد نواحيه البارزة لأنّها تضحى وقيل ما قرب منه من القرى و (الضّروس) النّاقة السّيئة الخلق و (فغر) الفم فغراً من باب نفع انفتح وفغرته فتحته يتعدّى و لا يتعدّى و (شرد) البعير شروداً من باب قعد ندّ و نفر وشرّدته تشريداً و (عزب) الشيء عزوباً من باب قعد أيضاً بعد وعزب من بابي قتل و ضرب غاب و خفى فهو عازب و الجمع عوازب و (سنّاه) تسنية سهّله و فتحه و (العقب) مؤخر القدم .

الاعراب

الباء في قوله : بالشام ، بمعنى في ، وفي قوله : وفحص براياته ، للمصاحبة

أو زائدة و قال الشّارح المعتزلي : ههنا مفعول محذوف تقديره و فحص النّاس براياته أى نحاهم وقلبهم يميناً وشمالا .

أقول : إن كان فحص بمعنى أسرع فلا حاجة إلى حذف المفعول وعلى جعله بمعنى قلب فيمكن جعل براياته مفعولاً و الباء فيها زائدة ، وقوله : بعيد الجولة منصوب على الحال و كذلك عظيم الصّولة ويرويان بالرفع فيكونان خبرين لمبتدء محذوف ، وإضافتها لفظيّة لأنّها من إضافة الصّفة إلى فاعلها .

قال نجم الأئمة الرّضى : وأمّا الصفة المشبّهة فهى أبداً جائزة العمل ، فاضافتها أبداً لفظيّة ، والفاء في قوله : فالزموا فصيحة .

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل من كلامه عليه السلام الظاهر أنّه اشارة إلى السّفياني كما استظهره المحدّث العلاّمة المجلسي طاب ثراه ، وقال أكثر الشّراح إنّه إخبار عن عبدالملك بن مروان ، و ذلك لأنّه ظهر بالشّام حين جعله أبوه الخليفة من بعده وسار لقتال مصعب بن الزبير إلى الكوفة بعد قتل مصعب مختار بن أبي عبيدة الثقفي فالتقوا بأرض مسكن بكسر الكاف من نواحى الكوفة ، ثمّ قتل مصعباً ودخل الكوفة فبايعه أهلها ، وبعث الحجّاج بن يوسف إلى عبدالله بن الزّبير بمكّة فقتله و هدم الكعبة وذلك سنة ثلاث وسبعين من الهجرة ، وقتل خلقاً عظيماً من العرب في وقايع عبدالرّحمن بن الأشعث .

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فنقول قوله (كأنّى به) أى كانّى ابصر بالشخص الذي يظهر و أراه رأى العين (قد نعق) وصاح بجيشه للشخوص (بالشّام و فحص) أى أسرع (براياته في صواحى كوفان) أي أطراف الكوفة و نواحيها البارزة (فعطف عليها عطف الضّروس) شبّه عطفه أى حمله بعطف النّاقة السّيئة الخلق التي تعضّ حالبها لشدة الغضب و الأذى الحاصل منه كمافيه .

(وفرش الأرض بالرّؤوس) استعارة تبعيّة أى غطّاها بها كما يغطي المكان

بالفراش ، أو استعارة بالكناية حيث شبه الرؤوس بالفراش في كون كل منهما ساتراً لوجه الأرض ومغطيا لها فيكون ذكر فرش تخييلا و الأظهر جعله كناية عن كثرة القتلى فيها (قد فغرت فاغرته) استعارة بالكناية حيث شبه بالسبع الضاري يصول وينفتح فمه عند الصيال والغضب فاثبت الفغر تخييلا .

(و ثقلت في الأرض وطأته) كناية عن استيلائه وتمكنه في الأرض لا عن ظلمه و جوره كما توهمه الشارح المعتزلي إذ لا ملازمة بين ثقل الوطى والجور عرفاً كما هو ظاهر (بعيد الجولة) أى جولان خيوله وجيوشه في البلاد واتساع ملكه أو جولان رجاله في الحروب بحيث لا يتعقبه السكون (عظيم الصولة) أى صياله في القتال .

ولما فرغ من صفاته العامة أشار إلى ما يفعله بهم مفتتحاً بالقسم البار تحقيقاً لوقوع المخبر به وتحققه لا محالة فقال (والله ليشردنكم) أى يطردنكم ويذهبن بكم (في أطراف الأرض حتى لا يبقى منكم إلا قليل كالكحل في العين) شبه الناجي من شرهم بالكحل بالاشتراك في القلة (فلا تزالون كذلك) مشردين مطرودين منقضين محتقرين (حتى تؤب) وترجع (إلى العرب عوازب أحلامها) أى ماكان ذهب من عقولهم العملية في نظام أحوالهم وانتظام امورهم .

قال الشارح المعتزلي : والعرب ههنا بنو العباس ومن اتبعهم من العرب أيام ظهور الدولة كقحطبة بن شبيب الطائى وابنيه حميد و الحسن و كبني رزيق بتقديم الراء المهملة منهم طاهر بن الحسين و إسحاق بن إبراهيم المصعبى وعدادهم في خزاعة وغيرهم من العرب من شيعة بني العباس وقد قيل إن أبامسلم أيضاً عربي أصله ، وكل هؤلاء وآباؤهم كانوا مستضعفين مقهورين مغمورين في دولة بني امية لم ينهض منهم ناهض و لا وثب إلى الملك واثب إلى أن أفاء الله تعالى هؤلاء ما كان ذهب وعزب عنهم من إبائهم وحميتهم فغاروا للدين والمسلمين من جور بني مروان و ظلمهم و قاموا بالأمر و أزالوا تلك الدولة التي كرهها الله تعالى و أذن في انتقالها .

ثمّ أمرهم باتّباع السّنة النبويّة و سلوك جادّة الشّريعة بقولـه (فالزموا السّنن القائمة و الآثارالبيّنة) أى الواضحة الرّشد (و العهد القريب الذي عليه باقي النّبوة) يعني عهده وأيّامه عليه السلام

قال الشّارح المعتزلي : و كأنه عليه السلام خاف من أن يكونوا باخباره لهم بأنّ دولة هذا الجبّارتنقضى إذا آبت إلى العرب عوازب أحلامها يتوهّمون وجوب اتّباع و لاة الدّولة الجديدة في كلّ ماتفعله ، فوصّيهم بهذه الوصيّة ، أنّه إذا تبدّلت تلك الدّولة فالزموا الكتاب و السنّة والعهد الّذي فارقتكم عليه .

ثمّ نبّه على خدع الشيطان وتسهيله طرق المعاصى ليتنبّهوا عليها و يحذروا منها فقال (واعلموا أن الشّيطان يسنى) ويسهل (لكم طرقه لتتّبعوا عقبه) حتّى يوقعكم في العذاب الأليم والخزى العظيم .

الترجمة

اين فصل ازخطبه اشارتست بفتنهٔ سفيانى كه قبل ازظهور امام زمان عليه السلام خروج خواهد كرد ، يا بفتنهٔ عبدالملك بن مروان عليه اللّعنة و النّيران ميفرمايد كه :

گويا مينگرم باو درحالتي كه فرياد كند درشام وبر گرداند علمهاى خودرا يا سرعت مى كند باعلمهاى خود در أطراف شهر كوفه ، پس حمله مى كند بر آن أطراف مثل حمله كردن ناقهٔ بد خلق گزنده بدندان بر دوشندگان خود، و فرش ميكند زمين را باسرهاى مردمان در حالتى كه گشاده شود دهان او بجهت استيصال قبائل مثل سبع صائل ، و سنگين باشد در زمين قدم نهادن او در حالتي كه دور و دراز باشد جولان او در شهرها ، وبزرگ باشد حملهٔ او ، قسم بذات پاك خدا كه كه ألبته پرا كنده گرداند شمارا در أطراف زمين بظلم وجفاء تا اينكه باقي نماند ازشما مگر أندكى مانند سرمه در چشم ، پس ثابت ميباشيد تا اين كه باز گردد

بسوى جماعت عرب عقلهاى غايب شدۀ ايشان ، و چونكه حال براين منوال باشد پس لازم شويد برسنّتهاى ثابته ، ونشانهاى واضحه وبرعهد وپيمان نزديك كه براو است باقي پيغمبرى ، و بدانيد كه بدرستى شيطان ملعون جزاين نيست كه آسان مي گرداند ازبراى شما راههاى خودرا تا تبعيّت نمائيد درعقب او .

و من كلام له عليه السلام فى وقت الشورى و هو المأة و التاسع و الثلاثون من المختار فى باب الخطب

لنْ يَسْرَعَ أَحدٌ قَبْلي إِلىٰ دَعْوَةِ حَقٍّ ، وَ صِلَةِ رَحِمٍ ، وَعائِدَةِ كَرَمٍ ، فَاسْمَعُوا قَوْلي ، وَ عُوا مَنْطِقي ، عَسىٰ أَنْ تَرَوْا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضىٰ فيهِ السُّيُوفُ ، وَ تُخانُ فيهِ الْعُهُودُ ، حَتّىٰ يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلاٰلَةِ ، وَ شيعَةً لِأَهْلِ الْجَهالَةِ .

اللغة

(العائدة) المعروف والصّلة والعطف والمنفعة ومنه يقال : فلان كثير العائدة و هذا أعود أى أنفع و (عُوا) جمع ع أمر من وعيت الحديث وعياً من باب وعد حفظته وتدبّرت فيه و(نضوت) السّيف من غمده وانتضيته أخرجته .

الاعراب

قوله : إلى دعوة حقّ في بعض النّسخ دعوة بالتنّوين فيكون حقّ صفة له

وفي بعضها بالاضافة والاضافة محضة وكذلك الاضافة في صلة رحم وعائدة كرم، وعسى في قوله : عسى أن تروا للاشفاق في المكروه .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام كما أشار إليه السيّد (ره) ونبّه عليه الشارح المعتزلى من جملة كلام قاله لأهل الشّورى بعد وفات عمر ، و قد مضى أخبار الشّورى ومناشداته عليه السلام مع أهل الشورى في التّذييل الثّاني والثالث من شرح الفصل الثالث من الخطبة الثالثة المعروفة بالشّقشقيّة وفيها كفاية لمن أراد الاطلاع .

و أقول : ههنا : إنّ غرضه عليه السلام بهذا الفصل من كلامه تنبيه المخاطبين و تحذيرهم من الاقدام على أمر بغير تدبّر و تثبّت و رويّة ، و نهيهم عن التّسرع والعجلة كيلا يكون بيعتهم فلتة فيتورّطوا في الهلكات ويلقوا بأيديهم إلى التّهلكة و قدّم جملة من فضائله تحريصاً لهم على استماع قوله و ترغيبا على حفظ منطقه فقال (لن يسرع أحد قبلي إلى دعوة حقّ) أى لن يبادر أحد قبلي إلى اجابة الدّعاء الحقّ فما لم أجب إليه لا يكون حقاً أولن يسبقني أحد إلى أن يدعو إلى حقّ فما لم ادع إليه لا يكون حقّاً ، و في بعض النّسخ لم يسرع بدل لن يسرع فيكون الغرض أن نظرى كان فيما مضى إلى الحقّ فكذلك يكون فيما يستقبل ، و كيف كان فالمقصود به الاشارة إلى كونه مع الحقّ وكون الحقّ معه كما هومنطوق الحديث النّبوى المعروف بين الفريقين .

(وصلة رحم و عائدة كرم) أى معروف و إحسان وانعام (فاسمعوا قولي) فانّ الرّشد في سماعه (وعوا منطقى) وانّ النّفع و الصّلاح في حفظه ، و إنّما أمرهم بالحفظ و السّماع ليتنبّهوا على عاقبة امورهم و ما يترتّب عليها من الهرج والمرج فكانّه يقول إذا كان بناء الأمر أى بناء أمر الخلافة على الخبط والاختلاط والتّقلب فيه على أهله ومجاذبة من لا يستحقّه :

ف(عسى أن تروا هذا الأمر من بعد هذا اليوم) بحال (تنتضي) و تشتهر

(فيه السّيوف وتخان فيه العهود) قال الشّارح البحراني : وهو اشارة إلى ماعلمه من حال البغاة عليه والخوارج و النّاكثين لبيعته ، فقوله : (حتّى يكون بعضكم أئمة لأهل الضّلالة و شيعة لأهل الجهالة) غاية للتغلّب على هذا الأمر و أشار بالأئمّة إلى طلحة والزّبير وبأهل الضلالة إلى أتباعهم وبأهل الجهالة إلى معاوية ورؤساء الخوارج وسائر بني اميّة ، وبشيعة أهل الجهالة إلى اتباعهم انتهى .

أقول : وفيه مالا يخفى ، لأنّ هذا الكلام إنّما قاله في وقت الشّورى حيث ما أرادوا عقد البيعة لعثمان ، وكان مقصوده به الايقاف عن بيعته والتحذير عنه بماكان يترتّب عليها من المفاسد و يتعقّبها من المضارّ ، فلا ارتباط لخروج الخوارج ونكث الناكثة و بغى القاسطة بهذا المقام حتّى يكون كلامه عليه السلام إشارة إليها ، لعدم ترتّب تلك الأمور على بيعة عثمان ، و إنّما ترتّبت على بيعته عليه السلام كما هو واضح .

نعم لوكان يقوله لما اريد على البيعة بعد قتل عثمان مثلما تقدّم في الخطبة الاحدى و التّسعين لم يتأمل في كونه إشارة إلى ما قاله الشّارح ، وبعد ذلك كلّه فالأولى أن يجرى كلامه مجرى العموم من دون أن يكون إشارة إلى خصوص حال طائفة مخصوصة .

وإن كان ولابدّ فالأنسب أن يشار به إلى ماترتّب من بيعة عثمان من المفاسد فيكون المراد بالسّيوف المنتضاة ما سلّت يوم الدّار لقتل عثمان ، و بالعهود التي خينت فيها ما عهده عثمان لأهل مصر أو خيانته في عهود الله عزّ وجلّ و أحكامه ، و خيانة طلحة والزّبير و أمثالهما في ما عقدوا وعهدوا من بيعة عثمان ، و يكون قوله : أئمة لأهل الضّلالة ، اشارة إلى طلحة والزبير حيث كانا أشد النّاس إغراء على قتل عثمان و تبعهما أكثر النّاس ، ووصفهم بالضّلالة باعتبار عدم كون قتلهم له على وجه مشروع ظاهراً و قوله : شيعة لأهل الجهالة ، إشارة إلى مروان و أضرابه من شيعة عثمان وتبعه الحامين له والذّابين عنه .

ويمكن ماقاله الشّارح بأنّ فساد النّاكثين والقاسطين والمارقين ممّاتولّد

من بيعة عثمان ونشأ من خلافته ، وذلك لأنه فضّل في العطاء وراعى جانب بني اميـة وبني أبي معيط على سائر الناس ، فلما قام أمير المؤمنين عليه السلام بالأمر تمنّى طلحة والزبير منه أن يعامل معهما معاملة عثمان لأقربائه من التفضيل في العطاء والتقريب، فلمّا لم يحصل ما أملا نكثا ، وتبعهما من كان غرضه حطام الدّنيا ، و كذلك أقرّ معاوية على عمل الشّام حتّى قويت شوكته ، فلمّا نهض أمير المؤمنين بالخلافة أبي واستكبر من البيعة له وبغى وأجابه القاسطون فكانت وقعة صفين ومنها كان خروج الخوارج ، فهذه المفاسد كلّها من ثمرات الشجرة الملعونة ومعائب الشورى، والله العالم

الترجمة

ازجملۀ كلام هدايت نظام آن امام انام است در وقت شورى ميفرمايد كه :

هر گز مبادرت نمى كند احدى پيش ازمن بسوى دعوت حق و برعايت صله رحم و براحسان و كرم ، پس گوش كنيد گفتار مرا ، وحفظ نمائيد سخنان مرا ، مبادا كه ببينيد اين أمر خلافت را كه كشيده ميشود در اوشمشيرها ، و خيانت كرده شود دراوعهدها ، تا آنكه باشد بعضى ازشما پيشوايان أهل ضلالت و گمراهى وشيعيان أهل جهالت ونادانى .

ومن كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبة الناس وهو المأة والاربعون من المختار فى باب الخطب

وَإِنَّما يَنْبَغي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَ الْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلامَةِ أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَ الْمَعْصِيَةِ ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغالِبُ عَلَيْهِمْ ، وَالْحاجِزُ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعائِبِ الَّذي عابَ أَخاهُ ، وَعَيَّرَهُ بِبَلْواهُ ، أَما ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذي عابَهُ بِهِ،

وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيما سِواهُ مِمّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَأَيْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النّاسِ أَكْبَرُ، يا عَبْدَ اللهِ لا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ، فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ، فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِما يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شاغِلاً لَهُ عَلَى مُعافاتِهِ مِمّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ.

اللغة

(صنع) إليه معروفا من باب منع صنعاً بالضّم فعله والاسم الصنيع والصنيعة و (عافاه) الله من المكروه معافاة وعافية وهب له العافية من العلل والبلاء كأعفاه

الاعراب

قوله: ويكون الشكر هو الغالب، بنصب الغالب خبر يكون وعلى ذلك فلفظ هو قبله فصل أتى به للدّلالة على أنّ مابعده خبر لا تابع له، وله فائدة معنويّة نشير إليه في بيان المعنى، وعلى مذهب البصريّين لامحلّ له من الاعراب، لأنّه عندهم حرف، وقال الكوفيّون: له محلّ فقال الكسائى: محلّه باعتبار مابعده، و قال الفرّاء: باعتبار ماقبله، فمحلّه بين المبتدء والخبر رفع، وبين معمولي ظنّ نصب، و بين معمولي كان كما في هذا المقام رفع عند الفرّاء، و نصب عند الكسائي، وبين معمولي انّ بالعكس هذا وفي بعض النّسخ الغالب بالرّفع فيكون هو مبتدء والغالب خبره والجملة خبر يكون.

و قوله : فكيف بالغائب ، الباء زائدة في المبتدء و كيف خبر له قدّم عليه ، وهوظرف على مذهب الأخفش واسم على مذهب سيبويه ، فمحلّه نصب على الأوّل ، وعلى الثّاني رفع و يتفرّع على ذلك أنّك إذا قلت كيف زيد فمعناه على الأوّل على أىّ حال زيد ، وعلى الثّاني أصحيح زيد مثلا أم مريض .

و أمّا في قوله و كيف يذمّه فهو حال كما نبّه عليه ابن هشام حيث قال : ويقع أى كيف خبراً قبل ما لايستغنى عنه نحو كيف أنت و كيف كنت . ومنه كيف ظننت زيداً و كيف أعلمته فرسك لأنّ ثاني مفعولي ظنّ وثالث مفعولات اعلم خبران في الأصل وحالا قبل ما يستغنى عنه نحو كيف جاء زيد أى على أىّ حالة جاء زيد ، انتهى .

و الاستفهام هنا خارج مخرج التّعجب كأنّه عليه السلام يتعجّب من غيبة الغائب لأخيه و من مذمة المذنب لمثله ، و من هذا القبيل قوله سبحانه : كيف تكفرون بالله فانّه اخرج أيضاً مخرج التعجّب .

و أما في قوله : أماذكر موضع ستر الله عليه ، حرف عرض بمنزلة لولا فيختصّ بالفعل قال ابن هشام و قد يدّعى في ذلك أنّ الهمزة للاستفهام التقريري مثلها في ألم وألاوأنّ ما نا فية ، انتهى ، وأراد بالتّقرير التّقرير بمابعد النّفى .

وقد يقال إنّها همزة الانكار ، أى لانكار النّفى وقال التفتازاني : وأما العرض فمولد من الاستفهام ، أى ليس باباً على حدّه ، فالهمزة فيه همزة الاستفهام دخلت على النّفى و امتنع حملها على حقيقة الاستفهام لأنّه يعرف عدم النزول مثلا فالاستفهام عنه يكون طلباً للحاصل فتولّد منه بقرينة الحال عرض النزول على المخاطب و طلبه ، و هى في التحقيق همزة الانكار ، أى لا ينبغي لك أن لا تنزل ، وانكار النّفى اثبات ، انتهى .

وقال بعض المحقّقين : إنّ حروف التّحضيض تختصّ بالجمل الفعليّة الخبريّة فاذا كان فعلها مضارعا فكونها لطلب الفعل والحضّ عليه ظاهراً ، و أما إذا كان ماضيا فمعناها اللّوم على ترك الفعل إلاّ أنّها تستعمل كثيراً في لوم المخاطب على

أنّه ترك شيئاً يمكن تداركه في المستقبل ، فكأنّها من حيث المعنى للتحضيض على فعل مثل مافات ، وليكن هذا على ذكر منك ينفعك في معرفة المعنى .

وَ من في قولـه : من ذنوبه ،إمّا للابتداء كما في قوله : إنّه من سليمان ، أولبيان الجنس أعنى موضع أو للتّبعيض أو زائدة في المنصوب كما في قوله : ما اتّخذالله من ولد ، إلاّ أنّه على قول من يجوز زيادتها في الاثبات أى ستراللّه عليه ذنوبه ، وقوله : ممّا هو أعظم ، إمّا بدلمن ذنوبه أو من زائدة ، ويؤيّده ما في بعض النّسخ من حذف من فيكون مـا هو أعظم مفعول ستر فافهم وتدبّر .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه‌السلام كما نبّه عليه السّيد (ره) وارد في مقام النّهى عن غيبة النّاس ، وهى من أعظم الموبقات الموقع في الهلكات و الموجب لانحطاط الدّرجات لأنّ المفاسد الّتى تترتّب على ارتكابها أكثر من المفاسد التى تترتّب على سائر المنهيات ، وضرره ضرر نوعى ، وضرر سائر المعاصي شخصيّ غالباً .

بيان ذلك كما قاله الشّارح البحراني أنّه لمّا كان من المقاصد المهمّة للشّارع اجتماع النّفوس على همّ واحد وطريقة واحدة ، وهي سلوك سبيل الله بسائر وجوه الأوامر والنّواهى ولن يتمّ ذلك إلاّ بتعاون هممهم وتصافي بواطنهم واجتماعهم على الالفة والمحبّة حتّى يكونوا بمنزلة عبد واحد في طاعة مولاه ، ولن يتم ذلك إلاّ بنفى الضّغائن والأحقاد و الحسد ونحوه ، وكانت الغيبة من كلّ منهم لأخيه مثيرة لضغنه ، و مستدعية منه مثلها في حقّه ، لاجرم كانت ضدّ المقصود الكلّى للشّارع فكانت مفسدة كليّة، انتهى .

أقول : هذا هومحصّل قوله سبحانه: تعاونوا على البرّ و التقوى و لاتعاونوا على الاثم و العدوان ، و ستعرف إن شاءالله معني الغيبة والأدلّة الواردة في ذمّهـا

ومفاسدها بعد الفراغ من شرح مارواه السّيد (ره) .

وهوقوله : (وانّما ينبغي لأهل العصمة) وهم الّذين عصمهم الله من المعاصي ووقيهم من الجرائر بجعل نفوسهم الأمّارة مقهورة لقوّتهم العقلانيّة بما عرّفهم من معائب المعاصي و منافع الطّاعات فحصل لهم بذلك ملكة الارتداع عن الذّنوب والامتناع عن اقتحام المحارم وهم (المصنوع إليهم في السّلامة) أى الّذين اصطنع الله سبحانه إليهم وأنعم عليهم بالسّلامة من الانحراف عن صراطه المستقيم والاعتساف عن نهجه القويم ، ومن الخروج من النّور إلى الظّلمات والوقوع في مهاوى الهلكات

(أن يرحموا أهل الذّنوب و المعصية) لمّا رأوا منهم الخطيئة و العصيان و الغرق في بحر الذّل و الهوان و التّيه في وادى الضّلال و الخذلان ، والرّحمة منهم إنّما يحصل بانقاذهم الغريق من البحر العميق و إرشاد التّائه إلى الرّشاد بالتنبّه على السّداد في العمل والاعتقاد .

(ويكون الشّكر) منهم على ما اصطنع الله إليهم (هو الغالب عليهم) والاتيان بضمير الفصل لقصد تخصيص المسند إليه بالمسند أى قصر المسند على المسند إليه على حدّ قوله سبحانه : أُولئك هم المفلحون ، قال صاحب الكشاف في هذه الآية : فائدة الفصل الدّلالة على أنّ الوارد بعده خبر لاصفة ، والتّوكيد أى توكيد الحكم بما فيه من زيادة الرّبط لاالتوكيد الاصطلاحي إذ الضمير لايؤكّد الظّاهر ، وايجاب أنّ فائدة المسند ثابتة في المسند إليه دون غيره يعني أنّ اللاّزم على أهل العصمة أن يكون شكرهم على نعم الله سبحانه ومن أعظمها عصمته له من الاقتحام في المعاصي هو الغالب عليهم دون غيره ، و الشّاغل لهم عن حصائد الألسنة و عن التّعريض بعيوب النّاس (والحاجز لهم عنهم) وعن كشف سوآتهم وعوراتهم .

و إذا كان اللازم على أهل العصمة مع ماهم عليه من العصمة و ترك المعاصي ذلك (فكيف با) من هو دونهم من اسراء عالم الحواس و الآخذين بهوى الأنفس والمتورطين في الجرائم وموبقات العظائم أعنى (العائب الذى عاب) واغتاب (أخاه) بما يكرهه (وعيّره) وقرّعه (ببلواه) يعني أنّ اللائق بحال أهل العصمة إذا كان

ترك التّعرض بعيوب النّاس فغيرهم مع ما عليهم من العيب أولى بترك التّعرض و أحرى .

و قوله (أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه) توبيخ ولوم لهم على ترك الذّكر و تحضيض على تداركه في المستقبل يعني أنّه ينبغي له أن يذكر مكان ستر الله عليه ذنوبه مع علمه و إحاطته سبحانه بها صغائرها و كبائرها و بواطنها وظواهرها و سوالفها وحوادثها ، وقد ستر عليه من ذنوبه (مما هو أعظم من الذّنب الذي عابه به) فاذا ذكر معاملة الله سبحانه مع عبده هذه المعاملة وستره عليه جرائمه و جرائره و عدم تفضيحه لـه مع علمه بجميع ما صدر عنه من الخطايا و الذّنوب فكيف به (و كيف يذمّه بذنب قد ركب مثله) ولا يذمّ نفسه (فان لم يكن ركب) مثل (ذلك الذّنب بعينه فقد عصى الله سبحانه فيما سواه ما هو أعظم منه و أيم الله) قسما حقاً (لئن لم يكن عصاه في الكبير وعصاه في الصغير لجرئته على عيب النّاس) و غيبتهم (أكبر) .

ومحصّل المراد أنّه لايجوز لأحد أن يغيب أخاه لأنّه إمّا أن يكون بذنب وقد ارتكب الغائب مثله أو أكبر منه أو أصغر ، فان كان بذنب قد ارتكب مثله أو أكبر كان له في عيب نفسه شغل عن عيب غيره .

وفيه قال الشّاعر :

وإذا جريت مع السّفيه كما جرى ... فكلاكما في جريه مذموم
و اذا عتبت على السّفيه و لمته ... في مثل ما تأتي فأنت ظلوم
لاتنه عن خلق و تأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

إلى آخر الأبيات التي مرّت في شرح الفصل الثاني من الخطبة المأة والرابعة وإن كان بذنب ارتكب أصغر منه فهوممنوع أيضاً ، لأنّ جرئته على الغيبة وإقدامه عليها أكبر المعاصي باعتبار ما يترتّب عليها من المفاسد و المضارّ الدّنيويّة و الأخرويّة .

ثمّ نادى عليه السلام نداء استعطاف فقال (يا عبدالله لا تعجل في عيب أحد بذنبه

فلعلّه مغفورله) ولعلّه تائب عنه (ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلّك معذّب عليه) ومعاتب به .

ثمّ أكّد لهم الوصيّة بقوله (فليكفف من علم منكم عيب غيره) عن غيبته وتوبيخه وتفضيحه (ا) مكان (ما يعلم من عيب نفسه وليكن الشّكر شاغلا له على) ما أنعم الله سبحانه به عليه من (معافاته) وعصمته له (ممّا ابتلى به غيره)

تنبيه

في تحقيق معنى الغيبة و الأدلّة الواردة في حرمتها وما يترتّب عليها من العقوبات ودواعيها ومستثنياتها وعلاجها و كفارتها .

وقد حقّق الكلام فيها علمائنا البارعون قدّس الله أرواحهم في كتب الأخلاق والفقه في مقدّمات أبواب المعايش بما لا مزيد عليه ، بل قد أفرد بعضهم لتحقيقها رسالة مستقلّة فأحببنا أن نورد بعض ما فيها حسب ما اقتضته الحال والمجال لكونها من أعظم عثرات الانسان و أوبق آفات اللّسان ، فأقول وبالله التّوفيق : الكلام في المقام في أمور :

الامر الاول

في تحقيق معناها ، فأقول : قال الفيومى اغتابه اغتياباً إذا ذكره بما يكره من العيوب وهو حقّ والاسم الغيبة فان كان باطلا فهو الغيبة في بهت ، وفي القاموس غابه عابه وذكره بمافيه من السوء ، كاغتابه والغيبة بالكسر فعلة منه ، وعن الصّحاح الغيبة أن يتكلّم خلف انسان مستور بما يغمّه لوسمعه ، فان كان صدقا سمّى غيبة فان كان كذباً سمّى بهتانا .

و عن النّبي صلّى الله عليه وآله وسلّم وقد سأله أبوذر عن الغيبة: أنّها ذكرك أخاك بما يكرهه.

وفي رواية أخرى عنه صلّى الله عليه وآله وسلّم أتدرون ما الغيبة؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره ، قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقول ، قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهتّه .

والظاهر أن يكون المراد بالذكر في كلامه و كلام غيره كما فهمه الأصحاب الأعمّ من الذكر القولي وإن كان عبارة الصّحاح تفيد الاختصاص ، فكلّ مايوجب التذكر للشّخص من القول و الفعل و الاشارة و غيرها فهوذكر له ، وممّن صرّح بالعموم ثاني الشهيدين وصاحب الجواهر وشيخنا العلاّمة الأنصاري في المكاسب .

قال الغزالي : إنّ الذكر باللّسان إنّما حرم لأنّ فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بمايكرهه ، فالتّعريض به كالتّصريح ، والفعل فيه كالقول ، والاشارة والايماء والغمز والهمز والكتابة والحركة و كلّ مايفهم المقصود فهو داخل في الغيبة ، فمن ذلك قول عايشة دخلت علينا امرأة فلمّاولّت أومأت بيدي أنّهاقصيرة فقال عليه‌السلام اغتبتها ، و من ذلك المحاكاة كأن يمشي متعارجاً أو كما يمشي لأنّه أعظم في التّصوير و التّفهيم ولما رأى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عايشة حاكت امرأة قال صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ما يسرّني انّي حاكيت انساناً ولي كذا و كذا ، وكذلك الغيبة بالكتابة فانّ القلم أحد اللّسانين .

قال شيخنا العلاّمة الانصاري : و من ذلك تهجين المطلب الذى ذكره بعض المصنّفين بحيث يفهم منه الازراء بحال ذلك المصنّف فانّ قولك : إنّ هذاالمطلب بديهى البطلان تعريض لصاحبه بأنّه لا يعرف البديهيات ، بخلاف ما إذا قيل إنّه مستلزم لما هو بديهى البطلان ، لأنّ فيه تعريضاً بأنّ صاحبه لم ينتقل إلىالملازمة بين المطلب وبين ما هو بديهيّ البطلان ، ولعلّ الملازمة نظريّة ، هذا .

والمراد من الأخ في النبويّين كماصرّح به غيرواحد من الأعلام هوالمسلم فانّ غيبة الكافر و إن تسمّى غيبة في اللّغة إلاّ أنّها لايترتّب عليها حكم الحرمة إذ لا اخوّة بينه وبين المسلم ، بل لاخلاف في جواز غيبتهم وهجوهم وسبّهم ولعنهم وشتمهم مالّم يكن قذفا وقد أمررسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم حسّانا بهجوهم ، وقال : انّه أشدّ عليهم من رشق النّبال .

وبذلك يظهر اشتراك المخالفين للمشركين في جوازغيبتهم كما يجوزلعنهم لانتفاء الاخوّة بينهم و بين المؤمنين ، ولذلك قال ثاني الشّهيدين في حدّها : و هو

القول ومافي حكمه في المؤمن بما يسوءه لوسمعه مع اتّصافه به ، وفي جامع المقاصد وحدّها على مافي الأخبار أن يقول المرء في أخيه مايكرهه لوسمعه ممّا فيه ، ومن المعلوم أنّ الله تعالى عقد الاخوّة بين المؤمنين بقوله: إنّما المؤمنون اخوة ، دون غيرهم و كيف يتصوّر الاخوّة بين المؤمن و المخالف بعد تواتر الرّوايات و تظافر الآيات في وجوب معاداتهم والبرائة منهم .

فانقدح بذلك فساد ما عن الأردبيلي والخراساني (ره) من المنع عن غيبة المخالف نظراً إلى عموم أدلّة تحريمها من الكتاب والسنّة لأنّ قوله تعالى : ولا يغتب ، خطاب للمكلّفين أو لخصوص المسلمين ، وعلى التّقديرين فيعمّ المخالف والسّنة أكثرها بلفظ النّاس والمسلم وهما معاً شاملان للجميع ولااستبعاد في ذلك اذ كما لايجوز أخذ مال المخالف وقتله لايجوز تناول عرضه .

ووجه ظهور الفساد أنّ ذيل الآية مفيد لاختصاص الخطاب بالمؤمنين، لأنّ تعليل النّهى عنها بأنّها بمنزلة أكل لحم الأخ يدلّ على اختصاص الحرمة بمن كان بينه وبين المغتاب اخوّة كما أشرنا .

قال شيخنا العلامـة و توهّم عموم الآية كبعض الرّوايات لمطلق المسلم مدفوع بماعلم بضرورة المذهب من عدم احترامهم وعدم جريان أحكام الاسلام عليهم إلاّ قليلاً ممايتوقّف استقامة نظام معاش المؤمنين عليه ، مثل عدم انفعال مايلاقيهم بالرّطوبة ، وحلّ ذبايحهم ومناكحهم وحرمة دمائهم ، لحكمة دفع الفتنة وفسادهم لأنّ لكلّ قوم نكاح أونحوذلك .

وقال صاحب الجواهر بعد نقل كلام الأردبيلي: ولعلّ صدور ذلك منه لشدّة تقدّسه وورعه ، لكن لايخفى على الخبير الماهر الواقف على ما تظافرت به النّصوص بل تواترت من لعنهم و سبّهم و شتمهم و كفرهم و أنّهم مجوس هذه الامّة و أشرّ من النّصارى و أنجس من الكلاب أنّ مقتضى التّقدّس و الورع خلاف ذلك ، و صدر الآية : الّذين آمنوا ، وآخرها التشبيه بأكل لحم الأخ « إلى أن قال » وعلى كلّ

حال فقد ظهر اختصاص الحرمة بالمؤمنين القائلين بامامة الأئمة الاثنى عشر دون غيرهم من الكافرين والمخالفين ولو بانكار واحد منهم .

ثمّ الظّاهر من المؤمن المغتاب بالفتح أعمّ من أن يكون حيّاً أو ميّتاً ذكراً أو أنثى بالغاً أو غير بالغ مميّزاً أو غير مميّز ، وقد صرّح بالعموم شيخنا السّيد العلاّمة طاب رمسه في مجلس الدّرس ، ومثله كاشف الرّيبة حيث صرّح بعدم الفرق بين الصّغير والكبير وظاهره الشّمول لغير المميّز أيضاً .

وقال شيخنا العلاّمة الأنصاري (قد) : الظاهر دخول الصّبي المميّز المتأثّر بالغيبة لو سمعها ، لعموم بعض الرّوايات المتقدّمة وغيرها الدّالة على حرمة اغتياب النّاس وأكل لحومهم مع صدق الأخ عليه كما يشهد به قوله تعالى : وإن تخالطوهم فاخوانكم في الدّين ، مضافاً إلى إمكان الاستدلال بالآية وإن كان الخطاب للمكلّفين بناءً على عدّ أطفالهم منهم تغليباً و امكان دعوى صدق المؤمن عليه مطلقاً أو في الجملة .

و على ما ذكرناه من التّعميم فلابدّ أن يراد من السّماع في تعريفهم لها بأنّها ذكر المؤمن بما يسوءه لو سمعه الأعمّ من السّماع الفعلي ، والمراد بالموصول فيما يسوءه ما يكره ظهوره سواء كره وجوده كالجذام والبرص ونحوهما أم لا كالميل إلى القبائح .

والمستفاد من بعض الرّوايات كغير واحد من الأصحاب عدم الفرق في ما يكره بين أن يكون نقصاً في الدّين أو الدّنيا أو البدن أو النّسب أو الخلق أو الفعل أو القول أو ما يتعلّق به من ثوبه أو داره أو دابّته أو غير ذلك .

أمّا في الدّين فكقولك هو سارق أو كذّاب أو شارب الخمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصّلاة أو الزّكاة أو لا يحسن الرّكوع أو السّجود أو لا يحترز من النّجاسات أو ليس بارّاً بوالديه .

وأمّا في الدّنيا فكقوله إنّه قليل الأدب متهاون بالنّاس أو لا يرى لأحد

على نفسه حقاً أويرى لنفسه الحقّ على النّاس أوأنّه كثير الكلام أو كثير الأكل أو كثير النّوم ينام في غير وقته .

وأما البدن فكماتقول إنّه طويل أوقصير أو أعمش أوأحول أوأقرع أولونه أصفر أو أسود ونحو ذلك ممّا يسوئه .

وأمّا النسب فكقولك : أبوه فاسق أوخسيس أوحجام أوزبّال أوليس بنجيب.

وأما الخلق فبأن تقول إنّه سيّء الخلق بخيل متكبّر مختال مراء شديد الغضب جبان عاجز ضعيف القلب متهوّر وما يجرى مجرى ذلك .

وأما الفعل فامّا أن يكون متعلّقاً بالدّين أو الدّنيا وقد مرّ مثالهما .

و أمّا القول فكقولك إنّه كذّاب أو سبّاب أو أنّه تمتام أو أعجم أو ألكن أو ألثغ أو أليغ ونحوذلك .

و أمّا في ثوبه فكقولك إنّه واسع الكم طويل الذّيل و سخ الثّياب و نحوها .

وأمّا في داره فكما تقول أنّه مفحص قطاة أى في الصّغر أو كذير النّصارى أو نحوهما .

و أمّا في دابّته فكقولك لحصانه إنّه برذون أو لبغلته إنّها بغلة أبي دلامة أى كثيرة العيوب ولأبى دلامة ذلك قصيدة في ذكر معائبها منها قوله :

أرى الشّهباء تعجن اذ غدونا برجليها و تخبزنا بيدين

الثانى فى الأدلة الدالّة على حرمة الغيبة

و ما ترتّب عليها من الذّم والعقوبة فأقول : إنّها محرّمة بالأدلّة الأربعة أعنى الكتاب و السنّة و الاجماع و العقل ، فأمّا الاجماع فواضح ، و أمّا العقل فلأنّها موجبة لفساد النظام و انفصام عروة الانتظام ، وعليها تبنى القبائح و منها يظهر العدوّ المكاشح على ما مرّ توضيحه في شرح كلام الامام عليه السلام

واماالكتاب فمنه قوله تعالى : و لا يغتب بعضكم بعضاً أيحبّ أحدكم أن

يأكل لحم أخيه ميتافكرهتموهواتقوالله إنّ الله توّاب رحيم ، فجعل سبحانه المؤمن أخا وعرضه كلحمه والتفكّه به أكلاً وعدم شعوره بذلك بمنزلة حالة موته .

قال الفخر الرّازي : الحكمة في هذا التشبيه الاشارة إلى أنّ عرض الانسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظّاهر ، و ذلك لأنّ عرض المرء أشرف من لحمه ، فاذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم النّـاس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأنّ ذلك ألم . و قوله : لحم أخيه آكداً في المنع لأنّ العدوّ يحمله الغضب على مضغ لحم العدوّ فقال تعالى أصدق الأصدقاء من ولدتـه امّك فأكل لحمه أقبح ما يكون ، وقوله تعالى : ميتاً ، إشارة إلى دفع وهم وهوأن يقال : القول في الوجه يولم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم ، فقال: أكل لحم الأخ وهوميّت أيضاً لايؤلم ، ومع هذا هو في غاية القبح لما أنّه لواطلع عليه لتألّم كماأنّ الميّت لوأحسّ بأكل لحمه لآلمه ذلك هذا.

و الضّمير في قوله : فكرهتموه ، إمّا راجع إلى الأكل المستفاد من أن يأكل ، أوإلى اللّحم ، أى فكما كرهتم لحمه ميتاً فاكرهوا غيبته حيّاً ، أوالميت في قوله ميّتاً ، والتّقدير أيحبّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميّتاًمتغيّراً فكرهتموه فكأنّه صفة لقوله ميتاً و يكون فيه زيادة مبالغة في التّحذير يعني الميتة إن أُكلت لسبب كان نادراً ولكن إذا أنتن و أروح و تغيّر لا يؤكل أصلاً فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة .

والفاء فيه يفيد التعلّق وترتّب مابعدها على ماقبلها ، و هومن تعلّق المسبّب بالسّبب وترتّبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب ، لأنّ المشى يورث التّعب فكذا الموت يورث النفرة والكراهة إلى حدّ لايشتهى الانسان أن يبيت في بيت فيه ميّت فكيف يقرب بحيث يأكل منه ، ففيه إذاً كراهة شديدة فكذلك ينبغي أن تكون حال الغيبة .

ومن الكتاب أيضاًقوله سبحانه : ويل لكلّ همزة لمزة ، قال اللّيث : الهمزة هو الّذي يعيبك بوجهك ، واللّمزة الّذي يعيبك بالغيب ، و قيل : الهمز ما يكون

باللّسان والعين والاشارة ، واللّمز لايكون إلاّ باللّسان ، وقيل : هما بمعنى واحد .

ومنه أيضاً قوله : لايحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم ، و قوله : إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذاب أليم روى في الكافي عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن بعض أصحابه عن أبي عبدالله عليه السلام قال : من قال في مؤمن ما رأته عيناه و سمعته أذناه فهو من الّذين قال الله عزّ وجلّ إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة .

وأما السنة فيدلّ عليها منها أخبار لاتحصى

مثل ما رواه في الكافي عن علي بن إبراهيم عن النّوفلي عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله الغيبة أسرع في دين الرّجل المسلم من الاكلة في جوفه .

قال : و قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الجلوس في المسجد انتظار الصّلاة عبادة ما لم يحدث ، قيل يا رسول الله ومايحدث ؟ قال:الاغتياب .

وفيه مسنداً عن مفضّل بن عمر قال : قال لي أبوعبدالله عليه السلام من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقط من أعين النّاس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشّيطان فلا يقبله الشيطان .

وفي الوسائل من المجالس باسناده عن أبي بصير عن النّبي صلى الله عليه وآله في وصيّة له قال: يا أباذر إيّاك والغيبة فانّ الغيبة أشدّ من الزّنا ، قلت : ولم ذاك يارسول الله ؟ قال لأنّ الرّجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه ، والغيبة لاتغفر حتّى يغفرها صاحبها ياأباذر سباب المسلم فسوق و قتاله كفر وأكل لحمه من معاصي الله وحرمة ماله كحرمة دمه ، قلت : يا رسول الله وما الغيبة ؟ قال : ذكرك أخاك بما يكرهه ، قلت يا رسول الله فان كان فيه الذي يذكر به ؟ قال : اعلم أنّك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته ، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهتّه .

وفي الوسائل عن الحسين بن سعيد في كتاب الزهد مسنداً عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام عن النّبي صلى الله عليه وآله قال : تحرم الجنّة على ثلاثة : على المنّان ، وعلى

المغتاب ، وعلى مدمن الخمر .

وفيه أيضاً عن أبي عبدالله الشّامي عن نوف البكالي أنه قال : أتيت أمير المؤمنين وهو في رحبة مسجد الكوفة فقلت : السّلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال : و عليك السّلام ورحمة الله وبركاته ، فقلت : يا أمير المومنين عظني ، فقال : يا نوف أحسن يحسن إليك « إلى أن قال » قلت زدني قال : اجتنب الغيبة فانّها ادام كلاب النّار ، ثمّ قال : يا نوف كذب من زعم أنّه ولد من حلال و هو يأكل لحوم النّاس بالغيبة

وفي المكاسب لشيخنا العلاّمة الأنصاري طاب رمسه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنه خطب يوماً فذكر الرّبا وعظّم شأنه فقال : إنّ الدّرهم يصيبه الرّجل أعظم من ستّة وثلاثين زنية ، وإنّ أربى الرّبا عرض الرّجل المسلم.

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من اغتاب مسلماً أومسلمة لم يقبل الله صلاته ولا صيامه أربعين صباحا إلاّ أن يغفر له صاحبه .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من اغتاب مؤمنا بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنّة ، ومن اغتاب مؤمنا بما ليس فيه انقطعت العصمة بينهما ، وكان المغتاب خالداً في النّار و بئس المصير .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم كذب من زعم أنّه ولد من حلال وهو يأكل لحوم النّاس بالغيبة، فاجتنب الغيبة فانها ادام كلاب النّار .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم من مشى في غيبة أخيه و كشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم .

وروى أنّ المغتاب إذا تاب فهو آخر من يدخل الجنّة وإن لم يتب فهو أوّل من يدخل النّار .

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم إنّ الغيبة حرام على كلّ مسلم وإنّ الغيبة ليأكل الحسنات كما تأكل النّار الحطب .

قال شيخنا (قد) : وأكل الحسنات إمّا أن يكون على وجه الاحباط لاضمحلال ثوابها

في جنب عقابه ، أولاً أنها تنقل الحسنات إلى المغتاب كما في غير واحد من الأخبار ومن جملتها النبوي يؤتى بأحد يوم القيامة فيوقف بين يدي الرّب عزّ وجلّ ويدفع إليه كتابه فلا يرى حسناته فيه ، فيقول إلهي ليس هذا كتابي لا أرى فيه حسناتي ، فيقال له : إنّ ربّك لايضلّ ولا ينسى ذهب عملك باغتياب النّاس ، ثمّ يؤتى بآخر ويدفع إليه كتابه فيرى فيه طاعات كثيرة فيقول إلهي ما هذا كتابي فانّي ماعملت هذه الطاعات ، فيقال له : إنّ فلاناً اغتابك فدفع حسناته إليك .

وفي عقاب الأعمال باسناده عن أبي بردة قال : صلّى بنا رسول الله ﷺ ثمّ انصرف مسرعاً حتّى وضع يده على باب المسجد ثمّ نادى بأعلى صوته : يامعشر النّاس لايدخل الجنّة من آمن بلسانه ولم يخلص الايمان إلى قلبه ، لاتتّبعوا عورات المؤمنين فانّه من تتبّع عورات المؤمنين تتبّع الله عورته ومن تتبّع الله عورته فيفضحه ولو في جوف بيته.

و فيه أيضاً باسناده عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال : قال رسول الله ﷺ أربعة تؤذون أهل النّار على مابهم من الأذى يسقون من الحميم والجحيم ينادون بالويل والثبور فيقول أهل النّار بعضهم لبعض: مالهؤلاء الأربعة قد آذونا على مابنا من الأذى : فرجل معلّق عليه تابوت من جمر ، و رجل تجري أمعاؤه صديداً و دماً أسود نتناً ، و رجل يسيل فوه قيحاً و دماً ، و رجل يأكل لحمه ، فيقال لصاحب التابوت : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الاذى ؟ فيقول : إنّ الأبعد مات وفي عنقه أموال النّاس لم يجد لها في نفسه أداء ولا وفاء ، ثمّ يقال للّذي يجري امعاؤه : ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : إنّ الأبعد كان لايبالي أين أصاب البول من جسده ، ثمّ يقال للّذي يسيل فوه قيحا و دماً : ما بال الأبعد قد آذانا على مابنا من الأذى ؟ فيقول : إنّ الأبعد كان يحاكي فينظر إلى كلّ كلمة خبيثة و يحاكي بها ثمّ يغتاب النّاس ، ثمّ يقال للّذي يأكل لحمه : ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الاذي ؟ فيقول : إنّ الأبعد كان يأكل لحوم النّاس بالغيبة ويمشي بالنّميمة .

وفي الأنوار النّعمانيه للمحدّث الجزائري عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: مررت ليلة اسرى بي إلى السّماء على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم، فقلت: ياجبرائيل من هؤلاء؟ فقال: هؤلاء الذين يغتابون النّاس ويقعون في أعراضهم.

و فيه أيضاً وروى أنّه أمر بصوم يوم و قال: لا يفطرنّ أحد حتّى آذن له، فصام النّاس حتى إذا أمسوا جعل الرّجل يجيء فيقول: يا رسول الله ظللت صائماً فائذن لي لأفطر فيأذن له، والرّجل والرّجل حتّى جاء رجل فقال: يارسول الله فتاتان من أهلي ظللتا صائمتين فانّهما تستحيان أن يأتيانك فأذن لهما أن تفطرا فأعرض عنه، ثمّ عاوده فأعرض عنه، ثمّ عاوده فقال صلى الله عليه وآله إنّهما لم تصوما وكيف صام من ظلّ هذا اليوم يأكل لحوم النّاس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن تستقيا فرجع إليهما فأخبرهما فاستقائتا فقائت كلّ واحدة منهما علقة من دم، فرجع إلى النّبيّ فأخبره، فقال صلى الله عليه وآله: والّذي نفس محمّد بيده لو بقيتا في بطونهما لأكلتهما النّار.

وفي رواية أنّه لما أعرض عنه جائه بعد ذلك وقال: يارسول الله إنّهما والله لقد قائتا وكادتا أن تموتا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ائتوني بهما فجائتا فدعى بقدح فقال لإحداهما قيئي فقائت من قيح ودم صديد حتّى ملأت القدح، و قال للأخرى قيئي، فقائت كذلك، فقال صلى الله عليه وآله إنّ هاتين صامتا عمّا أحل الله وأفطرتا على ماحرّم الله عليهما، جلست إحداهما على الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم النّاس، ورواهما الغزالي في إحياء العلوم عن أنس مثلهما.

قال شيخنا العلاّمة طاب رمسه: ثمّ إنّه قد يتضاعف عقاب المغتاب إذا كان ممّن يمدح المغتاب في حضوره، وهذا وإن كان في نفسه مباحا إلاّ أنّه إذا انضمّ مع ذمه في غيبته سمّى صاحبه ذااللّسانين يوم القيامة وتأكّد حرمته و لذا ورد في المستفيضة أنّه يجيء ذواللّسانين يوم القيامة وله لسانان من نار، فانّ لسان المدح في الحضور و إن لم يكن لساناً من نار إلاّ أنّه إذا انضمّ إلى لسان الذّم في الغياب صار كذلك.

وعن المجالس بسنده عن حفص بن غياث عن الصادق عن أبيه عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطعت العصمة بينهما .

و عن الباقر عليه السلام بئس العبد عبد يكون ذا وجهين وذالسانين يطرى أخاه شاهداً ويأكله غائبا إن اعطى حسده وإن ابتلى غضبه .

الثالث في دواعى الغيبة

و هي كثيرة وقد أشار إليها الصّادق عليه السلام اجمالا بقوله : الغيبة تتنوّع عشرة أنواع شفاء غيظ ، ومساعدة قوم ، وتصديق خبر بلا كشف ، وتهمة، وسوءظنّ ، وحسد وسخرية ، وتعجّب ، وتبرّم ، وتزيّن ، رواه في المكاسب والأنوار النّعمانيّة و أمّا تفصيلها فقد نبّه عليه أبوحامد الغزالي في إحياء العلوم وقال :

الأول تشفى الغيظ وذلك إذا جرى سبب غضب به عليه فانّه إذا هاج غضبه يشتفى بذاك مساويه فيسبق اللّسان إليه بالطبع إن لم يكن ثمّ دين رادع ، و قد يمتنع تشفّى الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب بالباطن فيصير حقداً ثابتاً ، فيكون سبباً دائماً لذكر المساوي فالحقد والحسد من البواعث العظيمة على الغيبة .

الثاني موافقة الأقران و مجاملة الرفقاء و مساعدتهم على الكلام ، فانّهم إذا كانوا يتفكّهون بذكر الأعراض فيرى أنّه لو أنكر عليهم أو قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه ، فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظنّ أنّه مجاملة في الصّحبة ، و قد يغضب رفقائه فيحتاج إلى أن يغضب بغضبهم إظهاراً للمساهمة في السّراء والضراء ، فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوى .

الثالث أن يستشعر من انسان أنّه سيقصده ويطول لسانه عليه أويقبح حاله عند محتشم أو يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل أن يقبح هوحاله ، ويطعن فيه ليسقط أثر شهادته أو يبتدى بذكر ما فيه صادقاً ليكذب عليه بعده ، فيروج كذبه بالصّدق الأوّل و يستشهد به ويقول ما من عادتى الكذب فانّى أخبرتكم بكذا و كذا عن أحواله فكان كما قلت .

الرابع أن ينسب إلى شيء فيريد أن يتبرّء منه فيذكر الذى فعله وكان من حقّه أن يبرّى نفسه و لا يذكر الذي فعل فلا ينسب غيره إليه أو يذكر غيره بأنه كان مشاركاً له في الفعل ليمهد بذلك عذر نفسه في فعله .

الخامس إرادة التصنّع و المباهات و هوأن يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول : فلان جاهل و فهمه ركيك ، وغرضه في ضمن ذلك فضل نفسه ويوهم أنّه أفضل منه أويحذّر أن يعظّم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك.

السادس الحسد وهوأنّه ربمايحسد من يثنى الناس عليه ويحبّونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه ، فلا يجد سبيلاً إليه إلاّ بالقدح فيه ، فيريد أن يسقط ماء وجهه عندالنّاس حتّى يكفّوا عن إكرامه والثناء عليه .

السابع اللّعب و الهزل و المطايبة و ترجية الوقت بالذكر وتزيين الوقت بالذّكر فيذكر غيره بما يضحك النّاس على سبيل المحاكاة و منشاؤه التّعجب و التعجيب .

الثامن السّخرية و الاستهزاء استحقاراً له فانّ ذلك قد يجرى في الحضور ويجري أيضاً في الغيبة ومنشاؤه التكبّر واستصغار المستهزء به .

التاسع الرّحمة وهومأخذ دقيق ربما يقع فيه الخواص ، وهوأن يغتمّ بسبب ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمّني أمره و ما ابتلى به فيكون صادقاً في دعوى الاغتمام ويلهيه الغمّ عن الحذر من ذكر اسمه ، فيصير بذكره مغتاباً فيكون غمّه ورحمته خيراً لكنّه ساقه الشيطان إلى شرّ من حيث لايدرى والترحّم و الاغتمام ممكن من دون ذكر اسمه فهيّجه الشيطان على ذكر اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه و ترحّمه .

العاشر الغضب لله تعالى وهو كسابقه في غموض ادراكه وخفائه على الخواص فضلا عن العوام فانّه قد يغضب على منكر قارفه انسان إذارآه أوسمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه و كان الواجب أن يذكر غضبه عليه بالأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر ، ولا يظهر على غيره أو يستره ولايذكر اسمه بالسّوء .

الرابع في عدم جواز استماع الغيبة

قال شيخنا في المكاسب : يحرم استماع الغيبة بلاخلاف ، فقد ورد أنّ السّامع للغيبة أحد المغتابين ، والأخبار في حرمته كثيرة إلاّ أنّ ما يدلّ على كونه من الكبائر كالرّواية المذكورة ونحوها ضعيفة السّند .

أقول : و من جملة الأخبار الدّالّة على حرمته ما رواه الصّدوق في عقاب الأعمال باسناده عن أبي الورد عن أبي جعفر عليه السلام : قال من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره و أعانه نصره الله و أعانه في الدّنيا والآخرة ، ومن لم ينصره ولم يدفع عنه وهويقدر على نصرته حقّره الله عزّوجلّ في الدّنيا والآخرة .

و فيه أيضاً في حديث طويل عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : ومن ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس ردّ الله عزّوجلّ عنه ألف باب من الشرّ في الدّنيا والآخرة و إن لم يرد عنه كان عليه كوزر من اغتاب .

وفي الوسائل عن الصّدوق باسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام في حديث المناهي إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن الغيبة والاستماع إليها ، ونهى عن النّميمة والاستماع إليها ، وقال لا يدخل الجنّة قتات ، يعني نمّاماً ، و نهى عن المحادثة التي يدعو إلى غيرالله ، و نهى عن الغيبة و قال : من اغتاب امرء مسلماً بطل صومه و نقض وضوئه و جاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذّي به أهل الموقف ، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرّم الله عزّوجلّ ، ألا و من تطوّل على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردّها عنه ردّ الله عنه ألف باب من الشرّ في الدّنيا والآخرة ، فان لم يردّها وهو قادر على ردّها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرّة .

قال شيخنا : ولعلّ وجه زيادة عقابه أنّه إذا لم يردّه تجرّى المغتاب على الغيبة فيصرّ على هذه الغيبة وغيرها ، ثمّ قال : والظاهر أنّ الرّد غير النّهي عن الغيبة والمراد به الانتصار للغائب بما يناسب تلك الغيبة ، فان كان عيباً دنيويّاً انتصر له بأنّ العيب ليس إلاّ

ما عاب الله به من المعاصي التي من أكبرها ذكرك أخاك بما لم يعبه الله به ، وإن كان عيباً دينيّاً وجّهه بمحامل تخرجه عن المعصية فان لم يقبل التوجيه انتصر له بأنّ المؤمن قد يبتلى بالمعصية فينبغي أن يستغفر له ويهتم له ، لا أن يعيّر عليه ، لأنّ تعييرك إيّاه لعله أعظم عندالله من معصيته ونحوه .

ثمّ اعلم أنّ المحرم إنّما هو سماع الغيبة المحرّمة دون ما علم حلّيتها و لو كان متجاهراً عندالمغتاب مستوراً عند المستمع وقلنا بجواز الغيبة حينئذ للمتكلّم فالأقوى جواز الاستماع لأنّه قول غير منكر ، فلا يحرم الاصغاء إليه للأصل و الرّوايه الدّالة على كون السّامع أحد المغتابين تدلّ على أنّ السّامع لغيبة كقائل تلك الغيبة ، فان كان القائل عاصياً كان المستمع كذلك ، فيكون دليلا على الجواز فيما نحن فيه .

الخامس فى مستثنيات الغيبة

أى الموارد التي يجوز فيها الغيبة جوازاً بالمعنى الأعمّ ، فانّ المستفاد من الأخبار أنّ حرمتها إنّما هو لأجل ما فيها من هتك عرض المؤمن وانتقاصه وتأذيه فلو لم توجب هتكاً لكونه مهتوكاً بدونها ككونه متجاهراً بالفسق أو لم يقصد بها الانتقاص بالذات فلا .

قال في جامع المقاصد : وضابط الغيبة كلّ فعل يقصد به هتك عرض المؤمن والتفكّه به أو إضحاك النّاس منه ، و أمّا ما كان لغرض صحيح فلا يحرم كنصيحة المستشير والتظلّم آه .

قال شيخنا العلامة : حرمة الغيبة لأجل انتقاص المؤمن و تأذّيه منه ، فاذا فرض هناك مصلحة راجعة إلى المغتاب بالكسر أو الفتح أو ثالث دلّ العقل أو الشّرع على كونها أعظم من مصلحة احترام المؤمن بترك ذلك القول فيه وجب كون الحكم على طبق أقوى المصلحتين كما هوالحال في كلّ معصية من حقوق

الله وحقوق النّاس .

إذا عرفت ذلك فنقول : إنّ مسوّغاتها أُمور .

الاول التظلّم، أى تظلّم المظلوم بذكر ظلم الظّالم عند من يرجو رفعه الظلم منه قال سبحانه : لايحبّ الله الجهر بالسّوء من القول إلاّ من ظلم ، فعن تفسير القمّى أى لا يحبّ أن يجهر الرّجل بالظلم والسّوئة و يظلم إلاّ من ظلم ، فاطلق أن يعارض بالظلم .

قال شيخنا العلاّمة : ويؤيد الحكم فيه إنّ في منع المظلوم من هذا الذي هو نوع من التّشفى حرجاً عظيماً ، ولأنّ في تشريع الجواز مظنّة ردع للظّالم وهى مصلحة خالية عن مفسدة فيثبت الجواز ، لأنّ الأحكام تابعة للمصالح ، ويدلّ عليه ما روى عن النّبي صلى الله عليه وآله وسلم مطل الواجد يحلّ عقوبته وعرضه .

الثانى نصح المستشير ، فانّ النّصيحة واجبة للمستشير فانّ خيانته قد تكون أقوى مفسدة من مفسدة الغيبة فقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لفاطمة بنت قيس المشاورة في خطابها: معاوية صعلوك لا مال له و أبوالجهم لايضع العصا على عاتقه ، قال شيخنا : و كذلك النّصح من غير استشارة ، فانّ من أراد تزويج أمرءة و أنت تعلم بقبائحها التي يوجب وقوع الرّجل في الغيبة والفساد لأجلها فلا ريب انّ التنبيه على بعضها وإن أوجب الوقيعة فيها أولى من ترك نصح المؤمن ، مع ظهور عدّة من الأخبار في وجوبه .

الثالث الاستفتاء بأن يقول للمفتي : ظلمني فلان حقّي فكيف طريقي في الخلاص ، قال أبوحامد الغزالي و المحدّث الجزائرى : و الأسلم التّعريض ، بأن يقول ما قولك في رجل ظلمه أبوه أوأخوه أو زوجته ، ولكن التّعيين مباح بهذا القدر ، و قيّده شيخنا العلاّمة بما إذا كان الاستفتاء موقوفاً على ذكر الظالم بالخصوص ، وإلاّ فلا يجوز ، وظاهر الأخبار كظاهر كثير الأصحاب هو الاطلاق .

واستدلّوا عليه بماروى عن هند زوجة أبي سفيان أنّها قالت للنّبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ أباسفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني أنا و ولدى أفآخذ من غير علمه ؟

فقال ﷺ : خذي مايكفيك وولدك بالمعروف ، فذكرت الظلم والشحّ لها ولولدها ولم يزجرها إذ كان قصدها الاستفتاء .

وبصحيحة عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال : إنّ أمّي لا يدفع يد لا مس ، فقال ﷺ : احبسها ، قال : قد فعلت ، فقال : فامنع من يدخل عليها ، قال : قدفعلت ، قال : فقيّدها فانّك لا تبرّها بشيء أفضل من أن تمنعها عن محارم الله ، واحتمال كونها متجاهرة مدفوع بالأصل .

الرابع تحذير المسلم من الشرّ وعن الوقوع في الضّرر لدنيا أو دين ، لأنّ مصلحة دفع فتنة الشّر والضّرر أولى من هتك شرّ المغتاب مثل من يريد أن يشتري مملوكا وأنت تعلم بكونه موصوفاً بالسّرقة أوبعيب آخر ، فسكوتك عن ذكر عيبه إضرار بالمشتري ، وكذلك المبتدع الذي يخاف من إضلاله النّاس ، فاذا رأيت من يتردّد إلى مبتدع أو فاسق وخفت أن يتعدّى إليه بدعته أو فسقه فلك أن تكشف مساويه .

ويدلّ عليه ما عن الكافي بسنده الصّحيح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : إذا رأيتم أهل الرّيب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة وباهتوهم كيلا يطمعوا في الفساد في الاسلام ، وتحذرهم النّاس ولا تتعلّموا من بدعهم يكتب الله لكم بذلك الحسنات ورفع لكم به الدّرجات ، هذا .

وربّما يجعل هذا المورد من باب نصح المستشير بعد تعميمه بالنّسبة إلى النصح المسبوق بالاستشارة وغيره .

الخامس قصد ردع المغتاب عن المنكر الذي يفعله إذا لم يمكن الرّدع إلّا به فانّه أولى من ستر المنكر عليه فهو في الحقيقة إحسان في حقّه ، مضافا إلى عموم أدلّة النّهي عن المنكر .

السادس باب التّرجيح والتّعديل في الرّواية لأجل معرفة قبول الخبر وعدمه ومعرفة صلاحيّته للمعارضة وعدمها ، وإلّا لانسدّ باب التّعادل والتّراجيح الذي

هو أعظم أبواب الاجتهاد و جرت السّيرة عليه من قديم الزّمان كجريانها على الجرح في باب الشهادة و على ترجيح ما دلّ على وجوب اقامتها على ما دلّ على حرمة الغيبة على وجه الاشكال فيه ، وإلّا لضاعت الحقوق في الدّماء والأموال وغيرها ولغلب الباطل ، ويلحق بذلك الشّهادة بالزّنا وغيره لاقامة الحدود .

السابع دفع الضّرر عن المغتاب في دم أو عرض أو مال وعليه يحمل ما ورد في ذمّ زرارة من عدّة أحاديث وقد ورد التّعليل بذلك في بعض الأحاديث و يلحق بذلك الغيبة للتّقية على نفس المتكلّم أو ماله أو عرضه ، فانّ الضّرورات تبيح المحظورات .

الثامن ذكر الشخص بعينه الّذي صار بمنزلة الصّفة المميّزة الّتي لايعرف إلّا به كالأعمش والأعرج والأشتر والأحول ونحوها ، فلا بأس به إذا صارت الصّفة في اشتهار يوصف بها الشّخص إلى حيث لايكره ذلك صاحبها ، وعليه يحمل ماصدر عن العلماء الأعلام .

التاسع إظهار العيوب الخفيّة للمريض عند الطبيب للمعالجة .

العاشر ردّ من ادّعى نسبا ليس له فانّ مصلحة حفظ الانساب أولى من مراعات حرمة المغتاب .

الحادي عشر إذا علم اثنان عن رجل معصية وشاهداها فأجرى أحدهما ذكره في غيبة ذلك العاصي جاز ، لأنّه لا يؤثر عند السّامع شيئاً وإن كان الأولى تنزيه اللّسان عن ذلك لغير غرض من الأغراض الصّحيحة خصوصاً مع احتمال نسيان المخاطب لذلك أوخوف اشتهاره

الثاني عشر غيبة المتجاهر بالفسق في ما تجاهر به ، فانّ من لايبالي بظهور فسقه بين النّاس لايكره ذكره بالفسق وقد قال الامام عليه السلام إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له و لا غيبة ، و في رواية اخرى من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له ، وأمّا جواز غيبته في غير ماتجاهر به فقد منع منه الشّهيد الثّاني وحكى عن الشهيد الأوّل أيضاً واستظهر الفاضل النراقي الجواز .

قال شيخنا العلامة الأنصاري (قد) : ظاهر الروايات النافية لاحترام المتجاهر و غير الساتر هو الجواز ، و استظهره في الحدائق من كلام جملة من الأعلام ، وصرح به بعض الأساطين ، قال شيخنا العلامة : وينبغي الحاق مايتستّر به بمايتجاهر فيه إذا كان دونه في القبح ، فمن تجاهر والعياذ بالله باللّواط جاز اغتيابه بالتعريض للنساء الأجانب ، ومن تجاهر بقطع الطرق جاز اغتيابه بالسرقة ، ومن تجاهر بكونه جلاد السلطان يقتل الناس وينكلهم جاز اغتيابه بشرب الخمر ، ومن تجاهر بالقبايح المعروفة جاز اغتيابه بكلّ قبيح ، و لعلّ هذا هو المراد بمن ألقى جلباب الحياء لا من تجاهر بمعصية خاصة و عدّ مستورا بالنسبة إلى غيرها كبعض عمّال الظلمة ، هذا .

و هذه الموارد المذكورة هو المعروف استثناؤها بين جمع من الأصحاب ، و بعضهم قد زادوا عليها ، و بعضهم قد نقصوا و لا حاجة إلى الاطناب بعد ما عرفت أنّ مدار الحرمة على قصد الانتقاص والأذى بالذات ، والله العالم .

السادس في معالجة الغيبة

و علاجها إنّما هو بالعلم بما يترتّب عليها من المفاسد الدنيوية و الأخروية وبالتدبّر في المضار المترتّبة عليها عاجلا وآجلا .

اما المضار الدنيوية فهو أنّها تورث العداوة والشحناء وتوجب غضب المغتاب فيكون في مقام المكافاة والمجازاة لشنيع قولك فيغضبك و يؤذيك و يهينك و من ذلك تنبعث الفساد و ربّما يؤل الأمر إلى مالا يمكن علاجه ، بل قد يؤل إلى القتل والجرح والاستيصال و إتلاف الأموال وغيرها .

واما المضار الاخروية فيحصل التنبّه عليها بالتفكّر و التدبّر في الآيات والأخبار الواردة في ذمّها وعقوبتها ، وبالعلم بأنّها توجب دخول النار وغضب الجبار و مقته تعالى و تحبط الحسنات وتنقلها إلى ميزان حسنات المغتاب ، فان لم تكن له حسنة نقل الله من سيئآت خصمه بقدر ما استباحه من عرضه قال ﷺ : ما النار

في اليبس أسرع من الغيبة في حسنات العبد و إن كانت الغيبة في العيب بالخلق فليعلم أنّه عيب على الخالق فانّ من ذمّ الصنعة فقد ذمّ الصّانع ، قيل لحكيم : يا قبيح الوجه ،قال: ما كان خلق وجهي إليّ فأحسنه .

وروى إنّ نوحاً عليه السلام مرّ على كلب أجرب فقال : ماهذا الكلب ؟ فنطق الكلب و قال : يانبيّ الله هكذا خلقني ربّي فان قدرت أن تغيّر صورتي بأحسن من هذه الصورة فافعل ، فندم نوح على ماقال وبكى أربعين سنة فسمّاه الله نوحا و كان اسمه عبدالملك أوعبد الجبّار .

وروى أيضا أنّه مرّ عيسى عليه السلام ومعه الحواريّون بجيفة كلب فقال الحواريّون ما أنتن ريح هذا الكلب ، فقال عليه السلام : ما أشدّ بياض أسنانه كأنّه نهاهم عن غيبة الكلب وتعييبه ، فانظر إلى عظم الخطر في تعييب النّاس فاذا لم يرض أولياء الدّين بعيب ميتة حيوان فكيف بعيب النفوس المحترمة قال رسول الله صلى الله عليه وآله : طوبى لمن شغله عيب نفسه عن عيوب النّاس ، فاذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك قال الشّاعر :

و أجرء من رأيت بظهر غيب على عيب الرّجال وذو العيوب

فلربّما تبصر في عين أخيك القذى ولاتبصر الجذع في عينك

و مطروفة عيناه عن عيب نفسه فان لاح عيب من أخيه تبصّرا

و قد قيل للرّبيع بن خثيم : ما نراك تعيب أحداً قال : لست راضيا عن نفسي فأتفرّغ لذكر عيوب النّاس ثمّ قال :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها لنفسي في نفسي عن النّاس شاغل

نعوذ بالله من زلاّت البيان وهفوات اللّسان وسقطات الألفاظ ورمزات الألحاظ .

السابع في كفارة الغيبة

قال المحدّث الجزائري (ره) اعلم أنّ الواجب على المغتاب أن يندم ويتوب و يأسّف على ما فعل ليخرج من حقّ الله تعالى ثمّ يستحلّ المغتاب فيحلّه ليخرج

عن مظلمته و ينبغي أن يستحلّه و هو نادم حزين وإلاّ فالمرائي قد يطلب المحالة فيكون عليه ذنب آخر ، وقد ورد في كفارته حديثان :

أحدهما قوله عليه السلام : كفّارة من اغتبته أن تستغفرله ، وفي حديث آخر كلّما ذكرته، ومعنى قوله : كلّماذكرته على طريقة الغيبة أو كلّما عنّ في خاطرك أوجرى ذكره على لسانك بعد المحالة الأولى .

الثاني قوله صلّى الله عليه وآله : من كانت لأخيه عنده مظلمة في عرض أو مال فيتحلّلها منه من قبل أن يأتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيئآت صاحبه فيزيد على سيئاته .

و جمع بين الحديثين شيخنا الشهيد الثّاني قدّس الله روحه بحمل الاستغفار له على من يبلغ غيبة المغتاب فينبغي الاقتصار على الدّعاء له والاستغفار لأنّ في محالته إثارة للفتنة وجلباً للضّغائن ، و في حكم من لم يبلغه من لم يقدر على الوصول إليه لموت أو غيبة ، و حمل المحالة على من يمكن الوصول إليه مع بلوغه الغيبة

قال الجزائري ويمكن الجمع بينهما بوجهين :

أحدهما أنّ الاستغفار له كفّارة معجلة تكون مقارنة للغيبة و المحالة متأخّرة عنه غالباً فيجب عليه المبادرة بذلك لعدم توقّفه على التمكّن و عدمه ، و المحالة إذا تمكّن بعد هذا فيكون الواجب اثنين لا واحد كما هو مذكور في القول الأوّل .

الثاني حمل الاستغفار له على الاستحباب والواجب إنّما هو المحالة لا غير ، وإذا جاء إلى المغتاب فينبغي أن لا يظهر له الكلام الذي اغتاب خوفا من إثارة الشحناء و تجديد العداوة ، بل يقول له : ياأخي لك حقوق عرضيّة واريد أن تحالني منها ، ونحو ذلك من العبارات المجملة ، ويستحبّ للمعتذر إليه قبول العذر و المحالة استحباباً مؤكّدا ،انتهى .

أقول : و الأظهر في وجه الجمع ما حكاه عن الشّهيد بل وهو الأقرب .

و التّحقيق ما حقّقه شيخنا العلاّمة الأنصارى (قد) في المكاسب حيث قال :

مقتضى كون الغيبة من حقوق النّاس توقّف رفعها على إسقاط صاحبها أمّا كونها من حقوق النّاس فلأنّه ظلم على المغتاب، وللأخبار في أنّ من حقّ المؤمن على المؤمن أن لايغتابه و أنّ حرمة عرض المسلم كحرمة دمه و ماله و أمّا توقّف رفعها على إبراء ذي الحقّ فللمستفيضة المعتضدة بالأصل، ثمّ ذكر جملة من المستفيضة .

ثمّ قال : ولا فرق في مقتضي الأصل والأخبار بين التمكّن من الوصول إلى صاحبه وتعذّره ، لأنّ تعذّر البرائة لايوجب سقوط الحقّ كما في غيرهذا المقام ، لكن روى السّكوني عن أبيعبدالله عن النبيّ ﷺ إنّ كفارة الاغتياب أن تستغفر لمن اغتبته كلّما ذكرته ، ولو صحّ سنده أمكن تخصيص الاطلاقات المتقدّمة به ، فيكون الاستغفار طريقاً أيضاً إلى البرائة مع احتمال العدم أيضاً لأنّ كون الاستغفار كفّارة لا يدلّ على البرائة ، فلعلّه كفّارة للذّنب من حيث كونه حقّالله تعالى نظير كفّارة قتل الخطاء الّتي لا توجب برائة القاتل إلاّ أن يدّعى ظهور السّياق في البرائة .

ثمّ ذكر كلام الشّهيدالثّاني(ره) وجمعه بين الخبرين المتقدّمين المتعارضين على ما تقدّم ذكره في كلام المحدّث الجزائري (ره) ثمّ أورد عليه بأنّه إن صحّ النّبوى أى ما رواه السّكوني عن أبي‌عبدالله عليه السلام عن النّبيّ ﷺ مسنداً ، فلا مانع عن العمل به بجعله طريقا إلى البرائة مطلقا في مقابل الاستبراء ، و إلاّ تعيّن طرحه والرّجوع إلى الأصل واطلاق الأخبار المتقدّمة وتعذّر الاستبراء أو وجود المفسدة فيه لايوجب وجود مبرء آخر .

نعم أرسل بعض من قارب عصرنا عن الصّادق عليه السلام أنّك إن اغتبت فبلغ المغتاب فاستحلّ منه وإن لم يبلغه فاستغفرالله له .

و في رواية السّكوني المرويّة في الكافي في باب الظلم عن أبيعبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ومن ظلم أحداً ففاته فليستغفرالله له فانّه كفّارة له .

والانصاف أنّ الأخبار في هذا الباب كلّها غير نقيّة السّند و أصالة البرائة تقتضي عدم وجوب الاستحلال و لا الاستغفار ، و أصالة بقاء الحقّ الثّابت للمغتاب

بالفتح على المغتاب بالكسر تقتضي عدم الخروج منه إلاّ بالاستحلال خاصّة ، لكن المثبت لكون الغيبة حقّاً بمعني وجوب البرائة منه ليس إلاّ الأخبار الغير النّقية السّند، مع أنّ السند لوكان نقيّاً كانت الدّلالة ضعيفة لذكر حقوق اخر في الرّوايات لاقائل بوجوب البرائة منها ، فالقول بعدم كونه حقّاً للنّاس بمعنى وجوب البرائة نظير الحقوق الماليّة لايخلو عن قوّة ، وامكان الاحتياط في خلافه بل لايخلو عن قرب من جبرة كثرة الأخبار الدالّة على وجوب الاستبراء منها بل اعتبار سند بعضها والأحوط الاستحلال إن تيسّر وإلاّ فالاستغفار ، غفر الله لنا ولمن اغتبناه ولمن اغتابنا بحقّ محمّد وآله الطّاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

الترجمة

ازجمله كلام آن امام أنام عليه السلام است در نهى از غيبت مردمان ميفرمايد :

وجزاين نيست كه سزاوار است أهل عصمت وطهارت وكسانيكه انعام شده است ايشانرا در سلامتى دين اينكه رحم نمايند گناهكاران و أهل معصيت را ، و اينكه شود شكر خدا غالب بر ايشان ومانع ايشان از مذمت گنه‌كاران ، پس چگونه است غيبت كنندهٔ كه غيبت برادر خودرا كند وسرزنش نمايد اورا ببلائى كه گرفتار شده است ، آيا بيادش نمى‌آرد مقام پوشانيدن خداوند تعالى براو از گناهان او گناهيرا كه بزرگتراست از گناهي كه عيب سرزنش نمود برادرشرا باو ، وچگونه مذمّت ميكند اورا بر گناهى كه مرتكب شده است مثل اورا پس اگرنبوده باشد مرتكب آن گناه پس بتحقيق معصيت نموده خداى را در غير آن از گناهى كه بزرگتر است ازآن .

وقسم بخدا هرآينه اگرنبوده باشد معصيت نموده خدارا در گناه كبير وعصيان نموده اورا در گناه صغير هرآينه جرئت وجسارت اوبرعيب وغيبت مردمان بزرگتر است اى بندهٔ خدا سرعت مكن درعيب بنده بجهة گناه او پس شايد كه آن گناه آمرزيده شده اورا ، وأيمن مباش برنفس خود گناه كوچكرا پس شايد تو معذّب

باشي بر آن ، پس بايد كه خود دارى نمايد آن كسي كه داند ازشما عيب ديگرى را از جهة آنكه ميداند از عيب خود ، و بايد كه باشد شكر كردن او مشغول كنندهٔ او بر سلامتى خود از گناهى كه مبتلا شده است بأو غير او .

و من كلام له عليه السلام وهو المأة و الحادى و الاربعون من المختار فى باب الخطب .

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَ سَدَادَ طَرِيقٍ فَلاَ يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ، أَمَا أَنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي ، وَ تُخْطِىءُ السِّهَامُ وَ يُحِيلُ الْكَلاَمُ وَ بَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ ، وَ اللهُ سَمِيعٌ وَ شَهِيدٌ ، أَمَا أَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْبَاطِلِ وَ الْحَقِّ إِلاَّ أَرْبَعُ أَصَابِعَ ، فسئل عن معني قوله عليه السلام هذا ، فجمع أصابعه و وضعها بين أذنه وعينه ثمّ قال : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ ، وَ الْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ .

اللغة

(وثق) الشيء بالضمّ وثاقة قوى وثبت فهو وثيق ثابت محكم و (السّداد) بالفتح الصّواب من القول و الفعل و (الأقاويل) جمع أقوال و هو جمع قول و (أخطأ السّهم) الغرض تجاوزه ولم يصبه و (يحيل الكلام) في أكثر النّسخ باللام مضارع حال بمعنى يستحيل أى يكون محالا قال في القاموس : و كلّ ماتغيّر أو تحرّك من الاستواء إلى العوج فقد حال و استحال ، وقال أيضاً : و المحال بالضم من الكلام ما عدل عن وجهه كالمستحيل ، أحال أتى بـه ، و في المصباح المحال

الباطل الغير الممكن الوقوع ، و في بعض النسخ بالكاف مضارع حاك أوأحاك قال في القاموس : حاك القول في القلب يحيك حيكاً أخذ ، و السّيف اثر و الشفرة قطعت كأحاك فيهما و (بار) الشيء يبور بوراً بالضّم هلك .

الاعراب

إضافة وثيقة دين وسداد طريق من إضافة الصّفة إلى موصوفه والتاء في الوثيقة للنّقل من الوصفيّة إلى الاسميّة كما قيل أو للمبالغة ، و جملة فلا يسمعنّ ، في محلّ الرّفع خبر من و لتضمّن المبتدء معنى الشّرط اتى بالفاء في خبره ، والضمير في قوله : إنّه ، للشأن ، والواو في قوله : وباطل ذلك ، للحال

المعنى

اعلم أنّ المقصود بهذا الكلام النّهى عن التسرّع إلى التصديق بما يقال في حقّ الانسان الموصوف بحسن الظاهر المشهور بالوثوق و الصّلاح و التدّين ممّا يعيبه و يقدحه ، و يدلّ عليه الأدلّة الدّالة على حرمة الاصغاء إلى الغيبة على ما تقدّم في شرح الكلام السّابق ، و إليه أُشير في قوله سبحانه : يا أيّها الّذين آمنوا إن جائكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين

إذا عرفت ذلك فأقول قوله : (أيّها النّاس من عرف من أخيه وثيقة دين و سداد طريق) أى دينا محكماً وطريقاً صواباً ، قيل المراد بوثيقة الدّين اللّزوم للأحكام الشرعيّة والتقييد لا كمن يعبد الله على حرف فان أصابه خير اطمأنّ به وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه.

ولعلّ المراد بوثيقة الدّين العقيدة وبسداد الطريق حسن العمل كما يشعر به ما رواه الحافظ أبو نعيم بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال لابنه الحسن عليه السلام: يا بنيّ ما السّداد؟ فقال: يا أبتي السداد دفع المنكر بالمعروف، أي من عرف من أخيه المؤمن حسن الاعتقاد والعمل (فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال) أى أقاويلهم الّتي توجب شينه وتهدم مروّته وتسقطه عن أعين النّاس .

روى الصّدوق في عقاب الأعمال باسناده عن محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: قلت له: جعلت فداك الرّجل من اخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك وقد أخبرني عنه قوم ثقات، فقال عليه السلام لي: يا محمّد كذّب سمعك و بصرك عن أخيك و إن شهد عندك خمسون قسامة و قال لك قولا فصدّقه و كذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروّته فتكون من الّذين قال الله: إنّ الّذين يحبّون أن تشيع الفاحشة في الّذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدّنيا والآخرة.

و في الوسائل عن العياشي في تفسيره عن الفيض بن المختار قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول: لمّا نزلت المائدة على عيسى قال للحواريّين: لا تأكلوا منها حتّى آذن لكم، فأكل منها رجلٌ فقال بعض الحواريّين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى عليه السلام: أكلت منها؟ فقال: لا، فقال الحواريّون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها، فقال عيسى عليه السلام: صدّق أخاك و كذّب بصرك.

ثمّ علّل عليه السلام عدم جواز استماع أقاويل الرّجال وتصديقها بالمثل الّذي ضربه بقوله (أما أنّه قد يرمي الرّامي وتخطيء السهام) يعني أنّه ربما يرمي الرّامي سهمه فلا يصيب الغرض بل يخطيه (و) كذلك قد يتكلّم إنسان بكلام يعيب به على غيره أو يغتابه فـ(يحيل الكلام) ويستحيل ويعدل عن وجه الصّواب ويخالف الواقع و لا يعيبه إما لغرض شخصيّ فاسد للقائل في المقول عليه من العداوة والشحناء والحسد ونحوها فيرميه بالعيب ويطعنه بالغيب لذلك، وإمّا لشبهة منه فيه بأن يشتبه الأمر عليه فيظنّ المعروف منكراً مثل ما لو رأى في يد أحد قارورة مملوّة يشرب منها فظنّها خمراً وهو خلّ فيتّهمه بشرب الخمر.

و لذلك ورد في الأخبار المستفيضة حمل فعل المسلم على الصّحة مثل ما رواه في الكافي عن الحسين بن المختار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له: ضع أمر أخيك على أحسنه حتّى يأتيك ما يغلبك منه، و لا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا.

وعن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : إذا اتّهم المؤمن أخاه انماث الايمان في قلبه كما ينماث الملح فی الماء .

هذا كلّه على رواية يحيل باللاّم و أمّا على الرّواية الأُخرى فالمراد به التنبه على أنّ ضرر الكلام أقوى من ضرر السهام ، وتأثيره أشدّ من تأثيرها ، وذلك لأنّ الرّامى قد يرمي فتخطىء سهامه و لا تصيب الغرض ، وأمّا الكلام فيؤثر لا محالة وإن كان باطلا لأنّه يلوث العرض في نظر من لا يعرفه ويسقط محلّ المقول فيه ومنزلته من القلوب .

ثمّ قال تهديداً أوتحذيراً وتنبيها على ضرر ذلك الكلام الفاسد والقول الباطل على سبيل إرسال المثل (و باطل ذلك يبور والله سميع و شهيد) يعني أنّ الغرض والغاية من ذلك القول الّذي يعاب به باطل نشأ من الحقد والحسد أو التّصادم في مال أو جاه أو نحو ذلك من الأغراض الباطلة ، والباطل انّما يبور أی يهلك ويفنى كما قال تعالى : إنّ الباطل كان زهوقا ، ووزره يدوم ويبقى لأنّه بعين الله السميع البصير الشّاهد الخبير بمحاسن الأفعال والأقوال ومقابحها المجازى بالحسنات عظيم الثواب وبالسّيئات أليم العقاب .

ثمّ نبّه على الفرق بين الحقّ والباطل بقوله (أما أنّه ليس بين الحقّ والباطل إلاّ أربع أصابع فسئل عليه السلام عن معنى قوله هذا) لاجماله و إبهامه (فجمع أصابعه الأربع (ووضعها بين أُذنه وعينه ثمّ قال : الباطل أن تقول سمعت ، و الحقّ أن تقول رأيت) يعنى أنّ الباطل هو المسموع و الحقّ هو المرئى ، فتسامح عليه السلام في التفرقه بما ذكر تعويلا على الظهور ، ضرورة أنّ الباطل ليس فولك سمعت ، و لا الحقّ قولك رأيت ، لأنّ قولك إخبار عن نفسك بالسّماع أو الرّؤية ، و الحقّ والباطل وصفان للمخبر عنه لاالخبر كماهوظاهر .

فان قلت : كيف يقول الباطل ما يسمع و الحقّ مايرى مع أنّ كثيراً من المسموعات حقّ لاريب فيه، فانّ جلّ الأحكام الشرعيّة قد ثبت علينا بطريق النّقل

والسماع ، و كذلك كثير من العقائد الأُصولية كنبوّة نبينا ومعجزاته و كذا نبوّة سائر الأنبياء و إمامة الأئمة و معجزاتهم عليهم السلام وأخبار المعاد من الحشر و النّشر والبعث والحساب والجنّة والنّار وغيرها .

قلت : قد أجاب عنه الشّارح المعتزلي بأنه ليس كلامه في المتواتر من الأخبار وإنّما كلامه في الأقوال الشّاذّة الواردة من طريق الآحاد الّتي تتضمّن القدح فيمن قد علمت « غلبت خ» نزاهته ، فلا يجوز العدول عن المعلوم بالمشكوك .

و أجاب الشّارح البحراني بأنّ قوله : الباطل أن تقول سمعت ، لا يستلزم الكلّية حتّى يكون كلّ ما سمعه باطلا ، فانّ الباطل والمسموع مهملان يعني انه ليس بقضية كلّية بل كلام خطابي مهمل يصدق بجزئي .

أقول : و لعلّ مرادهما أنّ اللاّم في قوله : الباطل والحقّ ، للعهد و مراده عليه السلام ليس تعريف مطلق الباطل والحقّ بل التفرقة في افراد مايعاب به الغير ويتضمّن قدحه بأنّه على قسمين : أحدهما ما سمعته من غيرك، فهو باطل لأنّ من جائك به فاسق لايمكن الرّكون إليه فلابدّ من الحكم ببطلان خبره وإن كان ما خاله صدقا في نفس الأمر والواقع ، وثانيهما ما أبصرته بعينك فهو الحقّ .

فان قلت : كيف التوفيق بين قوله عليه السلام ذلك المفيد لحقّية المرئى و بين روايتي عقاب الأعمال والوسائل المتقدّمتين في شرح قوله عليه السلام : فلا يسمعنّ فيه أقاويل الرّجال، حيث أمر فيهما بتكذيب البصر فيماشاهدته .

قلت : لامنافاة بينهما ، لأنّ المراد بتكذيب البصر فيهما عدم ترتيب الآثار على العيب الذي رآه والنّهى عن إذاعته و إفشائه للغير ، لا أنّ ما رآه ليس بحق ومحصلهما وجوب ستر ما رآه من أخيه وعدم هتك عرضه عند الغير ، مثلا إذا رأى أنّه يشرب الخمر فان وجد لفعله محملا صحيحاً كأن يحتمل أنّه خلّ أو أنّ شربه للدواء و العلاج ، فلا بدّ من حمل فعله على الصّحة ، و إن لم يجد له محملا فيحكم في نفسه بفسق الشّارب ، ولا يأتمنه في أُمور يشترط فيها العدالة ، و مع

ذلك فلا يجوز إظهار مافعله لغيره تنقيصاً له على ما تقدّم في شرح الكلام السّابق والله العالم .

الترجمة

از جملهٔ كلام آن قدوه أنام است كه فرموده :

اى مردمان هر كس كه شناخت از برادر مؤمن خودش دين محكم وراه راستى را پس بايد البتّه نشنود در حق او گفتارهاى مردمان را ، آگاه شويد كه گاهست مى اندازد اندازنده وخطا مى كند تيرها ومحال ميباشد سخن وحال اينكه باطل كلام فاسد وتباه ميشود وخداى تعالى شنونده است كلام بد كورا وشاهد است بر آن وجزا دهنده است بآن ، آگاه باشيد بدرستى كه نيست ميان حق وباطل مگر چهار انگشت

پس سؤال كرده شد از آن حضرت از معنى اين فرمايش او ، پس جمع فرمود أنگشتان مبارك خود را ونهاد آنها را ميان گوش وچشم خود بعد از آن فرمود

باطل آنست كه گوئي شنيدم ، وحق آنست كه گوئى ديدم ، يعنى مادامى كه عيب أحدى را باچشم خود نديدهٔ ويقين نكردهٔ بمجرّد شنيدن از ديگران باور مكن

ومن كلام له عليه السلام وهو المأة والثانى و الاربعون من المختار فى باب الخطب

والظّاهر أنّه ملتقط من كلام طويل له عليه السلام قدّمنا روايته في شرح الكلام المأة والسّادس والعشرين من البحار من كتاب الغارات لابراهيم بن محمّد الثقفي من كتاب الكافي لمحمّد بن يعقوب الكليني على اختلاف عرفته .

وَ لَيْسَ لِواضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيما أَتى إِلّا مَحْمِدَةُ اللِّئامِ، وَثَناءُ الْأَشْرارِ، وَمَقالَةُ الْجُهّالِ مادامَ مُنْعِماً عَلَيْهِمْ

ما أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذاتِ اللهِ بَخِيلٌ، فَمَنْ آتاهُ اللهُ مالاً فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيافَةَ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعانِي، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ وَالْغارِمَ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوائِبِ ابْتِغاءَ الثَّوابِ فَإِنَّ فَوْزاً بِهٰذِهِ الْخِصالِ شَرَفُ مَكارِمِ الدُّنيا، وَدَرْكُ فَضائِلِ الْآخِرَةِ إِنْشاءَ اللهُ.

اللغة

قال الفيومي (المحمدة) بفتح الميم نقيض المذمّة، ونقل ابن السرّاج وجماعة بالكسر و (الغارم) من عليه الدّين و (صبرت) صبراً من باب ضرب حبست النفس عن الجزع قال تعالى: و اصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم، ويستعمل تارة بعن كما في المعاصى، وتارة بعلى كما في الطاعات، و (النّوائب) جمع النائبة و هى النازلة التي تنوب على الانسان وتنزل عليه.

الاعراب

قوله و مقالة الجهّال مادام منعما عليهم، ما ظرفيّة مصدريّة، و دام فعل ناقص واسمه ضمير مستتر عايد إلى واضع المعروف، ومنعماً خبره، وإنّما جعلت ما مصدريّة لأنّها تؤل بمصدر مضاف إليه الزّمان أى مدّة دوامه منعماً، وسمّيت ظرفيّة لنيابتها عن الظرف، و هو المدّة، فأصل مادام منعما مدّة مادام منعما، فحذف المضاف أعنى المدّة وناب المضاف إليه وهو ما وصلتها عنها في الانتصاب على الظرفية كما ناب المصدر الصّريح عن ظرف الزّمان في نحو جئتك صلاة العصر أى وقت صلاة العصر، فعلى هذا يكون قوله: مادام منعماً، ظرفاً للمقالة و منصوباً بها وقيداً لها وجملة ما أجود يده، في محلّ النّصب مقول القول أى مقالتهم ذلك، والواو

في قوله ، وهو حالية ، والفاء في قوله : فمن أتاه ، فصيحة ، وعطف العاني على الأسير للتفسير ، والفاء في قوله : فان فوزاً ، للسببيّة .

المعنى

اعلم أنّ هذا الكلام له عليه السلام وارد في معرض الذّم على صرف المال في غير أهله والحثّ على صرفه في وجوه البرّ ومصارف الخير .

أمّا الأوّل أعني صرف المال لغير مستحقّه فقد نبّه على خساسة ثمرته وزهادة منفعته بقوله (و ليس لواضع المعروف) أى البرّ والاحسان (في غير حقّه) أى غير المحلّ الّذي هو حقيق به وحقّ له (وعند غير أهله) ومستحقّه من الحظّ والنصيب فيما أتى وجاء به (إلاّ محمدة اللّئام) الموصوفين بدنائة النّفس و رزالة الطبع (وثناء الأشرار) و الفجّار (ومقالة الجهّال ما دام منعماً عليهم ما أجود يده) يعني أنّ الجهلة والسفهة يصفونه بالكرم والجود ويقولون إنّه جواد مادام إنعامه عليهم حتّى إذا انقطع انعامه عنهم يبدلون الشّكر بالكفران ، و الثناء بالمذمّة ، بل ربّما يجعلون الشّر عوض الشكر استجلاباً لذلك الانعام المنقطع ، واستعادة له

فهذا الرّجل وإن كان السفلة والسّفهاء يصفونه بالجود لجهلهم بوضع الأشياء في مواضعها الّتي هي مقتضي العقل و الشّرع ، و لكنّه ليس بجواد في نفس الأمر وعند أولى الألباب العارفين بمواضع الأشياء و مواضعها التي يحسن وضعها فيها ، بل يصفونه العقلاء بالبخل كما قال عليه السلام (و هو عن ذات الله بخيل) يعني أنّه بخيل عما يرجع إلى ذات الله سبحانه و يحصل رضاه كوجوه البرّ الواجبة والمندوبة من الصدّقات وصلة الرّحم والضيافة والحقّ المعلوم للسّائل والمحروم ونحوها

وتوضيح المرام موقوف على تحقيق الكلام فى معنى الجود والبخل

فنقول : المال خلق لحكمة و مقصود و هو صلاحه لحاجات الخلق ، و يمكن إمساكه عن الصّرف إلى ماخلق للصّرف إليه ويمكن بذله بالصّرف إلى مالا يحسن

الصّرف إليه، ويمكن التصرّف فيه بالعدل وهوأن يحفظ حيث يجب الحفظ ، ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل ، والبذل حيث يجب الامساك تبذير وإسراف، والوسط بينهما وهو الجود والسّخاء محمود قال سبحانه: والّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما ، فالوسط بين الاسراف والاقتار هو الجود ، وهو أن يقدّر بذله وامساكه بقدر الواجب .

والواجب قسمان : واجب بالشّرع وواجب بالمروّة والعادة ، فمن منع واحداً منهما فهو بخيل ، ولكنّ المانع من واجب الشرع أبخل كالمانع من أداء الزّكاة ونفقة عياله الواجبي النفقة ، وأما واجب المروّة فهو ترك المضايقة و الاستقصاء في المحقرات ، فانّ ذلك مستقبح و يختلف استقباحه باختلاف الأحوال و الأشخاص فيستقبح من الغني مالا يستقبح من الفقير من المضايقه ، وكذلك من الرّجل مع أهله وأقاربه مالا يستقبح مع الأجانب ، وكذلك يستقبح المضايقة من الجار في حقّ الجار دون البعيد ، و في الضيافة دون المعاملة ، و بالنسبة إلى العالم دون الجاهل وهكذا.

فمن أدّى واجب الشّرع وواجب المروّة اللّائقة فقد تبرّء من البخل ، نعم لا يتّصف بصفة الجود و السّخاء ما لم يبذل زيادة على ذلك لطلب الفضيلة و نيل الدّرجات ، فاذا اتّسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع و لا يتوجّه إليه الملامة في العادة فهو جواد بقدر ما تتّسع له نفسه من قليل أو كثير ، و درجات ذلك متفاوتة غير محصورة ، فاصطناع المعروف وراء ما توجبه العادة و المروّة هو الجود ، ولكن يشترط فيه أمران :

أحدهما أن يكون عن طيب نفس

و الثّاني أن لايكون عن طمع عوض ولو ثناء ومحمدة وشكراً ، فانّ من طمع في الشّكر و الثّناء ممّن يحسن إليه أو من غيره فانّه بيّاع ليس بجواد ، فانّه يشترى المدح بماله ، والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه وكذلك لو كان الباعث عليه الخوف من الهجاء مثلا أو من ملامة الخلق أو دفع شرّ ، فكلّ ذلك ليس من

الجود لأنّه مضطرّ إليه بهذه البواعث نعم لولم يكن غرضه إلاّ الثّواب في الآخرة وتحصيل رضاء الله سبحانه واكتساب فضيلة الجود وتطهير النّفس من رذالة الشّح فهو الجواد والموصوف بالسخاء .

إذا عرفت ذلك فقد ظهر لك أنّ وضع المعروف في غير حقّه وعند غير أهله أو لرجاء العوض والمنفعة فليس جواداً في الحقيقة وعند أهل المعرفة والبصيرة ، كما نبّه به الامام عليه السلام ونهى عنه .

ثمّ أرشد عليه السلام إلى ما ينبغي القيام به لمن آتاه الله المال والثّروة بقوله (فمن آتاه الله مالاً فليصل به) الرّحم و (القرابة) فقد روى في الوسائل من الكافي باسناده عن السّكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أيّ الصّدقة أفضل، فقال : على ذي الرّحم الكاشح .

وبهذا الاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : الصّدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر وصلة الاخوان بعشرين وصلة الرّحم بأربعة وعشرين .

و في الوسائل أيضاً عن الصّدوق قال : قال عليه السلام لا صدقة و ذورحم محتاج

وباسناده عن شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المناهي قال : ومن مشى إلى ذي قرابة بنفسه و ماله ليصل رحمه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر مأة شهيد وله بكلّ خطوة أربعون ألف حسنة ومحى عنه أربعون ألف سيّئة ، ورفع له من الدّرجات مثل ذلك ، وكان كأنّما عبدالله عزّ وجلّ مأة سنة صابراً محتسبا ، هذا .

و قد مضى جملة من منافع صلة الرّحم ومضارّ القطيعة و الأخبار المتضمّنة لهذا المعنى في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثّالثة والعشرين فليراجع .

(وليحسن منه الضّيافة) قال الصّادق عليه السلام لحسين بن نعيم الصحّاف في حديث رواه في الكافي : أتحبّ إخوانك يا حسين ؟ قلت : نعم ، إلى أن قال أتدعوهم إلى منزلك ؟ قلت : نعم ما آكل إلاّ ومعي منهم الرّجلان والثلاثة والأقلّ والأكثر ، فقال أبوعبدالله عليه السلام : أما إنّ فضلهم عليك أعظم من فضلك عليهم ، فقلت : جعلت

فداك أُطعمهم طعامي و أُوطئهم رحلي ويكون فضلهم عليّ أعظم قال: نعم إنّهم إذا دخلوا منزلك دخلوا بمغفرتك ومغفرة عيالك، و إذا خرجوا من منزلك خرجوا بذنوبك وذنوب عيالك.

(وليفكّ به الأسير والعاني وليعط منه الفقير والغارم) أي المديون (وليصبر نفسه على الحقوق) الواجبة والمندوبة كالزّكاة والصّدقات، أي ليحبس نفسه على أدائها، وإنّما سمّي حبساً لأ نّه خلاف مايميل إليه الطّبع والنفس الامارة (والنّوائب) التي تنزل به من الحوادث والمهمّات الموجبة لغرمه .

كما في حديث الجهاد عن أبي الحسن عليه السلام في قسمة الغنائم ثمّ قال: ويأخذ يعني الامام الباقي فيكون بعد ذلك أرزاق أعوانه على دين الله وفي مصلحة ماينوبه من تقوية الاسلام وتقوية الدّين في وجوه الجهاد وغير ذلك ممّا فيه مصلحة العامة

قال الشارح البحراني: وأشار بالنّوائب إلى مايلحق الانسان من المصادرات التي يفكّ بها الانسان من أيدي الظالمين وألسنتهم، والانفاق في ذلك من الحقوق الواجبة على الانسان، انتهى

والأظهر التّعميم حسب ما ذكرنا ولمّا أشار إلى المواضع التي يحسن وضع المال فيها وصرفه إليها أردفه بقوله (ابتغاء الثواب) تنبيهاً على أنّ حسنه إنّما يكون إذا قصد به وجه الله سبحانه وطلب جزائه لا عن قصد رياء وسمعة.

ثمّ نبّه على ما يترتّب على هذه الخصال الحسنة من الأجر الجميل والجزاء الجزيل بقوله (فان فوزاً بهذه الخصال) الخمس (شرف مكارم الدّنيا ودرك فضائل الآخرة إنشاء الله) لأنها توجب الذكر الجميل والجاه العريض في الأولى والثواب الجزيل الموعود لأولي الفضل والتّقى في العقبى، هذا.

وانّما أتى فوزاً بالتنكير ولم يقل فانّ الفوز بهذه الخصال قصداً إلى التّقليل يعني أنّ قليل فوز بهذه يوجب شرف الدّنيا والآخرة كما في قوله تعالى: ورضوان من الله أكبر، أي رضوان قليل منه سبحانه أكبر من ذلك كلّه على ما ذهب إليه صاحب التّلخيص.

و هذا أقرب و أولى بل أظهر ممّا قاله الشّارح المعتزلي في وجه تعليل التنكير حيث قال : قوله: فانّ فوزاً أفصح من أن يقول فانّ الفوز أو فإنّ فى الفوز كما قال الشّاعر :

إنّ شواء و نشوة وخبب البازل الأمون

من لذّة العيش للفتى في الدّهر والدّهر ذو فنون

ولم يقل إنّ الشواء والنشوة ، و السرّ في هذا أنّه كأنّه يجعل هذا المصدر و هذا الشواء شخصاً من جملة اشخاص داخلة تحت نوع واحد و يقول : إنّ واحداً منها أيّها كان فهو من لذّة العيش وإن لم يحصل له كلّ أشخاص وذلك النوع ومراده ﷺ تقرير فضيلة هذه الخصال في النفوس أى متى حصل للانسان فوز بأيّها فقد حصل له الشّرف ، وهذا المعنى وإن أعطاه لفظة الفوز بالألف واللاّم إذا قصد بها الجنسيّة إلاّ أنّه قد يسبق إلى الذّهن منها الاستغراق لا الجنسية فأتى بلفظة لا توهم الاستغراق وهى اللّفظة المنكرة ، وهذا دقيق وهو من لباب علم البيان، انتهى.

وفيه أوّلاً أنّ الذّوق السّليم يحكم بأنّ القصد في التّنكير هنا إلى التقليل لا إلى الافراد كما في جاء رجل من أقصى المدينة وفي قوله : والله خلق كلّ دابّة من ماء ، أى كلّ فرد من أفراد الدّواب من فرد من أفراد الماء أى النطفة المختصّة به فتأمّل تعرف .

و ثانياً أنّ قوله : وهذا المعنى و إن أعطاه لفظة الفوز ممنوع ، لظهور أنّ النكرة هو الفرد المنتشر ، والبعض الغير المعيّن المعرّف بلام الجنس موضوع لماهيّة من حيث هى وبينهما بون بعيد .

وثالثاً أنّ قوله : قد يسبق إلى الذّهن منها الاستغراق لا الجنسية ، يدفعه أنّ المتبادر من المعرّف باللاّم المفرد هى الماهية لا بشرط ، و بعبارة اخرى المتبادر السّابق إلى الذّهن من المفرد المحلّى باللاّم هى نفس الحقيقة ، من دون نظر إلى الافراد كلاّ أو جزء ، فمن أين يسبق إلى الذّهن الاستغراق إن هو إلاّ توهّم فاسد

وبه يظهر فساد مازعمه الشّارح البحراني أيضاً حيث قال : و إنّما نكّر الفوز

لأنّ تنكيره يفيد نوع الفوز فقط الّذي يحصل بأىّ شخص كان من أشخاصه و هذا وإن كان حاصلا مع الألف واللاّم لتعريف تلك الطبيعة إلاّ أنّ ذلك التعريف مشترك بين تعريف الطبيعة والمعهود الشخصي فكان موهماً لفوز شخصىّ ، ولذلك كان الاتيان به منكرا أفصح وأبلغ انتهى .

وجه ظهور الفساد منع اشتراك المعرّف بلام الحقيقة بين تعريف الطّبيعة والمعهود الشخصى ذهنيّاً كان أو خارجيّاً ، بل هو حقيقة في الأوّل فقط ، ومجاز في غيره ، وانفهامه منه محتاج إلى القرينة، وليست فليس ، مضافاً إلى ما استظهرناه من افادة التنكير للتقليل لا النوع في ضمن أىّ شخص فافهم وتبصّر .

تذنيب فى الاخبار الواردة فى ذمّ وضع المعروف فى غير موضعه ومع غير أهله

ففى الوسائل من الكافي باسناده عن سيف بن عميرة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام لمفضّل بن عمر : يا مفضّل إذا أردت أن تعلم أشقىّ الرّجل أم سعيد فانظر سيبه و معروفه إلى من يصنعه فان كان يصنعه إلى من هو أهله فاعلم أنّه إلى خير و إن كان يصنعه إلى غير أهله فاعلم أنّه ليس له عند الله خير .

ومن الكافي عن العدّة عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن محمّد بن سنان عن مفضّل ابن عمر قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : إذا أردت أن تعرف إلى خير يصير الرّجل أم إلى شرّ فانظر أين يضع معروفه فان كان يضع معروفه عند أهله فاعلم أنّه يصير إلى خير ، و إن كان يضع معروفه مع غير أهله فاعلم أنّه ليس له في الآخرة من خلاق .

و في الوسائل عن الصّدوق باسناده عن قتادة بن عمرو و أنس بن مالك عن أبيه جميعاً في وصيّة النّبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم لعلي عليه السلام قال : يا علىّ أربعة تذهب ضياعا : الأكل على الشّبع ، و السّراج في القمر ، والزّرع في السبخة ، والصّنيعة عند غير أهلها .

و فيه من مجالس ابن الشّيخ عن أبيه عن أبي محمّد الفحام عن المنصورى عن

عمّ أبيه عن الامام عليّ بن محمّد عن أبيه عن آبائه واحداً واحداً عليهم السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : خمس تذهب ضياعا : سراج تفسده في شمس، الدّهن يذهب والضّوء لا ينتفع به ، ومطرجود على أرض سبخة المطر يضيع والأرض لاينتفع بها ، وطعام يحكمه طاهيه يقدم إلى شبعان فلا ينتفع به ، و امرأة تزف إلى عنين فلا ينتفع بها ، ومعروف يصطنع إلى من لايشكره .

الترجمة

از جملهٔ كلام بلاغت نظام آن امام عليه الصّلاة والسّلام درارشاد مردمان بر مواقع ومصارف احسان ميفرمايد :

ونيست مر نهندهٔ احسان را در غير محلى كه لايق است بأو درنزد غير أهل و مستحق آن از حظ و نصيب در آنچه آورده مگر ستايش لئيمان و ثناء شريران و گفتار جاهلان مادامى كه احسان كننده است برايشان : چه سخى نموده دست اورا وحال آنكه آن شخص بخيل است از ذات بارى تعالى ، پس هر كه عطا كند اورا خداوند سبحانه مالي را پس بايد وصل نمايد آن را بأقربا وأقوام خود و بايد كه نيك سازد ازآن مهماني را ، وبايد كه برهاند بآن اسير ودست گيررا ، وبايد كه بدهد ازآن فقيرقرض دار را ، وبايد كه حبس نمايد نفس خودرا برأداء حقوق واجبه ومندوبه وحوادثات روزگار ، بجهة طلب ثواب ازحضرت پروردگار، پس بدرستيكه فائز شدن باين خصلتها بزرگوارى مكرمتهاى دنيااست ، و رسيدن بفضيلتهاى عقبى إنشاء الله تعالى .

هنا انتهى الجزء الثامن من هذه الطبعة الجديدة القيمة وتمّ تصحيحه و تهذيبه بيد العبد «السيد ابراهيم الميانجى» عفى عنه وعن والديه وذلك في اليوم الرابع والعشرين من المحرم سنة «١٣٨١» ويليه انشاء الله الجزء التاسع واوله أول المختار المأة والثالث والاربعين ، والحمدلله كماهوأهله

فهرس الجزء الثامن من شرح نهج البلاغة

العنوان	الصفحة
في الأمر بتعلّم القرآن وأنّه أحسن الحديث .	٣
تكملة	
في نقل المختار علي رواية تحف العقول	٨
الترجمة	**١٢**
المختار المأة والعاشر	**١٣**
في التحذير عن الدّنيا وزينتها وذكر عيوباتها	١٣
تكملة	
في نقل المختار على رواية البحار . .	٢٨
الترجمة	**٣٠**
المختار المأة والحادى عشر	**٣٣**
في تنزيهه تعالى عن الاطلاع على كنه صفته ويذكر فيه ملك الموت وتوفيه الأنفس .	٣٣
تنبيه	
في بيان معنى الموت وذكر وصف حال ملك الموت .	٣٦
في أنّ قابض الأرواح هل هو الله سبحانه أم ملك الموت فقط أم هو مع ساير الملائكة ؟ .	٣٨
الترجمة	**٤٠**
المختار المأة والثانى عشر	**٤٠**
في التنفير عن الدنيا والترغيب في الآخرة .	٤٠
الترجمة	**٤٩**
المختار المأة والثالث عشر	**٥١**
في الأمر بملازمة التقوى والتحذير عن الدّنيا .	٥١
قصّة شاب في المسجد وهو يخفق ويهوى برأسه .	٥٦
في ذكر آثار التقوى وخواصّها .	٥٨

العنوان	الصفحة
في أنّ الدنيا دارفناء وعناء وغير وعبر .	٦٠
في أنّ الحلال أكثر من الحرام .	٦٤
الترجمة	**٦٩**
المختار المأة والرابع عشر	**٧٢**
في الاستسقاء .	٧٢
كيفية الاستسقاء .	٧٧
تكملة	
في ذكر المختار على رواية الفقيه .	٨٢
ذكر خطبتي الحسنين عليهما السلام في الاستسقاء .	٨٤
بيان ما يحتاج إلى البيان .	٨٥
الترجمة	**٨٨**
المختار المأة والخامس عشر	**٩٠**
في ذكر ممادح النبي صلى الله عليه وآله وذكر بعض أوصافه الجميلة .	٩٠
إخباره عليه السلام عن الغيب ولما يبتلى به أهل الكوفة .	٩٣
شرح قوله عليه السلام : « ايه أباوذحة » .	٩٥
الترجمة	**٩٨**
المختار المأة والسادس عشر	**٩٩**
في التوبيخ بالبخل بالأموال والأنفس	٩٩
الترجمة	**١٠١**
المختار المأة والسابع عشر	**١٠١**
في مدح أصحابه عليه السلام واستمالة قلوبهم إلى مناصحته .	١٠١
الترجمة	**١٠٣**
المختار المأة والثامن عشر	**١٠٣**
في الحضّ على الجهاد قاله عليه السلام بعد انقضاء صفين ونهروان .	١٠٣
الترجمة	**١٠٧**
المختار الماة والتاسع عشر	**١١٠**
في الاشارة الى وجوب اتّباعه عليه السلام والتمسك بذيل ولايته .	١١٠
في قضائه عليه السلام ديون رسول الله صلى الله عليه وآله وحديث أبي الصمصام .	١١٤
شرح قوله عليه السلام : « وتمام الكلمات »	١١٩
جوابه عليه السلام عن مسائل اليهود .	١٢٠
ذكر جملة من قضاياه عليه السلام .	١٢٢
في أنّ الذكر الجميل للانسان خير له من المال .	١٢٧
الترجمة	**١٢٨**
المختار المأة والعشرون	**١٢٩**
في دفع شبهة الخوارج لماقالوا : نهيتنا عن الحكومة ثمّ أمرتنا بها «الخ»	١٢٩

العنوان	الصفحة
تأسّفه عليه السلام على السّلف الماضين وتحسّره على فقدهم .	١٣٦
الترجمة	**١٣٩**
المختار المأة والاحد والعشرون	**١٤٠**
قاله عليه السلام للخوارج احتجاجاً عليهم	١٤٠
تنبيه	**١٤٧**
الترجمة	**١٤٨**
المختار المأة والثاني والعشرون	**١٥٠**
قاله عليه السلام للأصحاب في ساعة الحرب لتحريضهم على القتال .	١٥٠
الترجمة	**١٥٣**
المختار المأة والثالث والعشرون	**١٥٤**
قاله عليه السلام للأصحاب في مقام التوبيخ والتقريع .	١٥٤
الترجمة	**١٥٦**
المختار الماة والرابع والعشرون	**١٥٦**
قاله عليه السلام للأصحاب في مقام الحضّ على الجهاد وتعليمهم آداب الحرب ورسومها .	١٥٦
تكملة	**١٦٤**
في ذكر المختار على رواية غير السيد (ره) .	١٦٤
الترجمة	**١٦٨**
المختار المأة و الخامس والعشرون	**١٦٩**
قاله عليه السلام في مقام الاحتجاج على الخوارج حيث أنكروا عليه التحكيم .	١٦٩
محصّل جوابه عليه السلام .	١٧٦
الترجمة	**١٨١**
المختار المأة و السادس والعشرون	**١٨٢**
قاله عليه السلام لما عوتب على التسوية في العطا من غير تفضيل أُولى السابقات والشرف .	١٨٢
أوّل من فتح باب التفضيل في الصّدقات.	١٨٥
تكملة	**١٩٢**
في ذكر المختار على رواية غير السيد (ره) .	١٩٢
الترجمة	**١٩٣**
المختار المأة والسابع والعشرون	**١٩٤**
احتجاجه عليه السلام على الخوارج .	١٩٤
الترجمة	**٢٠٢**

العنوان	الصفحة
المختار المأة و الثامن والعشرون	
وشرحه في فصلين :	
الفصل الاول	
في اشارته عليه السلام إلى خروج صاحب الزنج	٢٠٣
الترجمة	**٢٠٨**
الفصل الثاني	
في اشارته عليه السلام إلى وصف الأتراك	٢٠٨
الكلام في علم الغيب و أنّه هل يختصّ بالله سبحانه أو يعمّ غيره من الأنبياء و الأئمة عليهم السلام أو يفصّل .	٢١٣
ذكر الأدلّة الّتي يستفاد منها التفصيل وبه يجمع بين الأدلّتين المتقدّمتين و وجه الجمع أمور ثلاثه .	٢١٥
الاول	**٢١٥**
الوجه الثاني	**٢٢٠**
في أنّ الغيب على قسمين	٢٢٠
الوجه الثالث	**٢٢٣**
إخبار الأئمة عليهم السلام بكثير من الأمور الخمسة المذكورة في الآية .	٢٢٤
تذكرة	**٢٢٦**

العنوان	الصفحة
الترجمة	**٢٢٧**
المختار المأة و التاسع والعشرون	**٢٢٨**
في التنبيه على فناء الدنيا وزوالها وزهادة قدرها .	٢٢٨
تحسّره عليه السلام على فوت الخيار وموت الأخيار وتنبيهه على حقارة الباقين ورذالتهم .	٢٣٣
الترجمة	**٢٣٤**
المختار المأة والثلاثون	**٢٣٦**
قاله عليه السلام لأبي ذرّ لما أخرج إلى الربذة .	٢٣٦
تنبيه	**٢٣٨**
في ذكر نبذ من أحوال أبي ذر (ره) و كيفية اسلامه	٢٣٨
وأما مناقبه الجميلة وخصاله الحميدة .	٢٤٠
كيفية إخراج أبي ذر (ره) إلى الربذة وماجرى بينه وبين عثمان .	٢٤٢
كيفية إخراج أبي ذر (ره) إلى الربذة و مشايعة أمير المؤمنين و عقيل والحسن والحسين عليهم السلام وعمار بن ياسر (رض) إيّاه و ما قالوا عند الوداع .	٢٤٩

العنوان	الصفحة
كلام للشارح المعتزلي وردّ المصنف (قد) إيّاه .	٢٥٢
الترجمة	**٢٥٤**
المختار المأة والاحدو الثلاثون	**٢٥٤**
في توبيخه عليه السلام أصحابه وذمّهم على التقصير في اتّباع الحقّ .	٢٥٤
في أنه عليه السلام أوّل من أناب وأجاب إلى الايمان والاسلام وأنه عليه السلام أسبق النّاس بالصلاة .	٢٥٨
كلام للشارح المعتزلي .	٢٦٤
تنبيه	
فى أنّه عليه السلام سبق الناس كلاّ إلى الاسلام والتوحيد .	٢٦٦
نقل كلام للعلاّمة المجلسى (قد) في ذلك .	٢٦٧
نقل كلام للشيخ المفيد (قد) فى ذلك .	٢٦٨
نقل كلام للشارح المعتزلى فى ذلك .	٢٩١
الترجمة	**٢٩٢**
المختار المأة والثانى والثلاثون	**٢٩٣**
في حمدالله المتعال و جملة من أوصاف الكبرياء و الجمال على ماهومقتضى الفصل الأوّل .	٢٩٣
و الفصل الثّانى فى التهويل و التخويف و الانذار بالموت والتنفيرعن الدنيا .	٢٩٩
الترجمة	**٣٠٢**
المختار المأة والثالث والثلاثون	**٣٠٣**
وشرحه في فصلين	
الفصل الاول	**٣٠٣**
يدورعلى فصول ثلاثة	
الفصل الاول	**٣٠٥**
فى تمجيد الله سبحانه باعتبارعموم قدرته .	٣٠٥
الفصل الثانى	**٣٠٨**
في ذكر كتاب الله تعالى وتعظيمه .	٣٠٨
الفصل الثالث	**٣٠٩**
فى وصف رسول الله صلى الله عليه وآله	٣٠٩
الترجمة	**٣٠٩**
الفصل الثانى	**٣١٠**
فى التنفير عن الدّنيا و توبيخ من قصرنظره اليها .	٣١٠
في وصف كتاب الله	٣١٦
الترجمة	**٣١٩**
المختار المأة والرابع والثلاثون	**٣٢٠**
قاله عليه السلام لعمربن الخطاب إرشاداً	

العنوان	الصفحة
له إلى وجه المصلحة .	٣٢٠
الترجمة	٣٢٣
المختار المأة والخامس والثلاثون	٣٢٣
قاله عليه السلام لمغيرة بن الأشعث	٣٢٣
تنبيه	
فى ذكر طرف من مشاجرة أمير المؤمنين عليه السلام مع عثمان .	٣٢٧
الترجمة	٣٢٩
المختار المأة والسادس والثلاثون	٣٣٠
قاله عليه السلام لجمهور أصحابه الّذين كان غرضهم في بيعته عليه السلام حطام الدنيا لا إحياء شرايع الدّين .	٣٣٠
تكملة	
فى نقل المختار على رواية المفيد (قد) فى الارشاد .	٣٣٢
الترجمة	٣٣٣
المختار المأة والسابع والثلاثون	٣٣٣
في معنى طلحة والزبير وتقريعهما .	٣٣٣
في التنبيه على عدم ثبوت توبة طلحة والزبير .	٣٤١
الترجمة	٣٤٤
المختار المأة والثامن والثلاثون	٣٤٦
وشرحه في فصلين :	
الفصل الاول	٣٤٦
في ذكر الملاحم و الاشارة إلى ظهور القائم عليه السلام .	٣٤٦
الاشارة إلى بعض سيرة القائم عليه السلام عند قيامه .	٣٥٠
تنبيه	
في الاشارة إلى الخلاف الواقع فيوقت ولادة القائم عليه السلام وتعيين اُمه وأبيه عليهما السلام .	٣٥٤
الترجمة	٣٥٧
الفصل الثانى	٣٥٨
في الاشارة إلى السّفياني أو عبدالملك بن مروان .	٣٥٨
الترجمة	٣٦١
المختار المأة والتاسع والثلاثون	٣٦٢
قاله عليه السلام لأهل الشورى بعد وفات عمر .	٣٦٢
الترجمة	٣٦٥
المختار المأة و الاربعون	٣٦٥
فى النهى عن غيبة الناس .	٣٦٥
تنبيه	
في تحقيق معنى الغيبة .	٣٧١
في الأدلّة الدالّة على حرمة الغيبة	٣٧٥

العنوان	الصفحة
في ذكر دواعي الغيبة .	٣٨١
في عدم جواز استماع الغيبة .	٣٨٣
في مستثنيات الغيبة .	٣٨٤
في معالجة الغيبة .	٣٨٨
في كفارة الغيبة .	٣٨٩
الترجمة	**٣٩٢**
المختار المأة والحادى والاربعون .	**٣٩٣**
في النهى عن سوء الظن بالناس .	٣٩٣
في الفرق بين الحقّ والباطل وأنه أربع أصابع .	٣٩٦
الترجمة	**٣٩٨**

العنوان	الصفحة
المختار المأة والثانى والاربعون	**٣٩٨**
في ذمّ وضع المعروف عند غير أهله وفي غير محلّه .	٣٩٨
تحقيق الكلام في معنى الجود والبخل .	٤٠٠
في الارشاد الى ما ينبغى القيام به لمن آتاه الله المال و الثروة من صلة الأرحام و نحوها .	٤٠٢
تذنيب	
في الأخبار الواردة في ذمّ وضع المعروف في غير موضعه ومع غير أهله	٤٠٥
الترجمة	**٤٠٦**